

مركز البحوث والدراسات

بحوث دراسة الحالة

التصميم والأساليب

تأليف
روبرت ك. ين

ترجمة
د. بركات بن مازن العتيبي

المراجع العلمي
د. عبيد بن عبد الله العمري

بسم الله الرحمن الرحيم



مركز البحوث والدراسات

بحوث دراسة الحالة

التصميم والأساليب

تأليف

روبرت ك. ين

ترجمة

د. بركات بن مازن العتيبي

المراجع العلمي

د. عبيد بن عبد الله العمري

١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

بطاقة الفهرسة



ردمـــــــك: ١-٢١-٨٢٧٦-٦٠٣-٩٧٨

هذه الترجمة لكتاب :

Case Study Research

Design and Methods



Robert K. Yin

COSMOS Corporation



Los Angeles | London | New Delhi
Singapore | Washington DC



ملخص المحتويات

الصفحة

المحتويات التفصيلية

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

عن المؤلف:

روبرت ك. ين (Robert K. Yin) هو رئيس شركة (COSMOS)، وهي شركة متخصصة في مجــال البحــوث التطبيقية والعلــوم الاجتماعية. وقد أنجزت الشركــة بنجاح مئات من المشــاريع لصالح العديد من الهيئات الحكومية في الولايات المتحدة الأمريكية على المستوى المحــلي والفيدرالي والولايات، وكذلك المؤسســات الخاصة. لذا فقد جاءت معظم تطبيقات هذا الكتاب من هذه المشاريع.

وخــارج نطاق الشركة، دعم الدكتور (Yin) العديد من المجموعات البحثية الأخرى من خلال المســاعدة في تدريب الفرق البحثية الميدانية أو تصميم الدراســات البحثية، في حين كانت مشــاركاته الأخيرة مع فرق تقييم في البنك الدولي وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي. كما قام بتقديم التوجيه لمساعدة طلاب الدكتوراه في جامعة كوبنهاغن. وفي الوقت الحالي، يتولى الدكتــور (Yin) منصب باحث مقيم متميــز في الجامعة الأمريكية في كلية الخدمة الدولية بواشــنطن. وفي وقت ســابق، شــغل منصب باحث زائر في قســم مناهج البحث في مكتب المساءلة الحكومية الأمريكي.

وقــد تمثلــت خبراته البحثيــة في تأليف أكثر مــن (١٠٠) عمل علمي شــملت الأوراق العلمية والتقارير والكتب. وقد كان كتابه الأول في مجال أســاليب دراســة الحالة بعنوان: "بحوث دراســة الحالــة : التصميم والأســاليب" الطبعة الخامســة (2014) ، وهو امتداد لكتاب:"تطبيقات بحوث دراســة الحالة" (2012) في نســخته الثالثة. كما قام الدكتور (Yin) بتحرير كتابين اثنين في مجال دراســة الحالة هما (Yin, 2004, 2005)، كما قام مؤخراً في عام (٢٠١١) بتأليــف كتاب جديد حول أســاليب البحوث الكيفية (Yin, 2011). وحصل الدكتور (Yin) عــلى درجة البكالوريوس في التاريخ من كليــة هارفارد مع مرتبة الشرف، وحصل على درجة الدكتوراه في العلوم الإدراكية والفكرية من معهد ماساشوستس للتكنولوجيا (MIT).

تمهيد:

إنه لشرفٌ تقديم تمهيد لهذا الكتاب المميز، الذي يجسد أسلوب البحث لمحاولة الوصول إلى اســتنتاجات صحيحة من الأحداث خارج المختبرات، في حين أنه يسعى في الوقت نفسه لتحقيق أهداف المعرفة المشتركة مع علم المختبرات.

في كثير من المرات، توصلت إلى استنتاج يؤكد أن جوهر المنهج العلمي ليس التجريب في حد ذاته، ولكن إلى حدٍ ما الإستراتيجية التي تعبر عنها عبارة «الفرضيات المناظرة المعقولة». هذه الإستراتيجية قد تبدأ صعوبتها بالحل مع توفر الأدلة، أو قد تبدأ من خلال الفرضيات. وبدلاً من تقديم هذه الفرضية أو الأدلة في الســياق الســائد لتأكيد الفلســفة الوضعية (أو حتى تأييد الفلســفة الوضعية)، فإنه يقدم بدلاً من ذلك في شــبكات ممتدة من التأثيرات التي (على الرغم من أنها أبداً لم تكتمل)، ولكن لها دوراً مهماً في تقييمها العلمي.

وتشمل هذه الإســتراتيجية جعل التأثيرات الأخرى للفرضيات واضحة بالنسبة للبيانات المتاحة وتقرير كيفية تناســبها، وتشمل كذلك البحث عن تفسيرات مناظرة للأدلة الأساسية ودراســة معقوليتهــا. وتتناقص في العادة معقولية هذه التفســيرات، مــن خلال النظر إلى تأثيراتها الأخرى على مجموعات البيانات الأخرى ومعرفة مدى ملاءمة ذلك. و يعتمد المدى الذي يمكــن فيه تنفيذ هاتين المهمتين المحتملتين اللانهائيتين على المجتمع العلمي في وقت الدراسة، فضلاً عن التأثيرات والفرضيات المناظرة المعقولة التي تم توضيحها. وبالاستناد إلى مثل هذه الأسس، فإن المجتمعات العلمية الناجحة تعمل على تحقيق توافق فعّال في الآراء، وإنجازات تراكمية بدون حتى الحصول على دليل مؤسسي. ومع ذلك، فإن خصائص العلوم الناجحة هذه كانت مهملة إجمالاً من قِبل مفكري الفلسفة الوضعية المنطقية، وهي كذلك لم تخضع للممارسة الكافية من قِبل العلوم الاجتماعية سواء الكمية أو الكيفية.

هــذا التحقق من التأثيرات الأخــرى وتداعيات انقراض الفرضيــات المناظرة، يميز أيضاً البحوث التي تســعى إلى التحقق من صدق البناء البحثي في العلوم الإنســانية، بما في ذلك علوم الـــتأويل التي ظهرت بخاصة عند بعض الفلاسفة مثل (Schleiermacher, Dilthey, Hirst, Habermas)، والعلــوم الحالية التي تعتمد على تفســير النصوص القديمة. وبالمثل،

فــإن الإســتراتيجية متاحة لتخمــين المؤرخ حول حدث معين، مثل تأكيــد أحد العلماء على قانون سببي. ومن المأســاوي أن التوجهات الكبرى في العلوم الاجتماعية تستخدم مصطلح «التفسيرات ــ hermeneutics» للإشارة إلى التخلي عن هدف صدق البناء، وتجاهل النزاع حول من الذي وصل إلى الحقيقة. وهكذا، بالإضافة إلى منهجية دراسة الحالة الكمية وشبه التجريبيــة التــي يوضحها لنا الدكتــور (Yin)، فإن تقنيات ومنهجيــات العلوم الاجتماعية تحتاج أيضاً إلى منهجية دراســة الحالة الإنســانية التي تسعى إلى التحقق من صدق البناء، عــلى الرغم من عدم اســتخدام القياس الكمي أو الاختبــارات ذات الأهمية، إلا أنها لاتزال تعمل على نفس الأسئلة وتشترك في نفس أهداف المعرفة.

وبالرغم من إصدارات إســتراتيجية الفرضيات المناظــرة المعقولة، إلا أن هناك نموذجين من الأســلوب التجريبي الذي قد يحاكيــه علماء الاجتماع من خــلال التدريب؛ حيث إننا قــادرون على التفكير أولاً في نموذج العينات العشــوائية للطــرق العلاجية القادمة إلينا من محطــات التجــارب الزراعية، والمختبرات النفســية، والتجارب العشــوائية للبحوث الطبية والصيدلانيــة، والنماذج الرياضية الإحصائية. حيث تهدف تلك العينات إلى الســيطرة على عدد لا حصر له من الفرضيات المناظرة دون تحديد أي منها. في حين أن العينات العشوائية لا تسيطر تماماً على هذه الفرضيات، ولكن تجعلها غيرً معقولة إلى درجة يمكن تقديرها من خلال النموذج الإحصائي.

النمــوذج الآخر والأقدم يأتي من مختبرات العلــوم الفيزيائية، ويتميز بالعزلة التجريبية والتحكــم المختبري، حيــث تتميز جدران المختبرات بأنها معزولــة ومحمية بمعايير التحكم وضوابــط الضغط، ودرجة الحرارة، والرطوبة، وملء الفراغات، وغيرها. هذا التقليد القديم يســيطر بشكل واضح على عدد قليل نســبياً من الفرضيات المناظرة المحددة. وهذه الأمور لا يتم التحكم فيها على الإطلاق بشــكل متكامل، ولكنها جيدة بما يكفي لجعلها غير قابلة للعقلانيــة. ويتم التحكم في الفرضيات المناظرة كوظيفــة في التناقضات الحالية في المجتمع العلمــي في ذلك الوقــت. بعد ذلك، وفي وقــت لاحق، يمكن ملاحظــة أن هناك حاجة إلى ضوابط أخرى.

إن منهجية دراسة الحالة كما سيتم استعراضه هنا، والمنهج شبه التجريبي بشكل عام، هو مماثل لنموذج العزل التجريبي بشكل أكبر من نموذج العينات العشوائية للطرق العلاجية في أن كل فرضية مناظرة يجب تحديدها والتحكم فيها بشكل دقيق. إن درجة التأكد أو الإجماع على الرأي الذي يستطيع المجتمع العلمي تحقيقه سيكون عادة أقل في حدود العلوم الاجتماعية بسبب وجود درجة أقل للتقليل من معقولية الفرضيات المناظرة التي من المحتمل أن تتحقق. إن عدم القدرة على التكرار في الإرادة (ومع اختلافات مصممة لاستبعاد الفرضيات المناظرة بشكل محدد) هو جزء من المشكلة. لذا يجب أن نستخدم دراسات الحالة الخاصة بالحدث المفرد (التي لا يمكن تكرارها أبداً) إلى أقصى حد ممكن، ولكن يجب علينا أيضاً أن نكون حذِرين بالنسبة لفرص إجراء دراسات حالة متكررةً بشكل متعمد.

وبالنظر إلى الخلفية العلمية لـ (Robert Yin) الذي يحمل درجة الدكتوراه في علم النفس التجريبي، مع عشرات المنشورات في هذا المجال، وإصراره على أن يتم إجراء دراسة الحالة وفقاً لأهداف العلم وأساليبه، فربما لا يكون من المستغرب، أن يكون مثل هذا التدريب والخيار الوظيفي مصحوباً بعدم التسامح مع الغموض في البيئات غير المختبرية. وأعتقد بأن هذا التحول قد سهلته أبحاثه المختبرية حول هذا التحفيز الصعب تحديده، وكذلك الوجه الإنساني، وأن هذه التجربة وفرت الوعي بالدور الحاسم للنمط والسياق في تحقيق المعرفة.

هذه الخلفية الثرية لم تمنعه من التعمق في تفاصيل دراسات الحالة الكلاسيكية في العلوم الاجتماعية، وأن يصبح رائداً في منهجية العلوم الاجتماعية غير المختبرية، حيث لا يمكن مقارنة هذا الكتاب بأي كتاب آخر؛ فهو يلبي الحاجات طويلة الأمد. وأنا على يقين بأن هذا الكتاب سيصبح مرجعاً معيارياً في مقررات مناهج البحث في العلوم الاجتماعية.

Donald T. Campbell

Bethlehem, Pennsylvania

مقدمة:

منـــذ إصدار النســخة الأولى لهذا الكتاب عــام (١٩٨٤)، أدرك الكثــير على نحو متزايد بحوث دراســة الحالة كأســلوب بحث له قيمتة العلمية. وعلى نطاق أوســع أخذ الاعتراف المتزايد على الأقل ثلاثة أشكال لوحظت بسهولة.

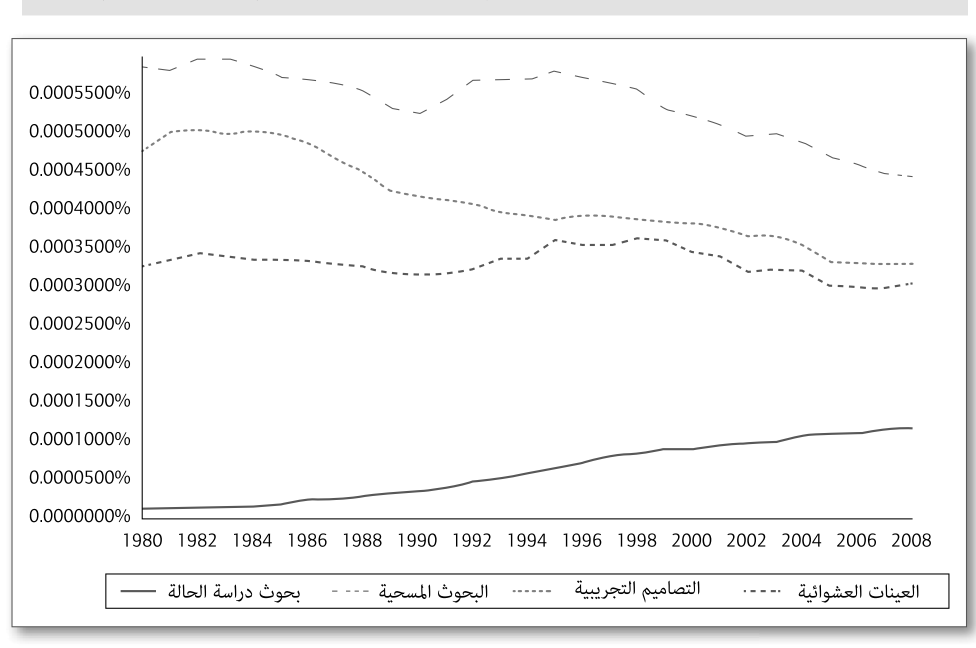
الاعتراف المتزايد لبحوث دراسة الحالة:

كانت إحدى هذه الأشــكال، هي التكرار الواضح الذي يظهر به مصطلح دراسة حالة الدراســة في النــشر العلمي. وعلى الرغم مــن أنه بعيدٌ عن تقديم تقديــر نهائي، إلا أن موقع (Google's Ngram Viewer) يحســب مثل هذه التكرارات في الكتب المنشــورة (Michel et al., 2010)[١]. ويوضح الشكل أدناه نتائج الفترة من (١٩٨٠ إلى ٢٠٠٨م)، التي تتضمن مقارنةً بين الاقتباســات إلى "دراسة الحالة"، مع الاقتباسات في ثلاثة مصطلحات منافســة هي: "البحوث المســحية"، و "التصاميم التجريبية"، و "العينات العشــوائية". وخلال هذه السنوات ــ التي تتزامن تقريبًا مع (٣٠) عاماً بين الإصدارين الأول والخامس من هذا الكتاب ــ يُظهر تكرار "دراســة الحالة" اتجاهاً تصاعدياً متميزاً على العكس من المصطلحات الثلاثة الأخرى، على الرغم من أن المســتوى المطلق لا يزال أقل من مستوى المصطلحــات الأخــرى. وقد يفاجئك الاتجــاه (كما حدث لي)، بســبب ضجة على مدى عقد من الزمان حول أســلوب العينات العشــوائية باعتباره "المعيار الذهبي" المفضل في إجــراء بحوث العلوم الاجتماعية[٢]. وبشــكلٍ واضح، كما يتضح مــن اتجاهات التكرارات، فإن بحوث دراسة الحالة قد يكون لها مكانٌ بارز على نحو متزايد في ملفات كل باحث.

ويأتي الشــكل الثاني من أشكال هذا الإعتراف، عندما تظهر أعمال مرجعية شاملة توثق أســلوب البحث بطريقة رســمية. أما بالنسبة لبحوث دراســة الحالة، فقد ظهر الآن اثنان مــن هذه الأعمال الضخمة، منذ عام (٢٠٠٦) فقط: أحد هذه الأعمال عبارة عن مجموعة مكونــة من أربعة مجلــدات تحتوي على (١٥٨٠) صفحة من المقالات الأساســية المتعلقة ببحوث دراسات الحالة، أُعيدت طباعتها من المجلات الأكاديمية (David, 2006a)، والآخر يمثل مجلدين من موسوعة بحوث دراسة الحالة (Mills, Durepos,& Wiebe, 2010a).

ويشــتمل تجميع الأعمال المحورية أو البارزة على "أهم المقالات المتعلقة ببحوث دراســة الحالة"، التي نشرت خلال "كامل فــترة القرن العشرين" (David, 2006b, p. xxiii). وتحتوي المجلدات على (٨٦) مقالة أُعيدت طباعتها من المجلات الأصلية، وتغطي "مجموعة واسعة من التخصصات والمجالات العلميــة" (David, 2006b, p. xxiii). وبالنظر إلى أن مجموعة جيدة من هذه المقالات نشرت لأول مرة في فترة العشرينيات والثلاثينيات (1920s - 1930s) من القرن الماضي ، والعمل الآن على أن تكون من أربعة مجلدات، فإن ذلك يجعل بحوث دراسة الحالة إرثاً يمكن الوصول إليه بسهولة للباحثين وللقراء المعاصرين الآخرين.

تكرار أربعة مصطلحات منهجية وردت في الكتب المنشوره للأعوام ١٩٨٠ - ٢٠٠٨م



المصدر: Google Ngram Viewer (http://books.google.com/ngrams), March 2012

تحتوي موســوعة بحوث دراســة الحالة على (٣٥٧) مقالة، وأكثر من (١١٠٠) صفحة في مجلدين منفصلين، ٨½" × ١١" (Mills, Durepos, & Wiebe, 2010b, p. xxxiii). وتعكس المقالات ملامح بحوث دراســة الحالــة فضلًا عن مكانها "داخل وإلى جانب إســتراتيجيات

البحوث الأخرى" (Mills et al., 2010b, p. xxxiii). ولغرض إعداد الموسوعة، كان الهدف من المحررين هو أن تكون الموسوعة مصدراً قيماً "لتشجيع الاهتمام الجديد والمتجدد ببحوث دراسة الحالة" (Mills et al., 2010b, p. xxxiii). وهكذا، فإن الموسوعة توفر مورداً غنياً آخر للتعلم من بحوث دراسة الحالة.

وهناك شكل ثالث وأكثر عمومية من الاعتراف يأتي نتيجة للمنشورات العلمية التي تركز على أساليب بحوث دراسة الحالة في مجال معين. حيث يحتوي الشكل (١-١) في هذا الكتاب (انظر الفصل الأول) على عينة من الأعمال العلمية التوضيحية في (١٢) مجالاً مختلفاً. والتي تعكس وجود بحوث دراسة الحالة ومساهماتها في العديد من الموضوعات البحثية عبر مجموعة واسعة من مجالات العلوم الاجتماعية (التخصصات والمهن). ويبدو أن عدد وتنوع هذه الأعمال في تزايد، ويتيح للباحثين وصولاً إضافياً لبحوث دراسة الحالة.

وقد أسهمت طبعات مختلفة من هذا الكتاب في الاعتراف المتزايد ببحوث دراسة الحالة. والأهم من ذلك، وكما أشرنا في السطور السابقة، أن الهدف الدائم للكتاب هو إرشاد الباحثين والطلاب الآخرين للقيام ببحوث دراسة الحالة بدقة.

تميّز هذا الكتاب:

يفترض أن يكون الكتاب مميزاً بعدة طرق؛ حيث يستعرض أولاً اتساع القضية ودراسة البحوث وتراثها العلمي، ولكن أيضاً على مستوى مفصل وعملي، بينما لا تتصف الكتب الأخرى بالشمولية. لذا؛ فإن الإصدارات السابقة من هذا الكتاب قد استخدمت كبوابة كاملة لعالم بحوث دراسة الحالة. ومن خلال السمات الأكثر تميزاً، يوفر هذا الكتاب التالي:

- تعريفاً تقنيًّا عمليًّا لدراسة الحالة كأسلوب بحثي، والتميز عن أساليب البحث في العلوم الاجتماعية الأخرى (الفصل الأول).
- مناقشة مستفيضة لتصاميم دراسة الحالة (الفصل الثاني).
- عرضاً متواصلاً باستمرار لطرق تحليل دراسة الحالة (الفصل الخامس).

هذه الميزات مهمة؛ لأن تصميم دراسة الحالة وتحليلها يميل إلى خلق أكبر التحديات، بالنسبة للأشخاص الذين يقومون ببحوث دراسة الحالة. ويحتوي الكتاب على فصول واسعة ومهمة تتعلق بالإعداد لدراسة الحالة (الفصل الثالث)، ومن ثم جمع أدلة دراسة الحالة (الفصل الرابع) ، ثم يُختتم (الفصل السادس) مبناقشة مستفيضة حول إعداد تقارير دراسات الحالة المكتوبة والشفوية.

ثانياً، يصور الكتاب بإيجاز العديد من دراسات الحالة، التي تُستمد عمداً من مجالات أكاديمية ومهنية مختلفة. حيث تظهر هذه الحالات في (مربعات) تتوزع في جميع أنحاء الكتاب، ويتضمن كل مربع مثالاً أو أكثر من الأمثلة الملموسة لدراسات الحالة المنشورة، لتوضيح النقاط الواردة في النص. وستؤدي الاقتباسات إلى زيادة وصول القارىء إلى دراسات حالة متوفرة (وغالباً) نموذجية. كما أن معظم الاقتباسات المعاصرة، ستسهم في سهولة الرجوع إلى الأعمال العلمية. ومع ذلك، ولتجنب فقدان الاتصال مع «الجذور»، فإن الاقتباسات تشمل أيضاً الأعمال العلمية القديمة التي قد يكون انتهى توزيعها ونشرها، ولكنها تستحق الاستفادة منها. وقد تغيرت محتويات هذه المربعات على مختلف النسخ السابقة لهذا الكتاب، مع ملاحظة أن بعض الأعمال تم استبدالها، كما أُضيفت أعمال أخرى. ويحتوي النص الرئيسي لهذه الطبعة الخامسة الآن على (٥٠) مربعاً، تغطي أكثر من (٥٠) دراسة حالة منشورة بشكل منفصل. كما يحتوي الملحقان (أ) و (ب) على دراسات حالة، تم تقديمها في (٨) مربعات أخرى، ويحتوي الملحق (ج) على فهرس لدراسات الحالة الواردة في كل هذه المربعات.

ثالثاً، يتضمن الكتاب العديد من الملامح الفنية المميزة، والتي كانت متوفرة منذ الطبعة الأولى (١٩٨٤م)، وتظهر كموضوعات في جميع فصول الكتاب، حيث يؤكد أحد الموضوعات على أهمية تحديد سؤال أو (أسئلة) البحث المناسبة عند اختيار إجراء بحوث دراسة الحالة. ويمكن أن يؤثر صياغة السؤال أو (الأسئلة) بشكل مباشر على اختيار أساليب البحث، مع وجود هدف أساسي يتمثل في تجنب أوجه عدم التطابق بين نوع السؤال ونوع أسلوب البحث الذي تم اختياره. وبنفس القدر من الأهمية، فإن صياغة الأسئلة يمكن أن تؤثر على تصميم دراسة الحالة والقدرة على التعميم من نتائجها. وهناك مقالة نُشرت بشكل ممتاز من قبل (Mario Small:2009) حيث تناقش المقالة هذه القضايا الأخيرة وتستحق القراءة.

وهنـاك موضوع آخر مسـتمد من تناقـض واضح وهو : التماثل بين دراسـات الحالة والتجـارب العلمية. حيـث إن جزءاً من هذا التماثل ينطوي على السـعي لإسـتراتيجية التكرار، عند إجراء تجارب متعددة ــ وهي إسـتراتيجية تنطبق أيضاً على دراسات الحالة المتعـددة. بينـما ينطوي الجزء الآخر على السـعي لتحقيـق التعميـمات التحليلية عند محاولـة التعميم من التجارب ــ ولكن هذا ينطبق أيضاً على بحوث دراسـة الحالة. وقد أشـار هذا الكتاب منذ نشـأته إلى هذا التماثل وفائدته في تصميم بحوث دراسة الحالة، على الرغم من أن الأعمال الأخرى نادراً ما تشـير إلى هذا الموضوع، باسـتثاء الإشارة التي ذكرها (Small) في مقالته (2009).

وهناك موضوع آخر، هو أهمية تحديد التفسيرات المناظرة وأخذها في الاعتبار في جميع مراحل وعمليات بحوث دراسـة الحالة، سـواء أثناء التصميم أو جمـع البيانات أو تحليل البيانات أو مرحلة تفسـير نتائـج البحث. إن الاهتمام بأصحـاب الآراء المناظرة هو محور عمليـة البحث، وخاصة معرفة كيفية تحديد المنافسـين الجوهريين، الذين يتجاوزون تلك التفسيرات التي ترتبط عادةً بالمحددات المنهجية (انظر: Yin, 2000b).

ويشـير Donald Campbell في تمهيد هذا الكتاب إلى المركزية، ومراجع علمية رئيسية أخـرى، مثل كتـاب (2002) Paul Rosenbaum الذي يتحدث عـن تصاميم البحوث غير التجريبيـة، كما يُعطي اهتماماً بارزاً لأصحاب الآراء المناظرة. ومع ذلك، فإن معظم الأعمال العلمية المنهجية، بدأت ببطء فقط للاهتمام بهذا الجانب من بحوث العلوم الاجتماعية.

استخدام هذا الكتاب:

وبعيـداً عن الجوانب الفنية، يحتوي هذا الكتاب على العديد من الميزات التي تهدف إلى أن يكون عملياً بشكل أكثر ويمكن الاستفادة منه. أولاً، يظهر عرض توضيحي يتكون من ستة أشـكال دائريـة في البداية مباشرةً بعد هذا الجزء، ثم تتكـرر في بداية كل فصل من الفصول السـتة. وتمثل كل دائرة أحد الفصول السـتة للنص الرئيسي. ويوضح العرض البصري، عملية البحث «كعملية خطية ولكن مترابطة»، والتي تعتبر خارطة طريق أساسـية ومتكاملة لإجراء بحوث دراسة الحالة مما يساعد على تركيز اتجاهات القاريء عندما يتعامل مع أي من فصول الكتـاب. كما تتوفـر في بداية كل فصل أيضاً (نبذة مختصرة)، وكذلك تسـاؤل سريع يتضمن

الأســئلة والأجوبة الرئيسية للمواد الأساسية في الفصل بأكمله. هذه التساؤلات تُمكّنك بسرعة من معرفة مدى صعوبة ما الذي ترغب في التركيز عليه في أي من الفصول. كما أن التساؤلات التي تبدو سهلة الفهم، قد تشير إلى أن الفصل يحتاج فقط إلى استعراض موجز. وعلى العكس من ذلك، قد يشير تساؤل يبدو مربكاً أو غامضاً إلى الحاجة إلى قراءة الفصل بشكل أكثر تركيزاً.

ثانياً، يحتوي الكتاب على عدد كبير من التمارين العملية. حيث يظهر كل تمرين بجانب جــزء من الفصل الــذي يُعد أكثر صلةً بهــذا التمرين. وتعكس التماريــن حالة منهجية أو طرح استفســار منهجي جدير بالتعامل معه. وســواء تم استخدام التمرين بعد ذلك كجزء من فصل دراسي فعلي أو واجب مدرسي رســمي فسيكون أقل أهمية من مستوى كافٍ من السهولة التي ينبغي أن تكون لديك بشكل مثالي مع الموقف أو الاستفسار.

ثالثاً، يتكون الملحق (ج) من فهرس مرجعي للحالات الدراســية المحددة في جميع أجزاء الكتاب. وتشــمل هذه دراســات الحالة في (٥٠) مربعاً، بالإضافة إلى دراسات حالة إضافية في الكتــاب، والتي تظهر كلها أو مقتطفات منها في اثنين من النســخ الســابقة ذات الصلة بالنسخة الحالية (Yin, 2004, 2012).

وأخــيراً، يعكــس هذا الكتاب في جزء منــه، الاقتراحات المفيدة لمراجعي النســخة الرابعة. حيث تم تحســين عناويــن كل فصل والعناويــن الفرعية، وتمت كتابتها لتكــون أكثر وضوحاً لمســاعدة القاريء على تتبع تدفق وهيــكل الفصل. وبالمثل، لمعرفة تسلســل الكتاب بأكمله وإيجاد مواضيع أكثر سهولة، فإن جدول المحتويات يقدم العناوين بتفصيل أكثر مما هو عليه في النسخ السابقة.

المميزات الجديدة في هذه النسخة:

التحــدي في تأليف هذه النســخة الخامســة كان مزدوجاً؛ حيــث كان توصيف الملامح الرئيســية للكتاب وتنظيمه من الطبعات السابقة بســبب الاستقبال الكبير لتلك الطبعات، ولكن أيضاً لتوســيع وتحســين عرض الكتاب، بســبب التقدم في بحوث دراســة الحالة منذ الإصدار الرابع. ومن المأمول أن تكون النتيجة أيضاً ذات جانبين : أولئك الذين لديهم معرفة بالطبعة الرابعة يجب أن يشــعروا بأن الطبعة الخامســة لم تتغير كثــيراً، ولكن المحتويات

الجديدة والتغطية الأكثر تفصيلاً لبعض المواضيع، يجب أن تكون واضحة على ما يبدو.

اتســاعٌ وعمقٌ إضافي: أجزاء كبيرة من المحتويات الجديدة في الكتاب تظهر الآن بعيداً عن النــص الرئيسي ـــ لتجنب تعطيل التنظيم الأصلي من الطبعات الســابقة ــ ولكن أيضاً لجعل المحتويــات الجديدة ســهلة للعثور عليها. وتضيف المحتويات الــواردة في الملاحق (أ) و (ب) اتســاعاً مــن خلال تغطية ملاحظات موجزة عن دور بحوث دراســة الحالــة في مجالين هما: علــم النفس ومجال التقييم. وعلى الرغم مــن أن النص الرئيسي كما هو الحال مع الإصدارات الســابقة لا يزال يعطي مراجعاً متناثرة إلى هذين الموضوعين، فإن الاســتخدام المتزايد لبحوث دراســة الحالة في علم النفس ومجال التقييم اقترح ضرورة إبراز الموضوعين في أجزاء منفصلة في نهاية الكتاب.

ويأتي العمق المضاف في شــكل سبعة (دروس تعليمية) تقع في نهاية الفصول ذات الصلة، حيث يوفر كل درس تعليمي مناقشــةً أكثر تفصيلاً، إن لم يكن أكثر تقدماً قليلاً حول موضوع رئيسي تم تغطيته في النص الرئيسي. وتســتجيب الــدروس التعليمية للمحكمين الذين طلبوا مــن الكتاب تقديــم مزيد من المعلومات حول مواضيع مختارة، وذلك لمســاعدة الباحثين في دراســة الحالة الأكثر طموحاً. وتستكشــف الدروس مدى تعقيد هذه الموضوعات الرئيســة، ولكن في الوقت نفســه، لا تزال في طول المقالة القصيرة تقريباً. ويأتي الســبب الرئيسي لفصل الدروس التعليمية من النص الرئيسي، هو أن النص الرئيسي ينقل بالفعل الأفكار الأساسية عن الموضوع الرئيسي. ونتيجة لذلك، يمكن تخطي الدروس بســهولة إذا كان لدى الباحث بالفعل فهــم جيد للموضــوع أو يريد تجنب تعقيــد أكبر. نأمل أن يطرح هذا الاســتخدام للدروس التعليميــة تهديداً أقل لقدرات الكتاب الأصليٍ، الذي اعتبره المحكمون المراجعون واحدة من المزايا الرئيسية للكتاب.

تغييرات إضافية في الطبعة الخامسة: إضافة إلى المحتويات الجديدة التي تمت مناقشتها، فقد اســتفادت الطبعة الخامسة من كمية واسعة من التحرير وإعادة الكتابة (حيث أعيد النظــر في كل جملــة). وتهدف جميع التغيــيرات إلى حفظ هوية الكتاب قــدر الإمكان ــ على الرغم من وجود محتويات جديدة ــ لمســاعدة علماء الاجتماع المبتدئين على الشــعور بالراحة؛ لأنهم ســيصبحون على معرفة ببحوث دراســة الحالة. وبصرف النظر عن التحرير الكامل والنسخ، فإن الإيضاحات الأكثر موضوعية تأتي على النحو التالي:

- مزيد من الاهتمام لإجراء دراسات الحالة تحت النظرية النسبية (أو التفسيرية)، إضافة إلى نظرية المعرفة الواقعية:

- مناقشة تمهيدية (الفصل الأول).

- توضيح أن المقابلات الميدانية يمكن أن تكون محفزة بنظرية المعرفة (الفصل الثالث).

- تغيير المصطلحات من (الحقائق) إلى (النتائج)، لاستيعاب خيار وجود الحقائق المتعددة للمشاركين في الميدان، كالنتائج ذات الصلة (الفصل الرابع وفي جزء آخر من الكتاب).

- الخيار لعرض وجهات نظر المشاركين في تقارير دراسة الحالة (الفصل السادس).

- تعريف مُركّز لبحوث دراسة الحالة في (الفصل الأول)، وتعريف أوضح لمصطلح "الحالة" في (الفصل الثاني).

- مناقشة أكثر استفادة من استخدام التعميم التحليلي، كإستراتيجية مفضلة لتعميم نتائج دراسة الحالة (الفصل الثاني).

- إضافة مصطلحات جديدة أخرى مثل:

- في دراسات الحالة الفردية، تم تغيير المصطلحات من فريدة ونموذجية إلى غير عادية وشائعة، وتعزيز موقف الكتاب بتوضيح أن الحالات لا تعتبر عينة من أي من العالم الكبير أو مجتمع الدراسة (الفصل الثاني).

- في بروتوكول دراسة الحالة، فإن التغيير من أسئلة دراسة الحالة (الإشارة الأصلية ولكن غير المناسبة إلى الأسئلة التي ستطرح أثناء جمع البيانات) إلى أسئلة جمع البيانات يكون للحدِّ من الارتباك؛ لأن المصطلح السابق تم استخدامه بشكل صحيح للإشارة إلى أسئلة دراسة الحالة الكاملة، وليس فقط جمع البيانات (الفصل الثالث).

- مناقشة موسعة لقيم وأخلاقيات الباحثين، فضلاً عن الإجراءات لحماية الموضوعات الإنسانية (الفصل الثالث).

- بالنسبة لإجراءات جمع البيانات (الفصل الرابع)، تم إضافة التالي:

- مناقشة موسعة حول جمع بيانات المقابلات.

- إشارة جديدة إلى كتابة المذكرات كأداة مساعدة عند إجراءات جمع البيانات.

- مواد جديدة عن الاهتمام والعناية اللازمة عند جمع الأدلة من المصادر الإلكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي.

• مزيد من التركيز على إستراتيجية استقرائية لتحليل البيانات، مع مناقشة جديدة تحت عنوان: العمل على البيانات من الأساس (الفصل الخامس).

• مناقشة موسعة لاستخدام النماذج المنطقية، مع أشكال توضيحية جديدة (الشكل ٥-٥ و ٥-٦).

• تحسينات في إعداد تقارير دراسة الحالة، مع الإشارة إلى أن وجود الموهبة في الكتابة لا يخل بالمعنى (الفصل السادس) ويشمل ذلك:

- مناقشة جديدة، بناءً على توصية المحكمين، بشأن أجزاء سبق التأكيد عليها من تقرير دراسة الحالة، وهي قسم المنهجية وقسم أدبيات البحث.

- إشارة جديدة إلى التوازن بين تقارير دراسة الحالة والكتابة غير القصصية.

- إعادة تنظيم تسلسل أقسام الفصل السادس، مما يجعل تجانس المحتوى أكثر منطقية.

• توسيع نطاق التغطية والمراجع العلمية إلى مجموعة أوسع من دراسات الحالة:

- أعمال علمية في أساليب دراسة الحالة في مهن وتخصصات محددة (العينة الواردة في الشكل ١-١، الفصل الأول).

- تسع دراسات حالة جديدة في المربعات، خمس دراسات حالة تغطي موضوعاً سبق التركيز عليه، وهو الشؤون الدولية (انظر المربعات: ٤ / ٧د / ٢٦ / ٣٧ / ٤٩ والحالة السادسة لمثل هذه الحالات تظهر في الدرس التعليمي ٦-١).

• تعريف موجز للمصطلحات المرتبطة مباشرةً ببحوث دراسة الحالة (ولكن ليس البحوث العلمية الاجتماعية بشكل عام).

• تحديث وتوسيع الاقتباسات في جميع أجزاء الكتاب، مع زيادة كبيرة في عدد المراجع المدرجة في نهاية الكتاب.

وبالنظر إلى كل هذه الميزات في الطبعة الخامسة، هناك جزء واحد من هذا الكتاب لم يتغير على الإطلاق ويستحق الذكر، وهذا الجزء يتمثل في المقدمة الثاقبة للكتاب التي كتبها Donald Campbell وكلماته الموجزة، التي كتبت منذ ما يقرب من (٣٠) عاماً، ولا تزال تقف بمثابة تحفة من أساليب العلوم الاجتماعية. حيث أنه في سياق الحوارات البحثية اليوم، يستمر عمل Campbell، بشكل ملحوظ، للتحدث بكل وضوح وأهمية مباشرة. كما أن التمهيد الذي كتبه حدد بشكل صحيح دور دراسة الحالة، كما هو موضح في هذا الكتاب. وما زلت أشعر بالفخر العميق بإدراج هذ التمهيد، وقد حاولت التراجع ولكن إسهاماً متواضعاً، يضاف الآن إلى ذاكرته، في نشر لاحق (Yin, 2000b).

وعموماً، فإن التقدم المستمر في بحوث دراسة الحالة أثرت تأثيراً كبيراً في تحسينات الطبعة الخامسة. على سبيل المثال، تضيف المحتويات الجديدة بلا تردد بعضاً من المفاهيم الأكثر صعوبة في إجراء بحوث دراسة الحالة. ونتيجة لذلك، ينبغي أن يكون القراء حذِرين من أن هذه الطبعة قد تكون مرة أخرى "أصعب" من تلك السابقة. ومع ذلك، فإن التبنِّي الناجح لطرق وتقنيات هذه النسخة والتوجيهات أيضاً، يعني أن بحوث دراسة الحالة ستكون أفضل مما كانت عليه في الماضي. والهدف النهائي، كما هو الحال دائماً، هو تحسين أساليب وممارسات العلوم الاجتماعية للأجيال السابقة من العلماء. وبهذه الطريقة فقط، يمكن لكل جيل صناعة بصمته الخاصة، أقل بكثير من إنشاء مكانتة التنافسية.

شكرٌ وتقدير:

على مر السنين، استفادت مسيرة وتطور هذا الكتاب من مشورة ودعم كثير من الأشخاص، وسوف أحاول إنشاء قائمة طويلة لتقديم الشكر والتقدير لجميع هؤلاء الناس. ومع ذلك، في بعض الحالات، ومنذ سنوات عديدة، وُجِّهت إليَّ الدعوة من البروفيسور (Leonard Bickman) والدكتورة (Debra Rog)؛ لتقديم النسخة الأولى من هذا الكتاب كجزء من السلسلة الجديدة لهم في أساليب البحث الاجتماعي التطبيقية والتي يشرفون على تحريرها، وقد أصبحت هذه السلسلة من بين جميع إصدارات دار (Sage) للنشر لسنوات عديدة. وسوف أكون ممتناً لهما للأبد لمنحي هذه الفرصة، فضلاً عن الملاحظات

والمراجعة والتشـجيع في استكمال الإصدارات السابقة من هذا الكتاب. وبالمثل، فيما يتعلق بطبعات الكتاب السـابقة، أتوجه بالشكر للزملاء مثل البروفيسور (Larry Susskind) من قسم الدراسات والتخطيط الحضري (معهد ماساشوستس للتكنولوجيا ـMIT)، و(Nanette Levinson) من قسـم علوم الحاسـوب (الجامعة الأمريكية)، و (Eric Maaloe) من كلية آرهـوس لإدارة الأعـمال في الدنمارك، الذين قدموا لي فرصاً للتدريس والتعلم حول دراسـة الحالة في بيئات مختلفة.

وبطريقـة تكميلية، شـارك العديد من الزمـلاء الباحثين من مجموعـة من الجامعات والمؤسسـات البحثية، في ورش عمل دراسـة الحالة كجزء من المشاريع التي نفذت في شركة (COSMOS). وسـواء أثيرت في ورش العمل هذه أو في رسائل البريد الإلكتروني ذات الصلة، فإن الأسئلة المستمرة حول كيفية استخدام بحوث دراسة الحالة لمعالجة موضوعات محددة غالبـاً ما أدت إلى رؤى جديدة. وبالمثل، فقد كافح الموظفون والاستشـاريون في الشركة مع العديد من المشروعات البحثية لدراسـة الحالة وخلق بيئة تعليمية مثيرة، والتي يبدو أنها تتطور إلى ما لا نهاية والوصول باستمرار إلى آفاق غير مستكشفة، على الرغم من مرور أكثر من ثلاثة عقود. ومن بين موظفي الشركة ، بوجه خاص الدكتور (Darnella Davis) والآن، البروفيسـورة (Angela Ware)؛ فقد كانا الأكثر نشـاطاً في السنوات الأخيرة. وأنا أشكرهما على حدٍ سواء على الأسئلة المحفزة والمساهمات في عمليات البحوث التطبيقية.

كما شـملت بيئة التعلـم أيضاً التعاون خـارج الشركة. ومن بين تلك السـنوات الأخيرة العمل مع الدكتـورة (Sukai Prom-Jackson)، والدكتـور(Fabrizio Felloni)، وزملائهم في إجـراء التقييمات في برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، فضلاً عن التفاعلات مع البروفيسـورة (Iben Nathan) والعديد مع مجموعة من طلاب الدكتوراه في جامعة كوبنهاجن. أشكركم جميعاً على مواصلة وضع بحوث دراسـة الحالة في مثل هذه المجموعة المتنوعة من البيئات المعاصرة.

ومن خلال إعادة توجيه سريع إلى هذه الطبعة الخامسة، وكجزء من إعدادها، عملت دار (Sage) للنشر على دعوة المحكمين لتبادل الخبرات في قراءة الطبعة الرابعة. أشـكرهم على ملاحظاتهم التي لا تقدر بثمن، وآمل أن نرى أثر تعليقاتهم على التحسـينات والتحديثات

في الطبعة الجديدة، على الرغم من أنني لم أستطع الرد على جميع الاقتراحات التي وصلت مــن الدكتور (Lee Robbins) من جامعة غولدن جيــت؛ والدكتور (Jon Patterson) من جامعة ولاية شــيكاغو؛ و (Joy C. Phillips) من جامعة كارولينا الشرقية؛ و (Michael F. Ruff) من جامعة بنتلي.

وكان محررو أســاليب البحث في دار (Sage) للنشر أيضاً، على مر السنين داعمين للغاية في تحديد الطرق لجعل الكتاب أكثر فائدة وقابلية للاستخدام لدى القراء. لقد سعدت أثناء إعداد هــذه الطبعة الأخيرة بالعمل أولاً مــع (Vicki Knight & Catherine Chilton)، حيث أشرفــت (Vicki) على عملية المراجعة، وتوفير الرؤية والســياق القائم على معرفتها الواســعة المكتسبة، كمحرر لتســويق مجموعة كاملة من كتب أســاليب البحث لدى دار (Sage) للنــشر، في حين أن (Catherine) كانت تعمل على التأكد من أن النســخة النهائية ســيتم تحويلها إلى كتــاب مميز. وكما تتخيل، عملنا جميعاً بشــكل كبــير لنجعل الطبعة الخامســة تأخذ هويتها الخاصة، أبعد من كونها مجرد إطار جديد من النســخة الســابقة. ومع ذلك، كما هو الحال مع الإصدارات السابقة، أنا وحدي من يتحمل المسؤولية عن هذه الطبعة الخامسة.

وفي الوقت نفسه، أختتم هذه المقدمة بتكرار جزء من المقدمة في الطبعة الرابعة. ومن ذلك، اقترحت أن أفكار أي شــخص حول دراســات الحالة وحول أساليب العلوم الاجتماعية بشكل عام يجب أن يكون لها جذور أعمق. سأقوم بالعودة إلى اثنين من التخصصات التي حصلت على التدريب بها وهي: التاريخ كتخصصي في مرحلة البكالوريوس، ودراستي للعلوم الإدراكية والفكرية في مرحلة الدراسات العليا. لقد أثار (التأريخ) وعلم التاريخ أولاً مستوى الوعــي لــدي فيما يتعلق بأهمية (وتحدي) المنهجية في مجــال العلوم الاجتماعية. كما أن العلامة الفريدة من البحوث الأساســية في العلوم الإدراكية والفكرية التي تعلمتها في معهد ماساشوستس للتكنولوجيا (MIT)، علمتني أن البحوث التجريبية تتقدم فقط عندما ترافقها النظرية والتحقيق المنطقي، وليس عندما تُعامل كمحاولة ميكانيكية لجمع البيانات. ويبدو أن هــذا الدرس هو موضوع أســاسي في القيام بقضية بحوث دراســة الحالة. ولذلك؛ فقد كرســت هذا الكتاب لشخص ما في معهد ماساشوســتس للتكنولوجيا (MIT)، والذي ساهم

في تعليمي على أكمل وجه واســتكملت تحت إشرافه أطروحة في مجال التعرف على ملامح الوجه، على الرغم من أنه قد لا يدرك إلا بصراحة التشــابهات بين الماضي والحاضر، لو كان على قيد الحياة اليوم.

ملاحظات:

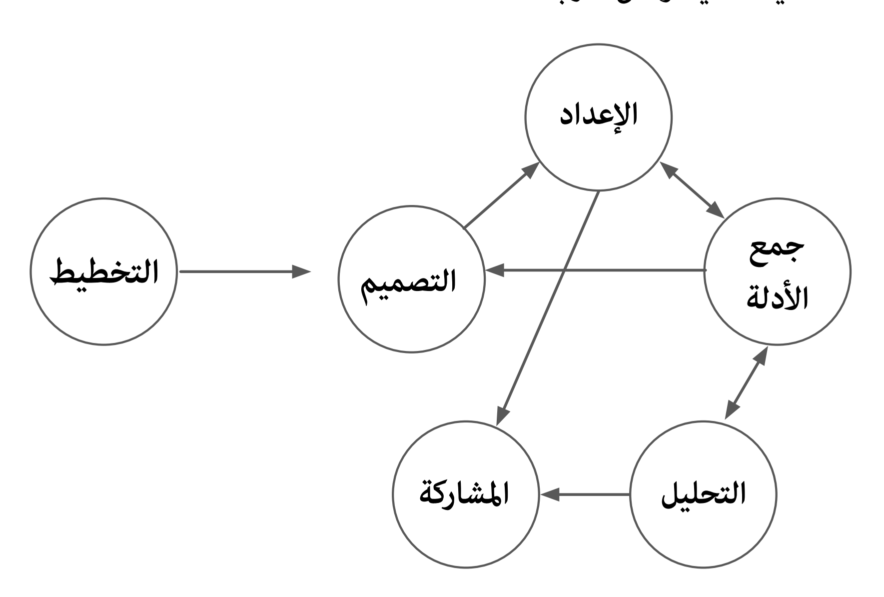
١- تســتند التكرارات على ظهور كلمة أو مصطلح معين في الكتب المنشــورة. ولســوء الحظ، فإن موقع (Ngram Viewer) لا يشير إلى عدد الكتب التي تم تغطيتها في فترة زمنية محددة، وبالتالي فالموقع لا يوفــر عــدد الكتب التي تم الوصول إليها من عام ١٩٨٠ إلى ٢٠٠٨م. وبشــكل عام، يدعي الموقع أنه قد جمع حوالي ٤٪ من جميع الكتب التي نشرت في أي وقت مضى (Michel et al., 2010).

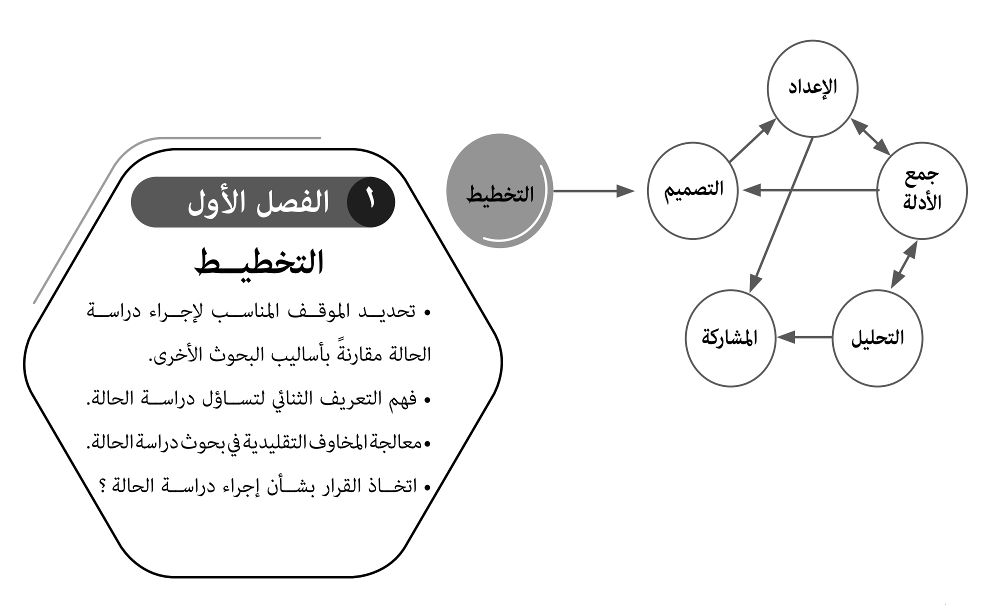
٢- ومع ذلك، فإن المؤيدين بشــدة للمعيار الذهبي، لم ينشروا مقالة بحثية معنونة باســتخدام «دراسة الحالــة» (Cook, Foray, 2007). ومــع ذلك، يجب على القراء عدم اتخــاذ هذا كمثال على كيفية إجراء بحوث دراســة حالة. تحتوي المقالة أساســاً على تســليم المؤلفين لمجموعة من الأحداث التي وقعت في بداية العقد المعني (والتي يبدو أنه لا يمكن القول عنها بأنها أساليب كمية)، ولكن لا تقدم الكثير من الأدلة الفعلية لدعم هذا التسليم (التسليم قد يكون مهماً، ولكن إذا كان ينبغي أن يكون مقبولاً كمثال على دراسة حالة، فهو سؤال قابل للنقاش).



إجراء بحوث دراسة الحالة:

عملية خطية ولكن مترابطة





نبذة مختصرة:

بحوث دراســة الحالة هي واحدة من عدة أشــكال من بحوث العلوم الاجتماعية، وتشــمل الأشكال الأخرى التجارب العلمية، والدراســات المســحية، والمنهج التاريخي، والتحليلات الأرشيفية مثل النمذجة الاقتصادية أو الإحصائية. ويكون إجراء بحوث دراسة الحالة هو الطريقة المفضلة، بالمقارنة مع الأساليب البحثية الأخرى، في الحالات التي تكون فيها (١) أسئلة البحث الرئيسية هي : "كيف" أو "لماذا"، (٢) إذا لم يكن لدى الباحث ســوى القليل منٍ السيطرة على الأحداث الســلوكية، (٣) تركيز الدراسة يكون على ظاهرة معاصرة وليست تاريخية تماماً.

وكجــزء أول مــن تعريف مزدوج، تبحث دراســة الحالة عــن ظاهرة معاصرة "الحالة" في ســياقها الحقيقي، وخاصة عندما تكون الحدود بين الظاهرة والسياق غير واضحة بشكل جيد. ويركز الجزء الثاني من التعريف على تصميم دراســة الحالة ومميزات جمع البيانات، مثل كيف يمكن أن يســاعد إلتقاء أو تقــارب البيانات (Data triangulation) في معالجة الحالة الفنية المميزة بحيث يكون لدراســة الحالة المزيد من المتغيرات ذات الاهتمام مقارنةً بنقاط البيانات. ومن بين الاختلافات في دراسات الحالة، يمكن أن تشــمل دراسة الحالة حالات فردية أو متعددة، ويمكن أن تقتصر على الأدلة الكمية، ويمكن أن تكون أسلوب بحث مساعد في إجراء عملية التقييم.

إن إجراء بحوث دراسة الحالة بشكل صحيح، يعني معالجة خمسة مخاوف تقليدية بشأن دراسات الحالــة، من خلال إجراء البحوث بدقة، وتجنب التداخل مع الحالات التعليمية ، ومعرفة كيفية الوصول إلى اســتنتاجات يمكن تعميمها إذا رغبت في ذلك، وإدارة مســتوى الجهد بعناية، وفهم الميزة النســبية لبحوث دراســة الحالة، وهذا التحدي بشــكلٍ عام يؤدي إلى صعوبة بحوث دراسة الحالة على الرغم من أنه قد تم اعتبارها بشكل كلاسيكي شكلاً «ناعماً» من أنواع البحوث.

١

البداية

كيف ومتى يمكن معرفة استخدم دراسة الحالة كأسلوب بحث

دراسة الحالة كأسلوب بحث:

إجراء بحوث دراسة الحالة:

نقطة تعلـم : كيف أعرف ما إذا كان ينبغي على الباحث استخدام أسلوب دراسة الحالة؟

لا يوجـد مقياس موحد، لكـن الاختيار يعتمد في جـزء كبير منه على سـؤال أو (أسـئلة) البحث. حيث إنه كلما كانت أسـئلة البحث تسعى إلى شرح جزء من الوضـع الحالي (على سـبيل المثال، "كيـف" أو "لماذا" تعمل بعض الظواهـر الاجتماعية)، كلما كانت بحوث دراسة الحالات ذات صلة. كما أن أسلوب دراسة الحالة يكون مناسـباً أيضاً كلما كانت أسـئلة البحث تتطلب وصفاً شاملاً و "معمقاً" لبعض الظواهر الاجتماعية.

ما هي بعض الأسـباب الأخرى التي قد تجعلك كباحث تقرر اسـتخدام أو (عدم اسـتخدام) أسلوب دراسة الحالة ؟

يعتبر إجراء بحوث دراسـة الحالة واحداً من أبرز التحديات لكل المسـاهمات البحثية في مجـال العلوم الاجتماعية. لذا يهدف الكتاب لمسـاعدتك على التعامل مع هـذا التحدي، سـواء كنـت مـن الباحثـين ذوي الخبرة أو المبتدئين في العلوم الاجتماعية.

إن هدفك في البداية هو تصميم دراسـة حالـة جيـدة وجمـع واسـتعراض وتحليل البيانات بشـكل متوازن، كـما يكون هدفك التالي هو الوصول بدراسـة الحالة إلى النهاية عن طريـق كتابة مميزة لمقالـة أو تقرير أو كتاب أو عرض شفهي.

لا تتهاون في مدى هذا التحدي. على الرغم من أنك قد تكون مستعداً للتركيز على تصميم وإجراء بحث دراسـة الحالة، فإن الآخرين قد يدعون لتبنّي أسـاليب بحثية أخرى. وبالمثل، فـإن الاتجاه السـائد أو الإنفاق المالي عـلى البحوث الأخرى قد يميل إلى الأسـاليب البحثية

الأخرى، ولكن ليست بحوث دراسة الحالة. نتيجة لذلك، تحتاج إلى إجابات جاهزة لبعض الأسئلة التي لا يمكن تجنبها.

أولاً، ينبغي عليك شرح وتوضيح كيف تُحضّر نفسك للالتزام بمسار منهجي صارم. هذا المسار يبدأ باستعراض شامل لأدبيات البحث، وطرح مدروس وحذِر لأهداف وأسئلة البحث. وبنفس المستوى من الأهمية، سيكون الالتزام بإجراءات رسمية وواضحة عند إعداد البحث.

على نفس المنوال، يقدم هذا الكتاب توجيهاً أكثر؛ حيث يوضح كيف تتضمن دراسة الحالة ضوابط هامة لكل أنواع الأساليب البحثية، مثل: الحماية ضد تهديدات الصدق والثبات والمحافظة على ترابط الأدلة والبحث واختبار التفسيرات المناظرة. لذا التجارب الناجحة من العلماء والطلاب في استخدام هذا الكتاب، لأكثر من (٣٠)عاماً، قد تشهد على الفوائد المحتملة.

ثانيــاً، يجب أن تفهم وتعرف بوضوح نقاط القوة والقيود في بحوث دراسة الحالة. وهذا النوع من البحوث، مثل أي بحوث أخرى، تتلاءم نقاط القوة والقيود لبحوث دراسة الحالة مع الأنواع الأخرى من البحوث. ولمواجهة أولئك الذين قد لا يرون سوى الحاجة إلى أسلوب بحث واحد، يعتقد هذا الكتاب أنه مثلما توجد الأساليب العلمية المختلفة في العلوم الطبيعية، تقوم أساليب البحث المختلفة في العلوم الاجتماعية بتلبية الاحتياجات والمواقف المختلفة في البحث في موضوعات العلوم الاجتماعية. على سبيل المثال، في العلوم الطبيعية، يعتبر علم الفلك علماً ولكنه لا يعتمد على الطريقة التجريبية، وكذلك تخصصات الهندسة أو الجيولوجيا (Scriven, 2009). وبالمثل، لا تعتمد العديد من الدراسات في الفسيولوجيا العصبية وعلم الأعصاب على الأساليب الإحصائية. وسنعرض في أجزاء لاحقة من هذا الفصل المزيد حول الموضوعات المحتملة لأساليب البحث المختلفة في العلوم الاجتماعية.

بروز بحوث دراسة الحالة في المجالات المختلفة:

كأسلوب بحثي، يتم استخدام دراسة الحالة في العديد من المواقف، للمساهمة في معرفتنا الفردية والجماعية والتنظيمية والاجتماعية والسياسية والظواهر ذات الصلة. وليس من المستغرب أن تكون دراسة الحالة أسلوب بحث شائع في علم النفس وعلم الاجتماع، والعلوم السياسية والأنثروبولوجيا والخدمة الاجتماعية وإدارة الأعمال والتعليم

والتمريض والتخطيط المجتمعي. على سبيل المثال، يصف الملحق (أ) تاريخ دراسة الحالة الطويل والمميز في مجال علم النفس. كما توجد دراسات الحالة في علم الاقتصاد، مثل التحقيقات حول صناعة معينة أو اقتصاد لمدينة أو منطقة ما.

وأياً كان مجال الاهتمام، فإن الحاجة المميزة لبحوث دراسة الحالة تنشأ من الرغبة في فهم الظواهر الاجتماعية المعقدة. وباختصار، تسمح دراسة الحالة للباحثين بالتركيز على «الحالة» والاحتفاظ بمنظور شامل وواقعي مثل دراسة دورات الحياة الفردية وسلوك المجموعات الصغيرة والعمليات التنظيمية والإدارية، والتغير في الأحياء السكنية والأداء المدرسي والعلاقات الدولية والتطور الصناعي.

يغطي هذا الكتاب الخصائص المميزة لدراسة الحالة كأسلوب بحثي. وسوف يساعدك الكتاب على التعامل مع بعض من الأسئلة الأكثر صعوبة، والتي تهملها كثيراً المراجع البحثية المتاحة. وفي كثير من الأحيان، على سبيل المثال، يواجه المؤلف أسئلة تُطرح من طالب أو زميل، مثل: (أ) كيفية تعريف "الحالة" التي يجري دراستها، (ب) وكيفية تحديد البيانات ذات الصلة التي ينبغي جمعها، أو (ج) ما يجب القيام به مع البيانات عندما يتم الانتهاء من جمعها. هذا الكتاب يجيب على هذه الأسئلة وأكثر من ذلك من خلال تغطية جميع مراحل التصميم وجمع البيانات والتحليل وكتابة تقرير دراسة الحالة.

في الوقت نفسه، لا يغطي الكتاب جميع الاستخدامات لدراسات الحالة. على سبيل المثال، لا يميل الكتاب إلى مساعدة أولئك الذين قد يستخدمون دراسات الحالة كأداة تعليمية في مجال التدريس، أو للتعميم في مجالات القانون أو إدارة الأعمال أو الطب أو السياسة العامة، ولكن الآن سائدة الاستخدام عملياً في كل المجالات الأكاديمية تقريباً، بما في ذلك العلوم الطبيعية. ولأغراض التدريس، لا يتطلب أن تحتوي دراسة الحالة على تسليم كامل أو دقيق للأحداث الفعلية. وبدلاً من ذلك، فإن الغرض من "الحالة التعليمية" هو وضع إطار للمناقشة والمناظرة مع الطلاب. حيث تختلف معايير تصميم حالات دراسية جيدة للتدريس ـ عادةً من نوع واحد من الحالات الفردية وليس مجموعة متنوعة من الحالات المتعددة ـ عن معايير دراسات الحالة المخصصة لإجراء البحوث (على سبيل المثال،Caulley & Dowdy, 1987). كما أنه في دراسات الحالة الخاصة بالتدريس، ليس

هنــاك حاجة للاهتمام بعرض البيانات التجريبية بشــكل صارم وعادل، بينما تحتاج بحوث دراسات الحالة إلى القيام بذلك تماماً.

وبالمثل، ليس المقصود من هذا الكتاب تغطية الحالات التي تســتخدم فيها الحالات كشــكل من أشكال حفظ السجلات. حيث تســتخدم السجلات الطبية وملفات الخدمة الاجتماعية وســجلات الحالات الأخرى لتسهيل بعض الممارســات المهنية مثل الطب أو القانون أو الخدمة الاجتماعية، أو بعض الإجراءات القائمة على الحالات مثل إجراء تقييم حضانة الأطفال (على سبيل المثال،Vertue,2011). وعلى الرغم من أن إنشاء سجل حالة أو تقييم حالة قد يتبع إجراءً مماثلاً كما لو كان إجراء دراسة حالة لأغراض البحوث، إلا أنــه في الواقع تختلف معايير التطوير لحالات جيدة للممارســات المهنية عن تلك التي تكون لإجراء بحوث دراسة الحالة (Bromley,1986).

وعــلى العكس من ذلك، فإن الأســاس المنطقي لهذا الكتاب هو أن بحوث دراســة الحالة شــائعة في كلٍ من تخصصات العلوم الاجتماعية والوظائف المهنية. فعلى ســبيل المثال، يوضح الشكل (١-١) اثني عشر مجالاً من هذه المجالات، إلى جانب أعمال علمية تركز على استخدام بحوث دراسة الحالة في كل مجال علمي أو مهني (لم يذكر أياً من النوعين الآخرَين من الأعمال: المراجع المنهجية العامة التي تناقش أنواعاً مختلفة من البحوث، حتى لو كانت تشمل بحوث دراسة حالة، وكذلك المراجع المتعلقة ببحوث دراسة الحالة التي لا توجه إلى أي مجال محدد).

أنــت كباحث اجتماعي ترغــب في معرفة كيفية تصميم، وإجراء دراســة حالة واحدة أو متعددة الحالات للبحث في قضية معينة. وقد تقوم فقط بإجراء دراسة حالة أو قد تستخدمها كجزء من دراســة أســاليب بحثية مختلطة بشكل موسع (انظر الفصل الثاني). وعلى أي حال، فإن هذا الكتاب يغطي مجموعة كاملة من القضايا في تصميم وإجراء بحوث دراســة الحالة، بما في ذلك كيفية بدء وتصميم دراســة الحالة، وجمع الأدلة ، وتحليل البيانات، وإعداد تقرير دراسة الحالة.

شكل (١-١) أمثلة من الجهود العلمية لأساليب دراسة الحالة في مجالات محددة

المجال	الأعمال التوضيحية
التخصصات العلمية:	
علم دراسة الإنسان وعلم وصف الشعوب	Burawoy, 1991.
العلوم السياسية	George & Bennett, 2004; Gerring, 2004.
علم النفس	Bromley, 1986; Campbell, 1975.
علم الاجتماع	Feagin, Orum, & Sjoberg, 1991; Hamel, 1992; Mitchell, 1983; Platt, 1992.
التخصصات المهنية:	
المحاسبة	Bruns, 1989.
إدارة الأعمال وإدارة الأعمال الدولية	Dul & Hak, 2008; Gibbert, Ruigrok, & Wicki, 2008; Johnston, Leach, & Liu, 2000; Meyer, 2001; Piekkari, Welch, & Paavilainen, 2009; Vissak, 2010.
التعليم	Yin, 2006a.
التقييم	U.S. Government Accountability Office, 1990.
التسويق	Beverland & Lindgreen, 2010.
التمريض والصحة العامة	Baxter & Jack, 2008.
الإدارة العامة	Agranoff & Radin, 1991.
الخدمة الاجتماعية	Gilgun, 1994; Lee, Mishna, & Brennenstuhl, 2010.

مقارنة دراسة الحالة مع الأساليب البحثية الأخرى في العلوم الاجتماعية:

متى ولماذا تريد إجراء بحوث دراسة حالة دراسة لفحص بعض موضوعات العلوم الاجتماعية؟ هل يجب عليك التفكير في إجراء تجربة علمية بدلاً من ذلك؟ أو دراسة مسحية؟ أو تاريخية؟ أو تحليل السجلات الأرشيفية مثل النمذجة الإحصائية للاتجاهات

الاقتصادية أو أداء الطلاب في المدارس؟

تمثــل هذه الخيارات وغيرها أســاليب البحث المختلفة، حيث إن كل أســلوب بحث يعتبر طريقة مختلفة لجمــع وتحليل الأدلة التجريبية. ويتبع كل منها منطق وإجراءات معنية. وكل أســلوب بحثي له مزايا وعيوب. وللحصول على أقصى استفادة من إجراء بحوث دراسة الحالة، تحتاج إلى تقدير قيمة هذه الاختلافات.

العلاقات بين الأساليب البحثية ــ ليست هرمية:

الفكرة الخاطئة الشــائعة هي أن أســاليب البحث المختلفة يجب أن تكون مرتبة بشكل هرمي. ولا يزال العديد من علماء الاجتماع يعتقدون ضمناً أن بحوث دراســة الحالة مناسبة فقط للمرحلة الاستكشــافية من البحث، وأن الدراســة المســحية والمنهج التاريخي مناســبة للمرحلة الوصفية، وأن التجارب العلمية هي الطريقة الوحيدة لمتابعة التســاؤلات التفسيرية أو السببية. ويؤكد الرأي الهرمي فكرة أن بحوث دراسة الحالة، ليست سوى طريقة أوَّلية ولا يمكن استخدامها لوصف أو اختبار الافتراضات النظرية.

ومــع ذلك، قد يتم التشــكيك في هذه النظرة التسلســلية أو الهرميــة. ومن المؤكد أن التجــارب ذات الحافز الاستكشــافي كانت ممارســة دائمــاً. بالإضافة إلى ذلــك، كان تطوير التفســيرات الســببية لفترة طويلة مصدر قلق كبــير للمؤرخين، والــذي ينعكس في الحقل الفرعي المعروف باســم التأريخ. وبالمثل، فإن بحوث دراسة الحالة أبعد ما تكون عن كونها إســتراتيجية استكشــافية. وقد كانت بعض دراســات الحالة الأفضل والأكثر شهرةً تتمثل في دراســات حالة تفسيرية (على ســبيل المثال، انظر مربع (١) للاطلاع على مقالة حول تفسير أزمة الصواريخ الكوبية (Allison & Zelikow,1999).

وبالمثل، توجد دراســات الحالة الوصفية الشــهيرة في التخصصات الرئيســية مثل علم الاجتماع والعلوم السياسية (على سبيل المثال، انظر مربع (٢) لاثنين من المقالات القصيرة). ويتــم تقديم وعرض أمثلة إضافية عن دراســات الحالة التفســيرية، التــي تغطي الابتكار الجامعــي، والمنظمــة المجتمعية للوقاية من المخــدرات، والأعمال التجاريــة الصغيرة، في مجملها، في النســخة الســابقة من هذا الكتاب (Yin, 2012, chaps. 7- 9). كما أن هناك

أمثلة على دراسات الحالة الوصفية، التي تغطي مجالات القيادة التربوية، ومكافحة الجريمة داخــل الأحياء الســكنية، وتطوير منظمات المجتمع المدني، توجــد في مرجع (,Yin, 2012 chaps. 4- 6). وبالتــالي، فإن التمييز بين أســاليب البحوث المختلفة ومزاياها وعيوبها، قد يتطلب تجاوز الصورة النمطية الهرمية.

مربع (١)

دراسة الحالة الفردية، التفسيرية، الأكثر مبيعاً

منــذ أكثر من ٤٠ عاماً، كانت دراســة الحالة التي أعدهــا (Graham Allison, 1971)، حول أزمة الصواريخ الكوبية التي حدثت عام (١٩٦٢م) هي الدراسة الأصلية لدراسة حالة فردية، حيث حققــت أفضــل المبيعات في مجال العلوم السياســية والتي جاءت بعنــوان " جوهر القرار : شرح أزمة الصواريخ الكوبيــة (,Essence of Decision: Explaining the Cuban Missile Crisis 1999). في هذه الأزمة، كان من الممكن أن تؤدي المواجهة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي إلى محرقــة كارثية ومشــؤومة للعالم بأكمله. طرح الكتاب ثلاث نظريات متنافســة ولكن تكميلية أيضاً لتفســير الأزمة (التــي تؤدي الولايات المتحدة والاتحاد الســوفيتي فيها ثلاثــة أدوار هي (أ) الجهات الفاعلة العقلانية، (ب) البيروقراطيات المعقدة، أو (ج) مجموعات الأشخاص ذات الدوافع السياســية). يقارن (Allison) قدرة كل نظرية على تفســير المسار الفعلي للأحداث في الأزمة من خــلال التالي: لماذا وضع الاتحاد الســوفييتي في كوبا صواريخ هجومية (وليســت دفاعية فقط) في المقــام الأول؟ ولمــاذا ردت الولايات المتحدة على نشر الصواريخ بحصار؟ (وليس غارة جوية أو غزو عسكري ــ بينما الصواريخ موجودة بالفعل في كوبا !) ولماذا قام الاتحاد السوفيتي في نهاية المطاف بسحب الصواريخ.

توضح دراســة الحالة الوظائف التفسيرية، وليســت الوصفية أو الاستكشافية فقط لدراسات الحالة الفردية. علاوة على ذلك، يقارن المؤلفون (Allison & Zelikow, 1999) الدروس المستفادة من دراســة الحالة مع التفســيرات البديلة الســائدة في دراســات ما بعد الحرب الباردة للسياسة الخارجية والسياســات الدولية. وبهذه الطريقة، يُبرهــن الكتاب ــ الذي تم عرضه بعناية أكبر في طبعته الثانية ــ بقوة كيف يمكن لدراسة حالة واحدة أن تكون الأساس لتعميمات ذات أهمية.

مربع (٢)

اثنان من دراسات الحالة الوصفية الشهيرة

٢-أ : مشهد الحي السكني

مجتمع ركن الشارع "Street Corner Society" لمؤلفه (William F. Whyte, 1943/1993)، كتاب ينصح بقراءته المهتمون في علم الاجتماع على مدى عقود. حيث يعتبر الكتاب مثال كلاسيكي لدراســة حالة وصفية. وهو يتتبع تسلســل الأحداث الشـخصية مع مرور الوقــت، ويصف ثقافة فرعية نادراً ما كانت موضوع الدراسة السابقة، ويكتشف الظواهر الرئيسية (مثل التقدم الوظيفي للشباب الأقل دخلاً وقدرتهم (أو عدم قدرتهم) على كسر علاقات الجوار.

حظيت الدراســة بتقدير كبير على الرغم من حدوثها في حي مدني صغير (تحت اســم مستعار هــو "كورنرفيل Cornerville")، وخلال فترة زمنية تقارب الآن (١٠٠ ســنة). تتمثل قيمة الكتاب بشــكل متناقض في تعميم الحالة الدراســية حتى عــلى القضايا المعاصرة لــلأداء الفردي، وهيكل الجماعــة، والبنية الاجتماعية للأحياء. وفي وقت لاحــق، وجد الباحثون بقايا من "كورنرفيل" مراراً وتكــراراً في عملهم، على الرغم من أنهم درســوا أحياء مختلفة وفترات زمنيــة مختلفة (انظر أيضاً مربع ٢١، الفصل الرابع).

٢-ب : أزمة وطنية

صدر التحليل الرائع الذي أعده (Neustadt & Fineberg) حول حملة التطعيم الشــامل في الأصــل كتقرير حكومي في عــام (١٩٨٧م)، بعنوان (قضية إنفلونزا الخنازير : اتخاذ القرار بشــأن مــرض غامــض - The Swine Flu Affair : Decision-Making on a Slippery Disease). ثــم نشر بعد ذلك بشــكل مســتقل عام (١٩٨٣م) بعنوان "الوباء الذي لم يحدث أبداً-The Epidemic That Never Was" تصف دراســة الحالة تطعيم (٤٠) مليون أميركي في عهد إدارة الرئيس جيرالد فورد، عندما واجهت الولايات المتحدة تهديداً بنسب وبائية من سلالة جديدة من الإنفلونزا والتي قد تكون قاتلة. ولأن دراســة الحالة أصبحت معروفة بدراسة حالة استثنائية مدروسة بشكل جيد، فقد اســتمر صانعو السياســة المعاصرون في التشــاور لأي دروس قابلة للتعميــم، لفهم تعقيدات الأزمــات الصحيــة والإجراءات العامة في ضــوء التهديدات الجديدة لأوبئة الإنفلونزا، مثل ســلالة إنفلونزا الخنازير(H1N1) التي ظهرت خلال الأعوام ٢٠٠٨ / ٢٠١٠م.

تمرين ١-١: تحديد أنواع مختلفة من دراسات الحالة المستخدمة للأغراض البحثية

قد تكون وجهة النظر الأنسب هي الفكرة الشاملة والمتعددة : حيث يمكن استخدام كل أسلوب بحثي في جميع الأغراض الثلاثة (دراسات استكشافية ووصفية وتفسيرية). لذا قد تكون هناك دراسات حالة استكشافية، أو دراسات حالة وصفية، أو دراسات حالة تفسيرية. وبالمثل، قد تكون هناك تجارب استكشافية، وتجارب وصفية، وتجارب تفسيرية. ولكن ما يميز الأساليب البحثية المختلفة ليس التسلسل الهرمي، ولكن ثلاثة شروط هامة ستناقش لاحقاً . وكتحذير مهم ، لا يعني التوضيح أن الحدود بين الأساليب البحثية ــ أو المواقف التي يتعين فيها استخدام كل منها ــ هي دائما حادة. على الرغم من أن كل أسلوب له خصائصه المميزة، إلا أن هناك تداخلات كبيرة فيما بينها. والهدف من ذلك هو تجنب سوء الاستخدام الخاطيء (أي عندما تخطط لاستخدام نوع واحد من أسلوب بحثي محدد ولكن هناك أسلوب آخر فعلياً أكثر فائدة).

حدد الأنواع الثلاثة لدراسات الحالة المستخدمة لأغراض البحوث (وليس التدريس) (أ) دراسات حالة تفسيرية أو سببية، (ب) دراسات حالة وصفية، و (ج) دراسات حالة استكشافية. ثم قارن المواقف التي تكون فيها هذه الأنواع المختلفة من دراسات الحالات أكثر قابلية للتطبيق. والآن، اذكر نوع دراسة الحالة التي ترغب في إجرائها، هل ستكون تفسيرية أو وصفية أو استكشافية ؟ ولماذا ؟

متى تستخدم أسلوب البحث المناسب ؟

هناك ثلاثة شروط تتمثل في : (أ) نوع السؤال البحثي المطروح، (ب) مدى سيطرة الباحث على الأحداث السلوكية الفعلية، و (ج) درجة التركيز على الأحداث المعاصرة بدلاً من الأحداث التاريخية تماماً. ويعرض الشكل (١-٢) هذه الشروط الثلاثة، ويبين كيف يرتبط كل منها بخمس أساليب بحثية رئيسية هي: التجارب والدراسات المسحية والتحليلات الأرشيفية (مثل: النمذجة الاقتصادية أو التحليل الإحصائي في دراسة وبائية)، والمنهج التاريخي ودراسات الحالة. وأهمية كل شرط في التمييز بين الأساليب الخمسة، وهي كما يلي:

شكل (١-٢) الشروط ذات الصلة لأساليب البحث المختلفة

أسلوب البحث	(١) نموذج أسئلة البحث	(٢) هل يتطلب السيطرة على الأحداث السلوكية؟	(٣) هل يركز على الأحداث المعاصرة؟
التجارب	كيف ، لماذا ؟	نعم	نعم
الدراسة المسحية	من، ماذا ، أين ، كم العدد ، كم غير معدود؟	لا	نعم
تحليل الأرشيف	من، ماذا ، أين ، كم العدد ، كم غير معدود؟	لا	نعم / لا
المنهج التاريخي	كيف ، لماذا ؟	لا	لا
دراسة الحالة	كيف ، لماذا ؟	لا	نعم

المصدر: COSMOS Corporation

أ- **أنواع أسئلة البحث ــ** (انظر الشكل ١-٢، العمود ١):

يغطي الشرط الأول سـؤال أو (أسئلة) البحث (Hedrick, Bickman, & Rog, 1993)؛ حيث يتمثل نظام التصنيف الأساسي لأنواع أسئلة البحث، في السلسلة المعروفة التي تتكون من أسئلة : "من"، "ماذا "، "أين"، "كيف"، و "لماذا ".

إذا كانت أسئلة البحث تركز بشكل رئيسي على أسئلة «ماذا»، فإن هناك احتمالين: أولاً، بعض أنواع أسئلة «ماذا» تعتبر استكشافية، مثل: ما الذي يمكن تعلمه من دراسة الأعمال التجارية الناشـئة؟ هذا النوع من الأسـئلة هو مبرر منطقي لإجراء دراسـة استكشافية. إن الهدف هو وضع الفرضيات ذات الصلة والافتراضات النظرية لمزيد من التساؤل. ومع ذلك، كدراسـة استكشافية، يمكن اسـتخدام أي من أساليب البحث الخمسـة. على سبيل المثال، دراسـة مسحية استكشافية (للاختبار، على سبيل المثال، القدرة على مسح الشركات الناشئة في المقام الأول)، أو تجربة استكشـافية (للاختبار، على سبيل المثال، الفوائد المحتملة لأنواع مختلفة من المحفزات التجارية)، أو دراسـة حالة استكشـافية (للاختبار، على سبيل المثال،

أهمية التمييز بين الشركات الناشـئة «لأول مرة»، من الشركات الناشئة لرواد الأعمال الذين سبق لهم أن أنشأوا شركات أخرى).

النوع الثاني من سـؤال "ماذا"، هو في الواقع شـكل من أشـكال "كـم العدد" أو "كم غـير المعدودة" كطريقة للتسـاؤل. على سـبيل المثال، ما هي الطرق التي اسـتوعبت بها المجتمعات المهاجرين الجدد؟ حيث أن تحديد مثل هذه الطرق يميل إلى أساليب الدراسة المسـحية، أو تحليل الأرشـفة الأكثر احتمالاً من غيرها. على سـبيل المثـال، يمكن تصميم الدراسـة المسحية بسهولة لتعداد "ماذا"، في حين أن دراسة الحالة لن تكون أسلوباً مفيداً في هذا الموقف.

وبالمثل، كهذا النوع الثاني من السؤال "ماذا "، فإن أسئلة "من" و " أين" (أو مشتقاتها: "كم العدد" و "كم غير المعدودة")، من المرجح أنها تميل إلى اسـتخدام أسـاليب المسح أو تحليل البيانات الأرشـيفية، كما هو الحال في الدراسـات الاقتصادية. وتعتبر هذه الأساليب مفيدة عندما يكون هدف البحث هو وصف حدوث أو انتشـار ظاهرة ما، أو عندما يكون التنبؤ بنتائج معينة. قد يكون البحث في المواقف السياسية السائدة (التي يكون فيها المسح أو الاسـتطلاع هو الأسـلوب البحثي المفضل)، أو انتشار الأمراض مثل مرض الإيدز (والذي يكـون فيه التحليـل الوبائي للإحصاءات الصحية هو الأسـلوب البحثي المفضل) من الأمثلة النموذجية.

في المقابل، فإن أسـئلة "كيف" و "لماذا"، هي أكثر تفسـيرية وربما تؤدي إلى اسـتخدام دراسـة الحالة، أو المنهج التاريخي، أو التجارب كأسلوب بحثي مفضل؛ وذلك لأن مثل هذه الأسئلة تتعامل مع الروابط التشغيلية التي يجب تتبعها بمرور الوقت، وليس مجرد تكرارات أو حـوادث. وهكـذا، إذا أردت أن تعرف كيف نجح مجتمع في التغلب على الأثر السـلبي، لإغـلاق أكبر جهة توظيف لديه ــ وهي قاعدة عسـكرية (انظـر: Bradshaw, 1999)، كما عرضت في مربع ٢٩، الفصل الخامس) ــ ستكون الاحتمالية أقل للاعتماد على دراسة مسحية أو فحص سـجلات الأرشـيف، وربما يكون من الأفضل اسـتخدام المنهج التاريخي أو دراسة حالـة. وبالمثـل، إذا أردت أن تعرف كيف يمكـن للباحثين (ولكن بـدون معرفة) التحيز في بحوثهم، يمكنك تصميم وإجراء سلسلة من التجارب (انظر: Rosenthal, 1966).

دعنا نأخذ مثالين آخرين: إذا كنت تبحث للإجابة عن ســؤال "مَن" تضرر نتيجة للأعمال الإرهابية و "كم مقدار الضرر" الذي تم القيام به، يمكنك أن تقوم بمســح للسكان، أو فحص السجلات الحكومية (تحليل أرشيفي)، أو إجراء مسح لتسجيل الملاحظات عبر زيارة المنطقة المتــضررة مــن العمليات الإرهابية والتجول بها. في المقابــل، إذا كنت تريد أن تعرف "لماذا" حــدث العمل الإرهــابي، عليك أن تعتمد على مجموعة واســعة من المعلومــات الوثائقية، بالإضافة إلى إجراء المقابلات. أما إذا ركزت على ســؤال "لماذا" في أكثر من عمل إرهابي واحد، فربما ستعمل على إجراء دراسات حالة متعددة.

وعلى نحو مماثل، إذا أردنا معرفة (ما هي) النتائج المرتبطة ببرنامج حكومي جديد فإنه بإمكانك الإجابة عن هذا الســؤال عن طريق إجراء المســح أو دراســة البيانات الاقتصادية بالاعتماد على نوعية البرنامج الذي تتم دراســته. إن أسئلة مثل: كم هو عدد العملاء الذين خدمهــم البرنامج؟ وماهي نوعية الفوائد التي حصلــوا عليها؟ وما هو عدد المرات التي تم فيها الحصول على فوائد مختلفة؟ هي أســئلة يمكن الإجابة عنها بدون إجراء دراســة حالة. ولكــن إذا كنت تريد معرفــة "كيف" و"لماذا " عمل البرنامج أو (لم يعمل)، فإنك ســتميل باتجاه عمل دراسة حالة أو تجربة ميدانية.

وباختصــار، فــإن الشرط الأول والأهم للتمييز بين أســاليب البحث المختلفة، هو تصنيف نوعية سؤال البحث المطلوب. وبشكل عام، فإن الأسئلة من نوع «لماذا» قد تكون استكشافية (في هــذه الحالة يمكن اســتخدام أي من هذه الأســاليب)، أو حول قياس الانتشــار (في هذه الحالة فإن الدراسة المسحية أو تحليل سجلات الأرشيف يمكن تفضيل استخدامها). أما الأسئلة من نوع «كيف» و«لماذا»، فمن المرجح اســتخدامها مع دراســة الحالة، أو التجارب أو المنهج التاريخي.

تمرين ١-٢ : تحديد سؤال البحث في دراسة الحالة

اعمل على تطوير سـؤال يبدأ بـ "كيف" أو "لماذا"، والذي سـيكون الأساس المنطقي لدراسة الحالة التي تقوم بإجرائها. وبدلاً من القيام بدراسة الحالة، تخيل الآن أنك تستطيع فقط استخدام المنهج التاريخي أو الدراسـة المسحية أو تجربة علمية (ولكن ليس دراسة حالة)، وذلك لطرح هذا السـؤال : ما هي الفائدة المميزة للقيام بدراسة حالة مقارنة بهذه الأساليب الأخرى، في التعامل مع سؤال "كيف" أو "لماذا " ؟

ربما يكون تحديد سـؤال أو(أسـئلة) البحث هو أهم خطوة يجب اتخاذها في الدراسـة البحثية. لذا؛ يجب أن تتميز بالصبر وأن تسمح بالوقت الكافي لهذه المهمة. والنقطة الرئيسة هنا هي أن تفهم أن أسئلة البحث تحتوي على كلٍ من (المضمون) - على سبيل المثال - ما هو موضوع البحث؟ و(الشكل) - على سبيل المثال - هل أنا أطرح أسئلة: «من»، «ماذا»، «أين»، «لماذا» أو «كيف»؟ في حين ركز آخرون على بعض القضايا الهامة جوهرياً (انظر: Campbell, Daft, & Hulin, 1982). مرة أخرى، النقطة التي نود التركيز عليها من المناقشـة السـابقة، هي أن شـكل السـؤال يمكن أن يقدم فكرة مهمة فيما يتعلق بأسـلوب البحث المناسـب للاسـتخدام، ولكن تذكـر أيضاً أن الأسـاليب البحثية يمكن أن تتعارض مـع بعضها البعض. وبالتالي، بالنسبة لبعض الأسئلة، قد يكون هناك إمكانية للاختيار بين الأساليب. وأخيراً، لتكن لديك المعرفة بأنك كباحث (أو القسم الأكاديمي الذي تدرس به)، قد تميل إلى تفضيل أسلوب بحث معين بغض النظر عن سؤال الدراسة. إذا كان الأمر كذلك، فتأكد من إنشاء شكل سؤال الدراسة الذي يناسب أسلوب البحث الذي تميل إلى اختياره في المقام الأول.

تمرين ١-٣ : تحديد أسئلة البحث في دراسة ما اعتمدت على استخدام أساليب بحث أخرى

اختر دراسة بحثية تستند فقط إلى استخدام دراسة مسحية أو المنهج التاريخي أوتجربة علمية (ولكن ليس دراسة حالة). ثم حدد سؤال أو (أسئلة) البحث الذي تركز عليه الدراسة. هل يختلف نوع السؤال عن تلك التي قد تكون قد ظهرت كجزء من دراسة حالة عن نفس الموضوع. إذا كانت الإجابة بـــ (نعم)، وضح ذلك : كيف ؟

ب- مدى السيطرة على الأحداث السلوكية (انظر الشكل ١-٢، العمود ٢) **و(ج) درجة التركيز على الأحداث المعاصرة، بدلاً من الأحداث التاريخية كليًّا** (انظر الشكل ١-٢، العمود ٣):

إذا افترضنـــا أن الأســـئلة : "كيف" و "لمـــاذا"، هي محور الدراســـة أو البحث، فإن هذين الشرطين المتبقيين يســـاعدان على التمييز أكثر بين المنهج التاريخي ودراســـة الحالة والتجارب العلمية.

يعتبر المنهج التاريخي هو الأســـلوب البحثي المفضل عندما لا يكون هناك بشـــكل أساسي قدرة عـــلى التحكم أو الوصول إلى البيانات. وتتمثل المســـاهمة المميـــزة للمنهج التاريخي في التعامل مع الزمـــن «الماضي»، أي عندما تكون الملاحظات المباشرة للحدث أو (الأحداث) التي تتم دراســـتها غير ممكنة، وعندما لا يكون هناك أشـــخاص ذو صلة عـــلى قيد الحياة يقدمون معلومـــات عما حـــدث حتى لو كان الأمر بأثـــر رجعي. لذا، يجب أن يعتمـــد الباحث المؤرخ عـــلى الوثائق الأوَّلية والثانوية، والأدوات والمقتنيات الثقافية الملموســـة كمصدر رئيسي للأدلة. وبطبيعة الحال، يمكن القيام بالتوثيق التاريخي حول أحداث حديثة إلى حدٍ ما، كما هو الحال في إجراء التاريخ الشفهي (على سبيل المثال: Janesick, 2010). وفي هذا الموقف، تبدأ منهجية البحث تتعارض مع دراسة الحالة.

من جانب آخر، يفضل اســـتخدام دراســـة الحالة عند دراســـة الأحداث المعاصرة، ولكن عندمـــا لا يمكن التلاعب بالســـلوكيات ذات الصلة. وتعتمد دراســـة الحالة على العديد من الإجراءات التي تُطبق أيضاً في المنهج التاريخي، ولكنها تضيف مصدرين للأدلة غير المتوفرة عـــادة ضمن أدلة المنهج التاريخي، وهـــذه الأدلة هي: الملاحظة المباشرة للأحداث التي تتم

دراستها، ومقابلات الأشخاص المشاركين في الأحداث. مرة أخرى، على الرغم من أن دراسات الحالــة والمنهــج التاريخي يمكن أن تتعارض، فإن القوة المميزة لدراســة الحالة هي قدرتها عــلى التعامل مــع مجموعة كاملة من الأدلة ــ مثل الوثائــق والمقتنيات المادية والمقابلات والملاحظــات ــ بعكس ما قد يكون متاحاً في دراســة تاريخية تقليدية. علاوة على ذلك، في بعــض المواقف، مثل الملاحظة بالمشــاركة (انظر الفصل ٤)، يمكــن أن يحدث التلاعب غير الرسمي.

وأخيراً، يتم إجراء التجارب عندما يســتطيع الباحث التلاعب بالســلوك بشــكل مباشر ودقيــق وبطريقة منظمــة. ويمكن أن يحدث هذا في بيئة مختبريــة، حيث يمكن للتجربة العلمية أن تركز على واحد أو اثنين من المتغيرات المعزولة (ويفترض أن بيئة المختبر يمكن أن «تتحكــم» في جميع المتغيرات المتبقية خارج نطاق الاهتمام)، أو يمكن أن يتم ذلك في إطار بيئــة ميدانية، حيث ظهر مصطلح التجربة الميدانية (أو الاجتماعية) لتغطية البحوث، التي مــن خلالها «يعامل الباحثون» مجموعــات كاملة من الناس بطرق مختلفة، مثل تزويدهم بأنواع مختلفة من القسائم لشراء الخدمات (Boruch & Foley,2000).

وتشــمل المجموعة الكاملة للعلــوم التجريبية أيضاً المواقف التي لا يســتطيع فيها الباحث في المختبر التلاعب بالســلوك، ولكن لا يزال من الممكن تطبيق منطق التصميم التجريبــي. وقد اعتُبرت هذه المواقف عادةً مواقف شــبه تجريبية(على ســبيل المثال: Campbell & Stanley, 1966; Cook & Campbell,1979) أو دراســات قائمــة على الملاحظة (على ســبيل المثــال، Rosenbaum, 2002). ويمكن اســتخدام المنهج شــبه التجريبي في مرحلة تاريخية، حيث يكون الباحث ــ على ســبيل المثال ــ مهتماً بدراسة أعــمال الاضطرابات العِرقية أو عمليات الإعدام الجماعــي (انظر: Spilerman, 1971) وذلك عبر اســتخدام تصميم شبه تجريبي؛ لأنه لا يمكن التحكم في الحدث السلوكي. وفي هذه الحالة، يبدأ أسلوب البحث التجريبي بالتعارض مع الأحداث التاريخية.

حالــة خاصة في تقييم البحث: في مجال التقييم، قدم كل من (Boruch & Foley,2000) مناقشــة مقنعة للترغيب في اســتخدام نوع واحــد من التجارب الميدانيــة هي ــ التجارب الميدانيــة العشــوائية ــ في جميع التقييمات فعلياً. فعلى ســبيل المثــال، يؤكد المؤلفان أن

تصميــم التجــارب الميدانية ــ الذي يحــاكي تصميم التجارب المختبريــة (المعملية) ــ يمكن اســتخدامه (وقد ســبق اســتخدامه) عند تقييم المبادرات المجتمعية المعقدة. ومع ذلك، يجب أن يكون الباحث حذِراً بشأن القيود المحتملة لهذا التصميم.

وعلى وجه الخصوص، قد يعمل التصميم بشكل جيد عندما يكون الأفراد المستهلكون في مجتمع ما أو المستفيدين من الخدمات، ضمن وحدات التحليل. وستكون هذه الحالة قائمة، إذا كان التدخــل المجتمعي يتجانس ــ على ســبيل المثال ـــ في حملة تعزيز الصحة، وكانت نتيجة الاهتمام هي حدوث بعض الأمراض بين أفراد المجتمع. وقد تُخصص العينات العشوائية عــدداً قليلا من المجتمعات المحلية للقيــام بالحملة، بالمقارنة مع عدد قليل من المجتمعات التي لم تفعل ذلك، وستقارن النتائج حالة السكان في كلتا المجموعتين من المجتمعات.

ومع ذلك، في العديد من الدراســات المجتمعية، فإن النتائج الفعلية ذات الاهتمام تأتي بناءً على وحدة التحليل المناسبة التي قد تكون على المستوى المجتمعي أو الجماعي وليس على المســتوى الفردي. على سبيل المثال، قد تكون الجهود المبذولة لتطوير الأحياء السكنية تركــز على تحســين القاعدة الاقتصادية في الأحياء (مثل، عــدد الوظائف لكل مجموعة من السكان). والآن، على الرغم من أنه لا يزال من الممكن توزيع المجتمعات المرشحة عشوائياً، فــإن درجات الحريــة في أي تحليل إحصائي لاحق تكون محدودة بســبب عدد المجتمعات وكذلك عدد الســكان (الأداة الفنية ســتكون نموذجاً خطياً هرمياً من مســتويين). ومعظم التجــارب الميدانيــة لن تكون قادرة على دعم مشــاركة عدد كبير مــن المجتمعات بما فيه الكفاية، للتغلب على شدة القيود الإحصائية اللاحقة.

تعتــبر القيود مهمة للغاية، عندما تكون المجتمعات أو الكيانات الجماعية هي وحدات التحليل؛ لأن العديد من أهداف السياســة العامة تركز على المســتوى الجماعي وليس على المســتوى الفردي. على سبيل المثال، ركز الضغط القوي المتواصل لسياسة التعليم الفيدرالية في الولايات المتحــدة الأمريكية، في أوائل العقد الأول من القرن الحالي (٢٠٠٠م) على الأداء المــدرسي. وقد تــم تحميل المدارس مســؤولية الأداء من عام إلى آخر عــلى الرغم من تغير وتنوع الطلاب المسجلين في المدارس في كل عام. إن إنشاء وتنفيذ تجربة ميدانية على أساس عدد كبير من المدارس، مقارنةً بعدد كبير من الطلاب، من شــأنه أن يشــكل تحدياً مهماً مع

الحاجــة إلى موارد بحثية متعــددة. وفي الواقع، توصل (Boruch,2007) إلى أن عدداً جيداً من التجارب الميدانية العشــوائية، إستخدم بدون قصد وحدة التحليل غير الصحيحة وهي (الأفراد بدلاً من المجموعات)، مما جعل النتائج من هذه التجارب أقل صلاحية للاستخدام.

كما أن التجارب الميدانية مع عدد كبير من الكيانات الجماعية (على سبيل المثال، الأحياء، المدارس، أو المنظمات)، تثير أيضاً عدداً من التحديات العملية تتمثل في التالي :

- أي مواقع يتم اختيارها عشوائياً «مجموعة تحكّم»، قد تتبنّى عناصر مهمة لتعارض المصالــح قبل نهاية التجربة الميدانية، وبالتالي لم تعــد مواقع مؤهلة «غير خاضعة للتجربة».
- قد يســتدعي التدخل الممول للمجتمعات التجريبيــة، إعادة تنظيم طريقة تقديم خدمات معينة بالكامل ــ أي تغيير «النظم» ــ وبالتالي خلق موقع إلى جانب موقع آخر، قابلة للتغير في وحدة المعاينــة (يفترض التصميم التجريبي أن وحدة المعاينة هي نفسها في كل موقع، وفي كلتا حالتَي : التدخل والتحكم).
- قــد يعني أيضــاً نفس التغيّر في النظــم جانباً من التدخل، حيــث أن المنظمات أو الكيانــات التي تديــر التدخل قد لا تبقى بالضرورة مســتقرة على مدار من الزمن (يتطلب التصميم الاستقرار، حتى يتم الانتهاء من التجارب الميدانية العشوائية).
- قــد لا تتمكن المواقــع التجريبية أو مواقع التحكم من الاســتمرار في اســتخدام نفس الأدوات والمقاييــس (التصميم يتطلب أدوات ومقاييس مشــتركة عبر المواقع ــ والذي ســيؤدي في النهاية إلى تجميــع البيانات، لمقارنة مواقع التدخــل كمجموعة مع مواقع المقارنة كمجموعة ثانية).

ومن المحتمل أن يؤدي وجود أي من هذه الظروف، إلى الحاجة لإيجاد بدائل للتجارب الميدانية العشوائية.

ملخص: ينبغي أن تكون قادراً على تحديد بعض المواقف، التي قد تكون فيها جميع أساليب البحث ذات صلة (مثل البحث الاستكشـافي)، وغيرها من المواقف الأخرى التي يمكن اعتبار استخدام أسلوبين فيها جذابة على حد سواء. كما يمكنك أيضاً استخدام أساليب متعددة في أي دراسة معينة (على سبيل المثال، دراسة مسحية ضمن دراسة حالة أو دراسة حالة ضمن دراسة مسحية). إلى هذا الحد، فإن الأساليب البحثية المختلفة ليست حصرية، ولكن يجب أيضاً أن تكون قادراً على تحديد بعض المواقف، التي تكون فيها ميزة واضحة لأسلوب بحث معين.

- في هذا الإطار، يكون اسـتخدام بحوث دراسـة الحالة مناسـباً عندما يتم طرح أسـئلة "كيف" أو "لماذا" حول :

  ـــ مجموعة معاصرة من الأحداث.

  ـــ أو التي يملك الباحث سيطرة قليلة عليها أو لا يمكنه التحكم فيها.

ولتحديد الأسـئلة الأكثر إلحاحاً حول موضوع ما، بالإضافة إلى الحصول على بعض الدقة في صياغة هذه الأسـئلة، يتطلب ذلك الكثير من الإعداد الـذي يتمثل في مراجعة الأدبيات المتعلقـة بهذا الموضـوع (Cooper, 1984). لاحظ أن مراجعة الأدبيات هذه هي وسـيلة لتحقيق غاية، وليس ـــ كما يعتقد الكثير من الناس ـــ أنها غاية في حد ذاتها. من جهة أخرى، قد يعتقد الباحثون المبتدئون أن الغرض من مراجعة الأدبيات، هو تحديد الإجابات حول ما هو معروف في موضوع ما. في المقابل، يقوم الباحثون الأكثر خبرة بمراجعة البحوث السابقة، لتطوير أسئلة أكثر وضوحاً وأكثر إثراءً حول الموضوع.

الفروقات في دراسات الحالة، ولكن التعريف مشترك:

حققت مناقشـتنا في الصفحات السابقة من الكتاب تقدماً دون أن تحدد رسمياً دراسة الحالة. وعلاوة على ذلك، فإن طرح الأسـئلة الشـائعة حول بحوث دراسة الحالة، ما تزال لم تتـم الإجابة عليها، ومن أمثلة ذلك: (١) هل لا تزال تعتبر دراسـة حالة عندما يتم تضمين أكثر من حالة واحدة في نفس الدراسة؟ (٢) هل تمنع دراسة الحالة استخدام الأدلة الكمية؟ (٣) هل يمكن اسـتخدام دراسة الحالة لإجراء التقييمات؟ دعونا الآن نحاول تعريف دراسة الحالة على أنها أسلوب بحث، ثم بعد ذلك الإجابة على هذه الأسئلة الثلاثة.

تعريف دراسة الحالة كأسلوب بحث:

ركزت بعض تعريفات دراسات الحالة فقط على تكرار الإشارة إلى أنواع الموضوعات التي تم تطبيق دراسات الحالة عليها. فعلى سبيل المثال، على حد تعليق أحد الباحثين:

"جوهر دراســة الحالة، والاتجاه المركزي بين جميع أنواع دراســة الحالة، هو أنه يحاول إلقاء الضوء على قرار أو مجموعة من القرارات: لماذا اتُخذت؟ وكيف تم تنفيذها؟ وما هي النتيجة"؟ (Schramm, 1971).

وهكذا يستشــهد هذا التعريــف بحالات "القرارات"، باعتبارها محــور التركيز الرئيسي لدراســات الحالة. وتشمل الحالات الشــائعة الأخرى: "الأفراد"، "المنظمات"، "العمليات"، "البرامج"، "الأحياء الســكينة"، "المؤسسات"، وحتى "الأحداث"، إلا أن الإسهاب في تعريف دراسة الحالة ــ "من خلال الاهتمام بحالة فردية وليس طريقة التساؤل المستخدمة" (على ســبيل المثــال، Stake, 2005، p. 443) ــ قد يبــدو غير كافٍ لصياغة أســاس متكامل عن دراسات الحالة كأسلوب بحث.

وبــدلاً مــن ذلك، فإن العديد من كتــب العلوم الاجتماعية الســابقة، لم تنظر في قضية بحوث دراســة الحالة كأسلوب بحث رسمي على الإطلاق. كما نوقش سابقاً، فإن أحد أوجه القصور الشــائعة كان النظر في بحوث دراســة الحالة كمرحلة استكشافية من نوع آخر من أساليب البحوث.

وثمــة قصور تعريفــي آخر، يتمثل في الخلط بين بحوث دراســة الحالة والعمل الميداني، كــما هو الحــال في علم الإثنوجرافيا أو الملاحظة بالمشــاركة. ولــذا؛ اقتصرت بعض الكتب نقاشــات دراســة الحالة حول وصف الملاحظة بالمشــاركة أو العمل الميداني كعملية لجمع البيانات، دون تقديم تعريف أكثر عن بحوث دراسة الحالة مثل (Kidder & Judd,1986) و (Nachmias & Nachmias,1992).

وفي لمحة تاريخية عن دراســة الحالة في الفكر المنهجــي الأمريكي، تشرح (Jennifer Platt, 1992) أســباب هذه المعالجات، حيث عملت على تتبع ممارســة إجراء دراســات الحالة في مراحل تاريخية سابقة، والذي قامت به مدرسة شيكاغو لعلم الاجتماع، والإرشاد الاجتماعي في الخدمة الاجتماعية. بعد ذلك، أوضحت كيف برزت الملاحظة بالمشــاركة كأداة في عملية جمع البيانات، مما أدى فعلياً إلى القضاء على أي إدراك إضافي لبحوث دراسة الحالة. وهكذا،

وجدت إشارات كثيرة لبحوث دراسة الحالة في المصادر العلمية لمناهج البحث العلمي حتى عام ١٩٥٠م، ولكن نادراً ما وجدت إشارات إلى دراسات الحالة أو بحوث دراسات الحالة في المصادر من عام ١٩٥٠م إلى عام١٩٨٠م (Platt, 1992، p. 18).

وأخـيراً، توضح (Platt) كيف أن الطبعة الأولى من هذا الكتاب (١٩٨٤)، فصّلت بحوث دراســة الحالة بشكل نهائي من المنظور المحدود لها كعمل نوع ما من العمل الميداني فقط، ثم وجدت أيضاً مناقشــة متجددة لبحوث دراسة الحالة في المصادر العلمية، والتي تحدث بشــكل كبير من عام ١٩٨٠م إلى عام ١٩٨٩م وتســتمر بعد ذلك (انظــر أيضاً: مقدمة هذا الكتاب لتحليل موقع (Google's Ngram Viewer) للاتجاهات البحثُية من عام (١٩٨٠ إلى ٢٠٠٨م). وعلى حد قولها، "أصبحت الآن بحوث دراســة الحالة التي أُجريت على أنها محل اهتمام علمي، حيث تمتلك "منطق التصميم الخاص بها، وتتميز أيضاً بأنها إستراتيجية يمكن تفضيلها عندما تكون الظروف ومشــكلات البحث مناسبة، بدلاً من التزام أيديولوجي يجب اتباعه مهما كانت الظروف" (Platt, 1992, p. 46).

تعريف ثنائي لدراسة الحالة: من هنا، يمكننا أن نسأل: ماهو أسلوب بحوث دراسة الحالة؟ ظهرت الخصائص الحرجة حول بحوث دراسة الحالة لأول مرة في المنشورات السابقة (Yin, 1981a, 1981b)، قبــل إصــدار الطبعة الأولى من هذا الكتاب. لــذا؛ فإن التعريف النهائي الــذي تطور على مدار الطبعات الأربع الســابقة من هذا الكتــاب، يعكس تعريفاً مزدوجاً لدراسات الحالة؛ حيث يبدأ الجزء الأول بنطاق دراسة الحالة الذي يتمثل في:

١- أن دراسة الحالة هي عبارة عن تحقيق تجريبي، وتتميز بأنها:

- تــدرس بعمق ظاهرة معاصرة ("الحالة") وفي ســياقها الحقيقــي (الواقعي)، خصوصاً عندما:
- تكون الحدود بين الظاهرة وسياقها غير واضحة.

وبعبارةٍ أخرى، قد ترغب في إجراء دراسة حالة لأنك تريد فهم حالة واقعية، وتفترض أن مثل هذا الفهم يتضمن ظروف السياق الهامة ذات الصلة بالحالة التي تدرسها (على سبيل المثال،Yin & Davis, 2007).

لذلك؛ يســاعدك هذا الجــزء الأول من التعريف على مواصلــة التمييز بين بحوث دراســة الحالة وأساليب البحث الأخرى التي تمت مناقشتها. فالتجربة العلمية ـ على سبيل المثال ـ تفصل عمداً بين الظاهرة وسياقها، وتكتفي فقط بالظاهرة ذات الاهتمام، والتــي تتمثــل في عدد قليل من المتغــيرات (عادةً ما يتم تجاهل الســياق بالكامل؛ لأنه "يخضع" لرقابة البيئة المختبرية). أما المنهج التاريخي- على سبيل المقارنة - فإنه يتعامل مع الوضع المتشابك بين الظاهرة والسياق، ولكن ذلك يكون عادة في دراسة الأحداث غير المعاصرة. أخيراً، يمكن أن تحاول الدراسات المسحية التعامل مع الظاهرة والسياق، ولكن قدرتها على التحقيق في الســياق محدودة للغاية. على سبيل المثال، عندما يقوم الباحث بتصميم الدراسة المسحية، فإنه يقاوم باستمرار للتقليل من عدد البنود الواردة في استبانة الدراسة (وبالتالي التقليل من عدد الأسئلة التي يمكن تحليلها)، للتراجع بشكل آمن ضمن درجات الحرية المخصصة، والتي (عادةً ما تكون مقيدة بعدد المســتجيبين الذين ســيتم إجراء المسح لهم).

مــن جانب آخر، ينشــأ الجزء الثاني من تعريف دراســات الحالة، بســبب أن الظاهرة والســياق لا يمكن تمييزهما بشكل دائم في مواقف العالم الحقيقي. لذلك ؛ تصبح الخصائص المنهجية الأخرى ذات صلة بمميزات دراسة الحالة، والتي تتمثل في :

٢- تساؤل دراسة الحالة :

- يتوافق مــع الوضع المميز من الناحية الفنية، حيث ســيكون هناك العديد من المتغيرات التي تهم أكثر من نقاط البيانات[١]، وكنتيجة أولى:
- يعتمد على مصادر متعددة من الأدلة، ومع البيانات التي تحتاج إلى إســلوب الإلتقاء أو التقارب (Triangulation)، وكنتيجة أخرى :
- يستفيد من التطوير المسبق للمقترحات النظرية، لتوجيه عملية جمع البيانات وتحليلها.

وباختصار، فإن التعريف المزدوج ـ الذي يغطي نطاق وخصائص دراســة الحالة ـ يبين كيف تتضمن بحوث دراســة الحالة طريقةً شاملة تغطي المنطق من التصميم، وطرق جمع البيانات، ومنهجيات محددة لتحليل البيانات (لمزيد من المعلومات في هذا الفصل، انظر إلى:

الدرس التعليمي ١-١ في نهاية هذا الفصل). وفي هذا الجانب ، لا تقتصر بحوث دراسة الحالة على كونها أسلوب لجمع البيانات وحدها أو حتى ميزة للتصميم (Stoecker, 1991). ولكن كيفية ممارسة وتطبيق هذا الأسلوب البحثي ، هو موضوع هذا الكتاب بأكمله.

قابلية تطبيــق التوجهات المعرفية المختلفة : هذه الطريقة الشــاملة تتضمن أيضاً توجهات معرفية مختلفة ــ على سبيل المثال ــ التوجهات النسبية أو التفسيرية مقارنةً بالتوجه الواقعي[٢]. ويبدو أن الكثير من بحوث دراســة الحالة كما هــو موضح في هذا الكتاب موجهة نحو منظور واقعي، والتي تفترض وجود واقع واحد مســتقل عن أي مراقب. ومع ذلك، فإن بحوث دراســة الحالة يمكن أيضاً أن تتفوق في اســتيعاب منظور نســبي ــ يعــترف بحقائق متعددة لها معانٍ متعددة، مع وجود النتائج التي تعتمد على المراقب. على سبيل المثال، سيناقش (الفصل الثاني) فيما بعد أهمية «النظرية» في تصميم دراســات الحالــة. فإذا كنت تريد أن تفترض وجهة نظر النســبية، فإن نظريتك في تصميم دراســة الحالة قد تهتم بشكل جيد بالطريقة التي سوف يتم بها التقاط وجهات نظر مختلفة من المشــاركين، وكيف ولماذا تعتقد أن معانيها المختلفة سوف تضيء موضوع الدراسة.

تمرين ١-٤ : إيجاد وتحليل دراسة حالة حالية من أدبيات البحث

اســترجع مثالاً لبحوث دراســة الحالة من أدبيات البحث. يمكن أن تكون دراسة الحالة عن أي موضوع، ولكن يجب أن يكون لها بعض المنهج التجريبي وتقديم بعض البيانات التجريبية (الكيفية أو الكمية). لماذا تعتبر هذه دراسة حالة؟ ما هو المميز (إذا وجد) حول النتائج التي لا يمكن تعلمها باستخدام نوع آخر من أساليب العلوم الاجتماعية مع التركيز على نفس الموضوع ؟

الفروقات في دراسات الحالة كأسلوب بحث:

بعض الخصائص الأخرى لبحوث دراســة الحالة ليست حاسمة لتحديد أسلوب البحث، ويمكن اعتبارها اختلافات في دراسات الحالة، والتي تتيح الآن أيضاً فرصة للإجابة عن الأسئلة الثلاثة المطروحة في بداية هذا القسم الفرعي.

نعم، تشمل بحوث دراسة الحالة كلاً من دراسات الحالة الفردية والمتعددة. على الرغم مــن أن بعض المجالات، مثل العلوم السياســية والإدارة العامة حاولــت التمييز بين هذين النوعين (واســتخدمت مصطلحات مثل أســلوب الحالة المقارنة كشــكل مميز من دراسات الحالــة المتعددة (انظــر: Agranoff & Radin, 1991; Dion, 1998 , Lijphart, 1975)، إلا أن دراســات الحالــة الفردية والحالات المتعددة موجــودة في الواقع ولكن هناك نوعان مختلفان من تصاميم دراسة الحالة (انظر الفصل الثاني لمزيد من التفاصيل). ويحتوي مربع (٣) على مثالين لدراسات الحالة المتعددة.

كذلك، يمكن أن تتضمن بحوث دراسة الحالة ــ بل ويمكن أن تقتصر على ــ الأدلة الكمية. وفي الواقع، فإن أي تباين بين الأدلة الكمية والكيفية لا يميز بين أســاليب البحث المختلفة. ويمكن ملاحظة أنه كأمثلة متوازية، تعتمد بعض التجارب (مثل دراسات التصورات) وبعض أسئلة الدراسات المسحية (مثل تلك التي تسعى إلى الاستجابات الفئوية بدلاً من العددية)، على أدلة كيفية وليست كمية. وبالمثل، يمكن أن تشمل البحوث التاريخية كميات متعددة من الأدلة الكمية.

مربع (٣)

دراسات الحالة المتعددة: دراسات الحالة التي تحتوي على "حالات متعددة"

يمكن أن تغطي دراسات الحالة حالات متعددة، ثم تستخلص مجموعة واحدة من الاستنتاجات "المتقاطعة". ويركز المثالان أدناه على موضوع الاهتمام العام المستمر بشان: تحديد البرامج الناجحة لتحسين الظروف الاجتماعية في الولايات المتحدة الأمريكية.

٣ــ أ: تحليل مشترك للحالة بعد تقديم عرض الحالات الفردية المنفصلة

قام (Jonathan Crane, 1998) بتحرير كتاب يتضمن تسعة برامج اجتماعية كحالات منفصلة، ولكل حالة مؤلف مختلف ويتم تقديمها في الفصل الخاص بها. وقد كان لهذه البرامج دليل قوي مشترك على فعاليتها، ولكن بينها اختلاف على نطاق واسع من حيث مجالات التركيز منها (التعليم، التغذية، الوقاية من المخدرات، برامج ما قبل المدرسة، العلاج من المخدرات للشباب الجانحين). بعد ذلك، يعرض المحرر تحليلاً مشتركاً لهذه البرامج في الفصل الأخير، محاولاً استخلاص استنتاجات عامة يمكن تطبيقها على العديد من البرامج الأخرى.

٣ــ ب: الكتاب الذي يتناول كامل محتواه تحليل الحالات المتعددة (التحليل المشترك)

يدور كتاب (Lisbeth Schorr, 1997) حول الإستراتيجيات الرئيسية لتحسين الظروف الاجتماعية، ويتضح ذلك من خلال أربعة موضوعات تتعلق بالسياسات العامة هي: إصلاح نظام الرعاية الاجتماعية، وتعزيز نظام حماية الطفل، وإصلاح التعليم، وتطوير الأحياء السكنية. ويشير الكتاب باستمرار إلى حالات محددة من البرامج الناجحة، ولكن لا تظهر هذه البرامج كفصول فردية منفصلة، كما يقتبس أيضاً البيانات من الأدبيات. وقد قامت المؤلفة بتطوير العديد من التعميمات بناءً على دراسات الحالة، بما في ذلك الحاجة إلى أن تكون البرامج الناجحة "موجهة نحو النتائج". وبالمثل، تحدد ستة سمات أخرى للبرامج الفعالة للغاية (انظر أيضاً: مربع ٤٤أ و ٤٤ب، الفصل السادس).

وكملاحظة ذات صلة ولكن مهمة، فإن بحوث دراسات الحالة ليست مجرد شكل من أشكال البحوث الكيفية، على الرغم من أن البعض قد اعترف بأن دراسة الحالة هي من بين مجموعة الخيارات البحثية الكيفية (على سبيل المثال، Creswell,2012). كما أن استخدام

مزيج من الأدلة الكمية والكيفية، جنباً إلى جنب مع ضرورة تحديد "الحالة"، ليست سوى اثنين من الطرق التي تتجاوزها بحوث دراسة الحالة كونها نوعاً من البحوث الكيفية. وكمثال آخر، لا تحتاج بحوث دراسات الحالة إلى الدخول دائماً في الوصف المكثف (Geertz,1973)، أو أدلة الملاحظة التفصيلية التي تتميز بها معظم أشكال البحوث الكيفية.

وبالفعل (وكما سيتم مناقشته بتفصيل أكبر في الملحق "ب" من هذا الكتاب)، فإن بحوث دراســات الحالة لها مكانها الخاص في إجــراء التقييمات. انظر (,Cronbach & Associates 1980;Patton 2002;U.S. GAO,1990;Stufflebeam & Shinkfield, 2007,pp.309-324). وهنــاك ما لا يقل عــن أربعة تطبيقات مختلفة في هذا الجانب (U.S. GAO, 1990). أولاً ، والأهم هو شرح الروابط الســببية المفترضة في التدخــلات الحقيقية التي تكون معقدة جداً للأســاليب المسحية أو التجريبية. والتطبيق الثاني، هو وصف التدخل وسياق العالم الحقيقي الذي حدث فيه. ثالثاً، دراســة الحالة يمكن أن توضــح موضوعات معينة ضمن التقييم مرةً أخرى في وضع وصفي. رابعاً، يمكن استخدام بحوث دراسة الحالة لتوضيح تلك المواقف التي يكــون فيها التدخل الذي يجري تقييمه ليس له مجموعة فردية أو واضحة من النتائج. وأيًّا كان التطبيق، فإن أحد الموضوعات الثابتة هو أن رعاة البرامج ــ وليس الباحثون وحدهم ــ قد يكون لهم دور بارز في تحديد أسئلة التقييم وفئات البيانات ذات الصلة.

معالجة القضايا التقليدية حول بحوث دراسة الحالة:

على الرغم من أن دراسة الحالة هي شكل مميز من التحقيق التجريبي، إلا أن العديد مــن الباحثــين قد انتقد هذا الأســلوب. وبعبارة أخرى، باعتبارهــا كمحاولة بحثية، فقد اعتبرت دراسة الحالة شكلاً من التحقيق أو التساؤل الأقل جاذبية من التجربة أو الدراسة المسحية. ولكن لماذا هذه الانتقادات ؟

الدقة الكافية؟ ربما يكون القلق الأكبر بسبب الحاجة المفترضة لمزيد من الدقة والصرامة في إجراء بحوث دراســة الحالة. وفي كثير من الأحيان، يكون الباحث في دراســة الحالة غير متقن، ولم يتبع إجراءات منهجية منظمة، أو ســمح لأدلة مشــكوك بهــا للتأثير على اتجاه النتائج والاســتنتاجات. لذا في إجراء بحوث دراســة الحالة، يحتاج الباحث إلى تجنب هذه الممارســات. ومن المثــير للاهتمام، أن نقص الدقــة يفترض أنه أقل احتمالاً عند اســتخدام

أساليب البحث الأخرى (ربما بسبب وجود العديد من المراجع المنهجية، التي توفر للباحثين إجراءات محددة يلتزم بها الباحث). وعلى العكس من ذلك، لا يوجد سـوى عدد قليل من المراجع (على الرغم من تزايدها) إلى جانب هذا الكتاب، التي تغطي دراسة الحالة بطريقة مماثلة.

التداخـل مع الحالات التعليمية؟ وهناك احتمال أيضاً أن الناس قد تخلط بين بحوث دراسة الحالة ودراسات الحالة المستخدمة في التدريس؛ حيث إنه في عملية التدريس، قد يتم تغيير مواد دراسـة الحالة عمداً لإظهار نقطة معينة بشـكل أكثر فعالية (على سـبيل المثـال: Ellet, 2007; Garvin, 2003). أمـا في البحوث، فإن أي خطوة لمثل هذا التغيير تعتبر مرفوضة بشـدة. وبالتالي، إذا كان لدى الشخص تجربة سابقة بشكل عام لدراسات الحالـة التـي تتعلق بحالة أو أكثر من الحالات التعليمية، فإن ذلك قد يؤدي إلى تشـويه وجهة نظر الشخص نحو دراسة الحالة كأسلوب بحثي.

تمرين ١-٥ : فحص دراسات الحالة المستخدمة لأغراض التدريس

احصل على نسخة من دراسة حالة مصممة لأغراض التدريس (على سبيل المثال، حالة في مرجع علمي يُسـتخدم في تخصصات إدارة الأعمال). ماهي الطرق المحددة التي يختلف فيها هذا النوع من "الحالة التعليمية" عن دراسـات الحالة البحثية. هل تشير الحالة التعليمية إلى وثائق أساسية، أو تحتوي على أدلة، أو عرض بيانات؟ وهل تناقش الحالة التعليمية كيفية جمع هذه الأدلة بشكل عادل؟ ما الذي يبدو أنه الهدف الرئيسي للحالة التعليمية ؟

التعميم بناءً على دراسـات الحالة؟ هناك قلق ثالث مشترك حول بحوث دراسة الحالة، هو عدم القدرة الواضحة على تعميم نتائج دراسة الحالة. كما أن السؤال الذي يتكرر كثيراً هو "كيف يمكنك التعميم من حالة واحدة ؟ "، ولكن الإجابة ليسـت بسـيطة (Kennedy, 1976). ومـع ذلك، فكر في اللحظة التي يُطرح فيها السـؤال نفسـه عن التجربة : «كيف يمكنـك التعميم من تجربـة واحدة؟» في الواقع، نادراً ما تسـتند التعميمات في العلوم إلى تجارب فردية، لذا فهي تستند عادة إلى مجموعة متعددة من التجارب العلمية التي قامت بتكرار نفس الظاهرة تحت مختلف الظروف.

ويمكن اســتخدام نفس الطريقة مع دراســات الحالة، ولكــن ذلك يتطلب مفهوماً مختلفاً لتصاميم البحث المناســبة التي ستتم مناقشــتها بالتفصيل في (الفصل الثاني). والإجابــة المختصرة، هي أن دراســات الحالة مثــل التجارب العلميــة، قابلة للتعميم للافتراضات النظرية وليس الســكان أو الكيانات. بهذا المعنى، فإن دراســة الحالة مثل التجربة، لا تمثل "عينة". وعند إجراء دراسة الحالة، سيكون هدف الباحث هو توسيع وتعميــم النظريات (التعميمات التحليلية)، وليس لاســتنباط الاحتمالات (التعميمات الإحصائية)، أو كما وصفها ثلاثة علماء اجتماع بارزين في دراســة الحالة الواحدة التي قاموا بها منذ ســنوات، فإن الهــدف هو إجراء تحليل "التعميــم" وليس "التخصيص المحدد particularizing". (Lipset, Trow, & Coleman, 1956, pp. 419-420)[٣].

مستوى من الجهد قد يصعب التحكم به؟ وهناك قلق رابع متكرر حول بحوث دراسة الحالة، هو أن دراســات الحالة يمكن أن تســتغرق وقتاً طويلاً، وقد تؤدي إلى جمع وثائق ضخمــة غير قابلة للقــراءة. قد يكون هذا الرأي مقبولاً، نظــراً للطريقة التي يتم بها إجراء دراســات الحالة في الماضي (مثل: Feagin, Orum, & Sjoberg, 1991)، ولكن هذه ليست بالضرورة طريقة إجراء دراسات الحالة في المستقبل. ويناقش (الفصل السادس) طرقاً بديلة لتأليف دراســة الحالة (سواء عُرضت دراسة الحالة كتابياً أو شفوياً)، بما في ذلك خيار يمكن من خلاله تجنب السرد القصصي التقليدي المتواصل (والذي من المحتمل أن يكون مطولاً).

ولا تحتاج دراســات الحالة إلى وقت طويل، مما يخلط بطريقة غير صحيحة بين بحوث دراســة الحالة التي لها طريقة محددة لجمع البيانات، مثل علم الحضارات أو الإثنوجرافيا (على سبيل المثال: O'Reilly, 2005) وبين الملاحظة بالمشاركة (على سبيل المثال: DeWalt & DeWalt, 2011). وعادةً ما تتطلب الدراسات الحضارية فترات طويلة في الميدان، وتؤكد على أدلة مفصلة للملاحظة والمقابلة. وبالمثل، يمكن أن تفترض الملاحظة بالمشاركة استثماراً هائلاً للجهد الميداني. في المقابل، فإن دراســة الحالة هي شــكل من أشــكال التساؤل، الذي لا يعتمد فقط على البيانات الإنســانية أو بيانات المشــاركين. ويمكن القيام بدراســة حالة صحيحــة وعالية الجودة، دون الابتعاد عن الهاتف أو الإنترنت، وهذا يتوقف على الموضوع الذي تتم دراسته.

الميزة النسبية؟ كما أن قلق خامس محتمل لبحوث دراسة الحالة، والذي يتطلب العمل على ميزته النســبية غير الواضحة على العكس من أســاليب البحث الأخرى. وقد ظهر هذا الموضوع على وجه الخصوص خــلال العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، الذي فضّل التجارب العشــوائية الخاضعة للرقابة (RCTs) أو "التجــارب الصحيحة"، وخاصة في مجال التعليــم والموضوعات ذات الصلة. وتحظى هذه الأنواع من التجارب بالاحترام؛ لأنها تهدف إلى إثبات فعالية الطرق العلاجية أو التدخلات المختلفة (على سبيل المثال: Jadad, 1998). من جانب آخر، أدى التركيز على التجارب العلمية ــ في نظر الكثيرين ــ إلى خفض الاهتمام ببحوث دراســة الحالة؛ لأن دراســات الحالة (وأنواعاً أخرى من الأساليب غير التجريبية) لا يمكن أن تعالج هذه المسألة مباشرة.

وقد تم التغاضي عن إمكانية أن دراســات الحالة، يمكــن أن تقدم رؤى هامة لا توفرها التجارب العشــوائية الخاضعــة للرقابــة (RCTs). في هذا الإطار، يقترح عــدد من العلماء البارزين في المنهج الكمي ــ على ســبيل المثال ــ أن التجارب العشــوائية الخاضعة للرقابة (RCTs) على الرغم من تناولها لتساؤل الفعالية، فإنها محدودة في قدرتها على شرح "كيف" أو "لمــاذا" أن هنــاك معالجة معينة أو تدخلاً ناجحاً بالضرورة (أو لا)، وأن هناك حاجة إلى دراســات الحالة هذه للبحث في مثل هذه القضايا (على ســبيل المثــال: Shavelson & Towne, 2002, pp. 99 –106) - أو كــما هو موضــح بإيجاز عن طريق العنوان الفرعي لمقالة مميزة حــول تقييم البرامج العامــة، "ليس ما إذا كانت البرامج تعمــل أو لا، ولكن كيف تعمل" (Rogers, 2000)[٤]. وبهذا المعنى، فإن بحوث دراســة الحالة تقدم بالفعل ميزة خاصة بها. وكحد أدنى، يمكن أن يكون لدراســات الحالة قيمة "كملحقات للتجارب بدلاً من أن تكون بدائل لها" (Cook & Payne, 2002). وفي علم النفس الإكلينيكي هناك "سلســلة كبيرة من دراسات الحالة الفردية"التي تؤكد أن التغيرات السلوكية المتوقعة بعد بدء العلاج، قد تزيد من أدلة الفاعلية من تجربة ميدانية (على سبيل المثال: Veerman & van Yperen, 2007). وأخيراً، وبطريقة مماثلة، يمكن لبحوث دراســة الحالة أن تكمل بسهولة استخدام الأساليب الكمية والإحصائية الأخرى (انظر مربع ٤).

مربع (٤)

التكامل بين دراسة الحالة والبحوث الإحصائية

في مجال السياسة الدولية، كان هناك افتراض نظري رئيسي يتمثل في أن "الديموقراطيات نادراً مـا تصنع الحرب عـلى بعضها البعـض" (George & Bennett, 2004, p. 37) كان هذا الافتراض موضوعاً لمجموعةٍ واسعة من البحوث التي تتضمن دراسات إحصائية بالإضافة إلى دراسات الحالة. يُظهر أحد الفصول المميزة من كتاب (George & Bennett, 2004, p. 37- 58) كيف أن الدراسات الإحصائيــة قد تكون اختبرت العلاقة بين أنواع النظم السياســية والحرب، ولكن كيف كانت هناك حاجة لدراســات الحالة لفحص العمليات الأساســية التي قد تفسر مثل هذا الارتباط. على ســبيل المثال، كان أحد التفسيرات الأكثر بروزاً هو أن الديمقراطيات قادرة على تقديم التزامات رسمية مع بعضها البعض، مما يجعل اســتخدام القوة العســكرية غير ضروري لحل النزاعات. وتُظهر المراجعة كيف أجريت البحوث ذات الصلة على مدى عدة عقود ، وشملت العديد من العلماء. حيث تستند هــذه المجموعة من البحوث بأكملها إلى كلٍ من الدراســات الإحصائية ودراســات الحالة، لتوضح التكامل بين هذه الأساليب.

ملخص: على الرغم من حقيقة أن هذه المخاوف المشــتركة الخمسة يمكن أن يتم التعامل معهــا - كــما ذُكر أعلاه - فــإن أحد الدروس الرئيســية هو أن دراســة الحالة الجيدة لا يزال من الصعب إجراؤها. إن عدم القدرة علىٍ فحص قدرة الباحث على القيام بدراســة حالــة جيدة يزيد من تعقيد المشــكلة. فمثلاً، يعرف الناس متــى لا يمكنهم القدرة على عزف الموســيقى بمهارة، كما أنهم يعرفون متى لا يستطيعون حل المسائل الحسابية بعد مستوى معين، ويمكن اختبارهم لمهارات أخرى، مثل الاختبارات المهنية في مجال القانون. وبطريقةٍ ما ، لم يتم بعد تحديد المهارات اللازمة للقيام ببحوث دراســات الحالة بشــكل رســميٍ. ونتيجة لذلك، يشــعر معظم الناس أنهمٍ يســتطيعون إعداد دراسة حالة، وكلنا تقريبــاً نعتقد أنــه يمكننا فهم إحداهــا. ولأن أياً من وجهات النظر هــذه لا يقوم على أساس جيد، فإن دراسة الحالة تتلقى قدراً كبيراً من التقدير الذي لا تستحقه (Hoaglin, Light, McPeek, Mosteller, & Stoto, 1982, p.134). هــذا الاقتبــاس من كتاب من خمســة إحصائيين بارزين. والمثير للدهشــة ـ من مجال آخر ـــ أنهم يدركون التحدي المتمثل في إجراء دراسة حالة جيدة.

ملخص الفصل الأول:

أشــار هذا الفصل إلى أهمية بحوث دراســة الحالة مثل أساليب البحوث الأخرى، حيث تعتبر طريقــة للتحقيق في موضوع تجريبي باتباع مجموعة من الإجراءات المطلوبة. وســيتم توضيح هذه الإجراءات في الجزء المتبقي من هذا الكتاب.

كما قدم الفصل تعريفًا إجرائيًّا لدراسة الحالة وحدد بعض الاختلافات في دراسات الحالة. وقــد حاول الفصــل أيضاً التمييز بين بحوث دراســات الحالة والأســاليب البحثية البديلة في العلوم الاجتماعية، مع الإشــارة إلى المواقف التي قد يفضل فيها إجراء دراســة الحالة ــ على ســبيل المثال ــ مع إجراء دراسة مســحية. وقد لا يكون لبعض المواقف أسلوب بحثي مفضّل بوضوح، حيث قد تتداخل نقاط القوة والضعف في الأساليب المختلفة، إلا أن الهدف الأساسي هو النظر في جميع الأســاليب بطريقة شــاملة وتعددية، قبل أن تســتقر على طريقة اختيار الباحث لإجراء دراسة علمية اجتماعية جديدة.

وأخــيراً، تناول الفصل بعض المخاوف الرئيســية حول بحوث دراســة الحالة، واقترح حلولاً محتملــة لهذه المخاوف. ومع ذلك، يجب علينا جميعاً أن نعمل بجِد للتغلب على مشــكلات القيام ببحوث دراســة الحالة ــ بما في ذلك الاعتراف بــأن البعض منا لم يكن المقصود بذلك ــ وذلك من خلال المهارة أو الاســتعداد للقيام بهذا النوع من البحوث في المقام الأول. وبشــكل عام، تعتبر بحوث دراســات الحالة صعبة بشــكل ملحوظ، على الرغم من أن دراســات الحالة كانــت تعتبر تقليديــاً بحثاً "ناعماً"؛ ربما لأن الباحثين لم يتبعــوا إجراءات منتظمة. ومن خلال تقديم مجموعة من هذه الإجراءات، يحاول هذا الكتاب تســهيل إجراء بحوث دراســة الحالة حتى يمكن تطبيقها، كما يعمل على مســاعدة الباحثين في تحســين دراسة الحالة لتظهر بشكل أفضل.

ملاحظات الفصل الأول:

١. يتضمن الملحق (أ) مناقشة كاملة لأسباب العدد الكبير من المتغيرات في دراسة الحالة.

٢. تم اختيار هذه المصطلحات عن عمد، على الرغم من أنها تبالغ في تبسيط اثنتين من وجهات النظـر المتناقضة، في حـين أن المصطلحات التي تـم تجاهلها، هي العديـد من التوجهات الأكـثر دقة التي قد يضيفها الباحثون إلى بحوثهم. وللحصـول على تعريفات موجزة، انظر قامـوس Schwandt (2007) للتحقيق الكيفي، والذي يصف الواقعية على أنها "العقيدة بوجود كائنات حقيقية موجودة بشـكل مستقل عن معرفتنا بوجودها" (p. 256)، ويصف النسبية على أنها "العقيدة التي تنكر أن هناك حقائق شاملة" (p. 261)، ويصف التفسيرية كمصطلح "أُستخدم في بعض الأحيان كمرادف لكل تساؤل في البحث الكيفي" (p. 160).

٣. ومع ذلك، قد تكون هناك ظروف استثنائية عندما تكون حالة واحدة مميزة جداً أو مهمة، بحيث لا يكون لدى الباحث في دراسة الحالة الرغبة في التعميم إلى أي حالات أخرى. (انظر: Stake, 2005) دراسـات الحالـة "الجوهريـة - intrinsic" و (انظـر أيضـاً : -Lawrence Lightfoot and Davis ,1997) "فن رسم الشخصيات - portraits".

٤. ويشـير العلماء أيضاً إلى أن التجارب الكلاسيكية التي يمكنها فقط اختبار العلاقات السببية البسيطة، وذلك عندما يتم افتراض معالجة واحدة مثل افتراض أن عقاراً جديداً له مفعول. ومع ذلك، بالنسبة للعديد من الموضوعات الاجتماعية والسلوكية، قد تكون الأسباب ذات الصلة معقدة وتشـتمل على تفاعلات متعـددة، وقد يكون التحقيق في هذه الأمور خارج قدرة أي تجربة فردية (George & Bennett, 2004, p.12).

جلسة دراسية ١ـ١
المزيد حول تعريف "دراسة الحالة"

في هذا الكتاب تشـير دراسة الحالة إلى نوعاً معيناً من أنواع التحقيق في البحوث. ويماثل هذا المصطلح مصطلحات أخرى تُستخدم للإشـارة إلى أنواع أخرى من أنواع التحقيق، مثل البحوث التجريبية والدراسـات المسـحية والبحـوث التاريخية، ولذلك فإن دراسـة الحالة هي صفة أكثر رسـمية وهي موازية لـ (البحوث التجريبية والدراسات المسـحية والبحوث التاريخية)، ويغطي أسلوب بحوث دراسة الحالة موضوع هذا الكتاب بأكمله.

يحتفـظ تعريف دراسـة الحالة ـ في الفصل الأول من هذه الطبعة الخامسـة ـ بالجوهر الـوارد في الطبعة الأولى من هـذا الكتاب (١٩٨٤م). حيث يحتـوي التعريف على جزأين: (أ) نطاق التحقيق (التسـاؤل) في دراسـة الحالة، (ب) مزايا دراسـة الحالة. وتظهر الآن المفاهيم الضمنية في التعريف الأصلي صريحة، بما في ذلك مفاهيم مثل التسـاؤل "المتعمق"، والظاهرة التـي تتم دراسـتها على أنها "الحالـة"، و " تقارب أو التقاء الأدلـة"، و "وجود متغيرات أكثر للاهتمام من نقاط البيانات".

ومن الصعب تقديم تعريف واضح. ولكن بعض المراجع العلمية مثل(Abercrombie, Hill, 2006 & Turner) و (Schwandt, 2007) تقـدم تعريفـات قصيرة ولكنها غير مكتملة. كما تسـتخدم مراجع علميـة أخـرى عدة صفحات لتعريف بدراسـة الحالة ولا تـزال غير قادرة للوصـول إلى الوضوح (مثل: David, 2006b, Miles et.al, 2010b). ويمكن أيضاً تحسين التعريف الوارد في هذا الكتاب لتجنب سوء التفسير الذي نشأ مع الإصدارات السابقة للكتاب. وتأتي هذه التحسينات كما يلي:

١. عدم وجود الحدة بين الظاهرة والسياق لا يقلل من الحاجة إلى تحديد "حالة ما" وتفردها، باعتبارها السـمة الأساسـية لدراسـة الحالة. وعلى العكس من ذلك، يناقش (الفصل الثاني) تحدي تعريف "الحالة" بتفصيل أكثر.

٢. يشـير مصطلح "العمق"، خصوصاً عند دراسة ظاهرة معاصرة، إلى الحاجة المحتملة لنوع ما من العمل الميداني، لإيصال الباحث بالقرب من الحالة التي تتم دراستها.

٣. مصطلح الظاهرة المعاصرة يشـمل فكرة واسـعة من دراسـة الحاضر، ولكن هذا لا يستبعد المـاضي القريب، وليس فقـط تلك الأحداث التي تمتد إلى المـاضي "القديم"، عندما لا يمكن

إجــراء ملاحظات مبــاشرة، وليس هناك من الناس من هم على قيد الحياة لكي تتم مقابلتهم (إجراء المنهج التاريخي سيكون أسلوب البحث المناسب في ظل هذه الظروف).

٤. ينشأ وجود متغيرات أكثر للاهتمام من نقاط البيانات عن مدى تعقيد الحالة وسياقها (وبالتالي، العديد من المتغيرات)، مع كون الحالة هي "نقطة البيانات" الوحيدة. ولا يعني استخدام هذه اللغة أن دراسات الحالة تعتمد على المتغيرات. وعلى العكس من ذلك، فإن تعدد المتغيرات يثير الشــكوك حول جدوى أســاليب البحوث التقليدية التي تستند إلى المتغيرات في تحليل بيانات دراسة الحالة، وبالتالي تفضيل الطرق الشاملة.

وكملاحظة أخيرة، مناقشة الكتاب في بداية هذا الفصل حول متى يمكن استخدام بحوث دراسة الحالة تركز على "مكانتها "، مقارنةً بالأساليب البحثية الأخرى، ولم يقصد من هذه المناقشة أن تستخدم كتعريف لـ "دراسة الحالة".

توضيحات مختصرة عن المراجع العلمية للجلسة الدراسية ١-١:

- Abercrombie, N., Hill, S., & Turner, B. S. (2006). *The Penguin dictionary of sociology* (5th ed.). London: Penguin.

يعرض قاموس صغير مع مراجع للمصطلحات المستخدمة في علم الاجتماع.

- David, M. (2006b). Editor's introduction. In M. David (Ed.), *Case study research* (pp. xxiii–xlii). London: Sage.

يحتوي على ١٠٠ نسخة تقريباً من المواد المرجعية لبحوث دراسة الحالة.

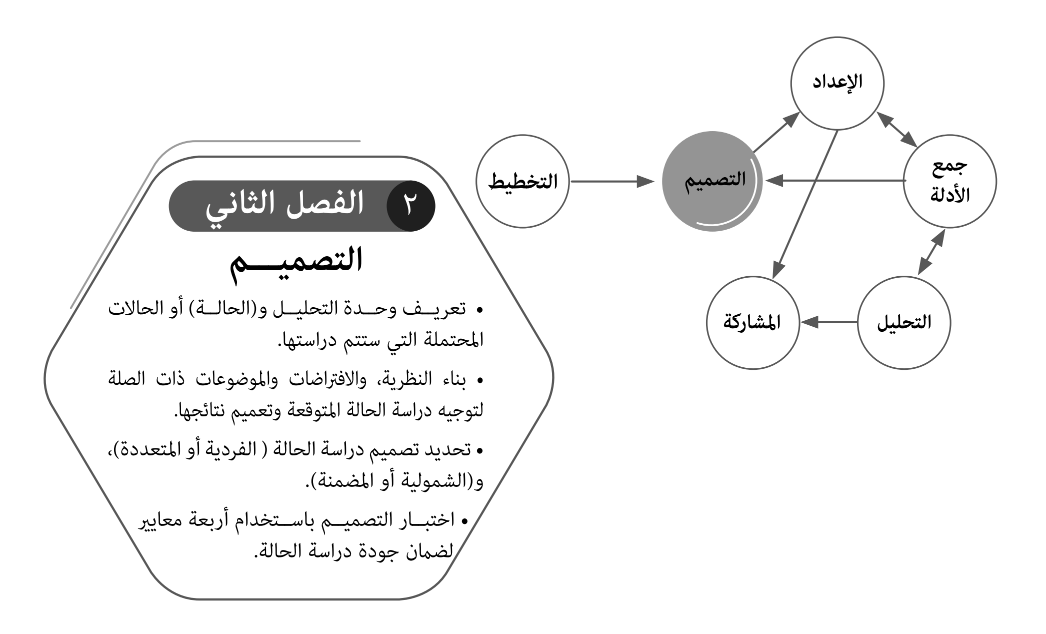
- Mills, A. J., Durepos, G., & Wiebe, E. (2010b). Introduction. In A. J. Mills, G. Durepos, & E. Wiebe (Eds.), *Encyclopedia of case study research* (pp. xxxi–xxxvi). Thousand Oaks, CA: Sage.

يقدم موسوعة من مجلدين مخصصة لبحوث دراسة الحالة.

- Schwandt, T. A. (2007). *The Sage dictionary of qualitative inquiry* (3rd ed.). Los Angeles: Sage.

يعرّف المصطلحات ، مع المراجع المستخدمة في البحوث الكيفية.


۷۲



نبذة مختصرة:

يعتبر تصميم البحث هو المنطق الذي يربط البيانات التي سـيتم جمعها (والنتائج التي سـيتم استخلاصها) إلى الأسئلة الأوَّليـة للدراسـة. فكل دراسـة تجريبية لها تصميم بحث ضمني، وإن لم يكن صريحـاً. إن صياغة "نظرية" ما حول ما يتم دراسـته وما يجب تعلمه يسـاعد على تعزيز تصميم البحث عند إجراء دراسـة الحالة. كما أن الافتراضات النظرية الجيدة، تضع الأسـاس لتعميم النتائج من دراسـة الحالة إلى حالات أخرى، من خلال إجراء تعميمات تحليلية بدلاً من التعميمات الإحصائية.

وسيكون من الأهمية للتصميم تحديد «الحالة» أو وحدة التحليل التي يجب دراستها، بالإضافة إلى وضع بعض القفزات أو القيـود للحالـة. ويمكن بعد ذلك فحص جودة التصميم الأولي، من خلال أربعة اختبارات شـائعة الاسـتخدام في بحوث العلوم الاجتماعية هي : (أ) الصدق البنائي، (ب) الصدق الداخلي، (ج) الصدق الخارجي، و (د) الثبات.

ومـن بين تصاميم دراسـة الحالة المحددة، هناك أربعة أنواع رئيسـية تتبع مصفوفـة ٢ × ٢. يتكون الصنف الأول من تصاميـم الحالـة الفردية وتصاميم الحالات المتعـددة، في حين أن الصنف الثاني، الذي يمكـن أن يحدث بالدمج مع أي من الصنف الأول، يميز بين التصاميم الشمولية (holistic) ، والتصاميم المضمنة (embedded). وسواء كان التصميم شمولياً أو مضمناً في دراسة الحالات المتعددة، يجب أن يتبع اختيار الحالات النسخ أو التكرار المتماثل بدلاً من منطق العينات. وعلى الرغم من أن دراسات الحالة الفردية يمكن أن تنتج من رؤى لا تقدر بثمن، فمن المرجح أن تكون معظم تصميمات دراسة الحالات المتعددة، أقوى من تصاميم دراسة الحالة الفردية. ولذلك؛ فإن محاولة استخدام تصميم «حالتين» هو هدف جدير بالاعتبار، مقارنةً بإجراء دراسة حالة واحدة. كما يمكن استخدام بحوث دراسة الحالة بالدمج مع أساليب بحثية أخرى، كجزء من دراسة تتكون من أساليب مختلطة وواسعة.



٢

تصميم دراسات الحالة

تحديد الحالات، وتأسيس المبررات المنطقية لدراسة الحالة

المنهجية العامة لتصميم دراسات الحالة:

لقــد أوضــح الفصل الأول متى يتم اختيار إجراء بحوث دراســة الحالــة، وذلك بعكس أنواع البحــوث الأخرى. وتتمثل الخطوة التالية في تصميم دراســة الحالــة الخاصة بك (كباحث). لهذا الغرض، كما هو الحال في تصميم أي نوع آخر من الاستقصاء البحثي، تحتاج إلى خطة أو تصميم بحث.

يتطلــب تطوير هــذا التصميم البحثي عملاً احترافياً دقيقاً. وعلى العكس من أســاليب البحــوث الأخرى، لم يظهر بعد فهرس شــامل ومعياري لتصاميم البحوث الخاصة بدراســة الحالــة. كــما لا توجد مراجع علمية مثــل تلك التي تتوفر في العلوم البيولوجية والنفســية تغطي اعتبارات التصميم مثل تعيين الموضوعات إلى مجموعات مختلفة، أو اختيار المثيرات أو الظروف التجريبية المختلفة، أو تحديد مقاييس الاستجابة المختلفة (انظر: ;Fisher, 1935 Cochran & Cox, 1957)، والمشار إليه في (Cochran & Cox,1975; Sidowski,1966). في التجربــة المختبريــة، تعكس كل من هذه الخيــارات اتصالاً منطقياً مهماً بالمســائل قيد الدراســة. ولم تظهر أي تصميمات مشتركة لدراسة الحالة ــ مثل دراسات القياس الدوري ــ المستخدمة مثلاً في البحوث المسحية (انظر: Kidder & Judd, 1986, chap. 6).

ومــع ذلك، فــإن أحد الأخطاء التي ينبغــي تجنبها هو الأخذ في الاعتبار تصاميم دراســة الحالــة، لتكون مجموعــة فرعية أو مجموعة من التصاميم البحثية المســتخدمة للأســاليب البحثية الأخرى، مثل التصميم شــبه التجريبي (على ســبيل المثال: ,Campbell & Stanley 1966; Cook & Campbell, 1979). ولوقــت طويــل، اعتقــد الباحثون بشــكل خاطئ أن

دراســة الحالة كانت نوعاً واحداً من التصميم شــبه التجريبي (تصميــم «الاختبار النهائي»). (Campbell & Stanley, 1966, pp. 6- 7). وعلى الرغم من استمرار سوء الفهم حتى يومنا هذا، إلا أنه تم تصحيحه لاحقاً عندما أشار أحد المؤلفين الأصليين بالعبارة التالية، في مراجعة العمل الأصلي حول التصاميم شبه التجريبية :

"ومن المؤكد أن دراسة الحالة التي تم ممارستها عادةً، لا ينبغي أن يتم استبعادها عن طريق تحديد الهوية مع تصميم المجموعة الواحدة للاختبار النهائي" (Cook & Campbel, 1979، p.96).

وبعبارة أخرى، يمكن اعتبار التصميم المعتمد على الاختبار النهائي فقط، معيباً، باعتباره تصميماً شــبه تجريبي، ولكن تم الآن الاعتراف بدراســة الحالة على أنها شيء مختلف. في الواقع، تعتبر بحوث دراسة الحالة اسلوب بحث مستقل لديها تصاميم بحوث خاصة بها.

نقطــة تعلم : كيف يجــب أن أختــار الحالة أو (الحالات) لدراسة الحالة الخاصة بي ؟

أنت كباحــث بحاجة إلى وصولٍ كافٍ إلى البيانات لدراسة الحالة المحتملة التي تعمل عليها (سواء لإجراء مقابلــة أشــخاص أو مراجعة الوثائق أو الســجلات أو إجراء ملاحظــات ميدانية). بالنظــر إلى هذا الوصول إلى أكثر من حالة مرشــحة واحــدة، يجب عليك اختيار الحالة أو (الحالات) التي ســتدعم على الأرجح أســئلة البحث الخاصــة بك. في غياب مثل هــذا الوصول الى البيانــات، يجب أن تفكر في تغيير أســئلة البحث، على أمل أن تقود إلى حالات جديدة يمكنك الوصول إليها.

هل تعتقد أن الوصــول للبيانات يجب أن يكون مهماً جداً ؟

ولسوء الحظ، لم يتم تقنين تصاميم بحوث دراسة الحالة. وبالتالي فإن الفصل التالي يتوسع في الأساس المنهجي الذي تم تقسيمه إلى أجزاء من قبل الطبعات الســابقة من هذا الكتاب، ويصف مجموعة أساسية من التصاميم البحثية لإجراء دراسات الحالة الفردية والمتعددة. على الرغم مــن أن هذه التصاميم ســوف تحتاج إلى تعديلها باســتمرار وتحسينها في المستقبل إلا أنها في شــكلها الحالي سوف تساعدك على تصميم دراســات حالة أكثر صرامة ومنهجية سليمة.

تعريف تصاميم البحوث:

لكل نوع من الدراسات البحثية التجريبية تصميم بحثي ضمني إن لم يكن صريحاً. وفي مفهومه البسيط، يعرف التصميم بأنه التسلسل المنطقي الذي يربط البيانات التجريبية إلى أسئلة البحث الأوَّلية للدراسة وصولاً إلى نتائج الدراسة. وباختصار، فإن تصميم البحث هو خطــة منطقية للوصول من (هنا إلى هنــاك)، حيث يمكن تعريفه (هنا) على أنه مجموعة أوَّلية من الأســئلة التي يجــب الإجابة عليها، بينما يمكن تعريــف (هناك) على أنه بعض الاســتنتاجات (الإجابات) حول هذه الأســئلة. بين (هنا وهناك)، يوجد عدد من الخطوات الرئيســية، بما في ذلك جمع وتحليل البيانات ذات الصلــة. وكملخص موجز، وصف كتاب آخر تصميم البحث على أنه :

خطــة تهدف إلى توجيه الباحث في عملية جمع وتحليل وتفســير الملاحظات. وهو نموذج منطقي للإثبات الذي يســمح للباحث باستخلاص استنتاجات حول العلاقات السببية بين المتغيرات قيد البحث (Nachmias & Nachmias, 1992, pp.77-78).

طريقة أخرى للتفكير في تصميم البحوث هي اعتبارها «مخططاً» للبحث، وتتعامل تلك الطريقة مع أربع مشــكلات على الأقل تتمثل في : ما هي الأســئلة التي تعمل على دراســتها؟ وما هي البيانات ذات الصلة؟ وما هــي البيانات التي يجب جمعها؟ وكيف سيتم تحليل النتائج (Philliber, Schwab, & Samsloss, 1980).

لاحظ أن تصميم البحث هو أكثر بكثير من مجرد خطة عمل. والغرض الرئيسي من التصميم هو المساعدة على تجنب الوضع الذي لا تعالج فيه الأدلة أسئلة البحث الأوَّلية. وبهذا المعنى، يعالج تصميم البحث (مشــكلة منطقية) وليست (مشكلة لوجستية). وكمثال بسيط، لنفترض أنك تريد دراســة منظمة واحدة، ومع ذلك، فإن أســئلتك البحثية تتعلق بعلاقات المنظمة مع المنظمات الأخرى ــ مثل طبيعتها التنافســية أو التعاونية، على سبيل المثال. يمكن الإجابة على مثل هذه الأسئلة فقط بشكل صحيح إذا تم جمع البيانات مباشرة من المنظمات الأخرى، وليس مجرد المنظمة التي بدأت معها. وإذا أكملت دراستك من خلال دراسة العلاقات التنظيمية من وجهة نظر منظمة واحدة فقط، فإنه لا يمكنك اســتخلاص اســتنتاجات غير متحيزة حول هذه العلاقــات. وهذا يعتبر خلل في تصميــم البحث الخاص بك، وليس في خطة عملك. وكان يمكن تجنب هذا الخلل إذا كنت قد طورت تصميم بحث مناسب في المقام الأول.

عناصر تصاميم البحوث:

في بحوث دراسة الحالة، هناك خمسة عناصر لتصميم البحث ذات أهمية خاصة هي:

١. أسئلة دراسة الحالة.

٢. افتراضات دراسة الحالة، إن وجدت (propositions).

٣. وحدة أو (وحدات) التحليل.

٤. المنطق الذي يربط البيانات بالافتراضات.

٥. معايير تفسير النتائج.

أســئلة الدراسة: ســبق وصف هذا العنصر الأول في الفصل الأول، الذي يقترح أن يكون شــكل الســؤال من خلال: «من» و «ماذا» و «أين» و «كيف» و «لماذا»، ويوفر دليلاً هاماً بشأن أسلوب البحث الأكثر صلة التي ينبغي استخدامه. ومن المرجح أن تكون بحوث دراسة الحالة مناسبة لأسئلة «كيف» و «لماذا». لذلك، فإن مهمتك الأولى هي توضيح طبيعة أسئلة البحث بدقة في هذا الجانب.

قد يكون الأمر الأكثر إزعاجاً هو ضرورة التفكير في جوهر الأسئلة. حيث يأخذ العديد من الطلاب صدمة مبدئية فقط؛ لكي يتم تقليل الحماس لديهم عندما يجدون نفس الســؤال أو (الأســئلة) قد تم تغطيتها بشــكل جيد في الدراسات الســابقة. وقد تكون هناك أسئلة أخرى غــير مرغوبة تركز على أجزاء ثانويــة أو غير هامة من قضية ما. ولتجاوز ذلك، هناك معلومة مفيدة هي التحرك في ثلاث مراحل: في البداية، حاول استخدام الأدبيات لتركيز اهتمامك على موضوع رئيسي أو اثنين، ولا تقلق بشــأن أي أســئلة بحثية محددة. وفي المرحلة الثانية، اختبر بعمق ــ حتى بشــكل أكثر دقة ــ بعض الدراسات الرئيسية السابقة حول موضوع اهتمامك البحثي. وحدد الأسئلة في تلك الدراسات القليلة ما إذا كانت أُختتمت بأسئلة جديدة أو نهاية موسعة للبحوث المستقبلية.

هذا قد يحفز بعد ذلك التفكير والخيال الخاص بك، وســتجد نفسك قادراً على توضيح بعض الأســئلة المحتملة الخاصة بدراستك. في المرحلة الثالثة، اســتعرض مجموعة أخرى من الدراسات

حــول نفس الموضوع، قد تعزز هذه الدراســات من الصلة والأهمية للأســئلة المحتملة الخاصة بدراستك أو حتى اقتراح طرق لتحسينها.

الافتراضات النظرية للدراسة: Propositions ــ أما بالنسبة للمكون الثاني، فإن كل افتراض يوجه الانتباه إلى شيء يجب دراســته ضمن نطاق الدراسة. على سبيل المثال، افترض أن بحثك حول موضوع الشراكات بين المنظمات والذي يبدأ بالسؤال التالي: كيف ولماذا تتعاون المنظمات مع بعضها البعض لتقديم خدمات مشــتركة (على ســبيل المثال، مصنــع ومنافذ بيع التجزئة يتعاونان في بيع بعض منتجات الكمبيوتر). هذه الأسئلة: «كيف» و «لماذا»، تساعد في الحصول على ما كنت مهتماً فعلاً بالتركيز عليه، كما تقودك إلى بحوث دراســة الحالة باعتبارها أسلوب البحث المناسب في المقام الأول. ومع ذلك، فإن هذه أسئلة: «كيف» و «لماذا»، لا تشير بشكل كافٍ إلى ما يجب دراسته.

فقط إذا تم إجبارك على طرح بعض الافتراضات النظرية، فستتحرك في الاتجاه الصحيح. على سبيل المثال، قد تعتقد أن المنظمات تتعاون لأنها تحقق فوائد متبادلة. هذا الافتراض، بالإضافة إلى التفكير في قضية نظرية مهمة (أن الحوافز الأخرى للتعاون غير موجودة أو غير مهمــة)، يبدأ أيضاً في إخبارك بمكان البحث عن الأدلة ذات الصلة (أي: تحديد مدى وجود فوائد محددة لكل منظمة والتأكد منها).

في الوقت نفســه، قد يكون لبعض الدراســات سبب مشروع لعدم وجود أي افتراضات نظرية. هذ الشرط ــ يكون في التجارب والمسوحات وأساليب البحث الأخرى على حد سواء ـ والتــي يكون موضوعٍ ما هو موضوع «الاستكشــاف». ومــع ذلك، يجب أن يكون غرض لكل استكشــاف. وبدلاً من الافتراضات، يجب أن يوضح تصميم الدراسة الاستكشافية هذا الغرض، فضلاً عن المعايير التي ســيتم من خلالها الحكم على نجاح الاستكشــاف (أو عدم نجاحه). مع الأخذ في الاعتبار التماثل لدراســة الحالة الاستكشــافية. هل يمكنك أن تتخيل كيف تطلب دعماً من الملكة إيزابيلا للقيام بدراسة استكشافية؟ انظر (مربع ٥).

مربع (٥)

«الاستكشاف» كمقياس تماثل لدراسة حالة استكشافية

عندما ذهب كريســتوفر كولومبوس للملكة إيزابيلا لطلب دعمه «لاستكشاف» العالم الجديد، كان عليه أن يكون لديه بعض الأسباب لطلب ثلاث سفن (لماذا لم يطلب سفينة واحدة ؟ أو لماذا لم يطلب خمس ســفن؟)، وكان لديه بعض الأسباب في الذهاب إلى الغرب (لماذا لا يتجه إلى الجنوب؟ أو لماذا لا يتجه إلى الجنوب ومن ثم إلى الشرق؟). كما كان لديه بعض المعايير (الخاطئة) للتعرف على جزر الهند عندما اقترب منها بالفعل. باختصار، بدأ استكشافه ببعض الأسس المنطقية والاتجاه، حتــى لو ثبتت صحة افتراضاته الأولية في وقت لاحــق (Wilford,1992). وينبغي أن تكمن نفس هذه الدرجة من الأساس المنطقي والاتجاه في دراسة حالة استكشافية.

وحــدة التحليــل "الحالة": يرتبط هذا العنصر الثالث بالمشــكلة الأساســية المتمثلة في تعريف «الحالة» التي يتعين دراســتها، وهي مشكلة تواجه بالفعل العديد من الباحثين في بداية دراســات الحالة الخاصة بهم (على ســبيل المثال: Ragin & Becker, 1992). سوف تحتاج إلى النظر في خطوتين مختلفتين على الأقل هما: تعريف الحالة، وتوضيح حدودها.

في تعريف الحالة ــ على سبيل المثال ــ تركز دراسات الحالة الكلاسيكية عادة على شخص واحد يمثل "الحالة" (على ســبيل المثــال: Bromley, 1986, p.1). وقد لاحظت (Jennifer Platt, 1992)، كيف كانت دراســات الحالة المبكرة التي قام بها علماء في مدرســة شيكاغو لعلــم الاجتماع عــن تاريخ حياة أشــخاص مثل(الأحداث الجانحــين أو الرجال المشردين). ويمكنك أيضاً أن تتخيل دراســات الحالة عن المرضى المنومين، أو الطلاب المميزين، أو أنواع معينــة من القــادة. في كل موقف، يعتبر (الفرد) هــو الحالة قيد الدراســة، و (الفرد) هو الوحدة الأساســية للتحليل. وســيتم جمع معلومات عن الفرد المعني، ويمكن إدراج العديد من هؤلاء الأفراد أو "الحالات" في دراسة متعددة الحالات.

كنت لا تزال بحاجة إلى أسئلة وافتراضات الدراسة للمساعدة في تحديد المعلومات ذات الصلــة التي ســيتم جمعها حول هذا الفــرد أو الأفراد. وبدون هذه الأســئلة والافتراضات، ســيتعين عليك تغطية كل شيء عن الفرد أو الأفراد وهو أمر من المســتحيل القيام به. على

سـبيل المثال، الافتراضات في دراسـة هؤلاء الأفراد، يمكن حصرها في تأثير الطفولة المبكرة أو دور علاقات الأقران. وهذه الموضوعات التي تبدو عامة، تمثل تضييقاً كبيراً للمعلومات ذات العلاقة. فكلما احتوت دراسـة الحالة على أسـئلة وافتراضات محددة، كان القيام بها ضمن الحدود الممكنة.

وبالطبع من الممكن أن تكون (الحالة) كذلك حدثاً ما أو كياناً غير الأفراد. وقد أجريت دراسات الحالة على نطاق واسع من الموضوعات شملت: المجموعات الصغيرة، والمجتمعات، والقرارات، والبرامج، والتغير المؤسـسي إلى جانب أحداث محـددة أخرى. ويحتوى مرجع (Feagin et al. ,1991) على بعض الأمثلة الكلاسـيكية حول هذه الحالات الفردية في علم الاجتماع والعلوم السياسية.

ويجـب التنبه إلى هذه الأنواع مـن الحالات حيث لا يمكن تحديد أي منها بسـهولة مـن حيث نقطة بداية أو نهاية «الحالة». على سـبيل المثال، قد تكشـفً دراسـة حالة حـول برنامج محدد عـن التالي : (أ) الاختلافات في تعريف البرنامج اعتماداً على المنظور من الجهات الفاعلة المختلفة، و (ب) مكونات البرنامج التي سَبَقَتْ الإطلاق الرسـمي للبرنامج. لذلك؛ يجب أن تواجه أي دراسـة حالة لهذا البرنامج هذه الشروط في تحديد وحدة التحليل. وبالمثل، قد تحدد أولاً مكان أو موقع محدد، مثل «مدينة»، لتكون هي الحالة التي تدرسها. ومع ذلك، قد تقتصر أسـئلة البحـث وجمع البيانات في الواقع على السـياحة في المدينة، أو سياسات المدينة، أو حكومة المدينة. وقد تختلف هذه الخيارات عن تحديد المدينة الجغرافية وسكانها كما هي في الحالة التي تدرسها.

وكدليلٍ عام، يرتبط التعريف المبدئي للحالة التي تدرسها (أو وحدة التحليل)، بالطريقة التي تحدد بها سـؤال أو (أسـئلة) البحث الأوَّلية. لنفترض ــ على سـبيل المثال ــ أنك تريد دراسـة دور الولايات المتحـدة الأمريكية في الاقتصاد العالمي. منذ سـنوات، كتب (Peter Drucker, 1986). مقـالاً اسـتفزازياً (ولكـن ليس دراسـة حالة) عن تغيـرات جوهرية في الاقتصـاد العالمي، بما في ذلك أهمية «تحركات رأس المال» المسـتقلة من تدفق السـلع والخدمات. إذا كنت مهتماً بإجراء دراسة حالة حول هذا الموضوع، فإن مقالة (Drucker) لن تخدمك إلا كنقطة بداية. ولا يزال عليك تحديد سـؤال أو (أسـئلة) البحث التي تهمك،

وقد يشـير كل سـؤال إلى وحدة تحليل مختلفة (أو "حالة"). بناءً على سـؤال أو (أسـئلة) دراسـتك ، وقد تكون الحالة المناسـبة هي اقتصاد دولة ما أو صناعة ما في السوق العالمي، أو سياسة اقتصادية أو تدفق التجارة أو رأس المال بين الدول. إن كل وحدة تحليل وأسئلتها والافتراضات ذات الصلة سوف تتطلب دراسة حالة مختلفة، ولكل منها تصميمه الخاص في مجال البحث وإستراتيجية لجمع البيانات.

إذا كانت أسـئلة البحث الخاصة بدراسـتك لاتؤدي إلى تفضيل واحدة من وحدات التحليل أكثر من الأخرى، فإن أسـئلتك قد تكون شـديدة الغموض وكثيرة العدد، وقد تواجهـك مشـكلة في إجراء دراسـة الحالة. ولكـن عندما تتوصـل إلى تعريف لوحدة التحليـل لا تعتـبر ذلك نهائياً. إن اختيارك لوحـدة التحليل يوازي الجوانب الأخرى في تصميـم البحث الخاص بـك، ويمكن إعادة النظر فيه نتيجة للاكتشـافات التي تحدث أثنـاء عملية جمع البيانات (انظر إلى النقاشـات والتحذيـرات حول الاحتفاظ بموقف تكيفي عبر هـذا الكتاب وفي نهاية هذا الفصل).

في بعض الأحيان، قد تكون وحدة التحليل قد تم تعريفها بطريقة واحدة، على الرغم من أن الظاهرة التي تتم دراسـتها تتبع بالفعل تعريفاً مختلفاً. وبشـكل متكرر، خلط الباحثون دراسات الحالة الخاصة بالأحياء السـكنية مع دراسات الحالة للمجموعات الصغيرة (كمثال آخـر، الخلـط بـين تقنية جديدة وأعـمال فريق هنـدسي في منظمة ما. انظـر مربع ٦-أ). كيف يمكن لمنطقة جغرافية مثل حي سـكني أن تتواءم مع انتقال عرقي، ورفع مسـتواها، وظواهـر أخـرى يمكن أن تكون مختلفـة إلى حد ما عن كيفية تعامـل مجموعة صغيرة مع نفس هذه الظواهر. (على سبيل المثال، Street Corner Society 1943/ 1993 ,Whyte)؛ انظـر مربـع (٢-أ) في الفصل الأول من هـذا الكتـاب، و(Liebow, 1967- Corner's Tali)، وكذلـك انظر مربع (٩) من هذا الفصل. وغالباً ما يُخطى في كونها دراسـات حالة من الأحياء السـكنية، في حين أنها في الواقع دراسات حالة لمجموعات صغيرة (لاحظ أنه في أي من الكتابين لم يتـم وصف جغرافية الحي، عـلى الرغم من أن المجموعات الصغيرة تعيش في منطقة صغيرة ذات تعريفات واضحة للأحياء إذا لم تكن حدوداً). في المقابل، يقدم مربع (٦ـ ب) مثالاً جيداً على الكيفية التي يمكن بها تحديد وحدات التحليل بطريقة أكثر تمييزاً في مجال التجارة العالمية.

مربع (٦)

تعريف وحدة التحليل

٦-أ: ما هي وحدة التحليل؟

كتــاب (روح الآلة الجديــدة - The Soul of a New Machine) الحاصل على جائزة بوليتزر (Pulitzer Prize) لمؤلفــه (Tracy Kidder,1981). والــذي حقق أفضــل المبيعات يتحدث عن تطوير كمبيوتر صغير جديد بواســطة شركة البيانات العامة، التي كانت تهدف لمنافســة جهاز آخر أنتجته شركة منافسة هي شركة المعدات الرقمية (انظر كذلك مربع ٢٩، الفصل الخامس).

ويصف هذا الكتاب الذي يتميز بســهولة القراءة كيف اخترع وطور الفريق الهندسي في شركة البيانات العامة جهاز كمبيوتر جديد. ويبدأ الكتاب بالتصور الأولي لجهاز الكمبيوتر، وينتهي عندما تنازل الفريق الهندسي للشركة عن عملية التحكم على هذا الجهاز لصالح فريق التسويق في الشركة.

يعتبر الكتاب مثالاً ممتازاً لدراســة الحالة. ومع ذلك، يوضح الكتاب أيضاً مشــكلة أساســية في إجراء دراســات الحالة، وهــي تحديد وحدة التحليل. هل «الحالة» التي تتم دراســتها هي أجهزة الكمبيوتــر الصغيرة، أم أنهــا تتعلق بديناميكيات جماعة صغيرة (الفريــق الهندسي)؟ تُعد الإجابة حاسمة الأهمية لفهم كيفية ارتباط دراسة الحالة بأية مجموعة واسعة من المعرفة، أي: ما إذا كان سيتم التعميم إلى موضوع التقنية أو موضوع ديناميكيات الجماعة. ونظراً لأن الكتاب ليس دراسة أكاديمية، فإنه لا يحتاج إلى تقديم إجابة ولا يستطيع أن يقدمها.

٦-ب: خيار أوضح بين وحدات التحليل

كتــاب (الحــرب الصامتــة The Silent War) مــن تأليــف (Ira Magaziner & Mark Patinkin,1981)، مــن داخل معارك الأعمال العالمية التي تشــكل مســتقبل أمريكا، يعرض تســع حالات دراسة فردية (انظر أيضاً مربع ٣٨، الفصل ٥)، حيث تساعد كل حالة القارئ على فهم الواقع الحقيقي للمنافسة الاقتصادية الدولية.

وتبدو حالتان من الحالات التسع متشابهتين، ولكن في الحقيقة لكل منهما وحدات تحليل رئيسية مختلفة. تغطي إحدى الحالات شركة سامسونج الكورية والسياسات الحاسمة التي جعلت الشركة تنافســية. إن فهم النمو الاقتصادي الكوري هو جزء من الســياق، وتحوي دراســة الحالة كذلك وحدة تحليل مضمنة، وهي تطوير سامســونج لفرن المايكرويف كمنتج توضيحي. وتغطي الحالة دولة أخرى هي ســنغافورة والسياســات التي جعلتها دولة تنافسية. وفي دراسة الحالة عن سنغافورة، هناك وحدة تحليل مضمنة وهي تطوير مصنع أجهزة حاسبات شركة أبل في سنغافورة، وهو يعمل كمثال توضيحي لكيفية تأثير السياسات الوطنية على الاستثمارات الأجنبية.

ولكي نتخلص من الالتباس والغموض في تعريف وحدة التحليل أو «الحالة»، فإن إحدى الممارسات الموصى بها هي مناقشة اختيار الحالة المحتملة الخاصة بك مع زميل آخر. حاول أن تشرح له ماهي الأسئلة التي تعمل على معالجتها، ولماذا عملت على اختيار حالة محددة أو مجموعة من الحالات كطريقة لمعالجة هذه الأسئلة. قد يساعدك ذلك على تجنب التعريف الخاطئ لوحدة التحليل.

وعندما يتم تأسيس التعريف العام للحالة ، فإن بعض التوضيحات الأخرى التي تحيط بها تصبح ذات أهمية. فعندما تكون وحدة التحليل على سبيل المثال مجموعة صغيرة، فإن الأشخاص الذين ستشملهم المجموعة (الموضوع العاجل لدراسة الحالة)، يجب تمييزهم عن أولئك الذين هم في خارج المجموعة (السياق بالنسبة لدراسة الحالة). وعلى نحو مماثل، فإذا كانت الحالة عن الخدمات المحلية في منطقة جغرافية محددة، فأنت تحتاج لتقرر أي الخدمات ستعمل على تغطيتها. والشيء المرغوب للموضوع الذي سيتم اختياره كذلك، هو الحدود الزمنية المحددة لتعريف البداية والنهاية المتوقعة للحالة لأغراض الدراسة الخاصة بك (على سبيل المثال، ما إن كان ضرورياً إدراج كل أو جزء من دورة حياة الكيان الذي سيشكل الحالة).

إن إحاطة الحالة بهذه الطريقة سيساعد على تحديد نطاق البيانات التي ستجمعها، وبالأخص كيف ستقوم بتمييز البيانات حول موضوع دراسة الحالة الخاصة بك (الظاهرة) من البيانات الخارجية عن الحالة (السياق).

تمرين ٢-١: تحديد حدود الحالة

اختر موضوعاً لدراسة الحالة التي ترغب القيام بها. حدد بعض أسئلة البحث للإجابة عليها أو افتراضات ليتم اختبارها من قبل دراسة الحالة الخاصة بك. هل تحديد هذه الأسئلة أو الافتراضات توضح حدود دراسة الحالة فيما يتعلق بالفترة الزمنية المغطاة من قِبل هذه الحالة، والمجموعة الاجتماعية ذات الصلة، والمنظمة، أو المنطقة الجغرافية، ونوع الأدلة التي يتم جمعها، وأولويات جمع البيانات وتحليلها؟ إن لم يكن كذلك، هل ينبغي عليك تحسين الأسئلة الأصلية؟

هــذه التحذيرات الأخــيرة المتعلقة بالحاجة إلى الحدود والمكانيــة والزمنية وغيرها من المحــددات الواقعية تكمــن وراء جانب رئيسي لكنه دقيق في تحديد الحالة التي تدرســها. يجب أن تعبر الحالة المرغوب دراستها عن بعض الظواهر الحقيقية التي لها بعض المظاهر الواقعية. ولا يمكن أن تكون الحالة ببســاطة فكرة مجــردة أو عامة، مثل ادعاء أو مجادلة أو حتى فرضية. ويمكن لهذه التجريدات أن تكون بمثابة نقاط انطلاق للدراســات البحثية، باستخدام أنواع أخرى من الأساليب البحثية وليس فقط بحوث دراسة الحالة. ولتبرير إجراء دراسة حالة، عليك أن تخطو خطوة أخرى: أنت بحاجة إلى تحديد «حالة» محددة (واقعية) حقيقية، لتُكوّن مظهراً ملموساً من التجريد (وللحصول على أمثلة لموضوعات دراسات حالة أكثر أو أقل واقعية، انظر الشكل ٢-١).

خــذ مفهوم «الجوار». بشــكل منفــرد، يمكن أن يكــون موضوعاً للدراســات البحثية باســتخدام أســاليب بحثية أخرى غير أسلوب دراسة الحالة. قد تشــمل الأساليب الأخرى أســلوب المسح للعلاقات بين الجيران، أو المنهج التاريخي لتطور الإحساس بالمجاورة وإنشاء حدود جغرافية، أو أســلوب التجارب التي يمكن أن يقوم فيها الأطفال الصغار بمهام بجانب بعضها البعض لتحديد تأثيرات تشــتت الانتباه، نحو أي من «جيرانهم» في الصف الدراسي. توضح هذه الأمثلة كيف أن المفهوم المجرد «الجوار» لا ينتج وحده الأساس لدراسة الحالة. ومع ذلك، يمكن أن يصبح هذا المفهوم موضوعاً لدراســة الحالة بســهولة، إذا كان مصحوباً باختيار حي سكني معين «الحالة» ليتم دراسته وطرح أسئلة وافتراضات الدراسة حول الحي فيما يتعلق بمفهوم «الجوار».

وتتعلــق إحدى النقاط الأخيرة بدور أدبيات البحــث المتوفرة، والاحتياجات التي يجب القيــام بها حول تعريف الحالة ووحدة التحليــل. ويرغب معظم الباحثين في مقارنة نتائج بحوثهم بالدراســات الســابقة. ولهذا الســبب ، لا ينبغــي أن تكون التعريفات الرئيســية المســتخدمة في دراســتك فريدة من نوعهــا. وبدلاً من ذلك، فإن كل دراســة حالة ووحدة تحليل إما أن تكون مشــابهة لتلك التي تمت دراســتها مســبقاً من قِبــل آخرين، أو يجب ابتكارهــا بطرق عملية وواضحة. وفي هذا الجانب، فإن الأدبيات الســابقة يمكن أن تكون كذلك موجهاً لتعريف الحالة ووحدة التحليل.

شكل (٢-١) الحالات التوضيحية لدراسات الحالة



المصدر: Clip Art © Jupiter Images.

ربـط البيانـات بالافتراضات النظرية: تم تطوير العنصر الرابع بشكل أفضل في إجراء بحوث دراسة الحالة، حيث يوضح هذا العنصر خطوات تحليل البيانات في دراسة الحالة الخاصة بك. ويغطي الفصل (الخامس) الخطوات وطرق التحليل المختلفة والخيارات بالتفصيل. لكن خلال مرحلة التصميم، يجب أن تكون على معرفة بالخيارات وكيف يمكنها أن تكون مناسبة مع دراسة الحالة الخاصة بك. وبهذه الطريقة، يمكن أن يؤدي تصميم البحث الخاص بك إلى تأسيس أكثر قوة للتحليلات اللاحقة.

تمرين ٢-٢ : تحديد وحدة التحليل و" الحالة " في دراسة الحالة

انظر إلى الشـكل (٢-١)، وناقش كل موضوع والذي يوضح وحدة مختلفة من التحليل. ابحث عن دراسـة حالة منشـورة على الأقل من هذه الموضوعات، مع الإشـارة إلى «الحالة» الفعلية التي كانت قيد الدراسـة. مع ملاحظة وفهم أن كل موضوع يوضح وحدة مختلفة من التحليل وينطوي عـلى اختيار الحالات المختلفة التي ينبغي دراسـتها، هل تعتقد أنه قد يكون من الأسـهل تحديد الوحدات الأكثر واقعية من الوحدات الأقل واقعية ؟ لماذا ؟

إن كل التقنيـات التحليليـة في الفصل الخامس تمثل طرقاً لربـط البيانات بالافتراضات النظرية ، وهي: الأنماط المتشابهة، وبناء التفسير، وتحليل السلاسل الزمنية، ونماذج المنطق، والدمـج بين الحالات. ويحتـاج التحليل الفعلي إلى دمج أو تجميع بيانات دراسـة الحالة الخاصة بك كانعكاس مباشر للافتراضات الأوَّلية للدراسـة. وعلى سبيل المثال، إن معرفة أن بعض أوجميع افتراضاتك تغطي تسلسـًلا مؤقتاً يشـير إلى أنك تحتاج في النهاية لاسـتخدام بعـض أنواع تحليل التسلسـل الزمني. وعند ملاحظتك لهـذا الاحتمال القوي خلال مرحلة التصميم، فإنك سـتعمل على التأكـد من أن تجميع بياناتك المخطـط لها، يتضمن تجميع علامات الوقت المناسبة كجزء من الحالة التي تقوم بدراستها.

وللتنبيـه فقـط، إذا كنت تمتلك خبرة محـدودة في إجراء الدراسـات التجريبية، فإنه لن يمكنـك معرفة طرق التحليل المحتملة بسـهولة، ولا يمكنك كذلك توقـع البيانات الضرورية لاسـتخدام هذه الطرق والاسـتفادة منها بشكل كبير. حتى إن الكثير من الباحثين الأكثر خبرة يمكنه ملاحظة كيف أنهم: (أ)يقومون بتجميع بيانات كثيرة للغاية لا يتم اسـتخدامها في أي تحليل، أو (ب) يقومون بجمع بيانات قليلة للغاية تمنع الاسـتخدام المناسب لطريقة التحليل المطلوبـة. وفي بعض الأحيان، فـإن الموقف الأخير (قلة البيانات) يمكن حتى أن يجبر الباحثين على الرجوع لمرحلة تجميع البيانات (إن كان بإمكانهم ذلك) لإكمال البيانات الأساسية. وكلما كان في مقدورك تجنب أيٍ من هذين الموقفين، كان وضعك أفضل في إجراء دراسة الحالة.

معايير تفســير نتائج دراسة الحالة : بالنسبة للعديد من الدراسات، يظهر توضيح شائع لهــذا العنصر الخامس عندما تكون التحليلات الإحصائية ذات صلة. على سبيل المثال، كما هــو متفــق عليــه ، تعتبر الدراسات الكمية مستوى P أقل من 05,. لتوضيح أن الاختلافات الملاحظة "هامة من الناحية الإحصائية"، وبالتالي ترتبط بنتائج أكثر قوة. وبعبــارة أخرى، تعمل التقديرات الإحصائية كمعايير لتفسير النتائج. ومع ذلك، فإن الكثير من تحليل دراسة الحالة لن يعتمد على اســتخدام الإحصائيات، مــما يؤدي إلى الحاجة إلى إيجاد طرق أخرى للتفكير في مثل هذه المعايير.

عند إجراء دراســات الحالة، هناك إســتراتيجية بديلة رئيســية وهامة لتحديد ومعالجة التفســيرات المناظرة للنتائج التي توصلت إليها. حيث يصبــح التعامل مع مثل هذه الآراء المناظرة معياراً لتفسير النتائج. فكلما زاد عدد الآراء المناظرة التي تم تناولها ورفضها، كانت نتائجك أقوى. ومرة أخرى، يناقش (الفصل الخامس) هذه الإســتراتيجية وكيف تعمل. وفي مرحلة تصميم البحث، يتمثل التحدي في توقع وتعداد الآراء المناظرة المهمة، لذا ستشــمل بيانــات عنهــا كجزء من جمع البيانــات الخاصة بك. وإذا كنت تفكر فقط في التفســيرات المناظرة بعد اكتمال جمع البيانات، فســتبدأ في تبرير وتصميم دراســة مستقبلية، لكنك لن تســاعد في إكمال دراســة الحالة الحالية الخاصة بك. ولهذا السبب، فإن تحديد التفسيرات المناظرة المهمة هو جزء من عمل تصميم بحوث دراسة الحالة.

ملخص: ينبغي أن يتضمن التصميم البحثي خمسة عناصر. إن العناصر الثلاثة الأولى ــ أي تحديد أســئلة الدراســة والافتراضات النظرية ووحدة التحليل ــ ستقود تصميم البحث الخاص بك إلى تحديد البيانات التي يجب جمعها. والعنصران الأخيران ــ أي تحديد المنطق الــذي يربط البيانات بالافتراضات ومعايير تفســير النتائج ــ ســيقودان التصميم إلى توقع تحليل الدراسة، واقتراح ما يجب عمله بعد الانتهاء من عملية جمع البيانات.

دور النظرية أو الافتراضات النظرية في تصاميم البحوث:

إن تغطية العناصر الخمسة السابقة لتصاميم البحوث ستجبرك فعلياً على البدء في بناء بعض النظريات الأولية، أو الافتراضات النظرية المتعلقة بموضوع الدراسـة. هذا الدور لتطور النظرية قبـل إجراء أي جمـع للبيانات، هو أحد نقاط الاختلاف بين بحوث دراسـة الحالة والأسـاليب الكيفيـة ذات الصلة، مثل علم الحضارات (Lincoln & Guba, 1985؛ Van Maanen, 1988) والنظريـة المجـذرة "Grounded theory" (Corbin & Strauss, 2007). وعادةً، قد تتجنب هذه الأساليب عمداً تحديد أي افتراضات نظرية في بداية تساؤلات البحث (ولا يجب أن تتعامل هذه الأسـاليب مع التحدي المتمثل في تعريف «الحالة»). ونتيجة لذلك، فإن الطلاب الذين قد يعتبرون هذه الأسـاليب قابلة للتبادل مع بحوث دراسـات الحالة، يعتقدون خطأً أنه من خلال اختيار أسلوب دراسة الحالة، يمكنهم إنجاز عملهم الميداني بسرعة (على سبيل المثال، عن طريق الاندفـاع لتأسـيس اتصالاتهم الميدانيـة في أسرع وقت ممكن). ولا يمكـن أن يكون أي افتراض مسبق أكثر تضليلاً. ومن بين الاعتبارات الأخرى، تعتمد الاتصالات الميدانية ذات الصلة على فهم ـ أو نظرية ـ لما يجري دراسته.

بناء النظرية:

بالنسـبة لدراسات الحالة، فإن بناء النظرية كجزء من مرحلة التصميم هو أمر مرغوب فيه بشـدة، ويمكن أن تكون النظرية المطلوبة سهلة وبسيطة. على سبيل المثال، فإن دراسة الحالة عن تطبيق نظام معلومات إدارية جديد (MIS) يبدأ العبارة النظرية المباشرة أدناه:

> "ستظهر دراسة الحالة سبب نجاح التطبيق فقط عندما تمكنت المنظمة من إعادة هيكلة نفسها، وليس فقط من خلال تطبيق نظام المعلومات الإدارية الجديد على الهيكل التنظيمي السابق" (Markus, 1983).

وتقـدم العبارة أعلاه اختصـار نظرية تطبيق نظام المعلومـات الإدارية، وهو أن إعادة الهيكلـة الإدارية ضروري لجعل تطبيق نظام المعلومات الإدارية (MIS) فاعلاً. وقد أضافت نفس دراسة الحالة الخاصة بنظام المعلومات الإدارية العبارة النظرية التالية:

> "إن دراسـة الحالة سـتوضح أن عملية الإحلال البسـيط للأشخاص الرئيسـيين في المنظمة غير كافية للتطبيق الناجح للنظام الجديد" (Markus, 1983).

وتعرض العبارة الثانية باختصار النظرية المناظرة، أي إن تطبيق نظم المعلومات الإدارية يفشل بسبب مقاومة التغيير من جانب الأفراد، وإن استبدال هؤلاء الأشخاص هو المتطلب الرئيسي لإنجاح التطبيق.

ويمكن أن ترى أنه مع أن العبارتين الأولية أعلاه موضحة بالتفصيل، فإن الأفكار المحددة يمكن أن تغطي الأسـئلة، والافتراضـات، ووحدات التحليل، والربـط المنطقي للبيانات مع الافتراضات، ومعيار تفسـير النتائج، وهذه هي العناصر الخمسة لتصميم البحث المطلوب. وبهذا المعنى، فإن التصميم البحثي المكتمل يجسد النظرية لما يجري دراسته.

لا ينبغي النظر إلى هذه النظرية بأي شـكل من الأشـكال من خلال النظرية الكبرى في العلوم الاجتماعية، ولا يُطلب منك أن تكون مُنظّراً بارعاً. بدلاً من ذلك، فإن الهدف البسيط هـو أن يكون لديك مخطط كافٍ لدراسـتك، وهذا يتطلب افتراضـات نظرية، وكملاحظة مفيدة بواسطة (Sutton & Staw, 1995,p.378) يمكن اعتبارها أنها " -قصة افتراضية- عن سـبب حدوث الأفعال والأحداث والبنـاء والأفكار". ويمكن أن تمثـل الافتراضات النظرية القضايـا الرئيسـية من الأدبيات البحثية أو المسـائل العملية، مثل اختلاف أنماط أسـاليب القيادة التربوية أو ترتيبات الشراكة في دراسة المنظمات. وستُمكّن هذه الافتراضات التصميم البحثـي الكامل من تقديم إرشـادات قوية بشـكل مثير في تحديد البيانـات المراد جمعها وإسـتراتيجيات تحليـل البيانات. لهذا السـبب، من الأفضل تطوير بعـض النظريات قبل جمع أي بيانات لدراسـة الحالة. ويشـير (Paul Rosenbaum) إلى أنه بالنسبة للدراسات غير التجريبية بشـكل عام، يجب أن توضح العبـارات النظرية المفضلة نمطاً معقداً للنتائج المتوقعة. فكلما كان الأمر أكثر تعقيداً، كان ذلك أفضل (Rosenbaum,.5-6, & 277-279 2002, pp). والميزة في ذلك هي تصميم أقوى، وقدرة عالية على تفسير بياناتك النهائية.

ومع ذلك، فإن تطوير النظرية يسـتغرق وقتـاً وقد يكون صعباً (Eisenhardt, 1989). بالنسـبة لبعض الموضوعات، وقد توفر الأعمال العلمية الحالية إطـاراً نظرياً غنياً لتصميم دراسة حالة محددة. فإذا كنت مهتماً بالتنمية الاقتصادية الدولية – على سبيل المثال – فإن «الاقتصاد العالمي المتغير» الذي استشـهد به سـابقاً Peter Drucker (1986)، هو مصدر استثنائي للنظريات والفرضيات. حيث يدعي (Drucker) أن الاقتصاد العالمي قد تغير بشكل

كبير من الماضي، ويشير إلى «الانفصال» بين اقتصاد المنتجات الأولية (المواد الخام) والاقتصاد الصناعي، والفصــل المماثل بين تكاليف العِمالة المنخفضة والإنتــاج الصناعي، والفصل بين الأســواق المالية والاقتصاد الحقيقي للسلع والخدمات. وقد يتطلب اختبار هذه الافتراضات دراســات مختلفة، بعضها يركز على فصــل الارتباطات المختلفة، والبعــض الآخر يركز على مجالات صناعية محددة، وبعضها الآخر يفسر الصعوبات الاقتصادية في بلدان معينة. ومن المرجح أن تتطلب كل دراســة مختلفة وحدة تحليــل مختلفة. ويوفر الإطار النظري الذي أشــار له (Drucker) إلى إرشــادات لتصميم هذه الدراســات، وأيضاً لجمع البيانات ذات الصلة.

وفي مواقف أخرى، قد تكون النظرية المناســبة نظريــة وصفية (انظر مربع ٢-أ في الفصل الأول لمثال آخر). كما ينبغي أن يركز اهتمامك على قضايا مثل: (أ) الغرض من الجهد الوصفي، (ب) اهتــمام كامل ولكن واقعي لمجموعة من الموضوعات التي يمكن اعتبارها وصفاً «كاملاً» لما ســيتم دراســته، و (ج) الموضوع أو(الموضوعات) المحتملة التي ستكون جوهر الوصف. إن الإجابات الجيدة على هذه الأســئلة، بما في ذلك الأســس المنطقية الكامنة وراء هذه الإجابات، ستســاعدك على قطع شــوط طويل نحو تطوير القاعــدة النظرية اللازمــة، وتصميم البحث لدراستك.

أما بالنسبة للموضوعات الأخرى، قد تكون قاعدة المعارف الموجودة ضعيفة، ولن توفر الأدبيــات المتاحة أي إطار مفاهيمــي أو فرضيات ملحوظة. إن مثل هذه القاعدة المعرفية لا تصلــح لتطوير العبارات النظرية الجيدة، وأي دراســة تجريبيــة جديدة من المحتمل أن تحمل خصائص دراســة "استكشافية". ومع ذلك، وكما لوحظ سابقاً مع الحالة التوضيحية في (مربع ٥)، ينبغي أن تسبق دراسة حالة استكشافية توضيحات حول ما سيتم استكشافه، والغرض من الاستكشاف، والمعايير التي من خلالها سيتم الحكم على الاستكشاف بنجاح.

وبشــكلٍ عام، فأنت قد ترغب في اكتســاب فهم أكثر إثراءً لكيفية استخدام النظرية في دراســات الحالة، وذلك عبر مراجعة دراســات حالة محددة تم إكمالها بنجاح. على ســبيل المثــال، يبــين "Yin" في كتابه (Yin, 2012, chap.3) كيف أُســتخدمت النظرية في المواقف الاستكشافية والوصفية ,والتفسيرية، وذلك من خلال مناقشة خمس دراسات حالة حقيقية.

الموضوعات التوضيحية للنظريات:

وللتغلـب على المعوقات التي تحُول دون بناء النظرية بصورة عامة، يجب عليك محاولة الإعـداد والتحضير لدراسـة الحالة الخاصـة بك، بالقيام مثـلاً بمراجعة الأدبيـات المتعلقة بالموضـوع الذي ترغب في دراسـته (على سـبيل المثـال، انظـر: H. M. Cooper, 1984). ومناقشـة موضوعك وأفكارك مع زملائك أو أسـاتذتك، وتوجيه أسـئلة صعبة لنفسـك عن الموضوع الذي تقوم بدراسته ولماذا تريد القيام بهذه الدراسة، وما الذي ترغب في تعلمه من نتائج هذه الدراسة.

ونلفت انتباهك كذلك، بأنه يجب أن تكون على معرفة بالمجموعة الكاملة من النظريات التي يمكن أن تكون ذات صلة بدراسـتك. على سبيل المثال، إن مثال نظام المعلومات الإدراية السابق قد وضح نظرية تطبيق النظام التقني، وأن ذلك يشكل نوعاً واحداً فقط من النظرية التي يمكن أن تكون موضوع الدراسة. أما الأنواع الأخرى من النظريات، فهي تشمل:

- النظريـات الفرديـة، على سـبيل المثـال: نظريات تنميـة الأفراد، السـلوك المعرفي، الشخصية، التعلم والإعاقة، الإدراك الفردي، والتفاعلات الشخصية.
- نظريات الجماعة، على سبيل المثال: نظريات وظائف الأسرة، الجماعات غير الرسمية، فرق العمل، العلاقات بين المشرفين والموظفين، والشبكات الشخصية.
- النظريـات التنظيمية، على سـبيل المثال: نظريات البيروقراطيـة والهيكل التنظيمي والوظائف، والتميز في الأداء التنظيمي، والشراكات بين المنظمات.
- النظريات المجتمعية، على سبيل المثال: نظريات التنمية الحضرية، النزاعات الدولية، المؤسسات الثقافية، التطور التقني، ووظائف السوق.

وهناك أمثلة أخرى تتقاطع مع هذه الأنواع التوضيحية. نظرية اتخاذ القرار – على سبيل المثال –(Carroll & Johnson, 1992) يمكن أن تشمل الأفراد أو المنظمات أو المجموعات الاجتماعية. وكمثال آخر، يتمثل أحد الموضوعات الشائعة في بحوث دراسة الحالة في تقييم برامـج الدعم الحكومي في الولايـات المتحدة الأمريكية، مثل البرامـج الفيدرالية أو برامج عـلى مسـتوى الولايات أو البرامج المحلية. وفي هذه الحالة، فـإن تطوير نظرية حول كيف

يفــترض أن يعمل البرنامج أمر ضروري لتصميم التقييم. في هذه الحالة، يذكّرنا (Bickman 1987) أن النظريــة تحتاج إلى التمييز بين جوهر البرنامج (على ســبيل المثال، كيف نجعل من التعليم أكثر فعالية)، وعملية تنفيذ البرنامج (على ســبيل المثال، كيفية تأســيس برنامج فعــال). هذا التمييــز يتجنب المواقف التي قــد يرغب فيها صانعو السياســات في معرفة الإصلاحات الأساســية المرغوبة (على ســبيل المثال، النتائج حول منهج دراسي فعال حديثاً)، ولكن عندما يركز التقييم لســوء الحظ على القضايا الإدارية (على ســبيل المثال، الحاجة إلى تعيــين مدير مشروع جيــد)، فيمكن تجنب عدم التطابق هذا مــن خلال الاهتمام الدقيق للنظرية الموضوعية.

استخدام النظرية للتعميم من دراسات الحالة:

إلى جانب مســاهمتها في جعل تصميم دراســة الحالة من الأمور الممكنة والسهلة، فإن توفر بعض النظريات أو الافتراضات النظرية، ستلعب دوراً اساسياً لاحقاً في تعميم الدروس المســتفادة من دراســة الحالة الخاصة بك. ويوصف دور النظرية عبر هذا الكتاب على أنه تعميــم تحليلي، وهــو يتناقض مع طريقة أخــرى لتعميم النتائج في الدراســات التجريبية تُعرف بالتعميم الإحصائي. إن المقدرة على التمييز بين هذين النوعين من التعميم قد يكون الإنجاز الأبرز لك في إجراء بحوث دراسة الحالة.

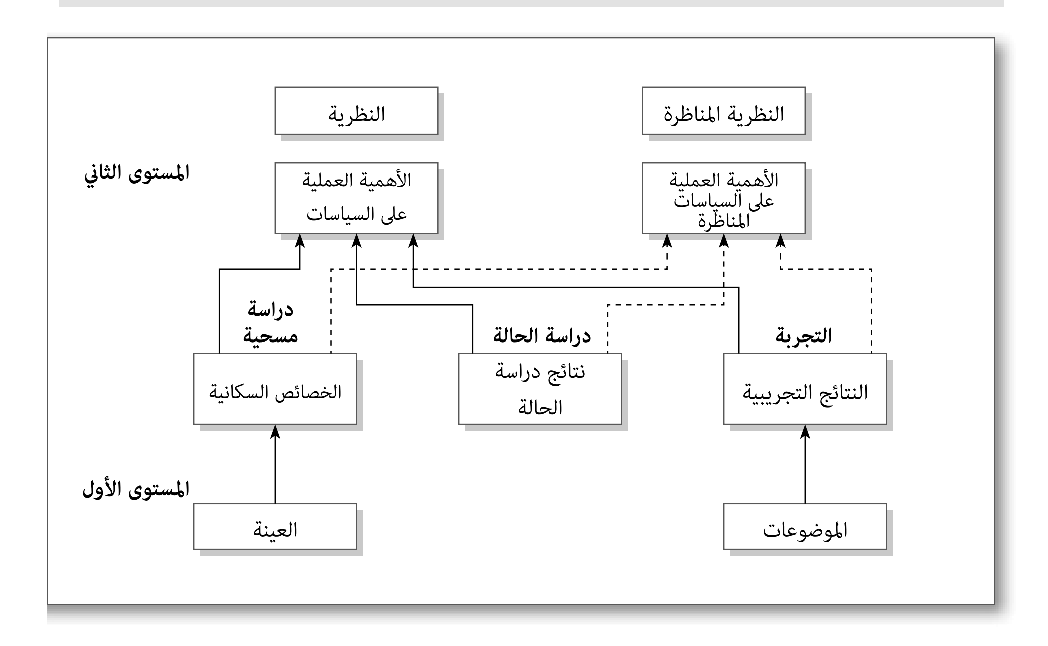
دعنا أولاً نأخذ الطريقة الأكثر شــيوعاً للتعميم وهي ــ التعميم الإحصائي ــ على الرغم من أنه الأقل أهمية للقيام ببحوث دراســة الحالة. في التعميم الإحصائي، يتم عمل استنتاج حول مجتمع (أو كيان) على أســاس البيانــات التجريبية التي تم جمعها من عينة من ذلك الكيان. ويظهر هذا بشــكل بياني كاستنتاج من المســتوى الأول في الشكل (٢-٢)[١]. ويُطبّق هذا الأســلوب في التعميم عادةً عند إجراء المســوحات (على سبيل المثال: Fowler, 1987, 1988; Lavrakas) أو تحليل البيانات الأرشيفية مثل دراسة الإسكان أو اتجاهات التوظيف. وكمثال آخر، تحتاج استطلاعات الرأي العام السياسية إلى تعميم النتائج التي توصلوا إليها، بخلاف عينة المســتجيبين وتطبيقها على العدد الأكبر من السكان، ويتابع الباحثون بسهولة الإجراءات الكمية لتحديد الثقة التي يمكن بها إجراء مثل هذه الاستقراءات.

وهنـاك خطأ فادح في عمل دراسـات الحالة، ألا وهو اعتبـار التعميم الإحصائي طريقة لتعميم النتائج من دراسـة الحالة، وذلك بسبب أن الحالة أو الحالات الدراسية التي تعمل عليها ليسـت «وحدات معاينـة»، وهي صغيرة جداً في عددها لتكـون عينة كافية الحجم لتمثيل عدد أكبر من السكان.

بدلاً من التفكير في الحالة التي تدرسـها كعينة، يجب أن تفكر فيها على أنها فرصة لإلقاء الضـوء ميدانياً على بعض المفاهيم أو المبادئ النظريـة، وليس بخلاف دافع الباحث مختبرياً في تصـور ثم إجراء تجربة جديدة[٢]. بهذا المعنى، قد يكون لكل من دراسـة الحالة والتجربة اهتـمام في تجـاوز الحالة أو التجربة المحددة. ومن المرجح أن يسـعى كلا النوعين من هذه الدراسـات إلى تعميم النتائج أو الدروس المستفادة، أي (التعميمات التحليلية)، التي تتجاوز الإعداد لحالة معينة أو تجربة محددة تم دراسـتها (راجع الدرس التعليمي ٢-١). على سبيل المثـال، يمكن للدروس المسـتخلصة أن تأخذ شـكل فرضية عمـل (Cronbach, 1975)، إما لتطبيقها في إعادة تفسير نتائج الدراسات الحالية لمواقف واقعية أخرى (أي حالات أو تجارب أخـرى)، أو لتحديـد بحث جديد يركز على مواقـف واقعية إضافية (أي حـالات أو تجارب جديدة). لاحـظ أن هدف التعميم التحليلي لا يزال هو التعميم على هذه المواقف الواقعية الأخرى، وليس فقط للمساهمة في بناء النظرية المجردة. لاحظ أيضاً أن التعميمات أو المبادئ أو الدروس المسـتفادة من دراسـة الحالة، من المحتمل أنها قد تنطبق على مجموعة متنوعة مـن المواقف، إلى أبعد من أي تعريف صارم للسـكان الافتراضيين «الحالات المشـابهة» التي تمثلها الحالة الأصلية.

إن النظرية أو الافتراضات النظرية التي اسـتخدمت في التصميم الأوّلي لدراسـة الحالة الخاصة بك وتم تحسـينها تجريبياً بالنتائج، ستشـكل الأساس للتعميم التحليلي، وبدلاً من ذلـك، قد ينشـأ أيضاً تعميم جديد من نتائج دراسـة الحالة وحدهـا. وبعبارة أخرى، فإن التعميم التحليلي قد يسـتند إلى (أ) التأييد، التعديل،الرفض، أو خلافاً لذلك: مفاهيم نظرية متقدمة رجعت إليها في تصميم دارسـة الحالة الخاصة بك، أو (ب) مفاهيم جديدة تنشـأ عنـد اكتمال دراسـة الحالة الخاصة بك. والنقطة المهمة، هـي أنه بغض النظر عما إذا كان التعميم التحليلي قد نشـأ من الظروف التي حددتها في البداية، أو تلك التي كشـفت عنها في نهاية الدراسـة الخاصة بك، فإن التعميم سـيكون على مستوى مفاهيمي أعلى من ذلك الذي يخص حالة محددة، (أو تجربة) تم توضيحها بيانياً كاسـتنتاج من المسـتوى الثاني في الشكل (٢-٢).

شكل (٢-٢) إجراء الاستنتاجات ـــ مستويان



وتوضح العديد من دراســات الحالة البارزة، كيف يمكن للتعميمات التحليلية استخدام نتائــج دراســة الحالة لتضمين مواقف جديــدة. أولاً، الأخذ في الاعتبــار كيف تعاملت فيها دراســات الحالة الثــلاث الأوَّلية في هذا الكتــاب لمعالجة وظيفة التعميم (المشــار إليها في المربعات رقم ١ و ٢أ و ٢ب من الفصل الأول) وهي على النحو التالي:

- مربــع رقم (١) الحالة التي تحدث عنهــا (Allison ,1971) والتي تتعلق بأزمة الصواريخ الكوبية، وهو يربط النماذج النظرية الثلاثة من دراســته الفردية إلى مواقف أخرى كثيرة، أولاً إلى المواجهــات الدولية الأخــرى، مثل الولايات المتحدة الأمريكية وشــمال فيتنام في فترة الســتينيات 1960s، (p.258). وفي الطبعة الأخيرة من دراســة الحالة، يناقش أهمية النماذج لـ "إعادة النظــر في التهديدات النووية للأمريكيين اليوم" ، بالإضافة إلى التحدي الأوســع المتمثل في اســتنتاج الدوافع الكامنة وراء الإجراءات التــي تتخذها قوة أجنبية (Allison & Zelikow, 1999, p. 397).

- **مربع رقم** (٢-أ) تعتبر دراسة (Whyte, 1993 /1943) معروفة جيداً للكشف عن العلاقة بين الأداء الفردي وهيكل المجموعة، والتي أبرزتها مسابقة البولينج، حيث عايش مباشرة التأثير على أدائه الخاص ("كما لو كان شيء أكبر من نفسي كان السيطرة على الكرة"-p.319)، ولاحظ كيف يحصل أعضاء مجموعة البولينج على النقاط، باستثناء عضو واحد منهم تمت ملاحظته، ثم حاول تقليد طريقة وقوفهم في المجموعة. ويعمم (Whyte) النتائج التي توصل إليها، من خلال التعليق في وقت لاحق بقوله "اعتقدت بعد ذلك (ولا تزال أعتقد الآن)، أن هذا النوع من العلاقة يمكن ملاحظته في أنشطة جماعية أخرى في كل مكان" (p.319).
- **مربع رقم** (٢-ب) يوضح كل من (Neustadt & Fineberg, 1983) تبايناً آخر يتضمن عدم التعميم، ولكن اختتم بمناقشة مستفيضة للاستفادة من دراسة الحالة التي عملوا عليها حول أزمة إنفلونزا الخنازير في تدريس مقررات السياسة العامة (250- p.231).

ثانيـاً، يحتوي (مربع ٧) على أربعة حالات إضافية. وجميعها توضح كيف يمكن تعميم نتائج دراسة الحالة الفردية على مجموعة واسعة من المواقف الأخرى. والأربع دراسات الحالة هذه، لها سمة واحدة أخرى يمكن ملاحظتها ؛ حيث توضح كيف يمكن نشر دراسة حالة كاملة كمقالة في مجلة علمية (ظهرت الأمثلة الثلاثة الأولى في شكل كتب مطوّلة إلى حد ما).

ويمكن استخدام التعميم التحليلي، إذا كانت دراسة الحالة الخاصة بك تنطوي على حالة واحدة أو عدة حالات، والتي يجب أن يشار إليها لاحقاً كدراسة حالة فردية أو دراسات حالة متعددة. كما سيأتي هذا النقاش لاحقاً في هذا الفصل في إطار موضوع الصدق الخارجي، ويضيف المزيد من الوضوح حول عمل التعميمات التحليلية. والنقطة الرئيسية في هذا الجانب، هي أنه يجب عليك أن تسعى إلى التعميمات التحليلية في إجراء دراسات الحالة، ويجب تجنب التفكير في مثل هذه المصطلحات المحيرة أو المتداخلة مثل "عينة من الحالات" أو "حجم عينة صغيرة من الحالات"، كما لو كان كانت الدراسة الفردية أو المتعددة الحالات تعادل المستجيبين في دراسة مسحية. وبعبارة أخرى، مرة أخرى كما هو مبين بيانياً في الشكل (٢-٢)، يجب أن تهدف لاستنتاجات المستوى الثاني عند إجراء دراسات الحالة.

بطريقة مماثلة، كما أن الإشـارة إلى الحالة أو الحالات التي تدرسـها كـ «عينة عمدية»، قد يثير مشـاكل مفاهيميـة ومصطلحات مماثلـة. ربما كنت تنوي أن تشـير إلى أن الجزء «العمـدي» من مصطلح (عينة عمدية)، يعكس اختيارك للحالة التي سـتوضح الافتراضات النظرية لدراسة الحالة الخاصة بك. ومع ذلك، فإن استخدامك لجزء «العينة» من المصطلح، لا يـزال يخاطر بتضليل الآخريـن إلى الاعتقاد بأن الحالة تأتي من بعـض (كيان أو مجتمع سكاني) أكبر من الحالات المشابهة، مما يؤدي إلى إعادة إثارة التخوف من التعميم الإحصائي بشـكل غير مرغوب فيه. وقد يكون الموقف الأكثر رغبة هو تجنب الإشـارة إلى أي نوع من العينات (سـواء العينات العمدية أو غيرها). وستتم مناقشة المعايير والمصطلحات المفضلة لاختيار الحالات، كجزء من دراسـة الحالة الفردية أو دراسـة الحالة المتعددة، لاحقاً في هذا الفصل تحت عنوان: «تصاميم دراسة الحالة». وبهذا المعنى، فإن بحوث دراسة الحالة توازي مباشرة البحث التجريبي: حيث أن القليل من الأشـخاص يعتقد أن تجربة جديدة يجب أن تصمم كعينة (من أي نوع) من مجموعة أكبر من التجارب المماثلة ــ والبعض سـيعتبر أن الطريقة الرئيسـية لتعميم النتائج من تجربة واحدة سـيكون في إشـارة إلى مجموعة من التجارب المماثلة.

مربع (٧)

تعميم من دراسات الحالة الفردية

أربعة أمثلة أخرى

٧-أ : علم الاجتماع " الخطأ "

الخسارة المأساوية لمكوك الفضاء تشالنجر Challenger في عام ١٩٨٦، التي تظهر بشكل واضح في إعـادة التلفزيـون المتكررة من ثواني سـفينة الفضاء الأخيرة، بالتأكيد تؤهـل كحالة فريدة من نوعها. وأصبحت أسـباب هذه الخسـارة موضوع لجنة رئاسية، ودراسة حالة أعدتها (Vaughan, Diane,1966). وتبـين دراسـة الحالة هذه المفصلة كيف أن الهيـكل الاجتماعي للمنظمة (وكالة الفضاء الأمريكية ناسا - NASA)، مع مرور الوقت، تحول فيها الانحراف إلى سلوك مقبول وروتيني.

يختلف تفسـير" Diane" النهائي بشـكل ملحوظ عن تفسير اللجنة الرئاسية، والتي أشارت إلى أخطاء فردية من قِبل المديرين في المستويات الإدارية الوسطى باعتبارها الأسباب الرئيسية للفشل. وعلى حد تعبيرها ، فإن دراسـتها "توضح علم اجتماع الخطأ" (p.xiv) ـ أن "الأخطاء هي منظمة بطريقة اجتماعية وتنظيمية، التي بُنيت في طبيعة المهن والمنظمات والثقافات، والهياكل التنظيمية " (p.415)، وأظهرت كيف يتحول الانحراف إلى سـلوك مقبول، من خلال إضفاء الطابع المؤسـسي على ضغوط الإنتاج (التي تنشـأ في البيئة التنظيمية)، مـما يؤدي إلى "آثار دقيقة وغير معترف بها ومنتـشرة على صنع القرار" (p.xiv). ويطبق نقاشـها النهائي هـذا التعميم على مجموعة متنوعة من المواقف الأخرى. على سـبيل المثال، اقتبست من الدراسـات التي تبين تشوهات البحوث التي أنشـأتها النظرة العالمية للعلماء، وعدم ربط العلاقات الحميمة، وحتمية وقوع الحوادث في بعض الأنظمة التقنية.

٧-ب : أصول الطبقة الاجتماعية

المثال الثاني، حول كشـف ووضع العلامات على هيكل الطبقة الاجتماعية، على أسـاس دراسة حالـة لمدينـة أمريكيـة صغيرة تسـمى " يانـكي- Yankee" ، والتي أعدهـا (Warner & Lunt, 1941). وقد قدمت هذه الحالة الكلاسيكية في علم الاجتماع مساهمة حاسمة في نظرية الطبقات الاجتماعيـة، وفهم الاختلافات الاجتماعية بين الطبقات الاجتماعية "الطبقة العليا"، "الطبقة العليا المتوسـطة"، "الطبقة المتوسـطة "، "الطبقة العليا الاقل"، " و "والطبقة الأقل". وعلى مر السـنين، طُبقـت الأفكار من هذه الاختلافات إلى مجموعة واسـعة من المواقـف (ولم تقتصر بأي حال على المدن الصغيرة الأخرى).

٧-ج : المساهمة في التخطيط الحضري

المثــال الثالث، هو الكتاب الشــهير لمؤلفتــه (Jane Jacobs, 1961) بعنوان «الموت والحياة في المدن الأمريكية الكبرى ـ The Death and Life of Great American Cities ». يستند الكتاب في الغالــب على الخبرات من حالة واحدة (مدينة نيويــورك). ثم توضح فصول الكتاب كيف يمكن استخدام هذه التجارب من مدينة نيويورك لتطوير مبادئ نظرية أوسع في التخطيط الحضري، مثل تصميم الأرصفــة ودور حدائق الأحياء، والحاجة إلى الاســتخدامات المختلطة الأولية، والحاجة إلى الأحياء الصغيرة، وعمليات تطوير الأحياء الفقيرة.

وقد أثــار الكتاب جدلاً ســاخناً في مهنة التخطيــط الحضري، وأجريت تســاؤلات وتحقيقات تجريبية جديدة حول واحدة أو أخرى من أفكارها الغنية والمثيرة. وســاعدت هذه التساؤلات على اختبار إمكانية تطبيق مبادئها على نطاق أوسع في ظــروف واقعية أخرى. وبهذه الطريقة لا يزال الكتاب ذا إسهامٍ كبيرٍ في مجال التخطيط الحضري.

٧ -د: الإدارة الحكومية للهوية الوطنية " السيئة"

أما المثال الرابع، فيتناول بشكل إبداعي النظرية الاجتماعية المعروفة لــ " Erving Goffman " ، التي تتعلق بإدارة وصمة العار من الأفراد إلى المستوى المؤسسي (Rivera, 2008)، حيث أظهرت دراســة حالة ميدانية في كرواتيا، كيف أن الوصمة الناجمة عن حروب الانفصال اليوغوســلافي، قد هدمــت صورة البلد كوجهة ســياحية مرغوب فيها، ولكن بعد ذلك كيف نجح البلد في اســتخدام إســتراتيجية، لإدارة الصورة الذهنية (الانطباع) لإحياء السياحة. وهكذا قدمت كرواتيا "حالة مثيرة من إدارة الســمعة في الواقع العملي". وتشير كاتبة الحالة إلى أن نموذجها النظري المطور، يمكن أن يســتخدم كنقطة انطلاق لفهم مشــكلات الحضور أو التمثيل العام التــي تواجهها الدول الأخرى، والجهات الفاعلة التنظيمية التي تعرضت لأحداث مدمرة للسمعة (p.615). وبذلك قدمت دراسة الحالة توضيحاً آخر للتعميم التحليلي.

ملخص:

اقترح هذا القسم أن تصميم البحث المتكامل متضمناً العناصر الخمسة المذكورة سابقاً، سوف يستفيد من تطوير الافتراضات النظرية. ويجب على الباحث المتميز في دراسة الحالة متابعة هذه الافتراضات والاستفادة من هذه الفائدة سواء كانت دراسة الحالة استكشافية

أو وصفية أو تفسيرية. إن استخدام النظرية والافتراضات النظرية في إجراء دراسات الحالة، هو مساعدة كبيرة في تحديد تصميم البحوث المناسبة والبيانات التي سيتم جمعها، وسيصبح أيضاً التوجه النظري نفسه هو الوسيلة الرئيسية لتعميم النتائج من دراسة الحالة.

معايير الحكم على جودة تصاميم البحوث:

نظـراً لأن تصميم البحث مـن المفترض أن يمثل مجموعة منطقية من العبارات، فإنه يمكنك أيضاً الحكـم عـلى نوعية أي تصميم بحثي معين وفقـاً لبعض الاختبارات المنطقية المؤكدة. وتشـمل المفاهيم التي تم تقديمها في هذه الاختبارات : الثقة، والمصداقية، والتأكيد، والاعتماد على البيانات (US GAO,1990).

وقد أُسـتخدمت أربعة اختبارات بصورة مشـتركة للتحقق من جودة أي بحث تجريبي اجتماعي. ولأن دراسـة الحالة هي جـزء من هذا العنوان الكبير، فـإن الاختبارات الأربعة كانت متناسبة مع بحوث دراسة الحالة. إن من الابتكارات المهمة لهذا الكتاب، هي تحديد عـدة حلول للتعامل مع هذه الاختبارات الأربعة عند إجراء بحث دراسـة الحالة. ويوضح الشـكل (٢-٣) الاختبارات الأربعة المستخدمة على نطاق واسع، وكذلك طرق دراسة الحالة الموصى بها، وأيضاً المعلومات المرجعية لمرحلة البحث التي يجب فيها استخدام كل طريقة. (تم وصف كل طريقة بالتفصيل في الفصل الخاص به في هذه الكتاب).

ولأن الاختبارات الأربعة شائعة في جميع أساليب البحوث في العلوم الاجتماعية، فقد تم تلخيص الاختبـارات في كثير من المراجـع العلمية (انظـر: Kidder & Gudd, 1986, pp. 26-29). وقد استخدمت هذه الاختبارات أيضاً كإطار لتقييم مجموعة كبيرة من دراسات الحالة في مجال الإدارة الإستراتيجية (Gibbert ، Ruigruk ، Wiki ، 2008). وتأتي الاختبارات الأربعة على النحو التالي:

- **الصدق البنائي :** تحديد المقاييس التشغيلية الصحيحة للمفاهيم قيد الدراسة.
- **الصدق الداخلي :** "للدراسـات التفسيرية أو السـببية فقط، وليس للدراسات الوصفية أو الاستكشـافية"، ويهدف إلى إقامة علاقة سـببية، حيث يعتقد أن ظروفاً معينة تؤدي إلى ظروف أخرى، كما تميز عن العلاقات الخاطئة.

- **الصدق الخارجي:** تحديد النطاق الذي يمكن من خلاله تعميم نتائج الدراسة.
- **الثبات:** يبرهن أن عمليات الدراسة ـ مثل إجراءات جمع البيانات ـ يمكن أن تتم إعادتها مع نفس النتائج.

إن كل بند في هذه القائمة يستحق اهتماماً واضحاً. وبالنسبة لبحوث دراسة الحالة، فإن الاكتشاف المهم هو أن الطرق العديدة التي تستخدم في التعامل مع هذه الاختبارات، يجب تطبيقها في جميع المراحل اللاحقة لدراسة الحالة وليس فقط عند البداية. ولذلك؛ فإن «عمل التصميم» للقيام بدراسة الحالة، قد يمتد فعلياً إلى ما يتجاوز خطط التصميم الأوَّلية.

شكل (٢-٣) طرق دراسة الحالة لاختبارات التصميم الأربعة

الاختبارات	طريقة دراسة الحالة	مرحلة البحث التي يطبق فيها الطريقة
الصدق البنائي Construct validity	• استخدام مصادر متعددة من الأدلة. • إنشاء سلسلة من الأدلة. • لديهم شخص رئيسي (مزود المعلومات) لمراجعة نسخة تقرير دراسة الحالة.	جمع البيانات (انظر الفصل ٤) جمع البيانات (انظر الفصل ٤) كتابة التقرير (انظر الفصل ٦)
الصدق الداخلي Internal validity	• اعمل مطابقة النمط. • اعمل بناء التفسير. • تناول تفسيرات مناظرة. • استخدم نماذج المنطق.	تحليل البيانات (انظر الفصل ٥) تحليل البيانات (انظر الفصل ٥) تحليل البيانات (انظر الفصل ٥) تحليل البيانات (انظر الفصل ٥)
الصدق الخارجي External validity	• استخدام نظرية في دراسات الحالة الفردية. • استخدام منطق النسخ المتماثل في دراسات الحالة المتعددة.	تصميم البحث (انظر الفصل ٢) تصميم البحث (انظر الفصل ٢)
الثبات Reliability	• استخدام بروتوكول دراسة الحالة. • تطوير قاعدة بيانات دراسة الحالة.	جمع البيانات (انظر الفصل ٣) جمع الأدلة (انظر الفصل ٤)

الصدق البنائي: Construct validity

هــذا الاختبار الأول، يُعد تحدياً بشــكل خاص في بحوث دراســة الحالــة. وغالباً ما يشــير الأشــخاص الذين انتقدوا دراســات الحالة، إلى حقيقة أن باحث دراســة الحالة فشــل في تطويــر مجموعة من المقاييس التشــغيلية بما فيه الكفايــة، وأن تلك الأحكام «الشــخصية» ــ التــي تميل إلى تأكيد المفاهيم المســبقة للباحــث (Flyvberg ,2006; Ruddin,2006) ـــ تســتخدم لجمع البيانات[٣]. ولنأخذ على ســبيل المثل دراســة مثل " التغيــير في الحي الســكني" والــذي أصبح موضوعاً شــائعاً في دراســة الحالة. (مثل: (Bradshaw,1999; Keating & Krumholz,1999 حيــث أظهــرت الدراســة عــلى مر الســنين مخاوف بشــأن مدى تغيــير الأحياء الحضرية لطابعهــا. وقد فحصت أعداد من دراســات الحالة أنــواع التغــيرات وعواقبها، من دون أي وصف مســبق للأحداث التشــغيلية الكبــيرة التي تشــكل "التغيير". ومع ذلك، لا يمكن للقــارئ أن يقول ما إذا كانــت التغييرات المُطالَب بها في دراســة الحالة، تعكس حقاً الأحداث في حي، أو ما إذا كانت تحدث على أســاس انطباعات الباحث فقط.

ويمكن أن يغطي تغير الحي الســكني مجموعة واســعة من الظواهر مثل التسرب العرقي وتدهور السكن والتخلي عنه، والتغييرات في نمط الخدمات الحضرية، والتحولات في المؤسسات الاقتصادية في الحي، أو تحول السكان من ذوي الدخل المنخفض إلى المتوسط في إعادة إنعاش الأحياء. ويمكن أن يؤدي اختيار تجميع الأحياء الصغيرة أو مناطق التعداد السكاني أو المناطق الأكبر إلى نتائج مختلفة (Hipp, 2007).

وللالتزام بمتطلبات اختبار الصدق البنائي، يجب على الباحث التأكد من أن يغطي خطوتين:

١. تحديد تغيير الحي من خلال مفاهيم محددة (وربطها إلى الأهداف الأصلية للدراسة).

٢. تحديد المقاييس التشــغيلية التي تتفق مع المفاهيم (يفضل الاستشــهاد بالدراســات المنشورة التي لديها نفس هذا التوافق).

على ســبيل المثــال، لنفترض أنك أكملت الخطــوة الأولى من خلال القــول أنك تخطط لدراســة التغيير في حي ســكني من خلال التركيز على اتجاهــات الجريمة في الحي. تتطلب

الخطوة الثانية الآن أن تختار قياساً محدداً، مثل الجريمة المبلغ عنها من الشرطة (ليكون مقياساً معيارياً مستخدماً في تقارير مكتب التحقيقات الاتحادي للجريمة الموحدة "FBI") كمقياس للجريمة. وستشير الأدبيات إلى بعض أوجه القصور المعروفة في هذا القياس، ولا سيما أن نسباً غير معروفة من الجرائم لا يبلّغ عنها للشرطة. سوف تحتاج بعد ذلك لمناقشة كيف أن أوجه القصور مع ذلك لن تحيّز دراستك لمعدلات الجريمة في الحي، وبالتالي إحداث التغيير في الحي.

وكما تبين سابقاً في الشكل (٢-٣)، فإن هناك ثلاث طرق لزيادة الصدق البنائي عند إجراء دراسات الحالة. الأولى هي استخدام مصادر متعددة من الأدلة بشكل يشجع تقارب خطوط تساؤلات البحث، وهذه الطريقة مناسبة في مرحلة جمع البيانات (انظر الفصل الرابع). والطريقة الثانية هي تأسيس سلسلة من الأدلة، وهذه مناسبة في مرحلة جمع البيانات (انظر أيضاً الفصل الرابع). أما الطريقة الثالثة هي عمل مسودة لتقرير دراسة الحالة بحيث يتم مراجعتها من قِبل مزودي المعلومات الرئيسيين (وهو إجراء سيتم شرحه لاحقاً في الفصل السادس).

الصدق الداخلي: Internal validity

أُعطي هذا الاختبار الثاني أكبر قدر من الاهتمام في البحوث التجريبية وشبه التجريبية (انظر: Campbell & Stanley, 1966; Cook & Campbell, 1979). وقد تم تحديد العديد من "التهديدات" للصدق الداخلي، والتي تتناول أساساً الآثار الزائفة. ولكن، لأن الكثير من المراجع العلمية تغطي بالفعل هذا الموضوع، فسنقوم هنا بمناقشة نقطتين فقط.

أولاً: يُعتبر الصدق الداخلي أساساً مصدر قلق لدراسات الحالة التفسيرية، عندما يحاول الباحث شرح كيف ولماذا الحدث (x) أدى إلى الحدث (y). حيث أنه إذا توصل الباحث بشكل غير صحيح إلى وجود علاقة سببية بين x و y ، دون أن يعرف أن بعض العوامل الثالثة -z- قد تسببت فعلياً في y، فقد فشل تصميم البحث في التعامل مع بعض التهديدات للصدق الداخلي. لاحظ أن هذا المنطق لا ينطبق على الدراسات الوصفية أو الاستكشافية (إذا كانت الدراسات هي دراسات حالة أو دراسات مسحية أو تجارب)، والتي لا تتعلق بهذا النوع من المواقف السببية.

ثانياً: إن القلق بشــأن الصدق الداخلي لبحوث دراســة الحالة، يمتد إلى مشكلة أوسع في بناء الاســتدلالات. في الأســاس تنطوي دراســة حالة على الاســتدلال في كل مرة لا يمكن فيها ملاحظــة الحدث مباشرة. وســوف يســتنتج الباحث أن حدثاً معيناً نتج عــن بعض الوقائع السابقة استنادا إلى المقابلات والأدلة التوثيقية التي تم جمعها كجزء من دراسة الحالة. هل الاســتدلال صحيح؟ هل تــم الأخذ في الاعتبار جميع الاحتمالات والتفســيرات المناظرة؟ هل الأدلــة متقاربة؟ هل يبدو أنه محكم؟ وقد بدأ تصميم البحوث التي توقعت هذه الأســئلة للتعامل مع المشكلة الشاملة لبناء الاستدلالات وبالتالي المشكلة المحددة للصدق الداخلي.

ومــع ذلك، تعتبر الطرق المحددة لتحقيق هــذه النتيجة صعبة لتحديد متى يتم إجراء بحوث دراســة الحالة. ويقترح الشــكل (٢-٣) ــ الذي ســبق عرضه ــ أربع طرق تحليلية، والتي تأتي جميعها موضحة في (الفصل الخامس) ؛ لأنها تتم أثناء المرحلة التحليلية من إجراء دراســات الحالة ، وهذه الطرق التحليلية هي: الأنماط المتشــابهة، وبناء التفسير، ومعالجة التفسيرات المناظرة، واستخدام نماذج المنطق.

الصدق الخارجي: External validity

ويتناول الاختبار الثالث مشكلة معرفة ما إذا كانت نتائج الدراسة قابلة للتعميم وتتجاوز الدراســة الحالية بغض النظر عن أســلوب البحث المســتخدم (مثل التجارب أو الدراســات المســحية أو دراســات الحالة). وبالنسبة لدراســات الحالة، تتصل المسألة مباشرة بالمناقشة الســابقة للتعميم التحليلي، والإشارة إلى المستوى الثاني في الشــكل (٢-٢). ولتكرار المناقشة السابقة، فإن الإشارة إلى التعميم الإحصائي وأي تشبيه للعينات والسكان ستكون مضللة.

وهناك رؤية أخرى حول هذه المسألة مستمدة من مراقبة شكل سؤال أو (أسئلة) البحث الأصلية التي تم طرحها في دراســة الحالة الخاصة بك. ويمكن أن يســاعد شكل السؤال أو (الأسئلة)، أو يعيق تفضيل محاولة إيجاد التعميمات، أي: السعي لتحقيق الصدق الخارجي.

نتذكــر أن قرار تفضيل بحوث دراســة الحالة، كان ينبغي أن يبدأ مع طرح بعض أســئلة «كيف» و «لماذا». على سبيل المثال، العديد من دراسات الحالة الوصفية تتعامل مع «كيف» لموقف ما ، في حين أن العديد من دراســات الحالة التفســيرية تتعامل مع «لماذا» في المواقف. ومع ذلك، إذا لم يكن لدراسة الحالة أي ضغط لأسئلة «كيف» أو «لماذا» ــ مثل دراسة ترغب

فقط لتوثيق الاتجاهات الاجتماعية في حي سـكني، أو مدينة، أو بلد، أو اتجاهات التوظيف في منظمة ما (ويطرح أساساً السؤال الذي يبدأ بـ «ما») ـ فإن التوصل إلى تعميم تحليلي قد يكون أكثر صعوبة. ولتجنب هذا الوضع، وزيادة تصميم الدراسة مع أسئلة «كيف» و «لماذا»، (وجمـع البيانات الإضافيـة) يمكن أن تكون مفيدة للغاية. بدلاً من ذلـك، إذا كان في الأمثلة التوضيحية يقتصر اهتمام الدراسة البحثي على توثيق الاتجاهات الاجتماعية باستخدام بعض الأسـاليب البحثية الأخرى التي قد تخدم أهداف الدراسة بشكل أفضل من استخدام أسلوب دراسة الحالة.

وبهذه الطريقة، يمكن أن يؤثر شكل سؤال أو (أسئلة) البحث الأوَّلية بشكل مباشر، على الإسـتراتيجيات المستخدمة في السعي من أجل الصدق الخارجي. لذا يجب أن تكون أسئلة البحث هذه قد تم اعتمادها خلال مرحلة تصميم البحث في دراسة الحالة الخاصة بك إن لم يكن في وقت مبكر. ولهذا السبب، فإن الشكل (٢-٣) كما هو موضح سابقاً يشير إلى مرحلة تصميم البحوث، مع تحديد النظرية المناسـبة أو الافتراضات النظرية، باعتباره أنسب وقت لوضع الأساس للبدء في معالجة الصدق الخارجي.

الثبات : Reliability

معظـم الباحثـين ربما على معرفة بالفعل بهذا الاختبار النهـائي. والهدف من ذلك، هو التأكد من أنه إذا اتبع باحث آخر في وقت لاحق نفس الإجراءات التي وصفها باحث سابق، وأعاد إجراء نفس دراسـة الحالة مرة أخرى، فينبغي في هذه الحالة أن يصل الباحث الآخر إلى نفس النتائج والاسـتنتاجات. (لاحظ أن التركيز يكون على إجراء نفس الحالة مرة أخرى، وليس على "تكرار" نتائج حالة واحدة من خلال دراسـة حالة أخرى). وبشكل عام، الهدف من اختبار الثبات هو تقليل الأخطاء والتحيزات في دراسة ما.

هناك شرط أسـاسي للسـماح لهذا الباحث الآخر بتكرار دراسة حالة سابقة، هو ضرورة توثيـق الإجـراءات المتبعة في الحالة السـابقة. وبدون هذا التوثيـق، لا يمكنك حتى تكرار العمـل الخاص بك (وهو طريقـة أخرى للتعامل مع الثبات). في المـاضي، كانت إجراءات بحـوث دراسـة الحالة موثقة بشـكل سيء، مما يجعل المحكمين الخارجيين يشـككون في موثوقية دراسة الحالة[٤]. وكما هو مبين سابقاً، يقترح الشكل (٢-٣) طريقتين محددة للتغلب

على هذه العيوب هي استخدام بروتوكول دراسة حالة للتعامل مع عملية التوثيق كما هو موضح بالتفصيل في (الفصل الثالث)، وبناء قاعدة بيانات لدراسة الحالة التي ستناقش في (الفصل الرابع).

الطريقة العامة للتعامل مع مشكلة الثبات، هي اتخاذ أكبر عدد ممكن من الخطوات التشغيلية، وإجراء البحث كما لو كان شخص ما يراقبك عن قرب. مثلاً، يدرك كل المحاسبين ومدققي الحسابات دائماً أن أي حسابات يجب أن تكون قابلة للتدقيق المحاسبي. وبهذا المعنى، يقوم المدقق أيضاً بإجراء فحص الثبات، ويجب أن يكون قادراً على تحقيق نفس النتائج إذا تم إتباع نفس الإجراءات المحاسبية. ولذلك؛ فإن المبدأ التوجيهي الجيد لإجراء دراسات الحالة، هو إجراء البحوث بحيث يستطيع المراجع (المراقب) من حيث المبدأ تكرار الإجراءات، ويأمل أن يصل إلى نفس النتائج.

ملخص:

هناك أربعة اختبارات يمكن أخذها في الاعتبار، والتي تعتبر ذات علاقة بالحكم على جودة تصميم البحث. بناءً عليه، تتوفر طرق متنوعة للتعامل مع هذه الاختبارات عند تصميم وإجراء دراسات الحالة، ولكن ليس كل هذه الطرق تحدث في نفس المرحلة عند إجراء دراسة الحالة، حيث تحدث بعض الطرق أثناء جمع البيانات، أو تحليلها ، أو المراحل المتعلقة بكتابة البحث، والتي سيتم وصفها بمزيد من التفصيل في الفصول اللاحقة من هذا الكتاب.

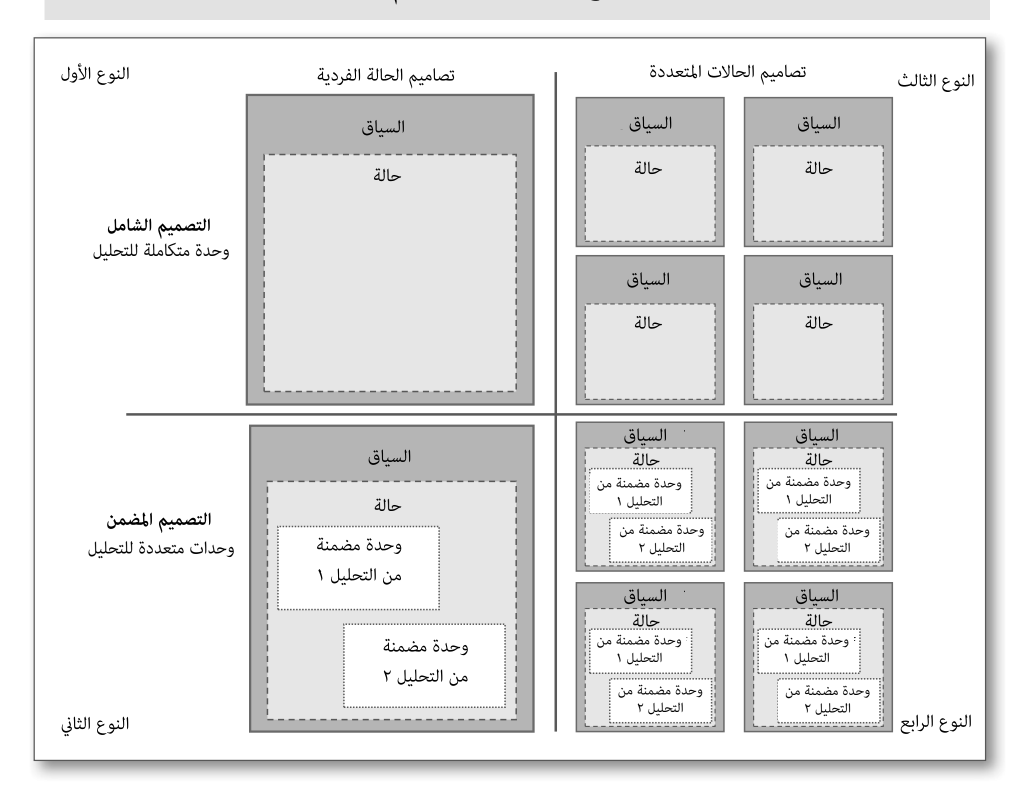
تمرين ٢-٣ : تحديد معايير الحكم على جودة التصاميم البحثية

حدد المعايير الأربعة للحكم على جودة التصاميم البحثية : (أ) الصدق البنائي، (ب) الصدق الداخلي، (ج) الصدق الخارجي، و (د) الثبات. أعطِ مثالاً لكل نوع من هذه المعايير في دراسة الحالة التي قد ترغب في القيام بها.

تصاميم بحوث دراسة الحالة:

لم تكن بحوث دراســة الحالة التقليدية تتضمن في العادة فكرة وجود تصميم رسمي، كما هــو الحال في البحوث المســحية أو التجريبية. ولا يزال بإمكانك إجراء درســة حالة جديدة بنجاح بدون أي تصميم رســمي. ولكن اللجوء إلى تصميم بحث دراسة الحالة المحتمل يمكنه أن يجعل إجراء دراســات الحالة الخاصة بك أقوى وأســهل. وعليه، فإنك ستجد ما تبقى من هذا القســم مفيداً لك في هذا الجانب؛ فهو يغطــي أربعة أنواع من التصاميم بالاعتماد على مصفوفة ٢ × ٢ في الشكل (٢-٤).

شكل (٢-٤) الأنواع الأساسية لتصاميم دراسات الحالة



المصدر: COSMOS Corporation

وتوضــح المصفوفة أولاً أن كل نوع من أنواع التصميم، يشــمل الرغبة في تحليل الظروف السـياقية فيما يتعلق بــ " الحالة"، حيث تعطي الخطوط المنقطة بين الاثنين إشــارات تمثل الحدود بين الحالة والسـياق والتي ليس من المرجح أن تكون حادة. وتوضح المصفوفة بعد ذلك أن دراسات الحالة الفردية والمتعددة تعكس ظروف تصميم مختلفة، وأنه في إطار هذين المتغيرين، يمكن أن تكون هناك وحدات أحادية أو متعددة للتحليل. والنماذج الأربعة الناتجة عن تصاميم دراســات الحالة هي: (النوع ١)، تصاميم الحالة الفردية (الشــاملة -holistic)، (النوع ٢) تصاميم الحالة الفردية (المضمنة -embedded)، (النوع ٣) تصاميم الحالة المتعددة (الشاملة -holistic)، و(النوع ٤) تصاميم الحالة المتعددة (المضمنة -embedded).

ويأتي الأساس المنطقي لهذه الأنواع الأربعة من التصاميم على النحو التالي:

ما هي التصاميم المحتملة للحالة الفردية (النوعان ١ و ٢)؟

خمســة أسـباب منطقية لتصاميم الحالة الفردية: التمييز الأساسي في تصميم دراسات الحالة، هو بين تصاميم دراســة الحالة الفردية ودراســة الحالة المتعددة، مما يعني ضرورة اتخاذ قرار قبل أي عملية جمع بيانات، حول ما إذا كنت ستستخدم حالة واحدة أو حالات متعددة في دراسة الحالة الخاصة بك.

وتعتبر دراســة الحالة الفردية تصميماً مناســباً في ظل ظروف متعــددة. فيما يلي أدناه خمســة أسباب منطقية للحالة الفردية، تتمثل في: عند وجود حالة حرجة أو غير عادية أو شــائعة أو كشفية أو طولية. تذكَّر أن دراسة الحالة الواحدة مشابهة لتجربة علمية واحدة، وأن العديــد مــن نفس الظروف أو المواقــف التي تبرر تجربة واحدة، يمكــن أن تبرر أيضاً دراسة حالة واحدة.

تذكَّر أيضاً أن اختيار (الحالة) التي تعمل عليها، يجب أن يكون مرتبطًا بنظريات البحث ذات الاهتمام أو الافتراضات النظرية. وهذه تشــكل الســياق الموضوعي لكل من المبررات الخمســة. وبالتالي، فإن الأســاس المنطقي (الأول) لدراسة الحالة الفردية هو ــ اختيار حالة حرجة ــ والذي سيكون حاسماً للنظريات أو الافتراضات النظرية (مرة أخرى، لاحظ التماثل مــع التجربة العلمية الحرجة). حيث يجب أن تكون النظرية قد حددت مجموعة واضحة

من الظروف التي يعتقد أن افتراضاتها صحيحة. عندئذ يمكن استخدام دراسة الحالة الفردية لتحديد ما إذا كانت الافتراضات صحيحة، أم أن بعضاً من مجموعة بديلة من التفسيرات قد تكون أكثر صلة. وبهذه الطريقة، مثل مقارنة غراهام أليسون (Graham Allison,1971) لثلاث نظريات وأزمة الصواريخ الكوبية (انظر مربع ١، الفصل الأول)، يمكن للحالة الواحدة أن تمثل إسهاماً كبيراً في بناء المعرفة والنظرية من خلال تأكيد النظرية أو الإضافة لها أو التعارض معها. إن مثل هذه الدراسة يمكن أن تساعد في إعادة تركيز البحوث المستقبلية في حقلٍ بأكمله (انظر مربع "٨" لمثال آخر، في مجال الابتكار التنظيمي).

مربع (٨)

الحالة الحرِجة كدراسة حالة فردية

أحد المبررات المنطقية لاختيار تصميم حالة فردية بدلاً من حالات متعددة، هو أن الحالة الفردية يمكن أن تمثل الاختبار النقدي لنظرية هامة. وقد استخدم مثل هذا التصميم بالتركيز على مدرسة واحدة من قبل كل (Gross, Bernstein, & Giacquinta,1971) في كتابهم بعنوان "تنفيذ الابتكارات التنظيمية - Implementing Organizational Innovations" (انظر أيضاً مربع ٢٠ب). حيث تم اختيار المدرسة لأن لها تاريخًا سابقاً في الابتكار ولا يمكن الادعاء بأنها تعاني من "معوقات الابتكار". وقد تم ذكر هذه المعوقات بشكل بارز في النظريات السائدة باعتبارها السبب الرئيسي وراء فشل الابتكارات. وقد أوضح (Gross et al.,1971) أنه في هذه المدرسة، فشل الابتكار أيضاً، لكن لا يمكن أن يُعزى الفشل إلى أي معوقات، ولكن يبدو أن عمليات التطبيق، وليس المعوقات هي المسؤولة عن فشل الابتكار.

وبهذه الطريقة، فإن الكتاب، على الرغم من أنه يقتصر على حالة واحدة، فإنه يمثل حداً فاصلاً في نظرية الابتكار التنظيمي. وقبل هذه الدراسة، ركز المحللون على تحديد المعوقات التي تمنع الابتكار. ومنذ تلك الدراسة، كانت الأدبيات أكثر سيطرة على دراسات عملية تطبيق الابتكار، ليس فقط في المدارس ولكن أيضاً في العديد من أنواع المنظمات الأخرى.

والمبرر المنطقي (الثاني) لدراسة الحالة الفردية، هو عندما تمثل الحالة الدرجة القصوى أو تعتبر حالة غير عادية، وتنحرف عن القواعد النظرية أو حتى الأحداث اليومية. على سبيل المثال، يمكن أن تحدث مثل هذه الحالات في علم النفس الإكلينيكي، حيث يمكن أن تؤدي الإصابة أو

الاضطراب المحدد إلى فرصة مميــزة جديرة بالتوثيق والتحليل. وفي البحوث السريرية، تدعو إســتراتيجية البحث المشتركة إلى دراسة هذه الحالات غير العادية؛ لأن النتائج قد تكشف عن رؤى حول الإجراءات العادية. وبهذه الطريقة، يمكن ربط قيمة دراسة الحالة بعدد كبير من الأشخاص، بما يتجاوز أولئك الذين يعانون من متلازمة سريرية أصلية.

وعلى العكس من ذلك، فإن المبرر (الثالث) لدراســة الحالة الفردية هو الحالة الشائعة. هنــا، يكون الهــدف هو التعامل مع ظــروف وأوضاع الموقف اليومي (مرة أخرى بســبب الــدروس التي قد توفرها حــول العمليات الاجتماعية، المتعلقة ببعــض الاهتمام النظري). وبهذه الطريقة، يمكن أن يصبح مشــهد الشارع والبائعون على الأرصفة هو المكان المناسب للتعلــم عن المنافع الاجتماعية المحتملة التي ظهرت نتيجة نشــاط مشــاريع غير رســمية (على ســبيل المثال: Duneier, 1999)، يمكن لدراسة نشاط تجاري صغير أن تقود إلى رؤى للابتــكارات والعمليات المبتكرة (على ســبيل المثال، انظــر: Yin, 2012, chap.9). كما أن الهيكل الاجتماعي والمؤســسي في حي ســكني لذوي الدخل المحــدود، يمكن أن يوفر نظرة ثاقبة للعلاقة بين الفقر ورأس المال الاجتماعي (على سبيل المثال: Small, 2004).

المبرر (الرابع) لدراســة الحالة الفردية، هو الحالة التي تؤدي إلى الكشف عن الحقيقة. يحــدث هذا الموقــف عندما يكون لدى الباحث فرصة لمراقبــة وتحليل ظاهرة لم يكن من الممكن الوصول إليها في الســابق لأغراض دراســات العلوم الاجتماعيــة، مثل حالة مجتمع ركن الشــوارع لمؤلفها (Whyte, 1993 /1943)، التي سبق وصفها في (الفصل الأول، مربع ٢-أ). وهناك مثال آخر من دراســة (Phillippe Bourgois,2003) حول الكوكايين وسوق تجارة المخدرات في حي هارلم الإســباني، وهو حي في مدينة نيويورك. حيث اكتسب الكاتب ثقــة وصداقة طويلة الأمد مع أربعة وعشرين من تجار المخدرات في الشــوارع وعائلاتهم، وكشــف عن نمط حياة كان قلة من الباحثين قادرين على دراسته حتى ذلك الوقت. ولمثال آخر، انظر دراســة الحالة الشــهيرة للعاطلين عن العمل بعنوان (Tally's Corner) لمؤلفها - Elliot Liebow,1967، (مربع ٩). عندما يكون لدى الباحثين أنواع مشــابهة من الفرص، ويمكنهم الكشــف عن بعض الظاهرة الســائدة التي لم يكن من الممكن لعلماء الاجتماع في السابق الوصول إليها، فإن مثل هذه الظروف تبرر استخدام دراسة حالة واحدة على أساس طبيعتها الكاشفة للحقيقة.

مربع (٩)

الحالة الكاشفة للظاهرة كدراسة حالة واحدة

من المبررات الأخرى لاختيار دراسة حالة واحدة، هو أن الباحث يمكنه الوصول إلى موقف كان يتعذر في السابق الوصول إليه في الدراسة التجريبية. وبالتالي، فإن دراسة الحالة تستحق إجراءها لأن المعلومات الوصفية وحدها ستكون واضحة. كان هذا هو الوضع في كتاب: "sociological classic, Tally's Corner" لمؤلفته (Elliot Liebow,1967) ، حيث يدور الكتاب حول مجموعة واحدة من الرجال الأمريكيين الأفارقة الذين يعيشون في حي فقير داخلي في إحدى المدن. ومن خلال بناء صداقات مع هؤلاء الرجال، تمكنت الكاتبة من التعرف على أساليب حياتهم وسلوكهم على التكيف، وخاصة حساسيتهم تجاه البطالة والفشل في الحياة. قدم الكتاب نظرة ثاقبة للظروف الاجتماعية والاقتصادية التي سادت في العديد من المدن الأمريكية منذ فترة طويلة، ولكن ذلك كان مفهوماً على نحو غامض فقط. وأظهرت دراسة الحالة الفردية هنا كيف يمكن إجراء تحقيقات في مثل هذه الموضوعات، مما حفز إجراء المزيد من البحوث، وفي النهاية تطوير إجراءات السياسة العامة اللازمة لمعالجة هذه الظروف.

والمبرر (الخامس) لدراسة الحالة الفردية هو الحالة الطولية، والتي تشير إلى دراسة نفس الحالة الواحدة في فترتين زمنية مختلفة (أو فترات زمنية أكثر). من المرجح أن تحدد نظرية المنفعة كيف تتغير ظروف معينة وعملياتها الأساسية بمرور الوقت. ويفترض أن الفواصل الزمنية المرغوبة تعكس المراحل المتوقعة التي يجب أن تظهر فيها التغييرات نفسها على نحو محتمل، ويمكن أن تكون فترات زمنية محددة مسبقاً، مثل قبل وبعد بعض الأحداث الحرجة، التي تتبع منطق "قبل" و "بعد". وبدلاً من ذلك، قد لا يتعامل الباحثون مع فترات زمنية محددة، ولكنهم يغطون الاتجاهات على مدى فترة طويلة من الزمن، في أعقاب دورة متطورة من المصالح. وفي ظل ظروف استثنائية، قد تكون الحالة نفسها موضوع دراستَي حالة متتالية، مثلما حدث مع دراسات حالة اجتماعية تتعلق بالثقافة الأمريكية الحديثة في المدن الأمريكية الصغيرة والتي نشرت أولاً في عام (١٩٢٩) بعنوان (Middletown) ثم بعد ذلك في عام (١٩٣٧) بعنوان (Middletown in Transition) وقد كتبت هذه الحالات ونُشرت لمؤلفيها (Robert Lynd & Helen Lynd, 1937). ومهما كانت الفترات الزمنية أو الاهتمام، فإن العمليات التي تتم دراستها يجب أن تعكس معاً الافتراضات النظرية التي طرحتها دراسة الحالة. حيث يفترض أن الفواصل

الزمنية المرغوبة تعكس المراحل المتوقعة التي يجب أن تظهر فيها التغييرات نفسها، وينبغي أن تعكس العمليات التي يتم ملاحظتها مرة أخرى الافتراضات النظرية التي طرحتها دراسة الحالة.

وتعمل هذه العوامل الخمســة كمبررات رئيســة لاختيار أي دراسة حالة فردية. وهناك مواقف أخرى تستخدم فيها دراسة الحالة الفردية، مثل استخدامها (كدراسة حالة تجريبية) قد تكون بداية لدراســة حالة متعددة. ولكن في الموقف الأخير، فإن الجزء المتعلق بدراســة الحالة الفردية من البحث لايمكن اعتباره دراسة كاملة قائمة بذاتها.

مهما كان الأســاس المنطقي للقيام بدراسات الحالة الفردية (وربما يكون هناك أكثر من الخمســة مبررات المذكورة هنا)، فإن الحساســية المحتملة لتصميم دراسة الحالة الواحدة، هــي أن الحالة قد تتحول لاحقاً إلى أنها ليســت الحالة التي كان يُعتقــد أنها فيها البداية؛ ولذلك تتطلب تصاميم دراسة الحالة الفردية بحثاً دقيقاً للحالة المحتملة لغرض تقليل فرص التحريــف، ولزيادة الوصول اللازم لجمع أدلة دراســة الحالــة. إن التحذير العادل لا يعني الالتزام بأي دراسة حالة فردية، حتى يتم تغطية وتجاوز هذه المخاوف الرئيسية.

دراسات الحالة الفردية الشاملة (Holistic)، مقابل المضمنة (Embedded)

قد تشــتمل دراســة الحالة الفردية على وحدات التحليل في أكثر من مســتوى واحد، وهذا يحدث في إطار دراســة حالة فردية، كما يجب الانتبــاه إلى الوحدة أو الوحدات الفرعية (انظر مربع ١٠). على ســبيل المثال، على الرغم من أن دراســة الحالة قد تكون حول منظمة واحدة مثل المستشــفى، إلا أن التحليل قد يتضمن نتائج حول الخدمات السريرية والموظفين العاملين في المستشــفى (وربما حتى بعض التحليل الكمي المستند إلى السجلات الخاصة بالموظفين). أما في الدراسة التقييمية، قد تكون الحالة الفردية برنامجاً عاماً يتضمن عدداً كبيراً من المشروعات المموّلة مالياً، والتي ســتكون لاحقاً هي الوحــدات الفرعية للتحليل (انظر الملحق ب لمزيد من التفاصيل). في كلا الحالتين، يمكن اختيار هذه الوحدات الفرعية من خلال طرق سحب العينات أو طــرق التجميع (McClintock, 1985). وبغض النظر عن كيفية اختيار هذه الوحدات، فإن التصميم النهائي سيسمى تصميم دراسة الحالة (المضمنة) التي تحتوي على أكثر من وحدة فرعية للتحليل "embedded case study design" (انظر الشــكل ٢-٤، النوع ٢). وعلى العكس، إذا كانت دراسة الحالة قد درست فقط الإطار العام لمنظمة أو برنامج ما كوحدة متكاملة، فإنه من الممكن استخدام التصميم الشامل " holistic design" (انظر الشكل ٢-٤، النوع ١).

مربع (١٠)

تصميم الحالة الفردية المضمنة

ديموقراطية الاتحاد - Union Democracy- هي دراسة حالة تحظى بتقدير كبير من قبل ثلاثة أكاديميين بارزين هـم (Seymour Martin Lipset, Martin Trow, and James Coleman,1956). حيـثَ تتنـاول دراسـة الحالة السياسـة الداخلية لاتحـاد الطباعة الدولي، والتي تتضمن عدة وحدات من التحليـل (انظر جدول «أنواع البيانات» أدناهٍ). كانت الوحدة الرئيسية هي المنظمة ككل، وكانت أصغر وحدة هي الفرد، وكانت عدةٍ وحدات وسيطة مهمة أيضاً. في كل مستوى من مستويات التحليل، تم استخدام طرق مختلفة في جمع البيانات، بدءاً من التحليل التاريخي إلى التحليل الإحصائي.

أنواع البيانات

الأفراد		الوحدات الوسيطة		النظام الكلي	الوحدة التي يتم وصفها
مقابلات مع عينة من العاملين	المقابلات مع القادة	سجلات التصويت الخاصة بالمحلات التجارية، حجم المحلات	تاريخ السكان المحليين وسجلات التصويت قضايا على المستوى المحلي، حجم السكان المحليين	القضايا، البيانات على المهنة؛ قوانين الاتحاد؛ السياسات؛ البيانات التاريخية؛ تقارير الاتفاقيات	
			الاستنتاج، شبكة الاتصال (الهيكلية)	الخصائص التنظيمية، والبيئية، والسلوكية	اتحاد الطباعة الدولي كوحدة متكاملة
	الخصائص التنظيمية، والبيئية، والسلوكية	الاستنتاج، شبكة الاتصال (الهيكلية)	الخصائص السلوكية، الحجم	الخصائص السلوكية (القتالية، وما إلى ذلك)	السكان المحليين
توزيعات الخصائص الفردية		الخصائص السلوكية، الحجم		المحلات التجارية	المحلات التجارية
صفات رئيس نقابة عمالية ، صفات الاصدقاء			المناخ الاجتماعي، من خلال الاستنتاج من القضايا المؤثرة ونتائج الانتخابات	المناخ الاجتماعي، من خلال الاستنتاج من القضايا المؤثرة ونتائج الانتخابات	بيئة اجتماعية أخرى مباشرة من العاملين
السلوك، الخلفية الثقافية، القيم ، والاتجاهات	من خلال الاستنتاج من القيم	من خلال الاستنتاج من القيم والاهتمامات والولاءات (على سبيل المثال، التسوقٍ أكثر محلياً)	من خلال الاستنتاج من القيم والاهتمامات والولاءات (على سبيل المثال، المحلية إلى جانب الدولية)	من خلال الاستنتاج من القيم والاهتمامات المؤثرة	العاملين

المصدر: Lipset, Trow, and Coleman (1956, p. 422).

هذان النوعان المختلفان من دراســات الحالة الفرديــة، لهما نقاط القوة والضعف. إن التصميم الشــامل "holistic design" يكون مفيداً عندمــا لا يمكن تحديد وحدات فرعية منطقية، أو عندما تكون النظرية ذات الصلة التي تقوم عليها دراســة الحالة نفســها ذات طبيعة شــمولية. ومع ذلك، تنشــأ مشاكل محتملة عندما تســمح الشمولية للباحث بتجنب دراسة أي ظاهرة محددة من خلال التفاصيل التشغيلية. وبالتالي، فإن المشكلة العامة في التصميم الشامل هي أن دراسة الحالة بأكملها، يمكن إجراؤها بمستوى تجريدي غير ملائم، وتفتقر إلى مقاييس أو بيانات واضحة بما فيه الكفاية.

هناك مشــكلة أخرى في التصميم الشــامل، وهي أن طبيعة دراسة الحالة بأكملها قد تتغير دون علم الباحث خلال فترة الدراسة. وقد تعكس أسئلة الدراسة الأوَّلية اتجاهاً واحداً، ولكن مع استمرار دراســة الحالة قد يظهر اتجاه مختلف، وتبدأ الأدلة في معالجة أســئلة بحث مختلفة. وعلى الرغم من أن بعض الأفراد يرون أن مثل هذه المرونة قد تكون قوة لبحوث دراســة الحالة، إلا أن أكبر نقد لدراسات الحالة يستند إلى هذا النوع من التحول، حيث لم يعد تصميم البحوث المنفذة ملائماً لأسئلة البحث التي يتم طرحها (انظر COSMOS Corporation, 1983). وبســبب هذه المشــكلة، يحتاج الباحــث إلى تجنب هذا الانحراف غير المتوقع إذا تغيرت الأســئلة البحثيــة ذات الصلة فعلياً، حيث يجب على الباحث ببســاطة البدء من جديد من خــلال تصميم بحث جديد. وهناك طريقة واحدة لزيادة الحساســية لمثل هذا الانحراف، هي الحصول على مجموعة من الوحدات الفرعية. وبالتالي، يمكن استخدام تصميم دراسة الحالة (المضمنة - embedded) الذي يعمل كجهاز مهم لتركيز تساؤل دراسة الحالة.

ومع ذلك، فإن لتصميم دراســة الحالة (المضمنة) بعض الأخطاء. أحد هذه الأخطاء الرئيســة يحدث عندما تركز دراســة الحالة فقط على مســتوى الوحدات الفرعية، ويفشــل في العودة إلى وحــدة التحليــل الأكبر. على ســبيل المثال، قد يتضمــن تقييم برنامج يتكون من عدة مشــاريع خصائــصَ المــشروع كوحدة فرعية من التحليل. وقد تكون البيانات على مســتوى المشروع كَمية بدرجــة عالية إذا كان هناك العديد من المشــاريع. ومع ذلك، يصبح التقييم الأصلي هو دراســة مشروع (بمعنى: دراســة حالة متعددة لمشاريع مختلفة) إذا لم يتم إجراء أي تحقيق على مستوى الحالة الأصلية «البرنامج». وبالمثل، قد تشــمل دراســة المناخ التنظيمــي الأفراد العاملين كوحدة فرعية من الدراســة. ولكن، إذا كانت البيانات تركز فقط على الأفراد العاملين، فستصبح الدراسة

في الواقع دراسة تختص بالموظفين وليست دراسة تنظيمية. في كلا المثالين، ما حدث هو أن ظاهرة الاهتمام الأصلية (برنامجاً أو مناخاً تنظيمياً) أصبحت هي السياق وليس الهدف من الدراسة.

ملخص: تعد دراســات الحالة الفردية تصميماً شــائعاً لإجراء بحوث دراســة الحالة، وقد تم وصف نوعين مختلفين: تلك التي تســتخدم تصميمات شاملة، وتلك التي تستخدم وحدات التحليل المضمنة. وعموماً، فإن تصميم دراسة الحالة الفردية يكون مبرراً بشكل بارز في ظل ظــروف معينة عندما تمثل الحالة (أ) اختباراً حاســماً للنظرية القائمة، أو (ب) ظرفاً متطرفاً أو غير عادي، أو (ج) حالة شائعة، أو (د) حين تخدم الحالة كشف الحقيقة أو (هـ) الغرض الطولي المتمثل في دراسة الحالة في فترات زمينة مختلفة.

وتتمثل الخطوة الرئيســية في تصميم وإجراء الحالة الفردية في تحديد وحدة التحليل (أو الحالة نفسها). كما أن هناك هناك حاجة إلى تعريف إجرائي، ويجب توخي بعض الحذر قبل الالتزام الكامل بدراسة الحالة بأكملها للتأكد من أن الحالة في الواقع ذات صلة بالقضايا والأسئلة محل الاهتمام.

قد لا تزال ضمن دراســة الحالــة الواحدة وحدات فرعية مضمنــة في التحليل، بحيث يتم تطوير تصميم أكثر تعقيداً (أو مضمناً - embedded). ويمكن للوحدات الفرعية أن تضيف في كثير من الأحيان فرصاً كبيرة لإجراء تحليل مكثف، مما يعزز الرؤى في الحالة الفردية. ولكن، إذا تم منح الكثير من الاهتمام لهذه الوحدات الفرعية، وإذا ما تم تجاهل الجوانب الأكبر والشاملة للحالة، فإن دراســة الحالة نفســها قد تغير اتجاهها وتغير طبيعتها. إذا كان هذا التغيير له ما يبرره، فإن الباحث بحاجة إلى معالجته بشكل صريح وتحديد علاقته بالتساؤل الأصلي.

ما هي التصاميم المحتملة للحالة المتعددة (النوعان ٣ و ٤)؟

قــد تحتوي نفس الدراســة على أكثر مــن حالة واحدة. وعندما يحدث ذلك، تســتخدم الدراسة تصميماً متعدد الحالات، وقد زادت هذه التصاميم في السنوات الأخيرة. ومن الأمثلة الشــائعة على ذلك، دراســة الابتكارات المدرسية (مثل اســتخدام المناهج الجديدة أو إعادة ترتيب الجداول المدرسية أو تقنيات التعليم الجديدة)، التي تعتمد فيها المدارس النموذجية على بعض الابتكارات. قد تكون كل مدرسة موضوعاً لدراسة حالة فردية، ولكن الدراسة ككل تغطي عدة مدارس، وبهذه الطريقة يُستخدم تصميمٌ متعدد الحالات.

تصاميــم الحالة المتعــددة مقابل تصاميم الحالة الفرديــة : في بعض المجالات، اعتبرت دراسات الحالة المتعددة «منهجية» مختلفة من دراسات الحالة الفردية. على سبيل المثال، طور كل من علم الأنثروبولوجيا والعلوم السياســية مجموعة من الأسس المنطقية، لإجراء دراسات الحالة الفردية ومجموعة أســس أخرى للقيام بما تم اعتباره دراســات «مقارنة» (أو دراسات متعــددة الحالات) (انظــر: Eckstein, 1975; Lijphart, 1975). ولكن هذا الكتاب يعتبر أن تصاميم الحالة الفردية ومتعددة الحالات، تكون مختلفة ضمن نفس الإطار المنهجي، ولا يوجد تمييز واسع بين ما يُسمى بدراسة الحالة الكلاسيكية (أي الفردية) والدراسات المتعددة الحالات. ويعتبر الاختيار واحداً من تصميم البحوث، مع تضمين كلا النوعين تحت بحوث دراسة الحالة.

وتتميز تصاميم الحالة المتعددة بمزايا وعيوب واضحة، بالمقارنة مع تصاميم الحالة الفردية. وغالباً ما تعتبر الأدلة المستمدة من حالات متعددة أكثر إلحاحاً، ولذلك تعتبر الدراسة الشاملة أكثر قوة (Herriott & Firestone, 1983). وفي الوقت نفســه، لا يمكن عادةً تلبية الأســاس المنطقي لتصاميم الحالة الفردية من خلال حالات متعددة.

وبحكم التعريف، فإن الحالة غير العادية أو المتطرفة، والحالة الحرجة والحالة الكاشــفة للحقيقــة، من المحتمل أن تتضمــن جميعاً حالات فردية فقط. عــلاوة على ذلك، يمكن أن يتطلب إجراء دراســة الحالة المتعددة الكثير من الموارد والوقت، بما يتجاوز إمكانات طالب واحد أو باحث مستقل. لذلك، لا يمكن اتخاذ قرار إجراء دراسات الحالة المتعددة بسهولة.

كما أن اختيار الحالات المتعددة يثير مجموعة جديدة من الأسئلة. من هنا، تأتي فكرة رئيسية تتمثــل في: الأخــذ في الاعتبار حالات متعددة، كشــخص يفكر في تجارب متعــددة ـ أي اتباع تصميم «التماثل»، وهذا يختلف كثيراً عن التشبيه المضلل الذي يعتبر بشكل غير صحيح الحالات متعددة مشابهاً للعديد من المستجيبين في دراسة مسحية (أو موضوعات متعددة ضمن تجربة علمية) أي: اتباع تصميم «العينات». ويتم الكشف عن الاختلافات المنهجية بين وجهات النظر هذه من خلال المبررات المختلفة التي تستند إلى التماثل بعكس تصاميم العينات.

النســخ المتماثل لدراسات الحالة المتعددة، وليس المنطق المعتمد على العينة : يشبه منطق (النســخ المتماثــل أو إعادة التجربة) ذلك المســتخدم في التجارب المتعــددة (انظر: Hersen & Barlow, 1976). على ســبيل المثال، عند اكتشاف نتائج مهمة من تجربة علمية واحدة، ستكون

الأولوية الملحة واللاحقة لتكرار هذه النتيجة بإجراء تجربة ثانية وثالثة، بل وأكثر. قد تحاول بعض النسخ المتماثلة تكرار الظروف الدقيقة للتجربة الأصلية. وقد تؤدي النسخ الأخرى إلى تغيير واحد أو اثنين من الظروف التجريبية التي تعتبر غير مهمة للنتيجة الأصلية لمعرفة ما إذا كان لايزال من الممكن تكرار الاســتنتاج. فقط مع مثل هذه التكرارات المتماثلة، يمكن أن تعتبر النتيجة الأصلية قوية.

المنطق الكامن وراء اســتخدام دراســات الحالة المتعددة هو نفســه. يجب اختيار كل حالة بعنايــة، بحيث تكــون إما (أ) تتنبأ بنتائج مماثلة (تكرار حرفي ودقيق جداً) أو (ب) تتنبأ بنتائج متناقضة، ولكن لأسباب متوقعة (تكرار نظري). إن القدرة على إجراء (٦ أو ١٠) دراسات حالة، مرتبةً بشــكل فعال ضمن تصميم متعدد الحالات يعتبر مشــابهاً للقدرة على إجراء(٦) إلى (١٠) تجــارب علميــة على موضوعات ذات صلة ببعضها؛ فقد تكون بعــض الحالات القليلة (٢ أو ٣) عبارة عن نســخ متماثلة (مكررة) بشــكل دقيق جداً، في حين أن بعض الحالات الأخرى (من ٤ إلى ٦) قــد تكــون مصممة لتحقيق نمطــين مختلفين من التكرارات النظريــة. إذا ظهرت جميع الحالات على النحو المتوقع إجمالاً، فإن هذه الحالات من (٦ إلى ١٠)، كانت ســتوفر دعماً قوياً للمجموعــة الأوَّلية من الافتراضات النظرية. أما إذا كانت الحالات متناقضة بعض الشيء، يجب مراجعــة الافتراضــات النظرية الأوَّلية وإعــادة اختبارها مع مجموعة أخــرى من الحالات. مرة أخرى، يشــبه هذا المنطق الطريقة التي يتعامل بها الباحثون مع النتائج التجريبية المتعارضة.

وينبغــي أن يعكس المنطق الكامــن وراء هذه الإجراءات المتماثلة بعــض الاهتمام النظري، وليــس مجــرد توقع بأن حالتــين ينبغي أن تكونا متشــابهتين أو مختلفتين. فعلى ســبيل المثال، يمكــن للمرء أن ينظر في الافتراض الأوَّلي بأن تحدث زيادة في اســتخدام نظام حاســوبي جديد في بيئات الأعمال الصغيرة، عندما يستخدم النظام في التطبيقات الإدارية (مثل المحاسبة والموظفين) والأعمال التجارية (مثل المبيعات والإنتاج) ولكن ليس وحده. ولتحقيق هذا الافتراض في تصميم دراسة متعددة الحالات، يمكن اختيار (٣ أو ٤) مشاريع تجارية صغيرة (أو حالات)، يكون فيها كلا النوعين من التطبيقات قائماً لتحديد ما إذا كان اســتخدام النظام قد زاد في الواقع خلال فترة من الوقت (ســيكون تحقيق تنبؤ التماثل الدقيق في الحالات (٣ أو ٤). ويمكن اختيار ثلاث أو أربع حالات إضافية لا توجد فيها سوى تطبيقات إدارية، مع وجود تنبؤ في زيادة ضئيلة في الاستخدام (التنبؤ بالتكرار النظري). وأخيراً، سيتم اختيار (٣ أو ٤) حالات أخرى لا توجد فيها سوى تطبيقات

تجارية، مع نفس التنبؤ بزيادة ضئيلة في الاستخدام، ولكن لأسباب مختلفة عن الحالات الإدارية فقط (تكرار نظري آخر). وإذا وجد بالفعل هذا النمط الكامل من النتائج عبر هذه الحالات المتعددة، فإن الحالات من (٩ إلى ١٢)، في مجملها، ستوفر دعماً كبيراً للافتراض الأوَّلي.

مثال آخر لتصميم النسخ المتماثل متعدد الحالات، يأتي من مجال الدراسات الحضرية (انظر مربع ١١). يمكنك أيضاً العثور على أمثلة من ثلاث دراسات حالة كاملة، وكل ذلك يتبع تصميم النسخ المتماثل لكنه يغطي أمثلة حول إدارة الجامعة، وتحول الشركات التجارية، والوقاية من فيروس نقص المناعة المكتسبة - الإيدز (HIV/AIDS). ولمزيد من التفاصيل يمكنك الرجوع إلى كتاب (Yin, 2012, chaps. 11; 12; 15).

مربع (١١)

الحالة المتعددة، تصميم النسخ المتماثل

كانت هناك مشكلة شائعة في فترة الستينيات والسبعينيات (1960s &1970s)، تتمثل في كيفية الحصول على نصيحة جيدة لمراكز الحكم الإداري في المدن، حيث استعرض (Peter Szanton, 1981) ـ في كتابه الذي جاء بعنوان(لا يُنصح به جيداً - Not Well Advised) ــ تجارب العديد من محاولات الجامعة والمجموعات البحثية للتعاون مع مسؤولي المدن.

الكتاب يعتبر مثالاً ممتازاً لتصميم النسخ المتماثل متعدد الحالات؛ حيث بدأ المؤلف بثماني دراسات حالة، تُظهر كيف فشلت مختلف المجموعات الجامعية في مساعدة مراكز الحكم الإداري في المدن. الحالات الثمانية «متكررة» بشكل كاف لإقناع القارئ بظاهرة عامة. بعد ذلك، يتضمن الكتاب خمس دراسات حالة إضافية، فشلت فيها أيضاً مجموعات خارج الجامعة، وانتهت إلى أن الفشل بالتالي ليس بالضرورة متأصلاً في المؤسسة الأكاديمية. ومع ذلك، تُظهر مجموعة ثالثة من الحالات كيف نجحت مجموعات الجامعات في مساعدة الأعمال، والشركات الهندسية والقطاعات الأخرى بخلاف مراكز الحكم الإداري في المدن. توضح مجموعة نهائية مكونة من ثلاث حالات أن هذه المجموعات القليلة القادرة على مساعدة مركز الحكم الإداري في المدينة كانت مهتمة بالتنفيذ وليس فقط بإنتاج أفكار جديدة، مما أدى إلى الاستنتاج الرئيسي بأن مراكز الحكم الإداري في المدن قد تكون لها احتياجات خاصة في قبولها، ولكن أيضاً بعد ذلك يجب وضع توصيات عملية.

ضمن كل مجموعة من المجموعات الأربع لدراسات الحالة، يوضح مؤلف الكتاب مبدأ التكرار الحرفي الدقيق عبر المجموعات الأربع ؛ حيث قام بتوضيح النسخ النظري. ويمكن تطبيق تصميم دراسة الحالة الفعالة هذه على العديد من الموضوعات الأخرى.

ويجب تمييز منطق النسـخ المتماثل، سـواء كان مطبقاً على التجارب أو دراسات الحالة، من منطق العينات الذي يسـتخدم بشـكل واسع في الدراسات المسـحية. ويتطلب منطق العينات تعداداً تشغيلياً لكامل المجتمع بأكمله أو مجموعة من المستجيبين المحتملين، ثم إجراءً إحصائياً لاختيار مجموعة فرعية محددة من المسـتجيبين الذين سيتم استطلاعهم. ويفترض أن البيانات الناتجة عن العينة التي يجري استقصاؤها بالفعل تعكس المجتمع بأكمله أو مجتمع الدراسة، مع استخدام إحصاءات استنتاجية لتحديد فترات الثقة التي يفترض أن يكون فيها هذا التمثيل دقيقاً. ويستخدم الإجراء بأكمله عادةً، عندما يرغب الباحث في تحديد انتشار أو تكرار ظاهرة معينة.

وأي تطبيق لمنطق العينات هذا على بحوث دراسـة الحالة سـيكون غير مناسـباً. وذلك لعدة أسـباب. أولاً، دراسات الحالة ليست أفضل طريقة لتقييم انتشار الظواهر الاجتماعية والاقتصادية وغيرها. وثانياً، ينبغي أن تغطي دراسـة الحالـة كلاً من ظاهرة مثيرة للاهتمام وسـياقها، مما يؤدي إلى عدد كبير من المتغيرات ذات الصلة المحتملة، وهذا بدوره سيتطلب عينة كبيرة من الحالات (كبيرة جداً من أن تسمح بإجراء فحص ظاهري لأي حالة معينة).

ثالثـاً، إذا كان من الضروري تطبيق منطـق العينات على جميع أنواع البحوث، فلا يمكن إجراء تحقيقات تجريبية حول العديد من الموضوعات الهامة، مثل المشـكلة التالية: يتعامل بحثـك مع دور رئاسـة الولايـات المتحدة الأمريكيـة، وأنت مهتم للقيام بدراسـة متعددة الحالات لعدد (قليل) من الرؤسـاء لاختبار نظريتك حول القيادة الرئاسـية، ومع ذلك، فإن تعقيد الموضوع الذي تدرسـه يعني أن اختيارك لعدد من الرؤسـاء، لا يمكن أن يمثل بشكل كافٍ جميع الرؤسـاء الـ (٤٤) منذ بداية تأسـيس الولايات المتحدة الأمريكية، وبالتالي، فإن النقاد الذين يسـتخدمون منطق العينات قد يرفضون قبول دراسـتك. في المقابل، إذا كنت تستخدم منطق النسخ المتماثل، فإن الدراسة تكون ذات جدوى كبيرة.

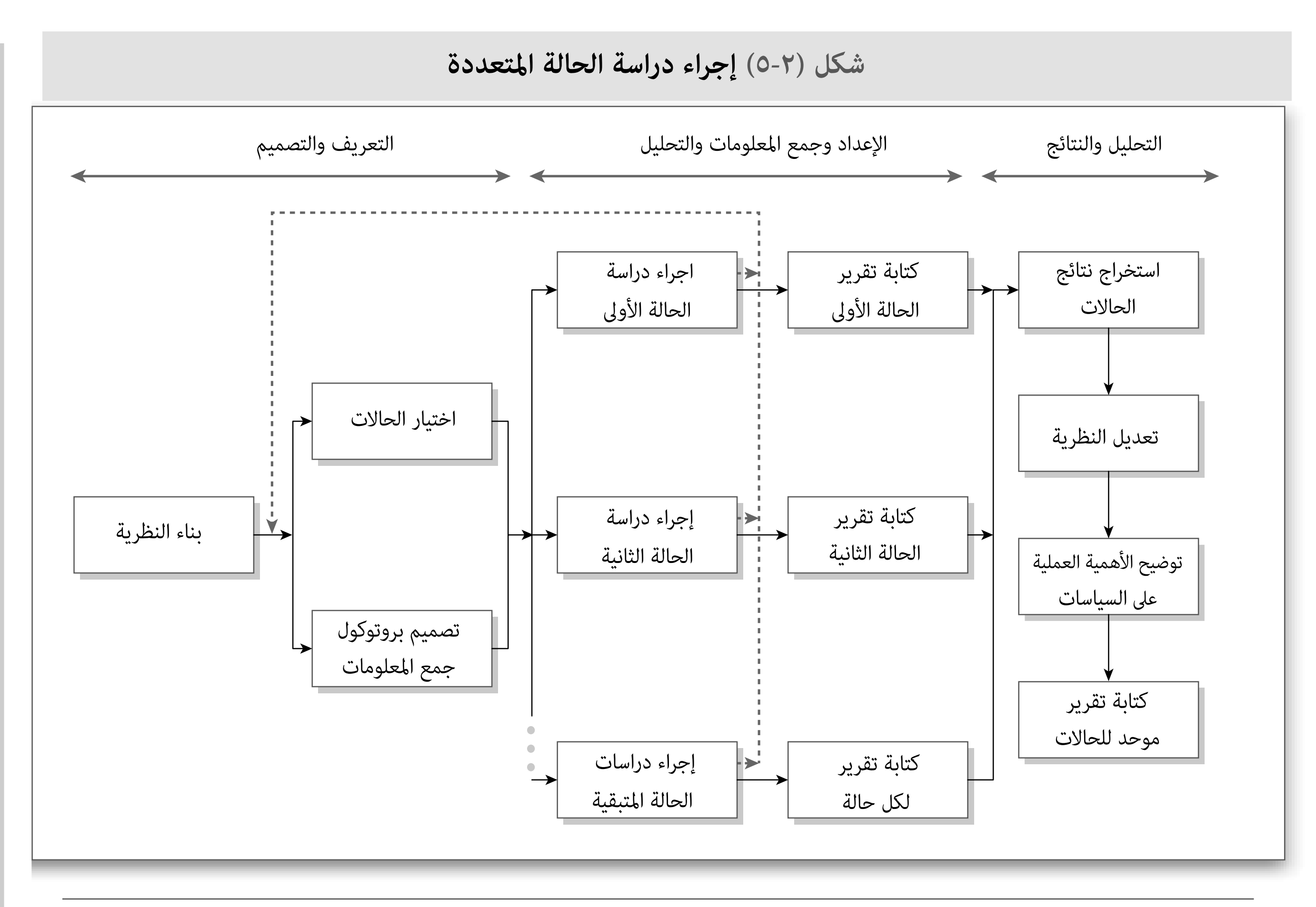
يوضح الشكل (٢-٥) طريقة النسخ المتماثل لدراسات الحالات المتعددة؛ حيث يشير الشكل إلى أن الخطـوة الأولى في تصميم الدراسـة يجب أن تتكون من تطويـر نظرية، ومن ثم تبين أن اختيـار الحالة وتعريف المقاييس المحددة هي خطـوات مهمة في عملية التصميم وجمع البيانات. وتتكون كل دراسة حالة فردية من دراسة «كاملة»، يتم فيها البحث عن أدلة متقاربة بشأن الحقائق والاسـتنتاجات الخاصة بالحالة، ثم تعتبر استنتاجات كل حالة هي المعلومات التـي تحتاج إلى تكرار من الحـالات الفردية الأخرى. ويمكن لكل مـن نتائج الحالات الفردية

والحالات المتعددة أن تكون نقطة تركيز لتقرير ملخص. وبالنســبة لكل حالة، يجب أن يشــير التقريــر إلى " كيف" و "لماذا " تم عرض افتراض نظري معين (أو لم يتم عرضه). بينما في جميع الحالات، يجب أن يشير التقرير إلى مدى منطق النسخ المتماثل، ولماذا تم توقع أن تكون بعض الحالات ذات نتائج معينة، في حين أن الحالات الأخرى ـ إن وجدت ـ من المتوقع أن تكون لها نتائج متناقضة.

جــزءٌ مهم من الشــكل (٢-٥) هو حلقــة التغذية المرتدة المتقطعة. حيــث تمثل الحلقة الحالة التي يحدث فيها استنتاج مهم أثناء إجراء إحدى دراسات الحالات الفردية (على سبيل المثال، إحدى الحالات لم تتناسب بصراحة مع التصميم الأصلي). لذا قد يتطلب منك مثل هذا الاســتنتاج إعادة النظر في واحد أو أكثر من الافتراضات النظرية الأصلية للدراســة. وفي هذه المرحلة، يجب أن يتم «إعادة التصميم» قبل الاستمرار في العمل. وقد تتضمن إعادة التصميم هــذه اختيار حــالات بديلة أو تغييرات في بروتوكول دراســة الحالة (انظــر الفصل الثالث). بدون إعادة التصميم هذه، فإنك تجازف بتهمة تشويه أو تجاهل الاستنتاج، لمجرد استيعاب التصميم الأصلي. ويؤدي هذا الموقف بسرعة إلى اتهام آخر، يتمثل في كونك قد كنت انتقائياً في نشر بياناتك لتتناسب مع أفكارك المسبقة (أي الافتراضات النظرية الأصلية).

وبشكلٍ عام، يصور الشكل (٢-٥) منطقاً مختلفاً عن منطق تصميم العينات. وقد يكون من الصعب متابعة المنطق وكذلك تباينه مع تصميم العينات، ويستحق مناقشة واسعة مع مع الفريق البحثي قبل البدء في أي دراسة متعددة الحالات.

شكل (٢-٥) إجراء دراسة الحالة المتعددة



المصدر: COSMOS Corporation

عند اســتخدام تصميم متعدد الحالات، هناك سؤال آخر ســتواجهه يتعلق بعدد الحالات التي تعتبر ضرورية أو كافية لدراســتك. ومع ذلك، نظراً لعدم اســتخدام منطق العينات، فإن المعايير النموذجية المتعلقة باستخدام تحليل القدرة لتحديد حجم العينة المطلوب (على سبيل المثــال: Lipsy, 1990) هــي أيضاً غــير ذات صلة. بدلاً من ذلك، يجــب أن نفكر في عدد من الحــالات المكــررة ــ ســواء الحرفية والنظرية ـــ التي تحتاج إليها أو ترغــب في أن تكون في دراستك.

ســيكون الحكم الخاص في هــذا الموقف تقديري، وليس في صيغــة أو فكرة ثابتة. مثل هذه الأحكام التقديرية تحدث في غير بحوث دراسة الحالة، مثل وضع معيار لتحديد "تأثير كبير" في العلوم التجريبية، وبالتالي، فإن تحديد احتمال "الكشف "$p < .05$" أو "$p < .01$" لتحديد مســتوى الثقة لقبول أو رفض الفرضية الصفرية، لا يســتند إلى أي صيغة وإنما هو مســألة اختيار تقديرية. لاحظ أنه عندما تكون سلامة المرضى ورفاهيتهم في مرحلة الخطر كما هو الحال في التجارب السريرية، فإن الباحثين عادةً لا يســتقرون حتى لمســتوى أهمية بقيمــة "$p <.01$" ولكــن قد يختارون لتحقيق "$p <.0001$" أو حتى مســتوى أكثر صرامة. وعلى نحو مماثل، يعتمد تعيين عدد النسخ المتماثلة على اليقين (حالة التأكد) الذي تريده بشــأن النتائج المتعددة الحالات. على ســبيل المثال، قد ترغب في إغلاق اثنين أو ثلاث نسخ مكررة بشكل دقيق جداً عندما تكون نظريتك واضحة، والقضية المطروحة لا تتطلب درجة مفرطة من اليقين. ومع ذلك، إذا كانت نظريتك بســيطة أو إذا كنت ترغب في درجة أعلى من اليقين، يمكنك الاجتهاد لإعادة التجربة لمدة خمس أو ست نسخ أو أكثر.

عنــد اتخاذ قرار بشــأن عدد من التكرارات للنســخ المتماثل، هناك اعتبــار مهم يرتبط بإحساســك من قوة وأهمية التفســيرات المناظرة. وكلما زادت قوة الآراء المناظرة، زاد عدد الحالات الإضافية التي تريدها، فتظهر كل حالة نتيجة مختلفة عند أخذ بعض التفســيرات المناظرة بعين الاعتبار. على ســبيل المثال، قد تكــون الفرضية الأصلية هي أن برامج القراءة الصيفية تحســن درجات القراءة لدى الطلاب، وقــد تكون بالفعل قد ظهرت هذه النتيجة من خلال عدة حالات والتي تعمل كنســخ تماثل حرفية. وقد يكون التفســير المناظر هو أن الآباء يعملون أيضاً بشــكل أوثق مع أطفالهم خلال فصل الصيف، وأن هذه الظروف يمكن أن تمثل تحســيناً لدرجــات القراءة لدى الطلاب، ثم يمكنك الحصــول على حالة أخرى، مع

مشاركة الوالدين ولكن ليس برنامج القراءة الصيفية، وفي هذا التكرار النظري كنت تتنبأ أن درجات القراءة لدى الطلاب لن تتحسن. لذا وجود اثنين من هذه التكرارات النظرية، من شأنه أن يوفر دعماً أكبر للنتائج التي توصلت إليها.

المبرر المنطقي لتصاميم الحالة المتعددة: باختصار، إن الأساس المنطقي لتصاميم الحالة المتعددة، مستمد مباشرة من فهمك للنسخ المتماثل (الحرفي والنظري). إن أبسط تصميم متعدد الحالات هو اختيار حالتين أو أكثر يعتقد أنها مكررة حرفياً، مثل مجموعة من الحالات ذات مخرجات نموذجية فيما يتعلق ببعض أسئلة التقييم، مثل «كيف ولماذا كان تدخل معين يتم تطبيقه بسهولة». ويتطلب اختيار مثل هذه الحالات معرفة مسبقة بالمخرجات، ويركز الاستفسار المتعدد الحالات على كيف ولماذا كانت المخرجات النموذجية قد حدثت، ويأمل في تكرارها حرفياً (أو مباشراً) لهذه الظروف من حالة إلى أخرى[٥].

ومن المحتمل أن تأتي تصاميم الحالة المتعددة الأكثر تعقيداً من عدد وأنواع من النسخ المتماثلة النظرية التي قد ترغب في دراستها. على سبيل المثال، استخدم الباحثون التصميم «المزدوج»، حيث تم اختيار الحالات عمداً من كل من الحالات المتطرفة (من بعض الظروف النظرية الهامة، مثل النتائج الجيدة للغاية والسيئة للغاية). ويمكن أيضاً أن تكون المبررات المنطقية للحالات المتعددة، مستمدة من الافتراضات المسبقة لأنواع مختلفة من الظروف، والرغبة في الحصول على مجموعات فرعية من الحالات التي تغطي كل نوع. هذه التصاميم وغيرها المشابهة تعتبر أكثر تعقيداً؛ لأن الدراسة يجب أن تحتوي على حالتين فرديتين على الأقل داخل كل مجموعة فرعية، بحيث يتم استكمال النسخ المتماثل النظري عبر المجموعات الفرعية، من خلال النسخ المتماثل الحرفي داخل كل مجموعة فرعية.

دراسات الحالة المتعددة الشاملة "Holistic" أو المضمنة "Embedded": حقيقة أن التصميم يستدعي دراسات الحالة المتعددة، لا يلغي التباين الذي تم تحديده في وقت سابق مع دراسات الحالة الفردية: وقد تظل كل حالة فردية شاملة أو مضمنة. وبعبارة أخرى قد تتكون دراسة متعددة الحالات من حالات متعددة شاملة (انظر الشكل ٢-٤ ، النوع ٣) أو حالات متعددة مضمنة (انظر الشكل ٢-٤، النوع ٤).

الفرق بين هذين الخيارين يعتمد على نوع الظاهرة التي تتم دراستها، وأسئلة البحث الخاصة بك. في التصميم المضمن، قد تتطلب دراسة ما إجراء مسح في كل موقع لدراسة

الحالة. على ســبيل المثال، لنفترض أن دراســة تُعنى بتأثير نفس النوع من المناهج الدراسية المعتمــدة في كليات التمريض المختلفة. قد تكون كل كلية تمريض موضوعاً لدراســة حالة، حيث ينص الإطار النظري على تضمين تســع كليات كدراســات حالة، وثلاث كليات لتكرار النتيجــة المباشرة (التكرار الحرفي) وســت كليات أخــرى للتعامل مع الظــروف المتناقضة (التكرارات النظرية).

بالنسبة لجميع الكليات التسع، يتم استخدام تصميم مضمن؛ لأن المسوحات للطلاب (أو بدلاً من ذلك، فحص ســجلات الطلاب في قسم الأرشيف أو الوثائق)، تعتبر مطلوبة لمعالجة أســئلة البحث عن أداء الكليات. ولكن، فإن النتائج لكل مسح لن يتم جمعها عبر الكليات. وبدلاً من ذلك، ســتكون بيانات المســح جزءاً من النتائج لكل كلية تمريض (أو حالة). وقد تكون هذه البيانات كمية للغاية ،وتشتمل على اختبارات إحصائية، مع التركيز على اتجاهات وسلوك الطلاب، وسيتم استخدام البيانات جنباً إلى جنب مع المعلومات حول الكلية لتفسير النجاح والعمليات مع المناهج الدراســية في تلك الكلية تحديداً. وعلى العكس، إذا تم جمع بيانات المسح عبر الكليات، لم يعد تصميم النسخ المتماثل مستخدماً.

في الواقع، أصبحت الدراسة الآن (مضمنة)، والتي أصبحت فيها جميع الكليات التسع وطلابهــا الآن جــزءاً من بعض وحــدات التحليل الرئيســية الأكبر التي قــد لا تكون قد حــددت في البداية. هذا التحول في الأحداث من شــأنه أن يخلق الحاجة الملحة لتجاهل التصميــم الأصلي للحالة المتعددة. وســتتطلب دراســة الحالة الفرديــة المصممة حديثاً إعــادة تعريف كاملة لوحدة التحليل الرئيســية، وتســتلزم تنقيحات شــاملة للنظريات الأساسية والافتراضات النظرية ذات الاهتمام.

ملخص: تناول هذا القســم المواقف التي قد يســتدعي فيها البحث نفســه دراســات الحالة المتعددة. وهذه الأنواع من التصاميم أصبحت أكثر انتشاراً، ولكنها أكثر تكلفة وتستهلك وقتاً طويلاً عند إجراءها.

إن أي اســتخدام لتصاميم الحالة المتعددة يجب أن يتبع النســخ المتماثل، وليس منطق العينات، ويجب على الباحث اختيار كل حالة بعناية. كما ينبغي أن تعمل الحالات بطريقة مماثلــة للتجارب المتعددة، مع توقــع نتائج مماثلة (تكرار حرفي) أو نتائــج متباينة (تكرار نظري) تم التنبؤ بها صراحة في بداية الدراسة.

وقد تكون الحالات الفردية ضمن تصميم دراسة الحالة المتعددة إما شاملة أو مضمنة. عنـد اسـتخدام التصميم المضمن، فإن كل دراسـة حالة فردية قد تشـمل في الواقع جمع وتحليل البيانات الكمية، بما في ذلك استخدام المسوحات في كل دراسة حالة.

تمرين ٢-٤ : تحديد تصميم بحوث دراسة الحالة

اختر واحدة من دراسـات الحالة الموضحـة في المربعات في هذا الكتاب، واعمل على مراجعة دراسـة الحالـة بأكملها (وليس فقط المحتـوى المتوفر في المربع)، ثم اعمـل على وصف تصميم البحث في دراسـة الحالة هذه، وكيف تبرر الأدلة ذات الصلـة التي يتعين البحث عنها مع الأخذ في الاعتبار أسـئلة البحث الرئيسـية التي ينبغي الإجابة عليها؟ ما هي الأساليب التي استخدمت لتحديد النتائج اسـتناداً إلى الأدلة ؟ هل التصميم هـو تصميم حالة فردية أو متعددة؟ هل هي شاملة أم أنها قد تضمنت وحدات متعددة للتحليل؟

نصائح بسيطة عند اختيار تصاميم دراسة الحالة:

الآن أنت تعرف كيف تحدد تصاميم دراسة الحالة وعلى استعداد للقيام بعمل تصميم، ولكن يجب عليك الأخذ في الاعتبار النصائح الثلاث التالية :

تصاميم الحالة الفردية أو المتعددة ؟

تتمثل النصيحة الأولى في أنه على الرغم من أن كل التصاميم تقود إلى دراسات حالة ناجحة، فإذا كان لديك الخيار (والموارد اللازمة)، فإن تصاميم دراسة الحالة المتعددة قد تكون مفضلة أكثر من دراسـة الحالة الفردية. وإن كنت تسـتطيع إجراء دراسة حالة ثنائية، فإن فرصتك في إجراء دراسـة حالة جيدة ستكون أفضل من اسـتخدام تصميم دراسة الحالة الفردية. وتعتبر تصاميم دراسة الحالة الفردية قابلة للنقد فقط بسبب أنك «ستضع كل البيض في سلة واحدة». والأمر الأكثر أهمية، هو أنه قد تكون الفوائد التحليلية من وجود حالتين (أو أكثر) جوهرية.

في البداية، حتى مع دراسـتَي حالة اثنتين ، فإن لديك إمكانية النسـخ المباشر. وسـتكون الاستنتاجات التحليلية التي تنشأ بشكل مستقل عن حالتين، كما هو الحال مع تجربتين، أقوى من تلك التي تأتي من دراسة حالة واحدة (أو تجربة علمية واحدة) بمفردها. وبدلاً من ذلك،

ربما تكون قد اخترت عن قصد حالتين نظراً لأنهما عرضتا مواقف متبادلة، ولم تكن تبحث عن النسخ المباشر. في هذا التصميم، إذا كانت النتائج اللاحقة تدعم التناقض المفترض، فإن النتائج تمثل بداية قوية نحو التكرار النظري، مما يعزز مرة أخرى من نتائجك مقارنةً بالنتائج التي تم الحصول عليها من دراسة حالة واحدة فقط (على سبيل المثال: Eilbert & Lafronza,, 2005 2005; Hanna ؛ انظر أيضاً مربع ١٢).

مربع (١٢)

حالتان « ثنائيتان» من دراسات الحالة

١٢-أ: حالات متناقضة لبناء المجتمع

استخدم (Chaskin, 2001)، دراستَي حالة لتوضيح إستراتيجيات متباينة، لبناء القدرات على مستوى الحي السكني. الإطار المفاهيمي الشامل الذي اعتمد عليه المؤلف، والذي كان الموضوع الرئيسي للتساؤل، ادعى أنه يمكن أن يكون هناك منهجيتان لبناء قدرات المجتمع باستخدام منظمة تعاونية لـ: (أ) تعزيز الشبكات الحالية لمنظمات المجتمع أو (ب) بدء منظمة جديدة في الحي. بعد تقديم إطار شامل لأسس نظرية، يقدم المؤلف دراستَي الحالة، مع توضيح مدى صلاحية كل منهجية.

١٢-ب: إستراتيجيات متناقضة للمساءلة التعليمية

وبطريقة تكاملية مباشرة، اختار(Elmore, Abelmann, & Fuhrman, 1997)، دراستَي حالة لتوضيح إستراتيجيات متباينة لتصميم وتنفيذ المساءلة التعليمية (بمعنى أن تكون المدارس مسؤولة عن الأداء الأكاديمي لطلابها). تمثل حالة واحدة تكلفة أقل وإصدار بسيط لنظام المساءلة، في حين أن الآخر يمثل تكلفةً أعلى، وإصداراً أكثر تعقيداً.

وبشكلٍ عام، فإن انتقادات دراسات الحالة الفردية تعكس في الغالب المخاوف حول (التفرد)، أو الظروف المصطنعة التي تحيط بالحالة (مثل الوصول لمصدر المعلومات الرئيسية). ونتيجة لذلك، قد تتحول تلك الانتقادات إلى شكوك حول مقدرتك على إجراء عمل تجريبي يتجاوز دراسة الحالة الفردية. إن وجود حالتين يبدد هذه الانتقادات والشكوك، كما أنه قد يحدث تأثيراً أقوى. ومع كل هذه الفوائد، فإن وجود حالتين على

الأقل يجب أن يكون هو هدفك. وإذا اســتخدمتَ تصميم دراســة حالة فردية، فإنه يجب عليك أن تكون مستعداً لعمل نقاشات قوية لتبرير اختيارك للحالة الفردية.

تمرين ٢-٥ : إنشاء الأساس المنطقي لدراسة الحالة المتعددة

اعمل على تطوير بعض الأفكار الأوَّلية حول «حالة ما» لدراســة الحالة الخاصة بك. وكبديلٍ آخر، ركز على واحدة من دراسات الحالة الفردية الموضحة في المربعات في هذا الكتاب. في أيٍّ من الحالتين، فكِّر الآن في «حالة» مصاحبة قد تضيف إلى الحالة الفردية. ما هي الطرق التي يمكن أن تكمل بها نتائج الحالة المصاحبة لتلك الحالة الأولى؟ هل يمكن لبيانات الحالة الثانية ملء الفجوة التي صنعتها الحالة الأولى، أو الاســتجابة بشــكل أفضل لبعض أوجه القصور أو الانتقاد الواضحة في الحالة الأولى؟ هل ستشــكل الحالتان معاً دراسة حالة أقوى؟ وهل من الممكن أن تجعل حالة ثالثة النتائج أكثر إلزاماً؟

التصاميم المرِنة أو المغلقة؟

هنــاك نصيحة أخــرى، وهي أنه عــلى الرغم من تفاصيــل هذا الفصل حــول خيارات التصميــم، إلا أنه يجــب علينا عدم الاعتقاد بأن تصميم دراســة الحالة لا يمكن تعديله من خــلال معلومات جديدة أو الاســتناجات خلال مرحلة جمع البيانــات. يمكن أن يكون هذا الاستنتاج مهماً للغاية، مما يؤدي إلى تغيير أو تعديل تصميم البحث الأصلي.

على سبيل المثال، في دراسة الحالة الفردية قد يتبين أن ما كان يُعتقد أنه حالة حرجة أو غير عادية لم يكن كذلك بعد أن بدأت في جمع البيانات الأولية؛ كما هو الحال في دراسة الحالات المتعددة، حيث إن ما كان يعتقد أنه حالات متوازية للتكرار الحرفي لا يكون كذلك. مع هذه التوضيحــات، لديك كل الحق في اســتنتاج أن التصميم الأوّلي الخــاص بك يحتاج إلى تعديل، ولكن، يجب عليك إجراء أي تعديلات إلا في حالة توخي الحذر الشديد. والحذر هو أن نفهم بالضبط طبيعة التغيير : هل أنت بكل بساطة تعمل على اختيار حالات مختلفة، أم أنك أيضاً تغير اهتماماتك وأهدافك النظرية الأصلية ؟ النقطة الأساســية هي أن القدرة على التكيف لا ينبغي أن تقلل من الالتزام بالإجراءات التي تتبعها دراسة الحالة.

تصاميم الأساليب البحثية المختلطة: دمج دراسات الحالة مع الأساليب الأخرى؟

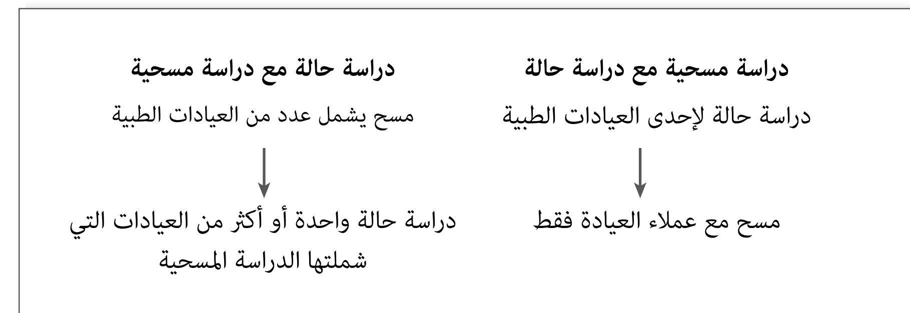
أعطى الباحثون اهتماماً متزايداً لبحوث الأساليب المختلطة، وهي «فئة من البحوث حيث يخلط الباحث أو يجمع بين طرق البحوث الكمية والكيفية أو الأساليب أو المنهجيات أو المفاهيم أو اللغة في دراسة واحدة» (Johnson & Onwuegbuzie , 2004, p.17). ويؤدي التقييد في دراسة واحدة إلى فرض الأساليب المختلطة في قالب متكامل. هذا القالب يختلف عن الوضع التقليدي، حيث يتم استخدام أساليب مختلفة في دراسات منفصلة والتي قد يتم دمجها في وقت لاحق.

بحوث الأساليب المختلطة تلزم الأساليب البحثية للمشاركة في نفس أسئلة البحث، وجمع البيانات التكميلية، وإجراء التحليلات النظيرة (على سبيل المثال: Yin, 2006b) وباختصار، لاتباع تصميم الأساليب البحثية المختلطة. على هذا النحو ، يمكن لبحوث الأساليب المختلطة أن تسمح للباحثين بالتعامل مع الأسئلة البحثية الأكثر تعقيداً وأن يجمعوا مجموعة أدلة أكثر قوة وأكثر ثراءً مما يمكن الوصول من خلال أسلوب بحثي منفرد. واعتمادًا على طبيعة أسئلتك البحثية وقدرتك على استخدام أساليب بحثية مختلفة، تفتح بحوث الأساليب المختلطة مجالاً من التصاميم البحثية التي تستحق الاهتمام.

تشير المناقشة السابقة لتصاميم دراسة الحالة المضمنة في الواقع، إلى حقيقة أن أنواعاً محددة من دراسات الحالة تمثل بالفعل شكلاً من أشكال بحوث الأساليب المختلطة: وقد تعتمد دراسات الحالة المضمنة على إستراتيجيات شاملة لجمع البيانات لدراسة الحالة الرئيسية، ومن ثم استدعاء المسوحات أو أساليب كمية أخرى لجمع البيانات حول الوحدة أو (الوحدات) المضمنة للتحليل. في هذه الحالة، يتم تضمين أساليب البحث الأخرى في بحوث دراسة الحالة.

العلاقة العكسية يمكن أن تحدث أيضاً. قد تكون دراسة الحالة الخاصة بك جزءاً من دراسة أساليب بحثية مختلطة بشكل واسع. لذا قد يعتمد التساؤل الرئيسي على دراسة مسحية أو طرق كمية أخرى، وقد تساعد دراسة الحالة الخاصة بك لبحث الظروف داخل أحد الكيانات التي يتم مسحها. وتظهر العلاقات المتباينة (المسح داخل الحالة أو الحالة داخل المسح) في الشكل (٢-٦)، (انظر أيضاً الملحق (ب) لمزيد من المناقشة حول هذا المزيج فيما يتعلق بدراسات التقييم).

شكل (٢-٦) الأساليب البحثية المختلطة، اثنان من الترتيبات المتداخلة



في الوقت نفسه، لا تحتاج بحوث الأساليب المختلطة إلى استخدام بحوث دراسة الحالة على الإطلاق. على سبيل المثال، حيث يمكن الجمع بين الدراسة السريرية والأسلوب التاريخي الذي يشمل التحليل الكمي للسجلات الأرشيفية، مثل الصحف ومواد أخرى للملفات. والذهاب إلى أبعد من ذلك، لا ينبغي أن تقتصر بحوث الأسـاليب المختلطة على مجموعات من الأسـاليب الكمية والكيفية. على سـبيل المثال، يمكن أن تسـتخدم دراسة ما مزيجاً من أسلوبين كلاهما كمياً مثل: مسـح لوصف ظروف معينة ويسـتكمل بتجربة تحاول أن تؤثر أو تتحكم ببعض هذه الظروف (على سبيل المثال: Berends & Garet, 2002).

وبحسـب التعريف، فإن الدراسات التي تستخدم بحوث الأساليب المختلطة تكون أكثر صعوبة في التنفيذ من الدراسـات التي تقتصر على أسـلوب بحثي واحد. ومع ذلك، يمكن لبحوث الأسـاليب المختلطة أن تمكنك من معالجة الأسئلة البحثية الأوسع أو الأكثر تعقيداً من دراسـات الحالة وحدها. ونتيجة لذلك، يجب أن يكون خلط بحوث دراسـة الحالة مع أساليب أخرى، من بين الاحتمالات التي تستحق الأخذ بعين الاعتبار.

ملاحظات الفصل الثاني:

١. يركــز الشــكل (٢-٢) فقط على عملية تصميم البحث الرســمية وليس على أنشــطة جمــع البيانات. وبالنســبة لأنواع البحوث الثلاثة (المسحية ودراسة الحالة والتجريبية)، فإن طرق جمع البيانات يمكن تصويرها كما في المســتوى أدناه، المســتوى الأول في الشــكل (٢-٢). على سبيل المثال، بالنسبة لبحوث دراســة الحالة فإن ذلك قد يشمل مصادر متنوعة للأدلة كما سيتم وصفه تفصيلاً في (الفصل الرابع). ويمكن وصف نفس طرق جمع البيانات للبحوث المســحية والتجريبية، مثل تصميم الاستبانة بالنسبة للبحوث المسحية، وإستراتيجيات العرض التحفيزية بالنسبة للبحوث التجريبية.

٢. وقــد خضع موضوع ما إذا كانت البحوث التجريبية تحتــاج كذلك لمعالجة التعميمات الإحصائية إلى نقاشــات علمية حادة في علــم النفس. ووفقاً للآراء الإحصائية، فإن الموضوعات الإنســانية في البحث التجريبــي يجب اعتبارها عينة ســكانية، عــلى أن تقتصر نتائج البحث التجريبــي على نفس مجتمع الســكان. وقد بدأ النقاش حول الاســتخدام المفرط لطلاب الســنة الثانية في البحوث الســلوكية مثل (Cooper, McCord, & Socha, 1986; Peterson 2001; MeNemar, 1946; Gordon, 2011 Slade, & Schmidt, 1986; Cooper, McCord, & Socha). ومنــذ ذلــك الوقت، امتد إلى الوعي بأن موضوع معظم البحوث السلوكية كان هو الرجال البيض في الدول الصناعية (Henrich, Heine, and Norenzayan, 2010)، على الرغم من أن النتائج التجريبية كانت تهدف لتطبيق الأســلوب على جميع البشر (Prescott, 2002, p.38).

٣. أشار أحد مراجعي الطبعة الثالثة من هذا الكتاب، إلى أن الصدق البنائي كذلك يتطلب العمل على ما إذا كان المبحوثون أو من أُجريت معهم المقابلات يستوعبون الأسئلة الموجهة إليهم.

٤. للاطلاع على مبادئ توجيهية أخرى مقترحة لمراجعي المقترحات البحثية لبحوث دراسة الحالة أو النسخ الأولية لكتابة التقارير، أنظر (Yin, 1999).

٥. إن الدراســات الكمية الصارمة التي تختار حالات لها نتائج معروفة، تتبع ذات التصميم ويطلق عليها كذلك: "التحكم في الحالة" بأثر رجعي أو دراسات الحالة المرجعية (انظر: Rosenbaum, 2002, p. 7).

جلسة دراسية ٢-١
المزيد حول تعريف "التعميم التحليلي"

يتألـف التعميـم التحليـلي مـن تقديـم بيـان نظـري بعنايـة، أو نظريـة، أو افـتراض نظـري. ويمكـن أن يأخـذ التعميـم شـكل الـدروس المسـتفادة، أو فرضيـة عمـل، أو مبـدأ آخـر يعتقـد أنـه ينطبـق عـلى مواقـف أخـرى (وليـس فقـط "حـالات مماثلـة"). وهكـذا، فـإن التعميـم التحليـلي المفضـل يطـرح عـلى مسـتوى مفاهيمـي أعـلى مـن حالـة معينـة (ويفـترض أن هـذا المسـتوى العـالي، كان لازمـاً لتبريـر أهميـة دراسـة الحالـة المختـارة في المقـام الأول).

على الرغم من عدم اســتخدام نفس المصطلحات، فقد كرســت الأعمال البارزة الأخرى الاهتمام بالتعميم التحليلي، وتمييزه أيضاً عن التعميم الإحصائي : (١) (Mitchell, 1983) مناقشة الاستدلال المنطقي والاستدلال الإحصائي؛ (٢) (Bromley, 1986) مناقشــة اســتدلال الحالة مقارنة مع الاســتدلال الإحصائي (291- p. 290)؛ ومخطــط (Donmoyer, 1990). ويغطي العمــل الرابع، الذي قام بــه (Burawoy, 1991) ، طريقة الحالة الموسعة - في وصف كيف أن التعميم "يمتد" من حالة ضيقة إلى بعض الأهمية الأوسع (280- p. 271).

إن الموقف الأكثر صعوبة وتضارباً ــ هو أن الحالة المدروســة يجب أن تفسر على أنها مثال، أو عينة من مجموعة أكبر من الحالات ــ يعود بشكل غير مرغوب فيه إلى التعميم الإحصائي (العلاقة بين العينة والمجتمع الأصلي ــ على سبيل المثال: 103 - Gomm, Hammersley, & Foster, 2000, pp. 99). هذا الموقــف يعتمــد على حقيقة أن "الحالة" تبدو أن تكون مثيلاً أو مثالاً على "حالات مماثلة". ومع ذلك، فإن مثل هذا الادعاء غير مناســب عند التفكير في التعميم التحليلي، حيث يمكن أن يكون لنتائج دراســة الحالــة آثــار تتجاوز كثيراً نفس النوع من الحالات، وتمتــد إلى مجموعة كاملة من المواقف الأخرى غير المشابهة (انظر مربع ٧، في النص الرئيسي لثلاثة أمثلة). وعلاوة على ذلك، ما لم تتضمن دراسة حالة عدداً كبيراً من الحالات ــ عادة عشرات إذا لم يكن مئات من الحالات (انظر الدرس التعليمي ٥-٣) ــ ستواجه الدراسة معركة شاقة من خلال استدعاء العينة إلى التجانس مع المجتمع الأصلي ، وما يصاحب ذلك من حاجة إلى توظيف تحليلات إحصائية لتقييم قوة أي علاقة.

يقــدم (Small, 2009) مثالــين ممتازين ومناقشــة ثاقبة للتعميم التحليلي، واستشــهد أيضاً بنفس المراجع العلمية الرئيسية المشار إليها أعلاه. وبالنسبة له، المنطق المفضل يمثل "وجهة نظر مختلفة ولغة تســاؤل مختلفــة" (p.18). ويلاحظ كذلك أهميــة البدء مع اقتراح موضوعي (على ســبيل المثال، علاقة سببية) بدلاً من علاقة رقمية (على سبيل المثال، تمثيل الحالة) لجعل التعميمات التحليلية مقبولة.

توضيحات مختصرة عن المراجع العلمية للجلسة الدراسية ٢-١:

- Bromley, D. B. (1986). The case-study method in psychology and related disciplines. Chichester, England: Wiley. يقدم إرشادات شاملة حول بحوث دراسة الحالة في علم النفس

- Burawoy, M. (1991). The extended case method. In M. Burawoy, A. Burton, A. A. Ferguson, K. J. Fox, J. Gamson, N. Gartrell, et al. (Eds.), Ethnography unbound: Power and resistance in the modern metropolis (pp. 271–287). Berkeley: University of California Press.

يقدم طريقة الحالة الموسعة لتحليل بيانات الملاحظة بالمشاركة.

- Donmoyer, R. (1990). Generalizability and the single-case study. In E. W. Eisner & A. Peshkin (Eds.), Qualitative inquiry in education: The continuing debate (pp. 175–200). New York: Teachers College Press.

يقدم طريقة للتعميم من دراسات فردية ، لا تستند على أخذ العينات والأهمية الإحصائية.

- Gomm, R., Hammersley, M., & Foster, P. (2000). Case study and generalization. In R. Gomm, M. Hammersley, & P. Foster (Eds.), Case study method (pp. 98–115). London: Sage.

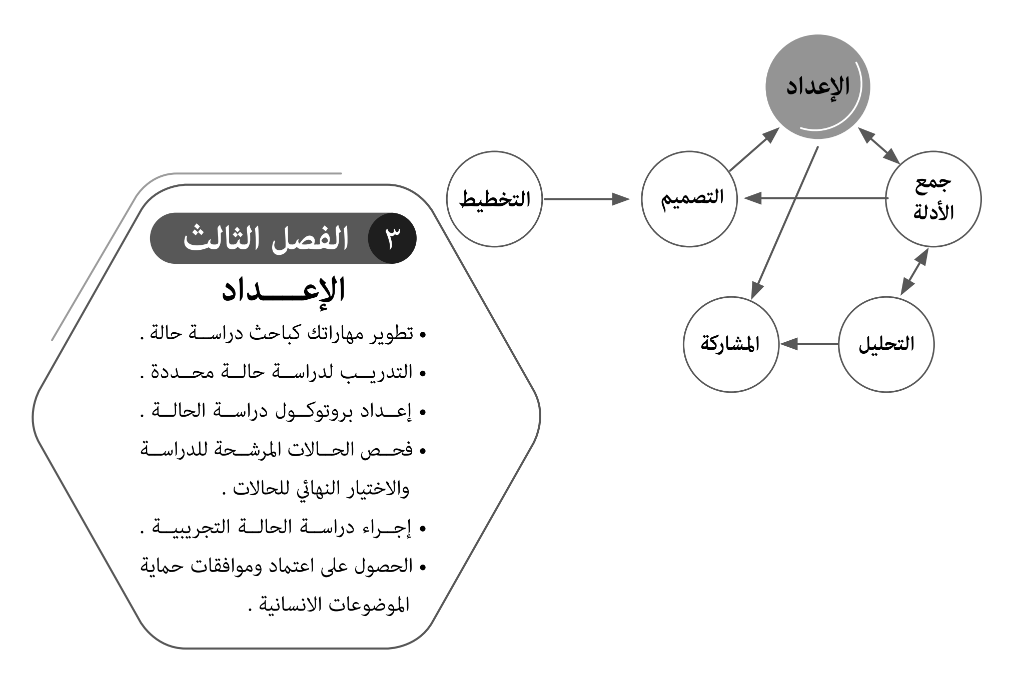
يسلط الضوء على استخدام أسلوب دراسة الحالة للتعميم ، بدلاً من مجرد دراسة حالة لأغراضها الخاصة.

- Mitchell, J. C. (1983). Case and situation analysis. Sociological Review, 31, 187–211.

يشـــدد على بحث دراسة الحالة كأسلوب للمحافظة على وحدة الشخصية للكائن الاجتماعي الذي تتم دراسته، ويناقش تحدي التعميم من الحالة أو الحالات.

- Small, M. L. (2009). “How many cases do I need?” On science and the logic of case selection in field based research. Ethnography, 10, 5–38.

يقدم مقالة علمية مدروســة حول القضايا الرئيســية في تصميم البحث الميداني ، بما في ذلك تحدي التعميم من المواقف الميدانية.



نبذة مختصرة:

يبدأ التحضير للقيام بدراسـة الحالة بمهارات وقيم سابقة للباحث، ويغطي الإعداد والتدريب لإجراء دراسة الحالة المحددة (بما في ذلك إجراءات حماية الموضوعات الإنسانية).

وفيـما يتعلق بالمهـارات، فإن الكثير من الناس يعتقدون بشـكل غير صحيح أنهـم ماهرون بما فيه الكفايـة لإجراء بحوث دراسـة الحالة لأنهم يعتقدون أن الطريقة سـهلة للقيام بهـا. في الواقع، تعتبر بحوث دراسة الحالة من بين أصعب أنواع البحوث بسبب عدم وجود إجراءات موثقة جيداً. لذا ؛ يحتاج الباحثون في دراسة الحالة إلى الشعور بالراحة، في معالجة أوجه عدم اليقين الإجرائية التي قد تنشأ أثناء مراحل الدراسـة. وتشـمل السـمات الأخرى المرغوب فيها : القدرة على طرح أسـئلة جيدة، والاستماع؛ والتكيـف؛ وامتلاك فهم عميـق للقضايا قيد الدراسـة؛ ومعرفة كيفية تجنب التحيـز، وتحقيق معايير أخلاقية عالية للبحوث.

ويمكن للباحث التحضير لإجراء دراسة حالة عالية الجودة من خلال التدريب المكثف. وسوف يغطي الجـزء الأهم من التدريب تطوير بروتوكول دراسـة الحالة لتوجيه جمـع البيانات الفعلية. حيث يعتبر البروتوكول حاسـماً بشـكل خاص، إذا كانت دراسـة الحالة تسـتخدم تصميماً متعدد الحالات، أو يقوم بإجرائهـا باحثون متعددون أو كلاهما. وتشـمل الخطوات التحضيرية الأخرى فحص الحالات المرشـحة، لتكون جزءاً من دراسة الحالة، وإجراء دراسة حالة تجريبية.

٣

الإعداد لجمع أدلة دراسة الحالة

ماذا تحتاج قبل البدء في جمع بيانات دراسة الحالة

على الرغم من أن إجراء دراسة الحالة يبدأ بأسئلة البحث التي ستتم معالجتها وتطوير تصميم دراسة الحالة المناسب، إلا أن معظم الباحثين يربطون إجراء دراسة الحالة بعملية جمع البيانات لهذه الدراسة. ويركز الفصل الحالي و (الفصل الرابع) على عملية جمع البيانات؛ حيث يتعامل هذ الفصل مع الإعداد والتحضير المطلوب لذلك، في حين يغطي (الفصل الرابع) الطرق الفعلية لجمع البيانات.

إن عملية الإعداد لجمع البيانات قد تكون معقدة. وإذا لم يتم القيام بها بصورة جيدة فإن ذلك يمكن أن يعرض الدراسة بأكملها للفشل، كما أن كل العمل السابق ــ في تحديد أسئلة البحث وتصميم دراسة الحالة ــ سيكون بدون نتيجة. وعلاوة على ذلك، فإن الحصول على الموافقة الرسمية لإجراء دراسة الحالة تبين كيف سيتم حماية الموضوعات الإنسانية التي يمكن أن تشكل تحدياً آخر.

يبدأ الإعداد الجيد بـ (١) توفر المهارات والقيم المطلوبة لدى الباحث في دراسة الحالة. ونادراً ما كانت هذه تحظى باهتمام صريح في الماضي. ومع ذلك، فإن جزءاً منها ضروري ويمكن تعلمه أو ممارسته. كما أن هناك أربعة موضوعات إضافية يجب أن تكون جزءاً رسمياً من عملية الإعداد والتحضير لدراسة حالة تتمثل في: (٢) التدريب لدراسة حالة محددة، (٣) إعداد بروتوكول دراسة الحالة، (٤) فحص الحالات المرشحة، (٥) إجراء دراسة حالة تجريبية.

ويعتبر البروتوكول وسيلة فعالة بشكل خاص في التعامل مع مشكلة زيادة الثقة في نتائج دراسات الحالة. ومع ذلك، فإن هناك حاجة إلى التطبيق الصحيح لجميع الموضوعات الخمسة، للتأكد من أن عملية جمع بيانات دراسة الحالة تسير بسهولة.

وتغطي الأجزاء التالية من هذا الفصل كل هذه الموضوعات بشيء من التفصيل.

الباحث في دراسة الحالة ـ المهارات والقيم المطلوبة:

يتجه الكثير من الباحثين إلى دراسة الحالة لأنهم يعتقدون أنها عملية «سهلة». ويعتقد العديد من المتخصصين في الاجتماع ـ وخاصة حديثي الخبرة ـ أنه يمكن إجراء بحث دراسة الحالة باحترافية وبدون صعوبة كبيرة، وهم يعتقدون كذلك أنهم سيتعيَّن عليهم فقط أن يتعلموا الحد الأدنى من الإجراءات الفنية، وأن أياً من أوجه القصور في المهارات الرئيسة والتحليلية هو أمرٌ غير مهم، وأن دراسة الحالة سوف تسمح لهم ببساطة "بقول الحقيقة كما هي" وأنه لا توجد معتقدات يمكن أن تكون أبعد من الحقيقة.

في واقع الأمر، إن الرغبة في إجراء بحث دراسة الحالة بالنسبة للتفكير الخاص للباحث وذاته وعواطفه، هي أكثر بكثير من أي أسلوب بحثي آخر، وذلك بسبب أن إجراءات جمع البيانات غير روتينية. إذا أخذنا التجارب المعملية أو المسوحات البحثية على سبيل المثال، فإن مرحلة جمع البيانات في مشروع البحث يمكن القيام بها إلى حدٍ كبير في ظل وجود شخص واحد أو أكثر من مساعدي الباحث. حيث يقوم هؤلاء المساعدون بأنشطة جمعٍ البيانات باتباع الحد الأدنى من السلوك التقديري، وهنا يكون النشاط روتينياً والتحليل مملاً.

إن إجراء دراسة الحالة لا يوفر مثل هذ التوازي. وفي الواقع، فإن هناك حاجة لباحث صاحب خبرة وتدريب جيد للقيام ببحث دراسة حالة عالي الجودة وذلك بسبب التفاعل المستمر بين الموضوعات النظرية التي يتم دراستها والبيانات التي يتم جمعها. والتوسط في مثل هذا التفاعل يتطلب دقة وحساسية؛ لأنها قد تتضمن جوانب فنية في جمع البيانات وكذلك مسائل أخلاقية مثل التعامل مع تبادل معلومات خاصة وكذلك مع نزاعات ميدانية محتملة. ومن ثم، فإن الباحث الممارس فقط ستكون له القدرة على الاستفادة من الفرص الغير متوقعة بدلاً من أن يقع ضحية لها، وفي الوقت ذاته يمنح العناية الكافية لتجنب استخدام أي اجراءات تحيز محتملة.

نقطة تعلم : متى أكون مستعداً لبدء جمع بيانات دراسة الحالة ؟

لقد انتهيت مؤخراً من تصميم دراسة الحالة الخاصة بك من خلال اتباع الاقتراحات الواردة في الفصل الثاني، وتشعر بالقلق للبدء في جمع البيانات لأن الوقت قصير، وتتوفر فرص جمع البيانات المتاحة. ومع ذلك، ينبغي عدم تعريف استعدادك بقيود أو ظروف زمنية خارجية. بدلاً من ذلك، يعتمد «استعدادك» على مستويات المهارات الخاصة بك للقيام بدراسات الحالة، بالإضافة إلى الانتهاء من الإجراءات الرسمية والتحضيرية قبل جمع البيانات الفعلية مثل إجراءات الاختيار المناسب للحالة التي ستقوم بدراستها.

هل مارست هذه المهارات، وهل تعتقد أن بحوث دراسة الحالة تحتاج إلى اتباع إجراءات رسمية في التحضير لجمع البيانات؟

لســوء الحظ، لا توجد اختبارات لتمييز الأشــخاص المتوقع أن يصبحوا باحثين جيدين في مجال دراسات الحالة من غيرهم. وإذا قمنا بمقارنة ذلك مع مجالات أخرى مثل الرياضيات أو حتى القانون، فسنجد في الرياضيات مثلاً أن الناس لديهم القدرة على تقييم قدراتهم الحسابية وكذلك يمكنهم فحص قدراتهم عند مراحل متقدمة لأنهم ببساطة قد لا تتوفر لديهم القدرة على حل المســائل الرياضية عند مســتويات أعلى. ولممارســة القانون، فإن اجتياز الشخص للاختبارات المهنية في مجال القانون متاح في أي دولة، والأشــخاص الذين يفشــلون في اجتياز مثل هذه الاختبارات لن تكون لهم القدرة على الاستمرار في هذا المجال.

مثــل هذه الاختبــارات والقيود غير متوفــرة، لتقييم المهارات والقيــم المطلوبة للقيام بدراســات حالة جيدة. ولكن هناك قائمة بالمميزات الأساسية المطلوب توفرها في أي باحث في هذا المجال، وهي القدرة على التالي:

- طرح أسئلة جيدة، وتفسير الإجابات بصورة نزيهة.
- أن يكون مستمعاً جيداً غير متأثر بالأيديولوجيات الحالية أو الأفكار المسبقة.
- أن يكون في وضع الاســتعداد للتكيف للاستفادة من أي أوضاع جديدة يمكن أن تشكل فرصاً وليست تهديدات.
- الفهم العميق للقضية قيد الدراسة حتى وإن كانت في المرحلة الاستكشافية.
- تجنــب التحيز بأن يكون حساســاً مع الأدلة المضادة، ومعرفــة كيفية إجراء البحث بصورة أخلاقية.

إن عــدم توفر أي من هذه المميزات هو شيء قابل للتطوير ؛ لأن أي باحث يفتقر ميزة أو أكثر منها يمكنه العمل على تطويرها. ولكن كل باحث مطالبٌ بأن يكون نزيهاً في تقييم قدراته في المقام الأول. وبناءً عليه، فإنه يمكنك اختبار نفسك في الأجزاء التالية:

طرح الأسئلة الجيدة:

على نحو يفوق كل أساليب البحوث التي تمت مناقشتها في (الفصل الأول)، فإن بحوث دراســة الحالــة تتطلب إلى عقلية استفســارية خلال مرحلة جمــع البيانات وليس فقط قبل أو بعد هذه العملية. إن القدرة على تقديم وطرح أســئلة جيدة هي من المتطلبات المسبقة التي يجب توفرها لدى الباحثين في دراسة الحالة. والنتيجة المطلوبة من الباحث هي بناء حوار ثري مع توفير الأدلة اللازمة وهذه هي المهمة التي يقوم بها.

"إن التأمل في المكتسبات التي يتم تحقيقها من التآلف العميق مع جانبٍ ما من جوانب هذا العالم، وتنظيــم تلك الأفكار من خلال علاقتها مع أنواع المعلومــات التي يمكن جمعها، والتحقق من الأفكار في ضوء تلك المعلومات، والتعامل مع الخلافات الحتمية بين ما كان متوقعاً وما بين النتائج المتحصلة، يكون من خلال إعادة التفكير في إمكانية الحصول على المزيد من البيانات وغير ذلك"(Becker, 1998, p.66).

تتبع عملية جمع البيانات بروتوكولاً رســمياً، غــير أن المعلومات المحددة التي يمكن أن تكون مناســبة مع دراسة الحالة لا يمكن التنبؤ بها بسهولة. وعند جمع أي دليل في دراسة الحالة، فإن الباحث مطالبٌ بسرعة مراجعة هذا الدليل وتوجيه أسئلة مستمرة لنفسه: لماذا تظهــر الأحداث أو التصورات على هذا النحو؟ وقد تقــود الأحكام التي يصدرها إلى حاجة عاجلة للبحث عن دليل إضافي.

إذا كانت لديك القدرة على طرح أســئلة جيــدة خلال مرحلة جمع البيانات، فمن المؤكد أنك ستتعرض لاستهلاك عقلي وعاطفي مع نهاية كل يوم في عملك الميداني. وهذا الاستنزاف للطاقة التحليلية هو أمر يختلف تماماً عن الخبرة في جمع البيانات التجريبية أو المسحية، والتي هــي اختبار «الموضوعات» أو إدارة الاســتبانات، وفي هذه المواقف فإن عملية جمع البيانات تكون روتينية للغاية. كما يجب على جامعي البيانات إكمال حجم محدد من العمل، ولكن مع ممارسة الحد الأدنى من السلوك التقديري. وإضافة لذلك، فإن أي عرض موضوعي للأدلة لا يأتي إلا بعد فترة من الزمن، وتكون النتيجة أن مثل جامعي البيانات هؤلاء يصبحون مرهقون بدنياً، كما أنه سيكون من الصعب اختبارهم ذهنياً بعد يوم كامل في جمع البيانات.

من المفيد في عملية طرح الأسئلة الجيدة فهم أن البحث يدور حول الأسئلة وليس بالضرورة حول الإجابات. إذا كنت ذلك الشخص الذي تقوده مباشرةً إجابة واحدة أولية إلى طرح مجموعة من الأسئلة الجديدة، وإذا كانت هذه الأسئلة تؤدي في النهاية إلى بعض التساؤلات المهمة حول كيف ولماذا يعمل العالم بطريقته الحالية، فأنت في الغالب تعتبر شخصاً يطرح أسئلة جيدة.

كُن «مستمعاً» جيداً:

بالنسبة لدراســات الحالة، فإن «الاستماع» يعني استقبال المعلومات عن طريق أشكال متعددة مثل إجراء ملاحظات متعمقة، أو استشــعار ما يدور حولك وليس فقط اســتخدام حاسة السمع. أن تصبح مستمعاً جيداً يعني القدرة على استيعاب كمية كبيرة من المعلومات بدون تحيز. وعندما يحكي أو يسرد الشــخص الذي تُجــري معه المقابلة حادثة معينة، فإن

المســتمع الجيــد يقوم بتمييز الكلمات المحددة التي اســتخدمها ذلك الشــخص (في بعض الأحيــان تعكــس المصطلحات وجهة نظر مهمــة)، ويراقب مزاج وعاطفة ذلك الشــخص، ويفهم الســياق الذي يدرك به ذلك الشخص العالم، ويستنتج المعنى الذي يقصده الشخص الذي تُجري معه المقابلة (وليس الذي يقصده الباحث).

وهناك حاجة كذلك لتطبيق مهارة الاســتماع في مراقبة الأدلة الوثائقية، وكذلك ملاحظة الحالات الواقعية. وفي مراجعة الوثائق، يأخذ الاســتماع شــكلاً من أشــكال القلق حول ما إذا كان صاحب الوثيقة يهدف لإيصال أي رســالة مهمة من بين الســطور. فأي اســتدلالات ستحتاج للتأكيد عن طريق مصادر معلومات أخرى، ولكن هناك رؤى مهمة يمكن اكتسابها بهذه الطريقة. إن المستمعين غير الجيدين لا يمكنهم حتى ملاحظة أن هناك معلومات بين السطور. وتشمل أوجه القصور السمعية الأخرى: أن تكون العقلية مغلقة، والانتقائية فيما يتم الاستماع إليه أو ببساطة امتلاك ذاكرة ضعيفة.

القدرة على التكيّف:

تنتهي القليل من دراســات الحالة بحسب ما هو مخطط لها بالضبط. والشيء الملزم أحياناً هو أنك ستضطر لعمل تغيرات صغيرة أو كبيرة تتنوع من الحاجة إلى متابعة حدث غير متوقع (وهذا من المحتمل أن يكون تغيراً صغيراً)، إلى الحاجة لتحديد "حالة" جديدة للدراســة (وهذا تغير كبير بلاشــك). وعلى الباحث الماهر أن يتذكر الغرض الأســاسي لدراســة الحالة، وأن يكون له القدرة على تعديل الإجراءات أو الخطط إذا وقعت أحداث غير متوقعة (انظر مربع ١٣).

وعندما يحدث التحول، يجب عليك المحافظة على وجهة النظر غير المتحيزة، والإقرار بتلك المواقــف التي بدأت فيها حقيقةً ومن غير قصد مواصلةُ دراســة جديدة تماماً. عندما يحدث ذلك، فإن الكثير من الخطوات المكتملة بما في ذلك التصميم الأوَّلي لدراسة الحالة، يجب إعادة تكرارها وإعادة توثيقها. إن من أسوأ الشكاوى حول إجراء بحوث دراسة الحالة هي أن يقوم الباحثون بتغير اتجاه الدراســة بدون أن يعرفوا أن تصميم بحوثهم الأصلية كانت غير مناسبة لدراسة الحالة في النهاية، مما يترتب عليه ثغرات وتحيزات غير معروفة. ولذلك ؛ فإن حاجتك لموازنة القدرة على التكيف بالدقة المطلوبة ــ وليس الصرامة ــ لا يمكن المبالغة في تأكيدها.

مربع (١٣)

القدرة على التكيّف في تصميم دراسة الحالة

حتى بعد أكثر من (٦٠) عاماً من نشرها ، لا تزال دراسة Peter Blau (1955) للسلوك في المنظمات الحكومية الضخمة بعنوان (ديناميكيات البيروقراطية - The Dynamics of Bureaucracy) قيّمة بسبب أفكارها حول العلاقة بين التنظيم الرسمي وغير الرسمي لمجموعات العمل.

على الرغم من أن دراسته ركزت على اثنين من المنظمات الحكومية، فلم يكن هذا هو التصميم الأوّلي للدراسة. وكما يلاحظ المؤلف، كان يعتزم أولاً دراسة منظمة واحدة، ثم ينتقل بعد ذلك إلى خطة لمقارنة منظمتين - منظمة عامة ومنظمة خاصة (Blau, 1955, pp. 272-273). غير أن محاولاته الأولية للوصول إلى منظمة خاصة لم تنجح ، وفي الوقت نفسه وضع مبرراً أقوى لمقارنة نوعين مختلفين من المنظمات الحكومية.

هذه التحولات في الخطط الأوّلية، هي أمثلة على أنواع التغييرات التي يمكن أن تحدث في تصميم دراسة الحالة. وتبين هذه التجربة كيف يمكن للباحث الماهر الاستفادة من الفرص المتغيرة، فضلاً عن التحولات في المخاوف النظرية لإعداد دراسة حالة كلاسيكية.

إن التكيف المطلوب يجب كذلك أن لا يؤدي إلى أي ميول استغلالية من جانب الباحث. على سبيل المثال، إذا كان الشخص الذي تُجري معه المقابلة يرغب في أخذ مزيد من الوقت للإجابة عن أسئلتك، فإن البقاء متكيفاً لا يعني أنه بإمكانك في تلك الحالة تمديد وقت المقابلة إلى ما هو أبعد من التزام الشخص الأوَّلي بالمقابلة. وعلى نحو مماثل، إذا سمحت لك مؤسسة ما بقراءة بعض الوثائق السابقة التي حجبتها عنك، فلا تفكر مباشرةً في نسخ هذه الوثائق إلا إذا أشار الشخص الذي استضافك بأن ذلك يمكن أن يكون إجراءً مقبولاً.

امتلاك فهم عميق للقضايا التي تتم دراستها:

إن الطريقة الرئيسية للمحافظة على الهدف هو تذكر وفهم الغرض من دراسة الحالة في المقام الأول. ويجب على باحث دراسة الحالة فهم الموضوعات النظرية أو تلك التي لها علاقة بالسياسات؛ وذلك لأن الأحكام التحليلية يجب القيام بها عبر

مرحلــة جمع البيانات. وبدون فهم عميق لهذه الموضوعات، فإنك ســتفقد أدلة مهمة ولــن يكون في مقــدورك معرفة متى كان الانحــراف مقبولاً أو حتــى مرغوباً. والنقطة المهمة هنا، هي أن جمع بيانات دراســة الحالة ليســت مجرد عملية لتسجيل البيانات بطريقــة ميكانيكيــة كــما في بعض أنواع البحــوث الأخرى. كما يجــب عليك أن تكون قــادراً على تفســير المعلومات في وقت جمعها، وأن تعرف على الفور على ســبيل المثال إذا كانت هناك مصادر عديــدة للمعلومات تناقض بعضها البعض، وتقودك إلى الحاجة للبحث عن أدلة جديدة، تمامــاً مثل المحقق الجنائي الجيد.

في الواقــع، إن دور المحقق الجنائي يقدم بعض الرؤى الجيدة في مجال دراســة الحالة. لاحــظ أن المحقــق الجنائي يأتي إلى مــسرح الجريمة بعد ارتكاب الجريمة، ويتم اســتدعاؤه بصورة أساســية لعمل اســتدلالات عما حدث فعلاً. ويجب أن تســتند هذه الاســتدلالات على أدلة متقاربة من الشهود والأدلة المادية إلى جانب عناصر أخرى يتم التوصل إليها عن طريق الحس الســليم. وفي النهاية، يمكن للمحقق عمل اســتدلالات من جرائم عديدة لكي يحدد ما إذا كان الجاني قد ارتكبها. وهذه الخطوة الأخيرة مشــابهة لمنطق النســخ المتماثل الموجودة في دراسات الحالة المتعددة.

تجنب التحيز، والعمل على إعداد البحث بشكلٍ أخلاقي:

إن كل الــشروط الســابقة ســتعتبر لاغيــة، إذا كان الباحث يرغب في اســتخدام دراســة الحالة لإثبات موقف مســبق. ويتعرض باحثو دراســة الحالة بصورة خاصة لهذه المشكلة لأن عليهم اســتيعاب الموضوعات سلفاً (انظر: Becker, 1958, 1967)، ومثل هذا الفهم يجعلهم يميلــون بصورة غير مرغــوب فيها نحو الأدلة الداعمــة ويبعدهم عن الأدلــة المناقضة. وقد تكــون أنت كباحث كذلك قد اخترت إجراء دراســة حالة لتمكينك (بصــورة خاطئة) للبحث (والأســوأ من ذلك) الدفاع عن اتجاه محدد للموضوعات[1].

إن أول اختبــار لهــذا التحيــز المحتمل هو درجــة انفتاحك للأدلة المناقضة. على ســبيل المثــال، فإن عدداً مــن الباحثين يقومون بعمل دراســات عن "المنظمات غــير الربحية"، قد يتفاجأوا عند اكتشــافهم بأن العديد من هذه المنظمات لها دوافع رأســمالية (على الرغم من أن هذه المنظمات لا تحقق أرباحاً بشكل رسمي). إذا استندت هذه النتائج إلى أدلة مقنعة، فإن اســتنتاجات دراســة الحالة هذه يجب أن تعكس هذه النتائج المناقضــة. ولاختبار مقدار تقبلك

للنتائج المناقضة، أرسل نتائجك الأولية – وأنت في مرحلة جمع البيانات – إلى اثنين أو ثلاثة من زملائك البارعين. يجب على هؤلاء الزملاء تقديم تفسيرات واقتراحات بديلة لجمع البيانات. إذا كان السعي نحو النتائج المناقضة يمكن أن يقدم ردود أو إجابات قابلة للتوثيق، فإن احتمالات التحيز يمكن أن تنخفض.

إن الابتعاد عن التحيز ما هو إلا جانب واحد من مجموعة من القيم التي تندرج ضمن أخلاقيات البحث العلمي. لذا فإن باحث دراسة الحالة الجيد مثل علماء الاجتماع الآخرين؛ سيكافح من أجل ضمان أعلى المعايير الأخلاقية عند القيام بالعمل البحثي. وتتضمن تلك القيم: التحلي بالمسؤولية اللازمة تجاه المهمة البحثية التي يقوم بها، مثل سرقة أو تزوير المعلومات، وكذلك التحلي بالنزاهة وتجنب الخداع وتحمل مسؤولية العمل، وتتضمن كذلك التحلي بالكفاءة المهنية اللازمة التي تشمل التقدم في البحوث في مجال تخصصه، وضمان الدقة، والالتزام بالمصداقية ، وفهم المؤهلات المنهجية الضرورية وحدود العمل الذي يقوم به.

يمكنك معرفة المزيد عن المعايير الأخلاقية الخاصة التي تؤكد عليها التخصصات الأكاديمية المختلفة من خلال التعرف على العديد من الوثائق للجمعيات التالية: جمعية الأنثروبولوجيا الأمريكية (١٩٩٨)، الجمعية الأمريكية لأساتذة الجامعات (٢٠٠٦)، الجمعية الأمريكية للبحوث التربوية (٢٠٠٠)، جمعية التقييم الأمريكية (٢٠٠٤)، لجنة الأخلاق المهنية والحقوق والحريات لجمعية العلوم السياسية الأمريكية (٢٠٠٨)، جمعية علم النفس الأمريكية (٢٠١٠)، وجمعية علم الاجتماع الأمريكية (١٩٩٩).

تمرين ٣-١: تحديد المهارات اللازمة لإجراء بحوث دراسة الحالة

اذكر المهارات المختلفة التي يجب أن يمتلكها باحث دراسة الحالة. هل تعرف أي أشخاص كانوا ناجحين في إجراء بحوث دراسة الحالة؟ ما هي نقاط الضعف والقوة التي كانوا يمتلكونها كباحثين؟ هل هي مشابهة لتلك التي ذكرتها قبل قليل للإجابة في بداية تساؤلات هذا التمرين؟

تمرين ٣-٢: تحليل مهاراتك الخاصة لإجراء بحوث دراسة الحالة

ماهي المهارات المميزة التي تعتقد بأنها تساعدك في إجراء دراسة الحالة ؟ هل قمت بدراسات سابقة تحتاج إلى جمع وتحليل معلومات أصلية؟ هل قمت بأي عمل بحثي ميداني؟ إذا كانت الإجابة بنعم، ففي أي الجوانب تعتبر نفسك مستمتعاً جيداً أو شخصاً متمكناً في الملاحظة؟ وإذا قمت بتحديد بعض مهارات دراسة الحالة التي لا تزال تحتاج لتطويرها، كيف تتقدم في هذه المهمة؟

الإعداد والتدريب لدراسة حالة معينة:

حماية الموضوعات الإنسانية:

تنشأ بعض الاعتبارات الأخلاقية لكافة البحوث العلمية التي تدخل فيها "موضوعات" إنسانية، ويقصد بها أولئك الأشخاص الذين سيشاركون في دراستك أو الذين ستجمع منهم معلومات مسجلة مسبقاً، مثل سجلات الموظفين أو العملاء أو درجات الطلاب. ونتيجة لذلك؛ فإنه في الوقت الذي يكون بين إكمال التصميم الخاص بك وبداية جمع البيانات ستحتاج إلى توضيح كيف تخطط لحماية الموضوعات الإنسانية في دراسة الحالة الخاصة بك، وستحتاج للحصول على موافقة رسمية لذلك، ويجب عليك أن لا تنظر لهذه الموافقة على أنها مجرد عملية رقابة شكلية فقط.

إن الحاجة لحماية الموضوعات الإنسانية تنبع من حقيقة أن أغلب دراسات الحالة، مثل التي يغطيها هذا الكتاب، لها علاقة بالجوانب الإنسانية. وبذلك في هذا الشأن، فأنت والمتخصصون في علم الاجتماع الآخرون، تختلفون عن المتخصصين الذين يدرسون النظم الفيزيائية أو الكيميائية أو النظم غير الإنسانية الأخرى، وكذلك تختلفون عن الباحثين في التاريخ الذين قد يدرسون «الماضي القديم». إن دراسة «ظاهرة معاصرة في سياقها الواقعي "الحقيقي" تلزمك كباحث بممارسات أخلاقية مهمة، وقريبة لتلك التي تُتبع في البحوث الطبية.

وكجزء من عملية الحماية، فأنت مسؤول عن إجراء دراسة الحالة الخاصة بك بعناية وحساسية خاصة، بحيث تذهب إلى ماهو أبعد من تصميم البحث والاعتبارات الفنية

الأخـرى التي تناولها هذا الكتاب. وهــذه العناية وفقاً لمجلس البحـوث الوطني الأمريكي (Research Council National, 2003, p.23) غالباً تشمل التالي:

- الحصـول عـلى موافقة مكتوبة من كافة الأشـخاص الذين قد يكونون أطرافاً في دراسـة الحالـة الخاصة بك؛ وذلك من خلال تنبيههم بطبيعة دراسـة الحالـة، وأن تطلب منهم بصورة رسمية التطوع في المشاركة في دراستك.
- حماية المشاركين في دراستك من أي ضرر، بما في ذلك تجنب استخدام أي نوع من الخداع في دراستك.
- حمايـة خصوصيـة وسرية جميع المشـاركين نتيجة لمشـاركتهم في دراسـتك؛ وذلك بعدم تعريضهم من غير قصد لأي أوضاعٍ غير مرغوب فيها، بما في ذلك وضعهم في قوائم للمشاركة في أي دراسات مسـتقبلية، سواء أُجريت هذه الدراسات من قِبلك أو بواسطة باحث آخر.
- اتخـاذ التدابير الخاصة الضرورية لحماية بعض الفئات (مثل البحوث التي تتناول بيانات تتعلق بالأطفال).
- اختيار المشـاركين بإنصاف، بحيث لا يتم تضمين أو استبعاد مجموعات من الناس بصورة غير عادلة من البحث.

إن الموافقة الرسـمية على خطة البحث ستأتي من مجلس المراجعة المؤسسية (IRB)، حيث يتولى المجلس مسـؤولية مراجعة وقبول كل البحوث ذات العلاقة بالموضوعات الإنسـانية قبل البـدء في إجراء مثل هذه البحـوث. ونتيجة لذلك، فإن الخطوة الأهم قبل الشروع في دراسـة الحالة الخاصة بك، هي البحث عن مجلس المراجعة المؤسسـية في الجهة البحثية أو التعليمية التي تعمل معها، واتباع ارشاداته والحصول على موافقته.

سـتغطي مراجعة المجلس أهداف وتصميم دراستك، وكيف تخطط لحماية الموضوعات الإنسانية بها. لاحظ أن تفاعلك مع الموضوعات الإنسانية المحددة في دراستك يتم من خلال الاتصال المباشر (مثل المقابلات الشـخصية) والاستخدام المحتمل للسجلات الأرشيفية (مثل سـجلات الموظف أو سـجلات المدرسة). ومقارنةً لاسـتعراض المجلس للدراسات باستخدام أسـاليب بحثية أخرى، قد يخصص المجلس اهتماماً إضافياً لدراسـة حالة مقترحة بسـبب عدم الإلمام ببحوث دراسـة الحالة. على سـبيل المثال، قد تكون مقابلات دراسة الحالة أكثر تحدياً بسـبب أن التفاعلات غير منظمة كما هو الحال في المقابلات المسـحية والاسـتبانات المغلقة. وسوف يرغب المجلس في معرفة مثل هذه المعلومات عن كيفية التخطيط للتفاعل

مع المشـاركين في الدراسة، والبروتوكولات أو أدوات جمع البيانات التي تخطط لاستخدامها، وكيف ستضمن جوانب الحماية المختلفة مثل الموافقة المسبقة من المشاركين، ومنع الضرر، والخصوصيـة والسرية (انظر الـدرس التعليمي ٣-١ لمزيد من التفاصيل حول الاسـتعداد والتفاعل مع مجلس مراجعة مؤسسي).

كما أن المزيد من الإرشادات العامة تأتي من الأخلاقيات المهنية الخاصة بك، وكذلك من جمعيات البحوث المهنية التي تنشر معاييرها الخاصة لإجراء البحوث الإنسانية، وليس فقط دراسات الحالة (على سبيل المثال، اللجنة المشتركة لمعايير التقييم التربوي (١٩٨١م) ، وأيضاً يمكنك الإطلاع على وثائق الجمعيات المهنية السـبعة التي تمت الإشـارة إليها أعلاه). ومن المهـم أيضاً أن يكون لدى الجهة البحثية التي تعمل معها توقعاتها الخاصة ـ سـواء كنت جزءاً من جامعة أو منظمة بحثية مستقلة ـ وتحتاج إلى اتباع إرشاداتها وإجراءاتها.

التدريب لإجراء دراسة الحالة:

التدريـب هو أيضاً خطوة ضرورية في إجراء بحوث دراسـة الحالـة. ولن تكون دائماً الفترات الزمنية للتدريب بالنسـبة إلى توقيت تقديم طلب الحصول على موافقة حماية الموضوعـات الإنسـانية مجدولة أو مرتبة. لذا يجب أن يكـون لديك بعض خطط جمع البيانـات قبـل طلـب الموافقة، ولكن كما هو مبـين أدناه، لا يمكن أن يتـم الانتهاء من الخطط حتى يتم اعتماد الموافقة والحصول عليها. ولذلك؛ يمكن أن تتم أنشطة التدريب الموضحـة أدناه على مدى فترة ممتدة من الزمن، تبدأ قبل ذلك ولكن تنتهي بعد عملية الموافقة.

وبالنسبة لبحوث دراسة الحالة، فإن العنصر الرئيسي لفهم التدريب المطلوب هو أن نفهم أن كل باحث دراسة حالة يجب أن يكون قادراً على العمل كباحث «خبير». بمجرد أن تبدأ في جمع البيانات، ويجب أن تفكر في نفسك كباحث مستقل لا يمكنه الاعتماد على صيغة جامدة لتوجيه تساؤلاته. كما يجب أن تكون قادراً على اتخاذ قرارات ذكية خلال عملية جمع البيانات.

وبهـذا المعنى، يبدأ التدريب للقيام بدراسـة حالة فعلياً بتعريف أسـئلة البحث التي يجري تناولها وتطوير تصميم دراسـة الحالة. وإذا تم إجراء هذه الخطوات بشـكل مُرضٍ، كـما هو موضح في (الفصلين الأول و الثاني)، قد تكون هناك حاجة إلى بذل الحد الأدنى من الجهد الإضافي خاصة إذا كان هناك باحث واحد فقط لدراسة الحالة.

ومع ذلك، فإنه غالباً ما يحدث أن دراســة الحالة يجب أن تتم من قِبل (فريق) دراســة الحالة[٢]، لأي من الأسباب الثلاثة التالية:

١. عندما تتطلب حالة واحدة جمع بيانات مكثفة في نفس الموقع، مما يتطلب «فريقاً» من الباحثين (انظر مربع ١٤).
٢. عندما تتضمن دراســة الحالة على حــالات متعددة، مع الحاجة إلى أشــخاص مختلفين لتغطية كل موقع أو للتناوب بين المواقع (Stake, 2006, p.21).
٣. مزيج من الشرطين السابقين.

مربع (١٤)

الأعمال اللوجستية للبحوث الميدانية، في الفترة ١٩٢٤- ١٩٢٥

يعد ترتيب الجداول الزمنية والحصول على مصادر الأدلة ذات الصلة، أمراً مهماً لإدارة دراســة الحالــة. وقد يشــعر الباحث المبتديء بأن هذه الأنشــطة لم تظهر إلا مع نمــو العلوم الاجتماعية «الكبيرة» خلال فترة الستينيات والسبعينيات(1960s &1970s).

ومع ذلك، في دراســة ميدانية مشــهورة أجريــت منذ عقود ، فإن العديد مــن تقنيات الإدارة نفســها قد تمت ممارستها بالفعل. حيث فتح الباحثان الرئيسيان وفريق السكرتاية مكتباً محلياً في المدينة التي كانوا يدرســونها، واســتخدم موظفو المشروع الآخرون هذا المكتب لفترات طويلة من الزمن. ومن هذا المنطلق، شــارك فريق البحــث في الحياة المحلية، وفحص المواد الوثائقية، وجمع الإحصــاءات المحلية، وأجرى المقابلات، وقام بتوزيع الاســتبانات وجمعهــا. ونتج عن هذا العمل الميداني المكثف بعد (٥) سنوات نشر الدراسة الكلاسيكية الحالية عن مدينة صغيرة في أمريكا هي (Middleton)، وقد قام بإعداد هذه الدراسة كلاً من (R.Lynd, & H.Lynd, 1929).

وفي ظل هذه الظروف، ينبغي أن يساهم جميع أعضاء الفريق في إعداد المسودة الأولية لبروتوكول دراســة الحالة. وستكون هذا المســودة بعد ذلك هي النسخة المقدمة للموافقة عليها من مجلس المراجعة المؤســسية (IRB)، مع الأخذ في الاعتبار أن النســخة المعتمدة من المجلس في نهاية المطاف هي النسخة النهائية للبروتوكول.

عندما يشارك العديد من الباحثين أو أعضاء الفريق في نفس دراسة الحالة، فإنهم جميعاً بحاجة إلى التعلم لكي يكونوا باحثين لديهم الخبرة . ويأخذ التدريب شــكلاً تعاونياً جماعياً

بدلاً من الإرشــادات التوجيهية. كما يجب أن يكون هناك وقت طويل للقراءة، والاستعداد للتدريب، وتنفيذ التدريب (انظر الشكل ٣-١ في جدول أعمال دورة تدريبية توضيحية).

شكل (٣-١) جدول أعمال متعدد المراحل للتدريب على دراسة الحالة

القراءات التحضيرية : يجب أن يتضمن مقترح دراسة الحالة الأصلية، ودليل منهجية العمل الميداني (إن وجد)؛ والعديد من الأعمال على جوهر دراســة الحالة؛ وعينة لدراســات حالة (تقارير أو منشورات) من بحوث دراسة الحالة السابقة.

الجلسة ١ : مناقشة الغرض من دراسة الحالة، وأسئلة البحث الرئيسية، واختيار الحالة أو الحالات.

الجلسة ٢ : استعراض بروتوكول دراسة الحالة:

أ. مناقشة الإطار النظري وأدبيات الدراسة ذات العلاقة.
ب. تطوير أو مراجعة النموذج المنطقي الافتراضي، إذا كان ذلك مناسباً.
ج. مناقشــة متعمقة للموضوعات المتعلقة بالبروتوكــول (تناقش أهمية الموضوع وأنواع الأدلة الممكنة التي ينبغي جمعها فيما يتعلق بكل موضوع).
د. الموضوعات المتوقعة التي سيتم تناولها في تقرير دراسة الحالة في النهاية (بناء توقعات أوَّلية حول الأهداف النهائية للدراسة).

الجلسة ٣ : المراجعة المنهجية:

أ. ترتيبات الاتصال بمزودي المعلومات ميدانياً (على سبيل المثال، نموذج رسالة تأكيد أو رسالة إلكترونية).
ب. إجراءات العمل الميداني (مناقشة المبادئ المنهجية).
ج. استخدام الأدلة (استعراض أنواع الأدلة والحاجة إلى التقارب).
د. تسجيل الملاحظات والممارسات الميدانية الأخرى.
هـ. مهام وأعمال المتابعة (على سبيل المثال، نموذج خطاب شكر).
و. جدول الدراسة، بما في ذلك المواعيد النهائية الرئيسية.

وعادةً ما يغطي التدريب جميع مراحل دراسة الحالة المخطط لها، بما في ذلك قراءات حول الموضوع، والقضايا النظرية التي أدت إلى تصميم دراسة الحالة، وطرق وأساليب

دراسة الحالة. ويمكنك مراجعة أمثلة الأدوات المستخدمة في دراسات الحالة الأخرى (انظر مربع ١٥) لإضافتها كتوضيحات إلى جزء المراجعة المنهجية أثناء التدريب.

مربع (١٥)

مراجعة الأدوات والأساليب المستخدمة في دراسات الحالة الأخرى، في القرن الواحد والعشرين تقريباً

قدمت مواقع الإنترنت فرصاً جديدة للوصول إلى الأدوات والأساليب البحثية المستخدمة في دراسات الحالة الأخرى. على سبيل المثال، في الإصدارات الإلكترونية من المقالات العلمية، قد تصدر المجلات الأكاديمية مواد إضافية قد لا تظهر في النسخة المطبوعة من المقالة. وفي دراسة حالة واحدة، تضمنت المواد التكميلية البروتوكول الرسمي لدراسة الحالة، ودليل ترميز دراسة الحالة، وجداول الأدلة التي تربط الإثباتات بأقسام محددة من قاعدة بيانات دراسة الحالة، وقائمة بالوثائق في قاعدة بيانات دراسة الحالة (Randolph &Eronen, 2007).

إن الهدف من التدريب هو أن يفهم جميع أعضاء الفريق المفاهيم الأساسية، والمصطلحات والقضايا المنهجية ذات الصلة بالدراسة. لذا يحتاج كل عضو في الفريق إلى معرفة التالي:

- لماذا يتم إجراء دراسة الحالة ؟
- ما هي الأدلة التي يتم البحث عنها ؟
- ما هي الاختلافات الإجرائية التي يمكن توقعها ؟ وما الذي ينبغي القيام به إذا حدثت مثل هذه الاختلافات؟
- ما من شأنه أن يشكل دليلًا داعماً أو مخالفاً لأي افتراض معين.

كما أن الجزء الرئيسي من جهود التدريب هو المناقشات بدلاً من المحاضرات؛ وذلك لاختبار ما إذا كان قد تم تحقيق المستوى المطلوب من الفهم المشترك.

ويمكن مقارنة هذه الطريقة في التدريب على دراسة الحالة مع التدريب على أنواع أخرى من جمع البيانات، وذلك كالتدريب الجماعي لفريق مقابلات المسح (جامعي البيانات). ويشتمل التدريب لتنفيذ الدراسات المسحية على مناقشات، ولكنه يركز أساساً على طريقة توجيهية تشرح بنود الاستبانة أو المصطلحات المستخدمة. وقد يغطي التدريب

على الدراسات المسحية (أو لا يغطي) الاهتمامات الشاملة أو المفاهيمية للدراسة، حيث قد لا يحتاج جامعي البيانات إلى فهم نطاق أوسع يتجاوز آليات أداة المسح. ونادراً ما يتضمن التدريب على الدراسات المسحية أي قراءة خارجية حول القضايا الجوهرية، وليس بالضرورة أن يعــرف جامعي البيانات بصفة عامة كيفية تحليل بيانات المســح، أو القضايا التي يتعين البحث فيها. وقد تؤدي هذه الطريقة إلى تغذية نقاط القوة في إجراء الدراســات المسحية، ولكنه لن يكون كافياً للتدريب على دراسات الحالة.

تطوير ومراجعة بروتوكول دراســة الحالة: القســم الفرعي التالي ســوف يتحدث أكثر عن محتوى بروتوكول دراســة الحالة. ومع ذلك، فإن مهمة التدريب المشروعة والمرغوبة هي فهم البروتوكول من قِبل فريق دراسة الحالة بأكمله.

ولتعزيــز هــذا الفهم، يمكن أن يتــولى كل عضو من أعضــاء الفريق جــزءاً واحداً من الموضوعــات الهامة التي يغطيهــا البروتوكول. وقد يكون كل عضو بعد ذلك مســؤولاً عن مراجعة مواد القراءة المناسبة المتعلقة بالجزء المخصص له، ويعمل على إضافة أي معلومات أخرى قد تكون ذات صلة، وقيادة المناقشة التي تهدف إلى تبسيط وتوضيح هذا الجزء من أســئلة البروتوكول. وبهذه الطريقة، مثل هذا التوزيع للمهام ينبغي أن يضمن إتقان أعضاء الفريق لمحتوى البروتوكول، وأنهم عملوا ذلك كجزء من تعاون جماعي. والهدف لكل عضو وكذلك للفريق ككل هو بناء فهم عميق ومشترك للبروتوكول.

المشــكلات التي يجب معالجتها أثناء التدريب: يوفر التدريب أيضاً فرصة هامة للكشف عن المشــكلات في خطة دراســة الحالة أو مع قدرات فريق البحث. فإذا ظهرت مثل هذه المشــكلات، فإن العزاء الوحيد هو أنها ســتكون أكثر إزعاجاً إذا تم فقط التعرف عليها في وقت لاحق بعد بدء جمع البيانات. لذا؛ ينبغي على باحثي دراسة الحالة الجيدين الضغط للتأكد، أثناء فترة التدريب، على أن المشكلات المحتملة يتم الإفصاح عنها.

والمشــكلة الأكــثر وضوحاً، هي أن التدريب قد يكشــف عن عيوب في تصميم دراســة الحالــة، أو حتى التعريف الأوّلي لأســئلة الدراســة. فإذا حدث هــذا، يجب أن تكون على اســتعداد لإجراء التعديلات اللازمــة، حتى لو كان المزيد من الوقــت والجهد ضرورياً. وفي بعض الأحيان، ســوف تعترض التعديلات الغرض الأســاسي من دراسة الحالة، كما هو الحال في الموقف الذي ربما يكون الهدف الأصلي منه البحث في ظاهرة تكنولوجية، مثل استخدام أجهزة الكمبيوتر الشــخصية، ولكن تبين في الواقع أن دراســة الحالة تتعلق بدراسة ظاهرة

تنظيميــة مثل ضعــف الإشراف الإداري. وبالطبع، قد تــؤدي أي تعديلات أيضاً إلى الحاجة إلى مراجعة أدبيات مختلفة بشــكل قليل، وإعادة صياغة دراســة الحالة بأكملها والجمهور المستهدف من الدراسة. كما يجب عليك أيضاً التحقق من إجراءات مجلس المراجعة المؤسسية (IRB) لمعرفة ما إذا كان سيحتاج إلى إجراء مراجعة جديدة لحماية الموضوعات الإنسانية. وعلى الرغم من هذه التطورات غير المتوقعة، فإن تغيير الفرضية الأساســية لدراســة الحالة الخاصة بــك لــه ما يبرره تماماً إذا كان التدريب قد أكد الطبيعةً غير الواقعية (أو غير المثيرة للاهتمام) للخطة الأصلية.

والمشــكلة الثانية، هي أن التدريب قد يكشــف عن عدم التوافق بين أعضاء الفريق ــ وعلى وجه الخصوص، حقيقة أن بعض أعضاء الفريق قد لا يتشارك مع وجهة نظر الدراسة أو الجهات الراعية لها. على ســبيل المثال، في دراسة متعددة الحالات للمنظمات المجتمعية، تبايــن أعضاء الفريــق في معتقداتهم فيما يتعلق بفعالية هــذه المنظمات (اللجنة الوطنية الأمريكية للأحياء الســكنية، ١٩٧٩). وعندما يتم اكتشــاف مثل هذه التحيزات فإن إحدى طــرق التعامل مــع التوجهات المختلفة هي أن تقترح على الفريق أنه ســيتم احترام الأدلة العكســية إذا تم جمعها والتحقق منها. وبالطبع ، لا يــزال لدى أحد أعضاء الفريق الخيار بمواصلة المشاركة في الدراسة أو الاعتذار عنها.

وتتمثــل المشــكلة الثالثة في أن التدريب قد يكشــف عن بعض المواعيــد النهائية غير العملية، أو التوقعات المتعلقة بالموارد المتاحة. فعلى سبيل المثال، ربما افترضت دراسة حالة أن (٢٠) شــخصاً قد تــم الاتصال بهم لإجراء مقابلات مفتوحة خــلال العمل الميداني كجزء مــن جمع البيانات. ولكن التدريب قد يكشــف عن أن الوقت الــلازم للاجتماع مع هؤلاء الأشــخاص قد يكون أطول بكثــير مما كان متوقعاً. وفي ظل هذه الظــروف، فإن أي توقع لإجراء مقابلات مع (٢٠) شخصاً يجب أن يعتمد على تعديل الجدول الأصلي للعمل الميداني.

وأخيراً، قد يكشــف التدريب عن بعض المميزات الإيجابية، مثل حقيقة أن اثنين أو أكثر مــن أعضــاء الفريق لديهم مهارات إضافيــة وقادرين على العمل معاً بشــكل فعّال. هذه العلاقــة والفاعلية خلال دورة التدريب قد تمتد بســهولة إلى فترة جمــع البيانات الفعلية، وبالتالي قد تقترح بعض الاقتران لفِرق العمل الميداني. وبوجهٍ عام، ينبغي أن يكون للتدريب أثر في وضع معايير ســلوكية جماعية لنشــاط جمع البياناتً الذي يلي ذلك. إن عملية بناء القواعد الســلوكية هذه هي أكثر من مجرد وســيلة ، ولكن تساعد على ضمان ردود أفعال داعمة في حالة ظهور مشاكل غير متوقعة أثناء مرحلة جمع البيانات.

تمرين ٣-٣: إجراء التدريب للقيام بدراسة حالة

اعمل على وصف الطرق الرئيسية التي يختلف فيها الإعداد والتدريب لإجراء دراسة حالة عن تلك المتعلقة بإجراء الدراسـات باستخدام أنواع أخرى من إستراتيجيات البحوث (مثل الدراسات المسحية والتاريخية والتجارب والتحليل الأرشيفي). اكتب جدول أعمال التدريب للتحضير لدراسة الحالة التي قد تفكر فيها ، والتي يتعاون فيها شخصان أو ثلاثة أشخاص.

بروتوكول دراسة الحالة:

إن بروتوكول دراســة الحالة له شيء واحد فقط مشــترك مع اســتبانة الدراسة المسحية حيــث يتم توجيه كلاهما إلى نقطة بيانات واحدة، إما مســتجيب واحــد، أو حالة واحدة (حتى لو كانت الحالة جزءاً من دراسة حالة أكبر متعددة الحالات).

وخلف هذا التشابه هناك عدد من الاختلافات الرئيسية. البروتوكول هو أكثر من استبانة أو أداة. أولاً، يحتــوي البروتوكــول على الأداة، ولكن أيضاً يحتــوي على الإجراءات والقواعد العامة الواجب اتباعها في اســتخدام البروتوكول. ثانياً ، البروتوكول موجه إلى طرف مختلف تماماً عن طرف استبانة الدراسة المسحية الموضح أدناه. ثالثاً ، وجود بروتوكول دراسة الحالة مرغوب فيه في جميع الظروف، ولكنه أساسي إذا كنت تقوم بإجراء دراسة الحالة المتعددة.

وبشــكل عام ، البروتوكول هو وســيلة رئيســية لزيادة موثوقية بحوث دراســة الحالة، ويهــدف إلى توجيه الباحث في تنفيذ جمع البيانــات من حالة واحدة (مرة أخرى، حتى لو كانت حالة واحدة من عدة حالات في دراســة حالة متعددة). ويقدم الشكل (٣-٢) جدول محتويات من بروتوكول توضيحي والذي كان يســتخدم في دراســة مبتكرة لممارسات إنفاذ القانون التي تدعمها صناديق الدعم المالي الاتحادية. حيث تم تحديد الممارســات في وقت ســابق من خلال عملية فحص دقيقة (انظر: المناقشة اللاحقة في هذا الفصل لتفاصيل أكثر حول "فرز ترشــيحات دراســة الحالة"). وعلاوة على ذلك، نظراً لأنــه كان من المقرر جمع البيانــات مــن (١٨) حالة من هذا النوع كجزء من دراســة حالة متعــددة، فإن المعلومات عن أي من الحالات لم يمكن جمعها بعمق كبير، ولذلك فإن عدد أســئلة جمع البيانات كان متواضعاً بحدود (١٠) أسئلة في مجملها. (انظر القسم ج، الشكل ٣-٢).

شكل (٣-٢) جدول محتويات بروتوكول إجراء دراسات حالة لممارسات إنفاذ القانون المبتكرة

أ - **لمحة عامة عن دراسة الحالة:**

١. رسالة وأهداف تعكس اهتمامات الرعاة لدراسة الحالة (إن وجد) والجمهور المستهدف.
٢. أسئلة دراسة الحالة، والفرضيات، والافتراضات النظرية.
٣. الإطار النظري لدراسة الحالة (استنساخ نموذج المنطق)، والقراءات الرئيسية.
٤. دور البروتوكول في توجيه باحث دراسة الحالة (لاحظ أن البروتوكول هو جدول أعمال موحد لمسار تساؤلات الباحث).

ب - **إجراءات جمع البيانات:**

١. أسماء الأشخاص الذين سيتم الاتصال بهم للقيام بالعمل الميداني.
٢. خطة جمع البيانات (تغطي نوع الأدلة المتوقع، بما في ذلك أدوار الأشخاص الذين سيتم مقابلتهم، والأحداث التي ينبغي مراقبتها، وأي وثائق أخرى لكي يتم مراجعتها في الموقع).
٣. الإعداد المتوقع قبل العمل الميداني (يعرف المعلومات المحددة التي ينبغي مراجعتها، والقضايا التي يتعين تغطيتها قبل بدء العمل الميداني).

ج - **أسئلة جمع البيانات** (انظر الشكل ٣-٤ للاطلاع على سؤال مفصل).

١. **الممارسة العملية والابتكار:**

أ- وصف الممارسة بالتفصيل، بما في ذلك توزيع الموظفين والتقنية إن وجدت.
ب- ما هي طبيعة الجهود التعاونية عبر المجتمعات أو السلطات القضائية ـ إن وجدت ـ التي كانت ضرورية لوضع هذه الممارسة موضع التنفيذ؟
ج- كيف بدأت فكرة الممارسة؟
د- هل كانت هناك عملية تخطيط، وكيف عملت؟ ما هي الأهداف الأصلية والمجتمع المستهدف أو المناطق لهذه الممارسة؟
هـ- بأي الطرق تكون الممارسة مبتكرة، مقارنةً مع الممارسات الأخرى من نفس النوع أو في نفس السلطة القضائية؟
و- وصف ما إذا كانت هذه الممارسة قد دعمت من الميزانية المخصصة للسلطة القضائية، أو نتيجة للتمويل من مصدر خارجي.

٢. **تقييم الممارسة المبتكرة:**

أ- ما هو التصميم لتقييم الممارسة، ومن الذي يقوم بالتقييم؟

ب- ما هو الجزء من التقييم الذي تم تنفيذه؟

ج- ما هي مقاييس النتائج المستخدمة ؟ وما هي النتائج التي تم تحديدها حتى الآن؟

د- ما هي التفسيرات المناظرة التي تم تحديدها واستكشافها، لتميز النتائج لاستثمار الصناديق الاتحادية؟

د - **دليل تقرير دراسة الحالة:**

١. الجمهور المستهدف للتقرير، والأساليب المفضلة للتواصل مع الجمهور.

٢. ممارسة إنفاذ القانون العملية.

٣. الابتكار من هذه الممارسة.

٤. نتائج هذه الممارسة حتى الآن.

٥. سياق وكالة إنفاذ القانون والتاريخ المتعلق بهذه الممارسة.

٦. المرفقات التي سيتم تطويرها : التسلسل الزمني للأحداث التي تغطي تنفيذ ونتائج الممارسة في هذا الموقع، نموذج منطقي للممارسة؛ مصفوفات أو تقديم نتائج أو بيانات أخرى؛ مراجع الوثائق ذات الصلة؛ وقائمة الأشخاص الذين تمت مقابلتهم.

وكموضوع عام، وكما يقترح المثال التوضيحي في الشكل (٣-٢)، ينبغي أن يتضمن بروتوكول دراسةً الحالة أربعة أقسام:

- القسم أ: لمحة عامة عن دراسة الحالة (الأهداف والرعاية، وقضايا دراسة الحالة، والقراءات ذات الصلة حول الموضوع الذي يجري البحث فيه).
- القسم **ب**: إجراءات جمع البيانات (إجراءات حماية الموضوعات الإنسانية، وتحديد مصادر البيانات المحتملة، وتقديم أوراق الاعتماد إلى جهات الاتصال الميدانية، وغيرها من المذكرات اللوجستية الأخرى).
- القسم **ج**: أسئلة جمع البيانات (الأسئلة المحددة التي يجب على باحث الدراسة أن يأخذها في الاعتبار عند جمع البيانات، ومصادر الأدلة المحتملة لمعالجة كل سؤال. (انظر الشكل ٣-٤ كمثال على ذلك).

• القســم د: دليل لتقرير دراســة الحالة (مخطط، نماذج البيانات، استخدام وعرض الوثائق الأخرى، ,وقائمة المراجع والمصادر العلمية).

ومــن خــلال نظرة سريعــة على هذه الموضوعات ســوف نشــير إلى أســبابٍ أهمية البروتوكــول: أولاً ، فإنه يجعلــك كباحث تركز على موضوع دراســة الحالة. ثانياً ، إعداد البروتوكول يجبرك على توقع العديد من المشــكلات بما في ذلك الطريقة التي تكتمل بها تقارير دراســة حالة. وهذا يعني، على سبيل المثال، أنه سيتعين عليك تحديد (الجمهور المستهدف) من تقرير دراسة الحالة الخاصة بك حتى قبل أن تبدأ في إجرائها. وسيساعد هذا التفكير المســبق على تجنب عدم التطابق على المدى الطويل.

ويظهر جدول محتويات البروتوكول التوضيحي الوارد في الشكل (٣-٢) ميزة هامة أخرى في تقريــر دراســة الحالة. في هذا المثال، يبدأ مخطط التقريــر المطلوب بالدعوة إلى وصف الممارســة المبتكرة التي يجري دراســتها (انظر البند د ٢ في الشكل ٣-٢)، ويغطي بعد ذلك فقط ســياق الســلطة القضائية والتاريخ المتعلق بهذه الممارسة (انظر البند د ٥). ويعكس هذا الاختيار حقيقة أن معظم الباحثين يكتبون بشكل مكثف جداً عن التاريخ والمعلومات الأوليــة غــير المباشرة. وبينما هذه تعتبر مهمة، إلا أن وصف موضوع الدراســة (الممارســة المبتكرة) يحتاج إلى مزيد من الاهتمام.

وقد تم توزيع الأقسام الأربعة للبروتوكول على النحو التالي:

استعراض دراسة الحالة: " القسم أ من البروتوكول "

ينبغي أن يغطي هذا الجزء المعلومات الأساسية عن دراسة الحالة، وقضاياها الموضوعية، والقراءات ذات الصلة بشأن القضايا.

ويمكــن أن تبدأ المعلومات الأساســية من خلال توضيح مهمة وأهــداف الجهة الراعية دراســة الحالة (إن وجدت) والجمهور المستهدف (على سبيل المثال، لجنة مناقشة الرسائل العلمية). ومن المهم تذكر هذه المتطلبات المســبقة عند إجراء البحث. على ســبيل المثال، قد ترغب الجهة الراعية أو الجمهور المســتهدف أن توضح دراســة الحالة علاقتها مع بعض الدراســات السابقة الأخرى، واستخدام بعض النماذج العامة لكتابة تقرير دراسة الحالة، أو تناســب دراســة الحالة ضمن جدول زمني معين. الاعتراف الصريح بهذه الميزات ينتمي إلى هذا القسم من البروتوكول.

الجزء الإجرائي من هذا الجزء من المعلومات الأساسية، هو بيان عن دراسة الحالة التي يمكنك مشاركتها مع أي شخص قد يرغب في معرفة موضوع دراسة الحالة والغرض منها والجهة الراعية، والأشخاص المشاركين في إجراء دراسة الحالة. ويمكن أن يكون هذا البيان مصحوباً برسالة تعريفية يتم إرسالها إلى جميع الأشخاص الذين ستتم مقابلتهم والمنظمات الرئيسية التي قد تكون موضوع الدراسة. (انظر الشكل ٣-٣ للحصول على رسالة توضيحية).

غير أنه ينبغي تخصيص الجزء الأكبر من هذا العرض للقضايا الموضوعية لدراسة الحالة. ويمكن أن يشمل ذلك الأساس المنطقي لاختيار الحالة أو (الحالات)، أو الافتراضات النظرية أو الفرضيات التي يجري بحثها، والارتباط النظري الأوسع أو السياسات بالتساؤلات. وبالنسبة لجميع الموضوعات، ينبغي توثيق القراءات والمراجع العلمية ذات الصلة، وينبغي إتاحة وتوفر مواد القراءة الأساسية لجميع أعضاء فريق دراسة الحالة.

سيوفر الاستعراض الجيد لدراسة الحالة للقارئ المطلع الغرض من دراسة الحالة وإطارها (وهو الشخص الذي لديه معرفة عن الموضوع العام للبحث) . قد تكون هناك حاجة لبعض المواد (مثل ملخص يصف جهود دراسة الحالة) وذلك لأغراض أخرى على أي حال، لذلك ينبغي أن ينظر إلى كتابة استعراض دراسة الحالة على أنها نشاط مضاعف جدير بالاهتمام. وعلى نفس المنطلق، قد يشكل تصميم الاستعراض الجيد في وقت لاحق أساس الخلفية الأولية والأجزاء التمهيدية في تقرير دراسة الحالة النهائي.

شكل(٣-٣) نموذج خطاب تعريف توضيحي

اللجنة الوطنية للأحياء السكنية

شارع ٢٠٠٠ ك، جناح ٣٥٠

واشنطن دي سي ، الرمز البريدي ٢٠٠٦ – هاتف رقم ٥٢٠٠ - ٦٣٢- ٢٠٢

٣٠ مايو ١٩٧٨

إلى من يهمه الأمر:

هذا الخطاب للتعريف بـــــ .... ، وهو شــخص لديه تأهيل عالي وخبرة واســعة في مجال تطوير الأحياء الســكنية وتنظيم المجتمع. لقد تم إشراكه من قبل اللجنة الوطنية للأحياء السكنية للانضمام إلى فريق من الخبراء الذين يقومون الآن لإجراء سلســلة من ٤٠ -٥٠ دراســة حالة بتكليف من فريق عملنا المعني بالحوكمة.

في نهاية المطاف، من خلال هذه المنهجية لدراســة الحالة ، تأمل اللجنة في تحديد وتوثيق الإجابات على مجموعة الأســئلة مثل : ما الذي يمكّن بعض الأحياء السكنية من البقاء، بالنظر إلى القوى والمواقف وسياسات الاستثمار (العامة والخاصة) التي تعمل ضدها؟ ما هي الشروط المسبقة اللازمة من أجل زيادة عدد الأحياء التي يمكن فيها التطوير الناجح ، مما يعود بالنفع على السكان الحاليين؟ ما الذي يمكن فعله لتعزيز هذه الشروط المسبقة؟

هذه الرســالة موجهة إلى قادة المجتمع والموظفين الإداريين ومسؤولي المدينة. يجب أن نطلب منك أن تعطــي وقتك وخبرتك وصبرك لمقابلاتنا. ســيكون تعاونك في غاية الأهمية حيث أن دراســات الحالة تهدف إلى توجيه ودعم التوصيات النهائية للسياســة النهائية التي يجب على اللجنة إحالتها إلى الرئيس والكونغرس.

بالإنابة عن جميع أعضاء اللجنة العشرين ، نود أن نعرب عن امتناننا لمساعدتكم. وإذا كنت ترغب في أن تكون مدرجًا في قائمتنا البريدية للنشرة الإخبارية للجنة والتقرير النهائي ، فســيكون فريقنا ســعيدًا لاتخاذ الترتيبات المناسبة.

مرة أخرى ، شكراً جزيلاً

التوقيع: رئيس اللجنة ، السيناتور Joseph F. Timilty

إجراءات جمع البيانات: " القسم ب من البروتوكول "

تم تعريف دراســة الحالة في (الفصل الأول) بأنها تتعلق بالظواهر في سياقاتها الواقعية (الحقيقية) ، ويترتب على ذلك آثار هامة في تحديد وتصميم دراســة الحالة والتي نوقشت في (الفصلين الأول والثاني).

ومع ذلك، فإنه من أجل جمع البيانات، تثير هذه الصفة لدراســات الحالة أيضاً مســألة هامة، والتي تعتبر الإجراءات الميدانية المصممة على نحو سليم ضرورية. سوف يكون جمع البيانــات من الناس والمؤسســات في مواقفهم اليومية، وليس ضمــن حدود خاضعة لرقابة المختبر، أو بيئة المكتبة، أو القيود المنظمة لاســتبانة الدراســة المســحية. وبالتالي، في دراسة الحالة، يجب أن تتعلم دمج الأحداث (الواقعية) مع احتياجات خطة جمع البيانات. في هذا المعنى، ليس لديك السيطرة على بيئة جمع البيانات، كما قد يكون لدى الآخرين الذين قد يستخدمون أساليب البحث الأخرى التي نوقشت في الفصل الأول.

كما يمكن ملاحظة أنه في التجربة المختبرية، تلزم الموضوعات الإنسانية بالدخول في المختبر ــ وهي بيئة يســيطر عليها الباحث بأكملها تقريبــاً. يجب أن يتبع هذا الموضوع تعليمات الباحث ــ ضمن القيود الأخلاقية والفيزيائية ــ التي تصف بدقة السلوك المطلوب. وبالمثل، فإن (الإنسان) المستجيب لاستبانة المسح لا يمكن أن ينحرف (بعيداً) عن جدول المحاور التي حددتها أسئلة الاستبانة. لذلك، فإن سلوك المستجيب مقيد أيضاً بالقواعد الأساسية للباحث. وبطبيعة الحال، فإن الموضوع أو المستجيب الذي لا يرغب في اتباع السلوكيات المقررة، قد يســتبعد بكل حرية من التجربة أو الدراســة المسحية. وأخيراً، في الأرشيف التاريخي، قد لا تكــون الوثائق ذات الصلة متاحة دائماً، ولكن في حالات نــادرة يمكن للباحث أن يتفقد ما هو متوفر بالسرعة التي تناسبه وفي وقت مناسب أيضاً لجدوله الزمني. وفي جميع الحالات الثلاث، يراقب الباحث عن كثب النشاط الرسمي لجمع البيانات.

وينطــوي جمع البيانات لدراســات الحالة على حالة مختلفة تمامــاً. لذلك عند البدء في إجراء مقابلة الأشــخاص المهمين، يجب أن تتناسب المقابلات مع جداول وأوقات احتياجات الأشــخاص الذين ترغب في مقابلتهم ، وهي ليســت خاصة بك فقط. فطبيعة المقابلة هي بشكل أكثر عبارة عن أسئلة مفتوحة. لذا قد لا يتعاون الشخص الذي تتم مقابلته بالضرورة في الالتــزام بترتيب الأســئلة. وبالمثل، في إجراء الملاحظات من الأنشــطة في العالم الحقيقي،

فإنك ســوف تدخل في عالم القضية والمشــاركين الذين تتم دراســتهم بدلاً من العكس. وفي ظل هذه الظروف، ســتكون أنت الشخص الذي قد يضطر إلى اتخاذ ترتيبات خاصة ليصبح مراقباً (أو حتى كمراقب بالمشــاركة). ونتيجة لذلك، فإن سلوكك ــ وليس سلوك المشاركين في الميدان ــ هو السلوك الذي يحتمل أن يكون مقيداً.

هذه العملية المتناقضة من جمع البيانات، تؤدي إلى الحاجة إلى إجراءات ميدانية واضحة، ومخططة بشكل جيد تشمل المبادئ التوجيهية لسلوكيات "التأقلم". تخيل، على سبيل المثال، إرسال شاب إلى المخيم؛ لأنك لا تعرف ما يمكن توقعه، فإن أفضل إعداد هو توفر الموارد التي يجب تجهيزها. لذا؛ ينبغي أن تكون الإجراءات الميدانية لدراسة الحالة بنفس الطريقة.

مع الأخذ في الاعتبار التوجه الســابق، فإن الجزء الخــاص بجمع البيانات في البروتوكول يحتاج إلى التأكيد على المهام الرئيسية في جمع البيانات، والتي تتضمن التالي :

- الوصول إلى المنظمات الرئيسية أو الأشخاص الذين ترغب في مقابلتهم.
- وجود الموارد الكافية أثناء القيام بالعمل الميداني، بما في ذلك الكمبيوتر الشخصي، وأدوات الكتابة، والورق، ومقاطع الورق، ومكان مجهز وهادئ لكتابة الملاحظات بشكل خاص.
- وضع إجراءات لطلب المساعدة والتوجيه، إذا لزم الأمر، من أعضاء الفريق الآخرين أو الزملاء.
- وضــع جدول زمني واضح لأعمال جمع البيانات التي يتوقع إنجازها خلال فترات محددة من الزمن.
- الاستعداد للأحداث غير المتوقعة والتي تشمل التغييرات في توافر أو انشغالات من ستجرى معهــم المقابلات، وكذلك التغييرات في الطاقة الخاصــة بك، والمزاج، والحوافز أثناء القيام بالعمل الميداني.

هذه هي أنواع الموضوعات التي يمكن تضمينها في قسم الإجراءات الميدانية للبروتوكول. مــع ملاحظة أن الإجراءات المحددة تختلف اعتماداً على دراســة الحالــة الفعلية التي يتم القيام بها.

كلما كانت هذه الإجراءات ذات طابع تشــغيلي بشــكل أكثر، كان ذلك أفضل. ولأخذ مسألة ثانوية واحدة على سبيل المثال، غالباً ما يؤدي جمع بيانات دراسة الحالة إلى تراكم العديــد من الوثائق في الموقع الميداني. ويمكن تخفيض عبء حمل هذه الوثائق الضخمة

مــن خــلال إجراءين. أولاً، قد يكون فريق دراســة الحالة قد قام بتوفــير مظاريف كبيرة معنونة بملصقات جاهزة لإرســال الوثائق عبر البريــد إلى المكتب بدلاً من حملها. وثانياً، قد يكون الوقت الميداني قد خصص جانباً للاطلاع على هذه الوثائق، ومن ثم الذهاب إلى مركز للنسخ لغرض تصوير الصفحات القليلة ذات الصلة من كل وثيقة، ثم إعادة الوثائق الأصلية إلى الأشــخاص الذين وفروها للفريق في الموقع الميداني. هذه التفاصيل التشغيلية وغيرها يمكن أن تعزز الجودة والكفاءة الشاملة لجمع بيانات دراسة الحالة.

وينبغي أن يصف القســم الأخير من هــذا الجزء من البروتوكول بعناية إجراءات حماية الموضوعات الإنســانية. أولاً، يجب أن يكرر البروتوكول الأساس المنطقي للإجراءات الميدانية المعتمــدة من مجلس المراجعة المؤسســية (IRB). بعد ذلك، يجــب أن يتضمن البروتوكول الكلمات أو التعليمات المكتوبة للفريق لاســتخدامها في الحصول على الموافقة المســبقة أو إبلاغ من تتم مقابلتهم في دراسة الحالة وغيرهم من المشاركين بالمخاطر والشروط المرتبطة بالبحث أو الدراسة.

أسئلة جمع البيانات: " القسم ج من البروتوكول "

إن جوهر البروتوكول هو مجموعة من الأسئلة الموضوعية التي تعكس خط التساؤل الفعلي الخاص بك. وقد يعتبر بعض الباحثين هذا الجزء من البروتوكول ليكون دراسة الحالة «الأداة». ولكن، فإن اثنين من الخصائص تميز أسئلة دراسة الحالة من تلك الموجودة في أداة المسح.

التوجه العام للأســئلة: أولاً، وقبل كل شيء، يكون طرح الأسئلة لك أنت كباحث، وليس لمــن تُجرى معه المقابلة. وبهذا المعنى، يتم توجيــه البروتوكول إلى طرف مختلف تماماً عن أداة المسح. وتعتبر أسئلة البروتوكول، في جوهرها، هي الاستفسارات الموجهة لك مما يساعد على تذكيرك بالمعلومات التي تحتاج إلى جمعها، ولماذا. وفي بعض المواقف، قد تكون الأسئلة المحددة أيضاً بمثابة موجهات في طرح الأسئلة خلال مقابلة دراسة الحالة. ولكن، فإن الغرض الرئيسي من أســئلة البروتوكول هو إبقاؤك على المسار الصحيح مع استمرار جمع البيانات. (انظر الشــكل ٣-٤ للحصول على ســؤال توضيحي من دراســة لبرنامج مــدرسي، ويتضمن البروتوكول الكامل العشرات من هذه الأسئلة).

شكل (٣-٤) سؤال البروتوكول التوضيحي (من دراسة حول الممارسات المدرسية)

حدد ممارســة تم تطبيقها في المدرســة قبل عامين أو أكثر، تهدف مباشرة إلى تحسين التعليم المدرسي؛ ماهو إسم أو عنوان هذه الممارسة؟

- تشغيل هذه الممارسة من خلال وضع الإجراءات والأحداث التسلسلية في إطار نموذج منطقي، مع إقتراح كيف يفترض أن الممارسة قد حسنت التعليم المدرسي.
- جمع البيانات المتعلقة بطبيعة ومدى أي تحسينات للفترة ذات الصلة بالفترة الزمنية المحددة. على سبيل المثال :
  - أثارت التوقعات أو عززت الاتفاق على الأهداف.
  - حسنت من المعايير التعليمية أو شددت على المتطلبات الأكاديمية.
  - زادت من جودة هيئة التدريس.
  - زادت من مشاركة أولياء الأمور في تعليم أبنائهم.
  - أداء الطالب (على ســبيل المثال، التســجيل في دورات محددة أو حضــور أو نتائج اختبارات التحصيل).
- الاستشــهاد بأدلة تدعم (أو لا تدعم) نموذج المنطق الأولي، في شرح كيف ولماذا أدت هذه الممارسة إلى التحسينات.

وينبغي أن يرفق بكل سؤال قائمة بمصادر الأدلة المحتملة. ويمكن أن تشمل هذه المصادر الوثائق والملاحظات وأسماء الأشخاص الذين أجريت معهم المقابلات.

هذا التنقل بين الأســئلة ذات الاهتمام والمصادر المحتملة من الأدلة مفيدٌ للغاية في جمع بيانات دراسة الحالة. فقبل بدء مقابلة ميدانية، على سبيل المثال، يمكن لباحث دراسة الحالة أن يراجع بسرعة أســئلة البروتوكول الرئيســية التي قد تتعلق بالمقابلة المتوقعة. (مرة أخرى، تشكل الأسئلة المتعلقة بالبروتوكول هيكل التساؤل الرئيسي للبحث، ولا يقصد بذلك أن تكون الأســئلة التي ينبغي طرحها على أي شــخص من الأشخاص الذين تُجرى معهم المقابلات، هي أسئلة حرفية).

خمســة مستويات من الأســئلة: وثانياً، ينبغي أن يميز مضمون بروتوكول دراسة الحالة بوضوح بين مختلف أنواع الأســئلة أو مســتوياتها. ويمكن أن تحدث الأســئلة ذات الصلة،

بشكل ملحوظ، على أي مستوى من المستويات الخمس التالية:

المستوى الأول: أسئلة تم طرحها من أشخاص تمت مقابلتهم.

المستوى الثاني: الأسئلة المطروحة من الحالة الفردية (هذه هي الأسئلة في بروتوكول دراسة الحالة التي يجب الإجابة عليها من قِبل الباحث خلال حالة واحدة، حتى عندما تكون الحالة الفردية جزءاً من دراسة أكبر متعددة الحالات).

المستوى الثالث: أسئلة تم طرحها من نمط النتائج عبر حالات متعددة.

المستوى الرابع: أسئلة تم طرحها من دراسة كاملة. على سبيل المثال، طلب المعلومات خارج أدلة دراسة الحالة، بما في ذلك الأدبيات أو البيانات المنشورة الأخرى التي قد تم مراجعتها.

المستوى الخامس: أسئلة معيارية حول توصيات واستنتاجات السياسات، تتجاوز النطاق الضيق للدراسة.

من هذه المستويات الخمسة، يجب التركيز بشكل كبير على (المستوى الثاني) لبروتوكول دراسة الحالة.

إن الفرق بين أسئلة (المستوى الأول والمستوى الثاني) ذو أهمية كبيرة. ولكن يتم الخلط بين هذين النوعين من الأسئلة بشكل شائع وذلك لأن الباحثين يعتقدون أن أسئلتهم للتساؤل الرئيسي (المستوى الثاني) هي أسئلة مرادفة للأسئلة المحددة التي سوف يطرحونها على الذين تتم مقابلتهم في الميدان (المستوى الأول). وللتخلص من هذين المستويين في ذهنك، فكر في طريقة عمل الطبيب. حيث إن الطبيب يضع في تفكيره كيف من الممكن أن يكون مسار الأحداث في المرض (المستوى الثاني)، ولكن الأسئلة الفعلية التي طرحت على أي مريض أو عميل (المستوى الأول) لا تخون بالضرورة تفكير الطبيب. لأن الخط اللفظي من التساؤل يختلف عن الخط الذهني، وهذا هو الفرق بين أسئلة(المستوى الأول والمستوى الثاني) . وبالنسبة لبروتوكول دراسة الحالة، فإن التحديد الصريح لأسئلة (المستوى الثاني) له أهمية أكبر من أي محاولة لتحديد أسئلة (المستوى الأول).

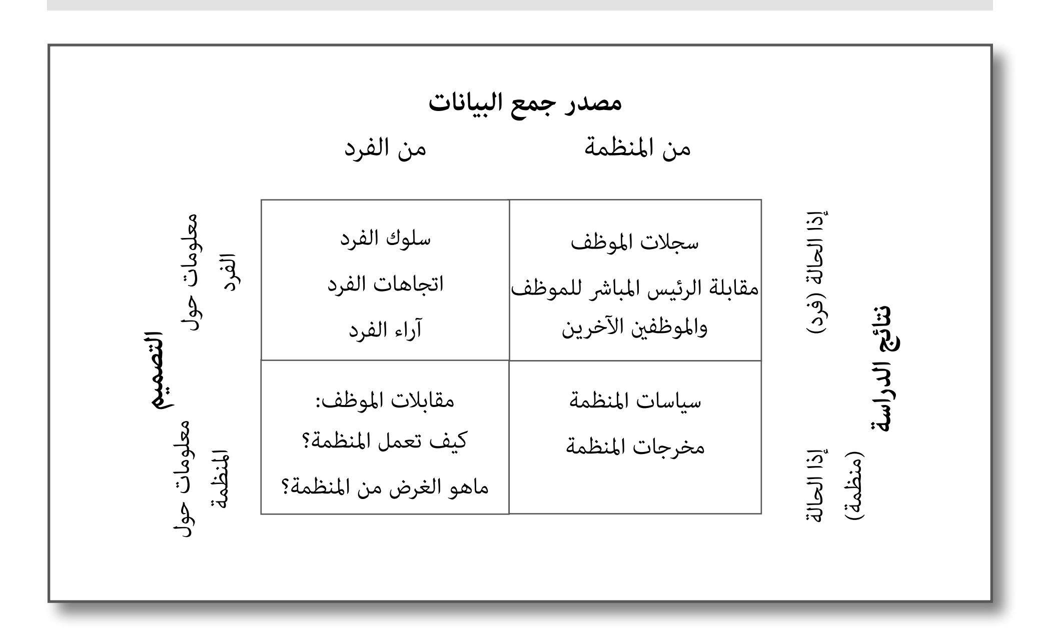
في الميدان، تؤخذ في الاعتبار أن أسـئلة (المسـتوى الثاني) ــ أثناء التعبير عن أسـئلة (المسـتوى الأول) معاً في وقت واحد عند التحدث مع الشخص الذي تُجرى معه المقابلة ــ ليست سهلة. وبطريقة مماثلة، يمكنك أن تغيب عن ذهنك أسئلة (المستوى الثاني) عند فحص وثيقة مفصلة والتي سـتصبح جزءاً من دليل دراسة الحالة (يحدث الفهم المشترك عندما تسـأل نفسـك: "لماذا أقرأ هذه الوثيقة ؟"). وللتغلب على هذه المشـكلات، فإن المشـاركة الناجحة في التدريب في وقت سابق يمكن أن تكون عاملاً مساعداً. وتذكر دائماً أن كونك باحثاً "خبيراً" يعني المحافظة على معرفة عملية لتساؤل دراسة الحالة بأكملها. وتعكس أسئلة (المستوى الثاني) في بروتوكول دراسة الحالة هذا التساؤل.

وينبغي أيضاً فهم المسـتويات الأخرى بوضوح. ويمكن أن يكون السؤال متعدد الحالات في دراسـة متعددة الحالات من الوحدات التنظيمية ـ على سـبيل المثال (المستوى الثالث) هـو : ما إذا كانت الوحـدات التنظيمية الأكبر حجماً بين الحالات المتعددة، أكثر اسـتجابة مـن الحالات الأصغر حجماً، أو مـا إذا كانت الهياكل البيروقراطية المعقدة تجعل الوحدات التنظيمية الأكبر حجماً مرهقة أكثر وأقل اسـتجابة. ومع ذلك، ينبغي ألا يكون هذا السؤال من (المسـتوى الثالث)، جزءاً من بروتوكول جمع البيانات من دراسـة الحالة الفردية؛ لأن الحالـة الفردية يمكن أن تعالج اسـتجابة (وحدة تنظيمية) واحدة فقـط. ويمكن معالجة أسئلة (المستوى الثالث) بعد فحص البيانات من جميع الحالات الفردية (في دراسة متعددة الحـالات). وهكـذا، يمكن فقـط تحليل حالة متعددة تغطي أسـئلة (المسـتوى الثالث). وبالمثل، فإن الأسـئلة في (المستوى الرابع والخامس) تذهب إلى أبعد من البيانات التجريبية من دراسـة الحالة الكاملة، ويجب أن تلاحظ هذا التقييد إذا كنت تُضمِّن هذه الأسـئلة في بروتوكول دراسـة الحالة. وتذكر أن البروتوكول هـو لجمع البيانات من حالة واحدة (حتى عندما تكون جزءاً من دراسة متعددة الحالات)، وليس المقصود خدمة المشروع بأكمله.

التداخل غير المرغوب بين وحدة جمع البيانات ووحدة التحليل: إشـارة إلى التمييز بين أسئلة (المستوى الأول والمستوى الثاني)، يمكن أن تنشأ مشكلة أكثر دقة وخطورة في توضيح الأسئلة في بروتوكول دراسة الحالة. حيث يجب أن تلبي الأسئلة وحدة تحليل دراسة الحالة، والتي قد تكون على مسـتوى مختلف عن وحدة جمع البيانات من دراسـة الحالة. وسوف يحدث هذا التداخل إذا أدت عملية جمع البيانات في ظل هذه الظروف إلى تشـويه (غير مرغوبٍ فيه) لوحدة التحليل.

يبدأ التداخل المشترك لأن مصادر جمع البيانات قد تكون أشخاصاً بصفتهم الفردية مثل (المقابــلات مع الأفــراد)، في حين أن وحدة التحليل في دراســة الحالة الخاصة بك قد تكون جماعيــة ــ مثــل (المنظمة التي ينتمي إليها الفرد) ــ والتصميــم المتكرر هو عندما تكون دراســة الحالة حــول منظمة أو مجتمع محلي أو مجموعة اجتماعيــة. وعلى الرغم من أن جمع البيانات الخاصة بك قد يتطلب الاعتماد بشكل كبير على المعلومات من الأفراد الذين أجريت معهم المقابلات، إلا أنه لايمكن أن تســتند اســتنتاجاتك بشــكل كامل إلى المقابلات كمصدر للمعلومات (ســتتحول دراســة الحالة الخاصة بك إلى دراســة مسحية ذات أسئلة مفتوحة، وليس دراسة حالة). في هذا المثال ، يجب أن تكون أسئلة البروتوكول حول المنظمة وليس الأفراد. ويغطي الصف الثاني في الشــكل (٣-٥) دراســة حالة تنظيمية تشير إلى نوع الأدلة التي يمكن الحصول عليها سواء من الأفراد الذين أجريت معهم المقابلات (الخلية ١) أو سجلات سياسات المنظمة والنتائج القابلة للتوثيق (الخلية ٢).

شكل (٣-٥) التصميم مقابل جمع البيانات: وحدات مختلفة من التحليل



ومــع ذلك، فإن الوضع العكسي أيضاً يمكن أن يكون صحيحاً. قد تكون دراســة الحالة الخاصة بك حول فرد ، ومصادر المعلومات يمكن أن تشمل السجلات الأرشيفية (على سبيل المثال، ملفات الموظفين أو ســجلات الطلاب) من منظمــة (الخلية ٣). في هذه الحالة، أنت ترغــب أيضاً في تجنب التحيز في اســتنتاجاتك حول الفرد من خــلال الاعتماد على المصادر التنظيميــة للمعلومات فقط. في هذا المثال، يجب أن تكون أســئلة البروتوكول حول الفرد، وليس المنظمة. ويغطي الصف الأول في الشكل(٣-٥) مثال دراسة الحالة حول الفرد.

وســائل جمع البيانات الأخرى: يمكن أن تشــمل أسئلة البروتوكول خانات جدول فارغة (لمزيــد من التفاصيــل، انظر: Miles & Huberman, 1994). حيــث تحدد خانة الجدول الفارغة محاور الجدول، مــن خلال وضع علامات على الصفوف والأعمدة بدقة قبل وجود أي بيانات في خلايا الجدول. وبهذه الطريقة، فإن خانة الجدول الفارغة تشــير إلى البيانات التي ســيتم جمعها، وســتكون مهمتك كباحث هي جمع البيانات التي تستدعيها المحاور. وقــد تكون البيانــات ذات الصلة كمية (رقميــة) أو كيفية (فئوية أو نصيــة). وإذا كانت البيانــات " كيفية"، يمكنك تحويل خانــة الجدول الفارغة والمكتملــة إلى جدول في برنامج Word.

ويمكن لخانات الجدول الفارغة أن تســاعد في عدة طــرق: أولاً، تلزمك خانات الجدول على التحديد الدقيق لماهية البيانات التي يجري البحث عنها. ثانياً، تضمن خانات الجدول أن المعلومات الموازية ستجمع من الحالات المختلفة عند استخدام تصميم متعدد الحالات. وأخــيراً، تســاعد خانات الجدول في فهم ما يمكــن القيام به مع البيانــات عند الانتهاء من جمعها، حيث يمكن أن تصبح خانة الجدول المكتملة في الواقع أساساً للتحليل.

دليل تقرير دراسة الحالة: " القسم د من البروتوكول "

هذا الموضوع مفقود عموماً من معظم خطط دراســة الحالة. وفي تقرير دراســة الحالة يهمــل الباحثــون التفكير في المخطط المبدئي أو النموذج أو الجمهور المســتهدف إلى ما بعد جمع البيانات. ولكن بعض التخطيط في هذه المرحلة التحضيرية ــ المسلم به خارج التسلسل النموذجي لمعظم البحوث ــ يعني أن المخطط المبدئي يمكن (وينبغي أن) يظهر في بروتوكول دراسة الحالة (هذا التخطيط يفسر السهم الذي يربط بين «الإعداد» و «المشاركة» في الرسم التوضيحي في بداية هذا الفصل).

مرة أخرى، سـبب واحد للتسلسـل الخطي التقليدي ـ أي اسـتكمال جمـع البيانات فقط وبعد ذلك التفكير في التقرير ـ يأتي من الممارسـات في أسـاليب البحث الأخرى. على سـبيل المثال، هناك حاجة أقل للقلق حول كتابة تقرير التجربة العلمية لأن نموذج التقرير والجمهور المحتمل يتأثر فعلياً بالنماذج المسـتخدمة في المجلات العلمية الأكاديمية. ولذلك، فـإن معظم تقارير التجـارب العلمية تتبع مخططاً مماثلاً يتضمن : طرح الأسـئلة البحثية والفرضيات، وصف تصميم البحث، وصف الأجهزة والأدوات، إجراءات جمع البيانات؛ عرض البيانات التي تم جمعها وتحليلها ، ومناقشة النتائج والاستنتاجات.

ولسـوء الحظ، فإن تقارير دراسـات الحالـة لا تتضمن مخططاً مقبولاً بشـكل موحد. لهـذا السـبب، يجب على كل باحث أن يقـدم على الأقل بعض الأفـكار الأوَّلية قبل إجراء دراسـة الحالة وصولاً إلى تصميم تقرير دراسة الحالة النهائي (الفصل السادس يناقش كذلك إعداد التقرير). ويمكن أن تستمد إمكانية واحدة من توقع أن جودة دراسة الحالة النهائية ستضمن نشرها في مجلة أكاديمية. وقد يكون توقع وتحديد مجلة أو اثنتين ممكن أن يكون خطوة مفيدة لأن تقرير دراسـة الحالة يمكن أن يحاكي مـا يعتقد أنه مقبول لدى المجلات العلميـة. وثمة احتمال آخر، هو أن دراسـة الحالة قد تـم التكليف بها من بعض الجهات المولـة للبحوث والتي قد يكون لديها بالفعـل نماذج محددة للتقارير يمكن الاطلاع عليها والاستفادة منها.

وبالنسبة لأي من الاحتمالات السابقة، فإن تطوير البروتوكول سوف يستفيد من مراجعة الأعمال السابقة. على سبيل المثال، دراسات الحالة السابقة التي نُشرت في المجلات العلمية، أو التقارير الحالية التي نشرتها الجهة الممولة للدراسة. ويمكن للإرشادات في البروتوكول أن يشـير بعد ذلك إلى الجمهور المستهدف، والموضوعات، وعدد صفحات تقرير دراسة الحالة النهـائي. على سـبيل المثال، قد يكون لـدى بعض الجهات الممولة لبحوث دراسـات الحالة اهتمام في التقارير التي تتخللها صور أو رسومات مزخرفة مثيرة للانتباه إن لم تكن حكايات قصصية، وستؤكد الإرشادات على ضرورة التنبه إلى فرص جمع مثل هذه البيانات.

بالإضافة إلى الإرشادات حول التقرير، يمكن لهذا الجزء من البروتوكول أن يشير إلى مدى التوثيق لتقرير دراسة الحالة. وقد يؤدي جمع البيانات بشكل صحيح إلى كميات كبيرة من الأدلة الوثائقية في شكل تقارير منشورة ومراجع علمية ومذكرات ووثائق أخرى تم جمعها بشـأن الحالـة. لكن مالذي يجب العمـل به مع هذه الوثائق لعرضهـا في وقت لاحق؟ في

معظم الدراسات، يتم حفظ الوثائق بعيداً ونادراً ما يتم استرجاعها. ومع ذلك، تعد هذه الوثائق جزءاً مهماً من "قاعدة البيانات" لدراسة الحالة (انظر الفصل الرابع). ويتمثل أحد الاحتمالات في أن يتضمن تقرير دراسة الحالة النهائي قائمة بالمراجع مع شروحات أو تعليقات إضافية توضح كلاً من الوثائق المتاحة، ومن شأن هذه الشروحات أن تساعد القارئ الذي يرغب في مزيد من الاطلاع على الوثائق التي قد تكون ذات صلة.

وباختصار، ينبغي أن يكون النموذج الأوَّلي لتقرير دراسة الحالة جزءاً من البروتوكول قدر الإمكان. ومن شأن ذلك أن يسهل جمع البيانات ذات الصلة، ويقلل من احتمال أن تكون العودة لزيارة موقع العمل الميداني ضرورية. وفي الوقت نفسه، فإن وجود مثل هذا النموذج لا ينبغي أن ينطوي على التقيد الصارم بالبروتوكول المصمم مسبقاً. في الواقع، يمكن أن تتغير خطط دراسة الحالة نتيجة لجمع البيانات الأولية، ويتم تشجيعك على الأخذ في الاعتبار وجود الموقف التكيفي ــ إذا استخدم بشكلٍ صحيح وبدون تحيز ــ باعتباره ميزة لبحوث دراسة الحالة.

تمرين ٣-٤: تطوير بروتوكول دراسة حالة

حدد بعض الظواهر التي تحتاج إلى تفسير من الحياة اليومية للجامعة التي تدرس بها أو منظمة سواء في (الماضي أو الحاضر). الموضوعات التوضيحية قد تكون، على سبيل المثال، لماذ غيرت الجامعة أو المنظمة بعض السياسات، أو كيف اتخذت القرارات حول المناهج الدراسية أو متطلبات التدريب. لهذه الموضوعات التوضيحية (أو موضوع من اختيارك)، اعمل على تصميم بروتوكول دراسة الحالة لجمع المعلومات اللازمة لتقدم تفسيراً يعد كافياً. ما هي أسئلة البحث الرئيسية أو الافتراضات النظرية الخاصة بك ؟ ما هي المصادر المحددة للبيانات التي تسعى إليها (على سبيل المثال، الأشخاص الذين سيتم مقابلتهم، والوثائق المطلوب البحث عنها، والملاحظات الميدانية التي ينبغي إنجازها)؟ هل سيكون البروتوكول الخاص بك كافياً لتوجيهك من خلال العملية بأكملها لجمع البيانات لدراسة الحالة الخاصة بك؟

فحص واختيار الحالات المرشحة لدراسة الحالة:

خطوة تحضيرية أخرى، هي الاختيار النهائي للحالة التي ستكون محور دراسة الحالة الخاصة بك. في بعض الأحيان، يكون الاختيار مباشراً لأنك إخترت دراسة حالة غير عادية تعرف هويتها منذ بداية تساؤلك البحثي، أو أنك قد تعرف بالفعل الحالة التي سوف تدرسها بسبب بعض الترتيبات الخاصة التي لديك أو قدرتك على الوصول لمصادر البيانات للحالة. ولكن في أوقات أخرى، قد يكون هناك العديد من الترشيحات للحالة المؤهلة للدراسة ويجب عليك اختيار الحالة النهائية (واحدة) أو مجموعة من الحالات المتعددة من بين الحالات المرشحة. والهدف من إجراء الفرز هو التأكد من تحديد (الحالة) أو الحالات النهائية بشكل صحيح قبل بدء عملية جمع البيانات الرسمية. والسيناريو الأسوأ ممكن أن يحدث عندما تبدأ عملية جمع البيانات رسمياً، ويتبين أن الحالة ليست قابلة للتطبيق أو لتمثيل شيء آخر غير لم تكن تخطط لدراسته.

طريقة اختيار المرحلة الواحدة: عندما يكون لديك فقط عشرة أو نحو ذلك من الحالات المرشحة المحتملة التي يمكن أن تخدم كحالات مناسبة لمشروع البحث (سواء كانت هذه الحالات المرشحة عبارة عن منظمات أو أفراد، أو كيانات أخرى تعتمد على وحدة التحليل الخاصة بالدراسة)، قد يتكون الفحص من الاستفسار من أشخاص لديهم المعرفة بكل حالة مرشحة، كما يمكنك أثناء مرحلة الاستفسار أن تجمع وثائق محدودة عن كل حالة. والذي ينبغي تجنبه، وبأي ثمن، هو إجراء الفحص المكثف ليصبح بشكل فعال عبارة عن دراسة حالة "مصغرة" لكل حالة مرشحة. وقبل جمع بيانات الفرز، يجب أن تحدد مجموعة من المعايير التشغيلية التي من خلالها يمكن اعتبار الحالات المرشحة مؤهلة للعمل كحالات نهائية. وفي حالة أنك تقوم بإجراء دراسة حالة فردية، ينبغي عليك اختيار الحالة التي من المحتمل أن تكون كل الحالات الأخرى متساوية معها وذلك للحصول على مصادر البيانات الأكثر والمتاحة. أما إذا كنت تقوم بإجراء دراسة متعددة الحالات، فينبغي أن تحدد الحالات التي تناسب تصميم النسخ المتماثل (الحرفي أو النظري).

طريقة اختيار المرحلة الثنائي: إن وجود عدد كبير من الحالات المؤهلة (مثل ١٢ حالة أو أكثر) يتطلب أن تكون عملية الاختيار من مرحلتين. حيث ينبغي أن تتألف المرحلة الأولى من جمع البيانات الكمية ذات الصلة بجميع الحالات المرشحة وذلك من بعض المصادر

الأرشـيفية (مثل قواعد البيانات الإحصائية المتعلقـة بالمدارس أو الشركات). وقد تضطر إلى الحصـول على البيانات الأرشـيفية من بعـض المصادر المركزية (على سـبيل المثال، الوزرات والهيئات الحكومية أو الجمعيات الرسمية). وبمجرد الحصول على هذه البيانات، يجب عليك تحديد بعض المعايير ذات الصلة، إما لتصنيف أو خفض عدد الحالات المرشحة. والهدف من ذلك هو تخفيض عدد الحالات المرشحة إلى (١٢) حالة أو أقل، وبعد ذلك تأتي المرحلة الثانية من خلال تنفيذ (طريقة اختيار المرحلة الواحدة) التي تم وصفها في الفقرة السـابقة. وقد اتبع تطبيق الاختيار عبر مرحلتين في دراسـة حالة عن التنمية الاقتصادية المحلية، وتم نشر هذه التجربة بشـكل كامل في كتاب (Yin, 2012, chap.3). (انظر أيضاً: مربع ١٦ للحصول على مثال آخر).

عنـد إكمال عملية الفرز والاختيار، قد تحتاج إلى إعادة النظر في قرارك السـابق بشـأن العدد الإجمالي للحالات التي يجب دراسـتها. واحترام قيود المـوارد المالية والإدارية وغيرها الخاصـة بك. مـع ملاحظة أنه إذا كان هنـاك العديد من الحالات المرشـحة مؤهلة للعمل كحالات، كلما زاد عدد الحالات التي يمكنك دراستها، وبالتالي كان ذلك أفضل.

مربع (١٦)

الإجراء المنهجي لاختيار الحالات

بدأت دراسة لإعادة تأهيل وتطوير الأحياء الحضرية بافتراض أن المنظمات المجتمعية تلعب دوراً هاماً في هذه العملية (Marwell, 2007). حيث أجريت الدراسـة في اثنين من الأحياء، مع عمل ميداني مكثف يغطي عمل أربعة أنواع مختلفة من المنظمات المجتمعية في كل حي.

ويصـف ملحق الدراسـة تفصيل إجراءات اختيـار الأحياء، حيث اسـتخدمت أولاً البيانات الديموغرافية لتخفيض مجموعة أولية من (٥٩) حياً سـكنياً إلى (١٤) حياً مرشـحاً للدراسـة، ثم اسـتخدمت أربعة معايير إضافية لاختيار اثنين من الأحياء السـكنية فقط من بين الـ (١٤) حي المتأهلين للترشيحات النهائية. وفي وقت لاحق، قام المؤلف بتقسيم هذين الحيين وفقاً لمنظماتهما المجتمعية، ويتضمن الملحق المعايير المحددة لاختيار هؤلاء المتأهلين للترشـيحات النهائية. تقدم الأوصـاف أمثلة جيدة لكيفيـة عمل إجراءات اختيار الحالات التي ممكـن أن تعمل، فضلاً عن المشـكلات غير المتوقعة التي يمكن أن تنشـأ (لمزيد من التفاصيل، انظـر Marwell, 2007,pp. 248 - 241).

دراسة الحالة التجريبية:

ستساعدك دراسة الحالة التجريبية على تحسين خطط جمع البيانات الخاصة بك خاصة فيما يتعلق بمحتوى البيانات والإجراءات الواجب اتباعها. في هذا الجانب، من المهم ملاحظة أن الاختبــار التجريبي ليس اختباراً مســبقاً. والحالة التجريبية هي نموذجية بشــكل أكثر، حيث تســاعد على تطوير الخطوط ذات الصلة بالأسئلة، وربما حتى تقديم بعض التوضيح المفاهيمي لتصميم البحث أيضاً. وفي المقابل، فإن الاختبار الأولي هو مثل مناسبة لـ «بروفة رسمية»، تكون فيه خطة جمع البيانات المستخدمة طبق الأصل قدر الإمكان للخطة النهائية. ونتيجــة لذلك، قد يفضل إجراء الاختبار التجريبي قبــل الحصول على الموافقة النهائية من مجلس المراجعة المؤسسية (IRB)، كما تمت مناقشتها سابقاً في هذا الفصل.

ويمكنــك تحديــد حالــة تجريبيــة من خلال عــدة طرق. على ســبيل المثــال، قد تعلم أن الأشــخاص (مــزودي المعلومات) في موقع العمل الميداني متجانســون بشــكل غير عادي ويمكن الوصول إليهم، أو قد يكون الموقع مناســباً جغرافياً أو قد تتوفر كمية غير عادية من الوثائــق والبيانات. والاحتــمال الآخر، يتمثل في أن الحالة تجريبية قــد تمثل حالة معقدة، مقارنة بالحالات الحقيقية المحتملة لذلك ســتتعرف وتواجه جميع مشكلات جمع البيانات ذات الصلــة تقريبــاً في الحالة التجريبية. وفي بعض الظروف، يمكن أن تكون دراســة الحالة التجريبيــة مهمة جــداً بحيث يمكن تخصيص موارد كبيرة لهــذه المرحلة من البحث. ولهذا الســبب، تستحق العديد من الموضوعات الفرعية مزيداً من المناقشة وهي: اختيار الحالات التجريبية، وطبيعة التساؤل في الحالات التجريبية، وطبيعة التقارير من الحالات التجريبية.

اختيار الحالات التجريبية:

بشــكل عام، تعتــبر الملاءمة لمتطلبات الدراســة، وســهولة الوصول للبيانــات، والقرب الجغرافي، هي المعايير الرئيسية لاختيار حالة أو حالات تجريبية، وهذا سيسمح بعلاقة أقل تنظيــماً وطويلة الأمد بينك أنت كباحث وبين المشــاركين أكبر مما قــد يحدث في الحالات "الحقيقيــة". ويمكن للحالة التجريبية أن تفترض لعب دور "المختبر أو المعمل" في تفصيل البروتوكول الخاص بك، مما يسمح لك لمراقبة الظواهر المختلفة من زوايا مختلفة كثيرة، أو لمحاولة طرق مختلفة على أساس تجريبي.

وكانت إحدى الدراسات التي أجريت على الابتكارات التقنية في الخدمات المحلية(Yin, 2012,p.29- 32) في الواقع هي سـبع حالات تجريبية، تركز كل منها على نوع مختلف من التقنية. ووقعت (أربع) من هذه الحالات في نفس المنطقة الرئيسية (العاصمة) التي يتواجد بهـا فريق البحث وتمـت زيارتها أولا، بينما (ثلاث) من هذه الحـالات كانت موجودة في مدن مختلفة والتي تمثل أساساً لمجموعة ثانية من الزيارات. ولم يتم اختيار الحالات بسبب خصائصهـا التقنية المميزة أو لأي سـبب موضوعي آخر. وكان المعيـار الرئيسي إلى جانب القرب الجغرافي، هو أن الوصول إلى الحالات كان سهلاً من خلال بعض العلاقات والاتصالات الشـخصية السـابقة من جانب فريق البحث. وأخيراً، كان الأشـخاص الذين أجريت معهم المقابـلات في الحـالات متوافقين أيضاً مع فكرة أن فريق البحـث كان في مرحلة مبكرة من البحث ولم يكن له جدول أعمال ثابت.

في مقابل العمل كحالة تجريبية، عادة ما يتوقع مزودو المعلومات الرئيسيون تلقي بعض التغذيـة الرجعية من الباحث حول الحالة أو موضوع الدراسـة. والقيمة المضافة لهم منك كمراقب خارجي، ولذا يجب أن تكون مستعداً لتقديم مثل هذه التغذية الراجعة. وللقيام بذلـك، عـلى الرغم من أنه يجب أن تكون قد طورت نسـخة أوليـة للبروتوكول ــ تعكس الموضوعات التي تهم دراسة الحالة الخاصة بك ــ يجب عليك تكييف أجزاء من البروتوكول لتتناسـب مع احتياجات مزودي المعلومات. ويجب عليك بعد ذلك إجراء الحالة التجريبية باتباع الإجراءات الميدانية الرسمية (واختبارها التجريبي).

نطاق التساؤل التجريبي:

ويمكن أن يكون نطاق التسـاؤل في الحالة التجريبية أوسـع بكثير من الخطة النهائية لجمع البيانات. وعلاوة على ذلك، يمكن أن يشمل التساؤل كلاً من القضايا الموضوعية والمنهجية.

وفي المثال المذكور أعلاه، اسـتخدم فريق البحث الحالات السـبعة التجريبية، لتحسين تصورها لمختلف أنواع التقنية وارتباطها بالتأثيرات التنظيمية. وقد أجريت الدراسـات التجريبية قبل اختيار تقنيات محددة لجمع البيانات النهائية وقبل الصياغة النهائية للافتراضات النظرية للدراسة. وهكذا، وفرت البيانات التجريبية نظرة ثاقبة كبيرة في القضايا الأساسـية التي يجري دراسـتها. واستخدمت هذه المعلومات بالتوازي مع اسـتعراض مستمر للأدبيات ذات الصلة، بحيث تم استنباط التصميم النهـائي للبحوث من خـلال النظريات السـائدة ومجموعة جديـدة من الملاحظـات التجريبية[٣].

وساعدت المصادر المزدوجة للمعلومات على ضمان أن تعكس الدراسة الفعلية أهمية كبيرة للقضايا النظرية أو السياسات، بالإضافة إلى الأسئلة ذات الصلة بالحالات (الواقعية) الحقيقية.

ومن الناحية المنهجية، يمكن أن يوفر العمل على الحالات التجريبية معلومات عن الأسئلة الميدانية ذات الصلة، والخدمات اللوجستية للتساؤل الميداني. وفي الحالات التجريبية في مجال التقنية، كان أحد الأسئلة اللوجستية الهامة هو ما إذا كان ينبغي مراقبة التقينة في العمل أولاً، أو جمع المعلومات عن القضايا التنظيمية السائدة قبل ذلك. وتفاعل هذا الاختيار مع سؤال آخر عن توزيع الفريق الميداني مثلاً: إذا كان الفريق يتألف من شخصين أو أكثر، فما هي المهام التي تلزم الفريق بالعمل معاً، وما هي المهام التي يمكن إنجازها بشكل منفصل؟ وتمت تجربة الاختلافات في هذه الإجراءات خلال دراسات الحالة التجريبية، وتم الاعتراف بالمفاضلة بينهما ، وأخيراً، تم تطوير إجراء متفق عليه للخطة الرسمية لجمع البيانات.

تقارير الحالات التجريبية:

إن تقارير الحالات التجريبية ذات قيمة كبيرة لفريق البحث نفسه، ويجب أن تكون مكتوبة بوضوح، حتى ولو كان ذلك في شكل مذكرات فقط. وأحد الفروق بين التقارير التجريبية والتقارير الفعلية عن دراسات الحالة، هو أن التقارير التجريبية ينبغي أن تكون صريحة بشأن الدروس المستفادة من تصميم البحوث والإجراءات الميدانية. وقد تتضمن التقارير التجريبية أقساماً فرعية لهذه الموضوعات.

وإذا تم التخطيط لأكثر من حالة تجريبية واحدة، فإن التقرير من حالة تجريبية واحدة يمكن أن يشير أيضاً إلى التعديلات التي سيجري إجراؤها في الحالة التجريبية التالية. وبعبارة أخرى، يمكن أن يتضمن التقرير جدول الأعمال للحالة التدريبية التي تلي ذلك. وإذا تم إجراء حالات تجريبية كافية، بهذه الطريقة، فإن جدول أعمال الحالة التجريبية النهائية، قد يصبح فعلاً نموذجاً أوليًّا جيداً لبروتوكول دراسة الحالة النهائي.

تمرين ٣-٥ : اختيار حالة لإجراء دراسة تجريبية

حدد المميزات المطلوبة لحالة تجريبية، تمهيداً لدراسة حالة جديدة. كيف يمكنك الاتصال بالمشاركين المحتملين واستخدام مثل هذه الحالة؟ ماهو سبب رغبتك في إجراء حالة تجريبية واحدة فقط، بدلاً من حالتين تجريبيتين أو أكثر.

ملخص:

استعرض هذا الفصل الأعمال التحضيرية لعملية جمع البيانات. واعتماداً على نطاق دراسة الحالة ـ سواء في حالة إجراء دراسة حالات فردية أو متعددة، أو ما إذا كان سيتم تكليف باحث واحد أو عدة باحثين ـ فإن المهام التحضيرية ستكون بالمثل سهلة أو معقدة.

وكانت الموضوعات الرئيسية في هذا الفصل هي المهارات والقيم المرغوبة لباحث دراسة الحالة، وإعداد وتدريب فريق دراسة الحالة لدراسة حالة محددة، وطبيعة بروتوكول دراسة الحالة، وفحص (اختيار) الحالات المرشحة، والدور والغرض من دراسة حالة تجريبية. ويجب أن تتبع كل دراسة حالة هذه الخطوات المختلفة بدرجات متفاوتة، اعتماداً على التساؤل المحدد.

ومن وجهة نظر إدارية ، وكما هو الحال مع إدارة الشؤون الأخرى، فإن الخبرة التي يتم بها إنجاز هذه الأنشطة ستتحسن مع الممارسة. وبالتالي، فإن التسلسل المرغوب فيه هو أن تكمل دراسة حالة بسهولة نسبياً، قبل محاولة القيام بمزيدٍ من التعقيد. ومع الانتهاء بنجاح من كل دراسة حالة، قد تصبح المهام التحضيرية ذات طبيعةٍ ثانية. وعلاوة على ذلك، إذا أجرى نفس فريق دراسة الحالة العديد من الدراسات المختلفة معاً، فإن الفريق سيعمل مع زيادة الكفاءة والرضا المهني مع كل دراسة حالة تلي ذلك.

ملاحظات الفصل الثالث:

١. يفترض (Thacher, 2006) بقوة تأييد ما يسميه دراسات الحالة "المعيارية". في مثل هذه الدراسات، يستخدم الباحثون دراسات حالة للدفاع عن قضايا محددة، مع وجود مخاطرة التعارض في نزاهة جمع البيانات الخاصة بهم. وقد يكون من الأفضل ترك هذه المخاطر إلى الباحثين الأكثر خبرة، ولكن لا يوصى بها لمن لديهم خبرة أقل (أو أقل من المبتدئين) في إجراء دراسات الحالة.

٢. الفرق بين وجود باحث دراسة حالة واحدة والحاجة لعدد من الباحثين، يمكن أن تخلق توجهاً مهماً ومختلفاً لدراسة الحالة بأكملها. وقد كان الباحثون التقليديون الذين يعملون بصفة فردية في كثير من الأحيان رائعين ومبدعين، وبشكلٍ سريع يتكيفون مع الظروف الجديدة أثناء جمع البيانات أو إيجاد أنماط جذابة حديثاً أثناء تحليل البيانات. ولكن مع تعدد الباحثين، قد يكون من الضروري تقييد هذه المواهب بسبب الحاجة إلى التجانس بين الباحثين، ولكن الانضباط الجيد يكافأ بتقليل احتمال إدخال التحيز في دراسة الحالة.

٣. حصلت الدراسة النهائية، في شكلها المنشور، على جائزة (William E. Mosher)، المقدمة من الجمعية الأمريكية للإدارة العامة، لأفضل مقال نشر في مجلة (Public Administration Review) في عام ١٩٨١م.

جلسة دراسية ٣-١
مزيد من المراجعة عبر مجالس المراجعة المؤسسية (IRBs)

أصبــح الحصول على موافقة مجلس المراجعة المؤسســية (IRB) جزءاً معيارياً من القيام بأي بحث يشــمل موضوعات إنســانية. ولكن، يمكن أن تكون عملية الموافقة أي شيء ولكن بشكل معياري. على سبيل المثال، إذا أثار مجلس المراجعة أسئلة مهمة حول بحثك، فقد ينبغي عليك تقديم طلبات الموافقة أكثر من مرة قبل الحصول على الموافقة، وقد يؤثر الوقت الذي تستغرقه هذه الطلبات في جدولك الزمني لإجراء البحث.

وكمســألة عامة، سوف تحتاج إلى التحضير بحذر لمراجعة المجلس. حيث إن لكل جامعة أو مؤسسة بحثية مجلس مراجعة خاص بها والذي يتكون عادة من خمســة من الباحثين الخبراء أو أكثر يتطوعون للعمل على أساس التناوب. ويمكنك الحصول على فهم سليم لتوقعات مجلس المراجعة لديكم في الجهة البحثية التي تعمل معها من خلال التحقق أولاً لمعرفة ما إذا كان المجلس لديه موقعه الإلكتروني الخاص. حيث تقدم معظم هذه المواقع إرشادات مفصلة حول إجراءات وتجارب تطبيقية لعملية المراجعة.

إضافة إلى هذه المعلومات، قد ترغب في مراجعة الطلبات الســابقة إلى مجلس المراجعة التي تغطي مشــاريع بحثية مثل مشروعك البحثي المقترح. وبالمثل، قد تســلط مراجعة الأدبيات الخاصة بك الضوء على الدراسات السابقة، مع موضوعات وأساليب بحثية مشابهة للغاية. وإذا كانت دراستك تتميز بطابعٍ مبتكر أقل بكثير من المنهجية فاستعد مسبقاً للأسئلة الحتمية التي قد يثيرها المجلس.

وعلى نطاق أوسع، يمكنك التعرف على المبادئ الكامنة وراء الحاجة إلى حماية الموضوعات الإنسانية، مــن خلال مراجعة البحــوث الأخرى التي تغطي الإجــراءات بمزيد من التعمــق، وخاصة الاعتماد على المصــادر التــي تعكس موضوع البحث الخاص بك. على ســبيل المثال، للبحــث في مجال إدارة الأعمال، انظــر (Eriksson & Kovalainen, 2008, p.62-76) ، وفي مجــال الخدمة الاجتماعية وعلم الاجتماع، انظــر (Grinnell & Unrau, 2008 , p.30- 59)، وفي مجــال الصحــة العامــة ، يمكنــك الاطــلاع على (Speiglman & Spear, 2009). وبالمثل، يمكنك الاســتفادة من الأدلة الاسترشادية الرسمية الصادرة عن مختلف الجمعيات العلمية في مجال العلوم الاجتماعية، واختيار ما يناسبك منها (على سبيل المثال، انظر الاستشهادات على العديد من وثائق الجمعيات العلمية والمهنية المدرجة في الفصل الثالث تحت عنوان: "تجنب التحيز وإجراء البحوث أخلاقياً").

ويمكن الإشــارة إلى أن مخاوف مجلس المراجعة قد تختلف من مؤسســة بحثية إلى أخرى، ومن مجلس إلى آخــر مع انتهاء عضويتــه. ولا تتردد أبداً في التحدث مع عضو أو اثنين من المجلس لديكم في الجامعة أو المؤسسة البحثية في وقت مبكر، للحصول على آراء مباشرة حول عملية المراجعة وتوقعاتها.

توضيحات مختصرة عن المراجع العلمية للجلسة الدراسية ٣-١:

-Eriksson, P., & Kovalainen, A. (2008). Qualitative methods in business research. London: Sage.

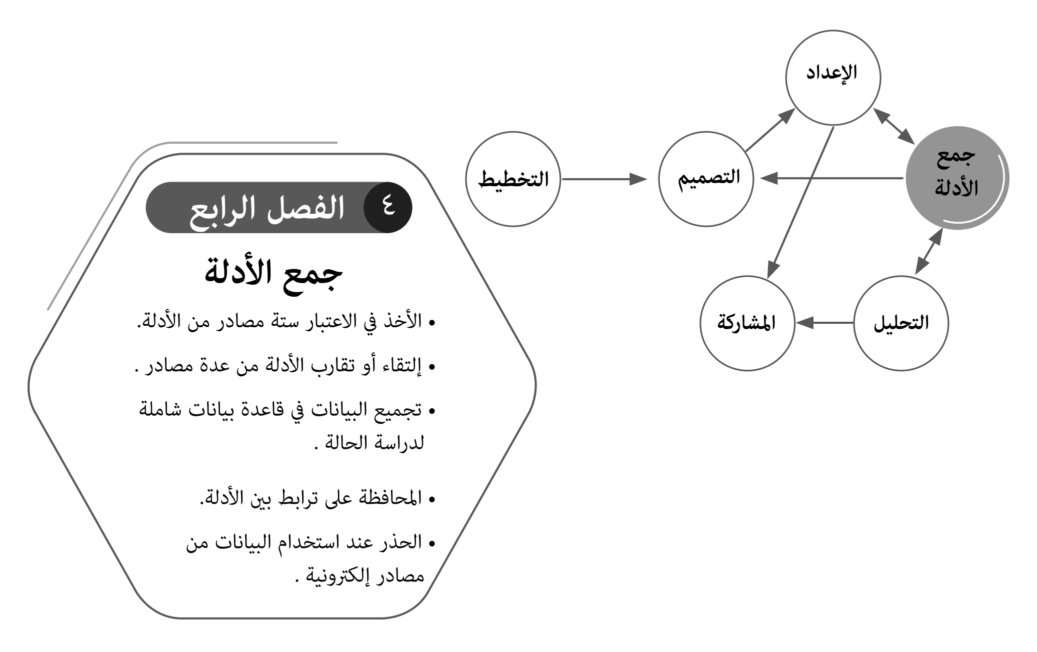
تعامل بحوث دراسة الحالة باعتبارها واحدة من تسعة أساليب في البحوث الكيفية في إدارة الأعمال.

- Grinnell, R. M., & Unrau, Y. A. (Eds.). (2008). Social work research and evaluation: Foundations of evidence-based practice. New York: Oxford University Press.

يعتبر كتاباً مرجعياً شاملاً حول البحث والتقييم في مجال الخدمة الاجتماعية.

- Speiglman, R., & Spear, P. (2009). The role of institutional review boards : Ethics: Now you see them, now you don't. In D. M. Mertens & P. E. Ginsberg (Eds.), The handbook of social research ethics (pp. 121–134). Thousand Oaks, CA: Sage.

يصف دور مجالس المراجعة المؤسسية (IRB).



نبذة مختصرة:

قد تأتي أدلة دراســة الحالة من ســتة مصادر تتمثل في : الوثائق، والســجلات الأرشيفية، والمقابلات، والملاحظات المباشرة، والملاحظة بالمشاركة، والأدوات والمقتنيات المادية. ويتطلب استخدام هذه المصادر الســتة إتقان إجراءات جمع البيانات المختلفة. ومع تقدم العمل على البحث، قد يكون هدف الباحث هو جمع بيانات حول الأحداث والسلوك الإنساني الفعلي أو التعرف على وجهات نظر مميزة للمشاركين في دراســة الحالة التي يعمل عليها (أو كليهما). هذه التســاؤلات الموسعة تعني أن جمع بيانات دراسة الحالة يمكن أن يتطلب الكثير من وقت العمل الميداني ، بما في ذلك إجراء المقابلات المطولة التي تحدث خلال جلسات متعددة.

بالإضافة إلى تقدير طريقة العمل مع المصادر الستة ، هناك أربعة مبادئ جوهرية والتي تعتبر مهمة لأي جهد لجمع البيانات عند إجراء بحوث دراسة الحالة. أحد المبادئ هو استخدام مصادر أدلة متعددة (أدلة من مصدرين أو أكثر ، تتلاقى في نفس النتائج). والمبدأ الآخر هو إنشاء قاعدة بيانات لدراسة الحالة ــ وهي عبارة عن تجميع رسمي للأدلة يختلف عن تقرير دراسة الحالة النهائي ــ حيث تحتوي على كل ملاحظات الدراسة، والوثائق والمواد المجدولة من الميدان ، والروايات الأولية أو مذكراتك حول البيانات. بينما تغطي المبادئ الأخرى قدرتك (أو حساســيتك) في الحفاظ على ترابط الأدلة والحذر عند اســتخدام مصادر الأدلة الإلكترونية ، مثل وسائل التواصل الاجتماعي. ومن خلال دمج جميع هذه المبادئ في دراسة الحالة، ستزيد من جودتها بشكل كبير.

٤

جمع أدلة دراسة الحالة

المبادئ التي يجب اتباعها أثناء العمل مع ستة مصادر من الأدلة

يمكن جمع أدلة دراسة الحالة من مصادر متعددة، إلا أن هذا الفصل يقتصر على تناول ستة من هذه المصادر هي : التوثيق، والسجلات الأرشيفية، والمقابلات، والملاحظات المباشرة، والملاحظة بالمشاركة، والأدوات والمقتنيات المادية. ويرتبط كل مصدر بمجموعة من البيانات أو الأدلــة. ويتمثــل أحد أهداف هذا الفصل في مراجعة المصادر الســتة بإيجاز. أما الهدف الآخر، فهو عرض المبادئ الأربعة اللازمة لجمع البيانات دون اعتبار للمصادر المستخدمة.

المراجع العلمية الداعمة:

قد تجد ترابطاً محتملاً بين المصادر الســتة للأدلة، حتى عند إجراء نفس دراســة الحالة. لهذا السبب ؛ فإنه قد يكون من المفيد استعراض هذه المصادر بإيجاز في هذا الفصل. حيث يحتــوي كل مصدر من مصادر الأدلة على مزيد مــن التفصيل في عدد من الكتب المنهجية والمقــالات العلمية. لذا؛ قد تكون هناك حاجة أيضــاً لمراجعة بعض تلك الكتب والمقالات، خاصة إذا كان أحد المصادر له أهمية خاصة لدراسة الحالة، إلا أن الاختيار بين هذه المراجع العلمية وغيرها قد يتطلب بعض البحث والانتقاء بعناية.

أولاً، قد تجد إرشادات في كتب قديمة مخصصة بالكامل لجمع البيانات (على سبيل المثال: Bouchard,1976;Fiedler,1978;Murphy,1980; Schatzman & Strauss,1973;Wax,) 1971). تحتوي تلك الكتب عادةً على "عمل ميداني" أو "بحث ميداني" كجزء من عناوينها، وهي غير موجهة لبحث موضوع ما بشــكل خاص مثل دراســة الأجناس البشرية. كما توفر تلك الكتب إرشادات قيمة عن كيفية تخطيط العمل الميداني وتنفيذه، إضافة إلى استعراض الإجراءات الأساسية لجمع البيانات. وعلى الرغم من أنها لا تركز مباشرة على بحوث دراسة الحالة، إلا أن التشابه في الإجراءات يجعل الكتب ذات قيمة نظراً لسهولة استخدامها. ولكن كما تلاحظ تقادم تاريخ النشر، فإن هذه الكتب في تناقص مستمر.

ثانياً، تتوفر الكتب المعاصرة بسـهولة لكنها تجعل عملية الاختيار أكثر تعقيداً؛ فهي قـد تغطي أنواعاً محـدودة من الأدلـة أو تتخصص في مصدر واحد فقـط كالمقابلات الميدانية ومن أمثلتها (Rubin, & Rubin, 2011; Weiss, 1994) أو الملاحظة بالمشاركة ومـن أمثلة هذه الكتـب (DeWalt, & DeWalt, 2011; Jorgensen, 1989) أو أدلة التوثيق، مثل (Barzun & Graff, 1985)، ومن ثم تفقد ميزة تكامل المصادر المتعددة للأدلـة بعضها ببعض. كما قد تتوفر بعض الكتب التي تغطي مجالاً واسـعاً من الأدلة، إلا أنهـا قد تأتي موجهة لا تلبي احتياجاتك البحثية مثل البحوث السريرية (الطبية)، أو بحوث الرعاية الأولية مثل (Crabtree & Miller, 1999) أو بحوث تقييم البرامج مثل (Patton, 2002)، أو بحوث الخدمة الاجتماعية (Rubin & Babbie, 1993) أو بحوث علم الأجناس البشرية (Robben & Sluka, 2007).

ثالثـاً، توجد أنواع مـن الكتب تبدو من الوهلـة الأولى أنها كتب منهجية شـاملة، وتغطـي العديد من الموضوعات إضافة إلى جمع البيانـات. وكنتيجة لذلك، لا تخصص لجمـع البيانات سـوى حيز قليل، مثل تخصيـص فصل واحد من أحد عشر فصلاً كما في كتـاب (Creswell, 2007)، وفصـل واحد من ثمانية وعشريـن فصلاً كما هو في كتاب (Silverman, 2010). أما الكتب الأخرى الشـاملة والتـي تتناول طرق جمع البيانات بتفصيل أوسـع، فنجدها صُممت لتكون مراجع علمية وليسـت كتباً منهجية يستخدمها الباحثون مثل (Bickman & Rog, 2009).

ومع الأخذ في الاعتبـار هذه الاختلافات، فإنه يجب على الباحث التغلب على الصعوبة إذا لم تمثـل هـذه الكتب المتنوعـة الطبيعة المجزأة للنشـاط المنهجي، وعند تجاوز هذه الصعوبات سـتكون إجراءات جمع البيانات أفضل.

نقطـة تعلم: مـا مقـدار الوقت والجهـد الذي يحتاجـه الباحث لجمـع بيانات دراسـة الحالة؟ وكيف يعرف أنه انتهى من عملية جمع البيانات؟

على عكس الأساليب الأخرى، لا توجد نقطة فاصلة، عليـك محاولة جمع بيانـات كافية حتـى : (أ) يكون لديـك أدلة مؤكدة (مـن مصدرين مختلفـين أو أكثر) لأغلـب الموضوعات الرئيسـية، (ب) أن تتضمن الأدلة محاولات لفحص الافتراضات أو التفسيرات المناظرة.

ما هي بعض النقاط الفاصلة في الأساليب البحثية الأخـرى، ولماذا هي غير صالحة لإجراء بحوث دراسـة الحالة؟

المبادئ الداعمة:

إضافـة لأهميـة التعرف عـلى إجراءات جمـع البيانات باسـتخدام المصادر السـتة للأدلة، كذلك هناك حاجة أيضاً للتعرف على

تحديــات وصعوبات التصميم التي تناولها (الفصل الثــاني) وهي : الصدق البنائي، والصدق الداخلي، والصدق الخارجي، والثبات.

لهذا الســبب، يقدم الجــزء الأخير من هذا الفصل تأكيداً أكثر عــلى الغرض الثاني، وهو مناقشة المبادئ الأربعة لجمع البيانات.

وقد تم تجاهل تلك المبادئ ســابقاً وتمت مناقشــتها بشكل مطول بعدة طرق هي: (أ) استخدام عدة مصادر للأدلة وليس مصدراً واحداً، (ب) إنشاء قاعدة بيانات لدراسة الحالة، (ج) المحافظة على سلســلة مترابطة من الأدلة، (د) الالتزام بالدقة والحذر عند اســتخدام البيانات من مصادر إلكترونية مثل مواقع التواصل الاجتماعي. وتحمل تلك المبادئ أهمية كبيرة لإجراء دراسات حالة عالية الجودة، وهي مرتبطة بجميع الأنواع الستة للأدلة، ويجب اتباعها قدر الإمكان. وبشــكلٍ خاص، وكما أُشــير لها في الفصل الثاني (الشكل٢-٣) ستساعد على التعامل مع القضايا الخاصة بالصدق البنائي والثبات.

تمرين ٤-١: تحديد مصادر الأدلة في دراسات الحالة الأخرى

اختر إحدى دراسات الحالة الواردة في مربعات النص في هذا الكتاب. استعرِض دراسة الحالة وحدد أهم خمس نتائج للدراســة. حدد المصدر أو مصادر الأدلة التي اســتخدمت لدعم أيٍ من النتائج الخمسة، إن وجدت، وكم عدد الأمثلة التي كان بها أكثر من مصدر واحد للأدلة؟

ستة مصادر من الأدلة:

تعد مصادر الأدلة التي تناولها هذا الكتاب هي الأكثر استخداماً لإجراء بحوث دراسات الحالة وهي : التوثيق، والســجلات الأرشــيفية، والمقابلات، والملاحظات المباشرة، والملاحظة بالمشــاركة، والأدوات والمقتنيــات المادية، ولكــن ينبغي عليــك إدراك أن قائمة كاملة من المصادر قد تكون واسعة النطاق، وتشمل الأفلام والصور الفوتوغرافية وتسجيلات الفيديو وتاريخ حياة الأشــخاص، والاختبارات النفســية والإسقاطية ودراســة المسافة المكانية بين الأشــخاص وتفاعلهم الإنساني، ودراسة لغة الجســد، وأنثربولوجيا الشارع ، وتاريخ الحياة الإنسانية (Marshall & Rosman, 2011).

ويكون استـــعراض المصادر الستة مفيداً إذا تضمن مقارنة لنقاط القوة والضعف (انظر الشـــكل ٤-١). وعلى الباحث ملاحظة أنه لا يوجد مصدر واحد له ميزة كاملة على الإطلاق تميزه عن المصادر الأخرى. وفي الواقع، تعتبر المصادر المتنوعة مكملة لبعضها الآخر، ودراسة الحالة الجيدة هي التي تعتمد على الكثير من المصادر (انظر المناقشة التي وردت لاحقاً في هذا الفصل بشأن «المصادر المتعددة للأدلة»).

شكل (٤-١) المصادر الستة للأدلة : نقاط القوة والضعف

مصدر الأدلة	نقاط القوة	نقاط الضعف
التوثيق	• ثابت ـ يمكن استعراضه بشكل متكرر. • غير ملاحظ ـ لم يجمع كنتيجة لدراسة الحالة. • محدد ـ يمكن أن يحتوي على أسماء ومراجع وتفاصيل للحدث. • واسع ـ يغطي مدى زمني طويل، والعديد من الأحداث والظروف.	• القابلية للاستعادة ـ يصعب إيجادها. • التحيز الانتقائي ـ في حالة جمع الوثائق بشكل غير مكتمل. • تحيز التقارير ـ يعكس التحيز (غير المعروف) لأي مؤلف لهذه الوثائق. • الوصول ـ يمكن حجب الوثائق عن عمد.
السجلات الأرشيفية	• النقاط أعلاه التي تنطبق على التوثيق. • دقيقة وغالباً تكون كمية.	• النقاط أعلاه التي تنطبق على التوثيق. • إمكانيـــة الوصـــول للســـجلات لأســـباب تتعلق بالخصوصية.
المقابلات	• ذات هدف ـ تركز بشكل مباشر على موضوعات دراسة الحالة. • العمق ـ تقدم تفسيرات ووجهات نظر شخصية (وجهات نظر، اتجاهات، معاني).	• التحيز بسبب الأسئلة غير المصاغة بشكل جيد. • التحيز في الإجابات. • عدم الدقة بسبب الاستدعاء غير الدقيق. • الانعكاسية ـ يتلقى المحاوَر الإجابات التي يرغب في سماعها من المحاوِر (الباحث).
الملاحظات المباشرة	• فورية ـ تغطي الحدث في الوقت الفعلي. • سياقية ـ يمكن أن تغطي سياق الحالة.	• تستهلك الوقت. • الانتقائيـــة ـ يصعب التغطية الواســـعة المدى إلا في حالة وجود فريق من الملاحظين. • الانعكاسية ـ قد تســـير الأحداث بشكل مختلف بسبب خضوعها للملاحظة. • التكلفة والساعات التي تتطلبها الملاحظة الشخصية.
الملاحظة بالمشاركة	• النقاط أعلاه التي تنطبق على الملاحظة المباشرة. • العمق في فهم السلوكيات والدوافع الشخصية.	• النقاط أعلاه التي تنطبق على الملاحظة المباشرة. • التحيـــز بســـبب تغيير الملاحظ و/أو المشـــارك للوقائع.
الأدوات والمقتنيات المادية	• العمق في فهم الخصائص الثقافية. • العمق في فهم العمليات الفنية.	• الانتقائية. • التوفر.

التوثيق:

باســتثناء الدراســات الخاصة بالمجتمعات الأمية، فإن المعلومات التوثيقية من المحتمل أنهــا ترتبــط بكل موضوع من موضوعات دراســة الحالة[1]. يمكــن أن يتخذ هذا النوع من المعلومات أشــكالاً كثيرة، ويجب أن يكون هو موضوع خطط جمع البيانات المجردة، على سبيل المثال الأخذ في الاعتبار الوثائق المتنوعة التالية:

- الخطابات والمذكرات الرســمية ورســائل البريد الإلكتروني، وغيرها من الوثائق الشخصية مثل المذكرات الشخصية والتقويم والملاحظات.
- جداول أعمال الاجتماعات والإعلانات ومحاضر الاجتماعات، وغيرها من التقارير المكتوبة للفعاليات الأحداث.
- الوثائق الإدارية مثل المقترحات وتقارير سير العمل، وغيرها من السجلات الداخلية.
- الدراسات الرسمية أو عمليات التقييم للحالة الخاضعة للدراسة.
- قصاصات الأخبار وغيرها من المقالات المستخدمة في الإعلام أو الصحف المحلية.

تتوفــر هذه الأنواع وغيرها من الوثائق بكثرة على محركات البحث في شــبكة الإنترنت، وهي مفيدة على الرغم من أنها ليســت دقيقة دائمــاً وقد لا تخلو من التحيز. وفي الواقع ، يجب استخدام الوثائق بعناية ولا يجب قبولها بوصفها سجلات حرفية للوقائع التي حدثت. والقليــل فقط من النــاس يدركون أن «المحاضر الحرفية» لجلســات الكونجرس الأمريكية، تم تحريرها بعناية ــ على يد طاقم عمل الكونجرس وغيرهم ممن شــهدوا الجلســة ــ قبل طباعتها في شــكلها النهــائي. وفي مجال آخر، يجب أن يهتم المؤرخــون ممن يتعاملون مع الوثائق الرئيسية بمصداقية المستند أو الوثيقة.

وبالنسبة إلى بحوث دراسة الحالة، يعتبر أهم استخدام للوثائق هو إثبات صحة وتعزيز الأدلــة الــواردة بمصادر أخرى. أولاً، تعتــبر الوثائق مفيدة في التحقق مــن صحة العبارات، وأســماء وألقاب الأشخاص والمؤسســات التي ترد في المقابلة. ثانياً، قد توفر الوثائق تفاصيل أخرى معينة لتأكيد صحة المعلومات الواردة من المصادر الأخرى. فإذا كان الدليل التوثيقي مناقضاً وليس داعماً له، فعلى الباحث معالجة المشكلة بمزيد من البحث في الموضوع. ثالثاً، يمكن للباحث الخروج باســتنتاجات من الوثائق مثل ملاحظة قائمة التوزيع لوثيقة معينة،

وقد يجد أسئلة جديدة بشأن الاتصالات والعلاقات مع منظمة ما، إلا أنه يجب معاملة تلك الاستنتاجات بوصفها مؤشرات أولية تحتاج لمزيد من البحث وليست كنتائج مؤكدة، نظراً لأن الاستنتاجات قد تتغير فيما بعد وتصبح نتائج خاطئة.

وبسبب قيمتها الكلية نجد أن الوثائق تلعب دوراً واضحاً في أي عملية جمع البيانات عند إجراء بحوث دراسة الحالة. ويعتبر البحث الإجرائي (المنظم) للوثائق ذات العلاقة له أهمية في أي خطة لجمع البيانات. على سبيل المثال، قبل إجراء العمل الميداني، قد ينتج عن البحث في الإنترنت معلومات قيّمة جداً. بينما أثناء العمل الميداني، على الباحث تخصيص وقت لاستخدام المكتبات المحلية وغيرها من المراكز التي لا تتوفر مراجعها إلكترونياً، مثل الإصدارات السابقة للدوريات العلمية. كما أن على الباحث العمل على الوصول وفحص ملفات أي منظمات تمت دراستها، ويشمل ذلك مراجعة الوثائق التي قد تُحفظ لوقت طويل دون نشرها في المنظمة. وتعتبر جدولة أنشطة البحث الوثائقي مرنة ومستقلة عن غيرها من أنشطة جمع البيانات الأخرى، ويمكن إجراء البحث داخل الوثائق بأي شكل يناسب الباحث. لهذا السبب، قد لا يكون هنالك عذر لعدم إجراء مراجعة شاملة لدليل وثائقي، ومن أمثلة هذه الأدلة : تعتبر الأخبار مصادر ممتازة لتغطية بعض الموضوعات مثل تلك الواردة في المربعات (١٧) و (١٨) أدناه.

مربع (١٧)

دمج المشاركة الشخصية مع التوثيق الصحفي المكثف

أصبح تحسين البيئة التعليمية ــ خاصة في مدارس المدن الصغيرة والضواحي في الولايات المتحدة الأمريكية ــ أحد أكبر تحديات القرن الحادي والعشرين. وهو موضوع كتاب شيق تضمن دراسة الحالة التي أجراها (Donald McAdams, 2000) حول كيفية تعامل نظام مدينة هيوستن في ولاية تكساس مع الموارد المالية المقيدة، وتنوع الفئات الطلابية والتشريعات السياسية المحلية، حيث استفاد من كونه عضواً في مجلس تعليم منتخب لإحدى المدارس لثلاث فترات كل منها أربع سنوات. وقدم تجربة شخصية، ولم يحاول أن يكون محلل علوم اجتماعية. في الوقت ذاته، يحتوي الكتاب على مراجع ثرية لمقالات محلية تتناول الأحداث. وكانت النتيجة واحدةً من أكثر دراسات الحالة الأكثر قراءةً ولكن أيضاً أفضلها توثيقاً والتي لن يتوقعها القارىء.

مربع (١٨)

مقارنة الأدلة من مصدرين للأرشيف لتغطية نفس الأحداث المجتمعية

من بين أهم الأحداث الملتهبة التي وقعت في بداية التسعينيات (١٩٩٢)، تلك التي عرفت باسم "أزمــة رودني كينــج" (Rodney King crisis) ؛ حيث تم تصوير ضباط شرطة من البيض يضربون رجــلاً أمريكياً مــن أصل أفريقي، إلا أنه تمت تبرئة أولئك الضباط لاحقاً بعد عام من ذلك الحادث، غــير أن حكم البراءة هذا أثار اضطرابات مدنية كبيرة، قتل فيها (٥٨) رجلاً وجرح أكثر من (٢٠٠٠) شخص وقبض على (١١,٠٠٠) آخرين من مثيري الشغب.

أجريت دراســة حالة لهذه الأزمــة (R.N. Jacobs, 1996) معتمدة على مصدرين مختلفين من الصحف هي: الصحيفة اليومية الرئيسية للمدينة والصحيفة الأخرى للمجتمع الأفرو- أمريكي، وكانت الدراســة تغطي الفــترة التي أحاطت بهذه الأزمة. أصدرت الصحيفــة الأولى (٣٥٧) مقالاً، وأصدرت الصحيفة الثانية والتي تصدر بشــكل أســبوعي (١٣٧) مقالاً. تتبعت دراســة الحالة مسار الأحداث وكشــفت كيف أظهرت الصحيفتــان فهماً مختلفاً للأحداث، موضحةً التحيــز المحتمل للأدلة الموثقة والحاجة لتناول مثل هذا التحيز.

في نفس الوقت، تعرض الكثيرون إلى النقد بســبب الاعتــماد الزائد على الوثائق في بحوث دراسة الحالة، وقد يرجع سبب ذلك إلى افتراض الباحث (غير المتخصص) خطأً أن جميع أنواع الوثائق ــ بما فيها مقترحات المشروعات أو البرامج ــ تحتوي على الحقيقة المطلقة. وفي الواقع، مــن المهم أن يتم مراجعــة الوثائق كي نفهم أنها كتبت لغرض محــدد، وتخاطب فئة محددة تختلف عن الغرض والفئة المســتهدفة من دراســة الحالة. وبذلك، فــإن الباحث الذي يجري دراســة الحالة هو مراقب خبير؛ لأن الأدلــة الوثائقية تعكس اتصالات جرت بين أطراف أخرى يســعون لتحقيق بعض الأهداف الأخرى، وباستمرار يحاولون تحديد هذه الأهداف. وبمحاولة ذلك يقل احتمال التضليل بسبب الأدلة الوثائقية، وتزداد احتمالات التفسير الصحيح لمحتويات تلك الأدلة٢.

وظهرت مشكلة جديدة جديدة بسبب وفرة المواد المتاحة عبر محركات البحث على شبكة الإنترنت، حيث من الممكن هدر الوقت في مراجعة المواد الالكترونية دون الحصول على نتائج. ولكن يمكن ملاحظة أن المشــكلة لا تختلف عن وفرة البيانات الرقمية حول موضوع دراســة

الحالة الخاصة بك ؛ إذ قد تتوفر من مصادر مثل تعداد الإحصاءات السـكانية الرسـمية (انظر أيضاً : السجلات الأرشيفية لاحقاً). في كلا الموقفين ينبغي أن يتوفر لديك إدراك قوي بتساؤلات دراسـة الحالة الخاصة بك والتركيز عـلى المعلومات الأكثر أهمية. ومن بين المقترحات تصنيف المواد واختبارها (الوثائق أو البيانات الرقمية) وفقاً لمدى مناسـبتها لتسـاؤلات الدراسة، بعد ذلك ، اسـتثمر وقتاً في قراءة الوثائق المهمة واستبعد الأقل أهمية للاطلاع عليها في وقت آخر. قد لا يكون الإجراء مثالياً، لكنه يسمح بالتقدم في إنجاز مهام الدراسة الأخرى.

السجلات الأرشيفية:

قد تكون السـجلات الأرشـيفية ــ التي تتخذ شـكل ملفات كمبيوتر أو السجلات مثل الإحصاءات السكانية الرسمية ــ ذات صلة للكثير من دراسات الحالة، ومن أمثلتها ما يلي:

- ملفـات للاسـتخدام العام مثل الإحصاءات السـكانية الرسـمية، وغيرها مـن البيانات الإحصائية التي توفرها الهيئات والمؤسسات الحكومية.
- سجلات الخدمة مثل تلك التي توضح عدد العملاء الذين تلقوا خدمات خلال فترة زمنية محددة.
- السجلات المؤسسية مثل الموازنة وسجلات الموظفين.
- الخرائط والرسوم البيانية الخاصة بالخصائص الجغرافية لمكانٍ ما.
- بيانات المسـوحات من مصادر أخرى ، سـجلات الفريق البحثي، أو سـجلات السـكان المقيمين في موقع الدراسة أو المشاركين في المقابلات وغيرهم.

ويمكن اسـتخدام تلك السجلات الأرشيفية وغيرها مع مصادر أخرى للمعلومات لإعداد دراسـة الحالة. ولكن بعكس الأدلة الوثائقية، قد تختلف فائدة تلك السـجلات الأرشيفية من دراسـة حالة إلى أخرى. فبالنسـبة إلى بعض الدراسات، قد تكون السجلات مهمة جداً حتى تصبح هدفاً للاسـتعادة والتحليل الكمي الشـامل (مثال ذلـك : انظر بيانات التكلفة المستخدمة في دراسة حال متعددة لعشرين جامعة في كتاب (Yin, 2012, chap.11). وفي دراسات أخرى، قد تعتبر فقط ذات صلة مؤقتة.

في حالـة اعتبار الأدلة الأرشـيفية ذي صلـة، يجب على الباحث أن يـولي عناية خاصة للظروف التي تظهر فيها الدراسـة بالإضافة إلى الدقة. وأحياناً تكون السـجلات الأرشيفية كمية، ولكن لا تعتبر الأرقام وحدها مباشرة دليلاً على الدقة. فعلى سـبيل المثال، يتنبه كل علـماء الاجتماع تقريباً إلى الصعوبـات والأخطاء عند اسـتخدام التقارير الموحدة للجريمة الصادرة عن مكتب التحقيقات الفيدرالي، أو أي سجلات أرشيفية أخرى تعتمد على الجرائم

والتــي أعدتها الهيئــات القانونية الأخرى. وينطبق نفس التنبيه حــول الأدلة الوثائقية كما أشرنا إلى ذلك قبل في الجزء الســابق على الســجلات الأرشــيفية ، حيث تــم إعداد معظم الســجلات الأرشــيفية لغرض معين وفئة معينة غير دراســة الحالة، ولا بــد من تقييم تلك الظروف في توضيح مدى فائدة ودقة تلك السجلات.

المقابلات:

تعتبر المقابلة من أحد أهم مصادر أدلة دراســة الحالة. قد تصاب بالدهشــة من هذا التأكيد بسبب العلاقة المعتادة بين المقابلات والبحوث المسحية. ومع ذلك، توجد المقابلات بصورة شــائعة في بحوث دراسة الحالة. فهي تشبه المحادثات الموجهة أكثر من التساؤلات المنظمة. وبالرغم من تتبعك لأسلوب متناسق للتساؤل، قد تظهر الأسئلة في المقابلة لدراسة الحالــة بشــكل فيه نوع من المرونة وليس الجمــود (Rubin & Rubin, 2011). وبالتالي يســمى هذا النوع من المقابلات «المقابلة المكثفة» أو «المقابلة المتعمقة» أو «المقابلة غير المقننة» (Weiss, 1994, pp.207-208).

ويمكــن ملاحظة أن ذلــك يعني أنه يجب عــلى الباحث أن يلتزم بمهمتــين خلال عملية المقابلة: (أ) الالتزام بخط تســاؤل الدراســة كما يعكســه بروتوكول دراسة الحالة، (ب) طرح الأسئلة الفعلية (الحوارية) بطريقة غير متحيزة تقوم بتلبية احتياجات مسار تساؤل الدراسة (انظر الفرق بين أســئلة المستوى الأول وأسئلة المستوى الثاني في الفصل الثالث). فعلى سبيل المثال، قد ترغب (في مسار تساؤل الدراسة) معرفة أسباب حدوث عملية معينة كما حدثت. ولكــن، أشــار (Becker, 1998, pp.58 -60) إلى الفــروق الهامة في طرح الأســئلة التي تبدأ بـــ (لماذا) على الشــخص المزود بالمعلومات (التي تخلق الموقــف الدفاعي من جانب المزود بالمعلومــات حســب رأي Becker)، وذلك مقارنةً بصياغة ســؤال (كيف) ـ حيث يعتبر هو الطريقــة المفضلة في توجيه أي ســؤال يبــدأ بـ (لماذا) في المحادثة الفعليــة. ولذلك؛ تلزمك مقابلات دراســة الحالة العمل على مستويين في الوقت نفســه : من أجل الإيفاء باحتياجات مسار تساؤل الدراسة (أسئلة المستوى الثاني)، وكذلك طرح أسئلة ودية وهادئة (غير عدائية) في المقابلات المفتوحة (أسئلة المستوى الأول).

هناك ســؤال شائع حول مدى امكانية تسجيل مقابلات دراسة الحالة. ويعتبر استخدام أجهزة التســجيل مسألة اختيار شخصي. فمثلاً، تقدم أجهزة التسجيل الصوتي أداءً أكثر دقة للمقابلة بدلاً من كتابة الملاحظات. ومع ذلك، قد لا تســتطيع اســتخدام أجهزة التسجيل

عندما: (أ) يرفض الشخص الذي تقابله ذلك أو يبدو منزعجاً من وجود هذه الأجهزة، (ب) عندمـا لا توجـد خطة معينة لتحويل المقابلـة الصوتية إلى (كتابية) لاحقـاً أو عدم وجود طريقة منظمة لعملية الاسـتماع إلى محتوى التسجيل الإلكتروني، وهي عملية تتطلب وقتاً طويـلاً وجهـداً كبيراً، (ج) عندما لا يتقن الباحث مهارة اسـتخدام الأجهـزة التقنية، حيث تسـبب عملية التسجيل ارتباكاً أو تشتيتاً للانتباه أثناء المقابلة، (د) أو عندما يظن الباحث أن جهاز التسجيل بديل عن الإنصات أثناء المقابلة.

وإشارة إلى النقاط السابقة، قد ترغب في إدراك أنه يمكن أن تكون هناك ثلاثة أنواع من المقابلات هي : مقابلات دراسـة الحالة المطولة، ومقابلات دراسة الحالة القصيرة، ومقابلات دراسة الحالة المسحية.

مقابلات دراسة الحالة المطولة: تستغرق تلك المقابلات ساعتين أو أكثر في جلسة واحدة، أو مدة زمنية أطول تشـتمل على جلسات متعددة. تسـتطيع أن تسأل ــ الأشخاص الذين تتم مقابلتهم ــ عن تفسـيراتهم وآرائهم حول أشـخاص أو أحداث، أو قد تسأل عن وجهات نظرهم وتفسيراتهم وفهمهم بشأن أحداث معينة. وقد تستخدم مثل تلك المقترحات كأساس للمزيد من عملية التساؤل، كما يمكن أن يقترح هؤلاء الاشخاص الذين تمت مقابلتهم أشخاصاً آخرين لإجراء مقابلات معهم، بالإضافة إلى اقتراح مصادر أخرى للأدلة.

وكلما كانت مساعدة من تتم مقابلتهم كبيرة، اعتُبر دوره مثل دور المزود بالمعلومات بدلاً من دور المشـارك، حيث يمثل المزودون بالمعلومات أهمية قصوى بالنسـبة إلى نجاح دراسة الحالة. وبإمكان هؤلاء المزودين تزويدك بوجهات نظر تتعلق بمسـألة معينة، أو يساعدونك في فرصـة الاتصال بأشـخاص آخرين لمقابلتهم قد تتوفر لديهـم أدلة مؤيدة أو معارضة. في هذا الإطار ، هناك مثال لشـخص يدعـى «دوك - Doc» والذي لعب دوراً جوهرياً في إجراء دراسـة الحالة المقدمة في دراسة «Street Corner Society» (Whyte,1943 /1993، انظر مربع ٢-أ، الفصل الأول). وقد تم التنويه على مزودين مشـابهين أساسيين في دراسات الحالة الأخرى. وبالطبع ينبغي الحذر من اعتمادك بشـكل واضح على المزود الأساسي بالمعلومات، خاصة بسبب التأثير العكسي ــ الخفي في أحيان كثيرة ــ الذي من الممكن أن يقوم به مزود المعلومات اتجاه الباحث. وتتمثل الطريقة المنطقية للتعامل مع هذه المشـكلة في الاعتماد

على مصادر أخرى للأدلة لتأييد الآراء التي يقدمها المزودون بالمعلومات، والعمل على البحث عن أدلة عكسية من خلال المزيد من الجهد.

مقابلات دراسة الحالة القصيرة: قد تكون العديد من مقابلات دراسة الحالة أكثر تركيزاً، وتستغرق من الوقت ما يقرب من ساعة واحدة بدلاً عن حدوثها في فترة زمنية طويلة أو من خلال جلسات متعددة. ففي مثل هذه الظروف، قد تبقى المقابلات مفتوحة ويفترض أن تأخذ شكل المحادثة، ولكن على الباحث التقيد أكثر ببروتوكول دراسة الحالة (أو جزء منه).

مثلاً، قد يكون الغرض من مثل هذه المقابلات هو ببساطة تأييد نتائج معينة والتي تعتقد صحتها من قبل، ولكن ليس لغرض الاستفسار عن موضوعات ذات طبيعة موسّعة أو في شكل مقابلات مفتوحة. ففي مثل هذه المواقف، لا بد من صياغة الأسئلة بعناية حتى تبدو كأنك لا تعلم شيئاً عن الموضوع، وتسمح للشخص الذي تقابله بتقديم تفسير أو تعليق جديد. وعلى العكس، إذا طرحت أسئلة جوهرية فإنك لن تحقق الغرض التأييدي من المقابلة، حتى وإن حققت الغرض من المقابلة فلا بد من الحذر عندما يكرر الأشخاص الذين تتم مقابلتهم نفس الأفكار التي يؤيد بعضها البعض الآخر ولكن بطريقة تآمرية[٣]، ولذلك لا بد من المزيد من التحقيق والبحث. وتتمثل إحدى الطرق في اختبار صحة الآراء، من خلال المراجعة مع أشخاص يُعرف أن لديهم وجهات نظر مختلفة. فإذا لم يستطع أحد الأشخاص الذي تتم مقابلتهم إبداء رأي، حتى وإن كان الآخرون يؤيدون آراءهم فيما حدث، عليك كباحث تسجيل ذلك في مفكرتك، مشيراً إلى أن هذا الشخص قد سُئل عن رأيه فيما حدث لكنه لم يعلق، كما يحدث في الكتابات الصحفية.

وكمثال مختلف تماماً، قد يتطلب بروتوكول دراسة الحالة من الباحث اهتماماً أكثر للأداء أو التفاعل الشخصي لمن تتم مقابلته بشأن الحدث. ففي هذه الحالة، تكون تصورات الشخص الذي تتم مقابلته وإحساسه الخاص بالمعنى هي المحتويات التي يجب فهمها (Merton, Fiske & Kendall, 1990). ويتشابه هذا النوع من المقابلة الفردية مع مجموعات التركيز (focus group)، والتي استخدمت للمرة الأولى في دراسة الحالات المعنوية العسكرية أثناء الحرب العالمية الثانية، ثم أصبحت شائعة في أبحاث السوق، مثل الحصول على ردود أفعال

المســتهلكين للبرامج الإذاعية المتوقعة. ويتطلب إجــراء مجموعة التركيز دعوة عدد محدود من الأشــخاص ، ثم تتولى إدارة ومناقشــة الاجتماع الذي يتعلق بأحد جوانب دراسة الحالة، محاولاً إظهار آراء كل فرد في المجموعة (Krueger & Casey, 2009)، ولكي تحصل على آراء مجموعة كبيرة من الأشــخاص، فلن تحتاج للقيام بتوسيع مجموعة التركيز ، وبدلاً من ذلك ، تقوم بتوزيع الحضور على مجموعات تركيز صغيرة.

في المثالين الســابقين، لا بد من تخفيف التهديد المنهجي الذي تصنعه الطبيعة الحوارية للمقابلة، ســواء أكنت تستخدم المقابلة لتأييد نتائج معينة أو لكي تحقق إحساس الشخص الــذي تجــري معه المقابلة بالواقع. وقــد تخلق المقابلة تأثيراً دقيقــاً ومتبادلاً بين الباحث والشــخص الذي تتم مقابلته ــ وهذا يســمى أحياناً الانعكاســية : وهــي أن وجهة نظرك كباحث تؤثر بشــكل غير مقصود على ردود أو (إجابات) الشخص الذي تتم مقابلته، ولكن هذه الردود تؤثر أيضاً على مسار تساؤل الدراسة دون قصد. وتكون النتيجة هي التحريف غير المرغوب في محتوى المقابلة.

في حين أنه من المحتمل أن يكون لديك الوعي بأن المقابلات المطولة قد تحدث علاقة بينــك كباحث وبين الشــخص الذي تتــم مقابلته ــ وهذا يجــب ملاحظته ــ ومن جانب آخر، مثلت المقابلات القصيرة تهديداً منعكساً، وقد لا تستطيع التغلب على هذا التهديد بشكلٍ تام، ولكن إحساسك بوجوده يتيح لك فرصة إجراء مقابلات جيدة لدراسة الحالة.

مقابلات المسح في دراسة الحالة: تعتبر المقابلة النمطية نوعاً آخر من المقابلات لدراسة الحالة باســتخدام استبانة منظمة. تصمم الدراســة المسحية كجزء من دراسة حالة مضمنة (انظر الفصل الثاني)، كما تقدم بيانات كمية كجزء من أدلة دراسة الحالة (انظر مربع ١٩).

مربع (١٩)

دراسة حالة مشتملة على دراسة مسحية

اســتخدم (Hanna, 2001) مصادر متنوعة من البيانات، بما في ذلك دراســة مســحية لإجراء دراسة حالة لبيئات مصبات الأنهار في ضواحي المدن والمناطق الريفية. وفي هذه البيئة تم تأسيس برنامج إدارة موارد متكامل للمســاعدة في إدارة قضايا التخطيط البيئي والاقتصادي. وركزت دراسة الحالة على بيئات مصبات الأنهار بما في ذلك أوصافها، والسياسات والمشاركة العامة التي تبدو أنها تؤثر في ذلك. وقد عمل المشــاركون في عملية صنع السياسات ضمن دراسة الحالة كوحدة مضمنة للتحليل. وقام (Hanna) بدراســة مســحية لهؤلاء الأفراد، وتم عرض بيانات الدراسة المسحية مع اختبارات إحصائية كجزء من دراسة الحالة الفردية.

ســيكون هذا الموقف ذات علاقة مثلاً، إذا كنت تقوم بدراســة حالة لمشروع تصميم عمراني، واستطلعت آراء مجموعة من المصممين بخصوص المشروع (Crewe, ٢٠٠١) أو إذا كنت تقوم بدراسة حالة لمنظمة حكومية اشتملت على دراسة مسحية للموظفين والمديرين. ومن ناحية أخرى، هذا النوع من الدراســة المسحية يتطلب الالتزام بإجراءات سحب العينات وتصنيفها والأدوات المستخدمة في الدراسات المسحية المعروفة، ولذا يتم تحليلها بطريقة مشابهة. وقد يكون الاختلاف متمثلاً في دور الدراســة المســحية بالنســبة إلى مصادر الأدلة الأخرى. فعلى سبيل المثال، لا يُعتبر تراجع أو تحسن آراء سكان الحي بالضرورة مقياساً للتراجع أو التحسن الواقعي، ولكن ينظر إليه فقط كعنصر واحد من عملية التقييم الكلي للحي.

ملخص: تعتبر المقابلات مصدراً أساسياً لأدلة دراسة الحالة؛ لأن معظم دراسات الحالة تتعلق بشؤون الأفراد أو تصرفاتهم. وقد يقدم الأشخاص الذين تتم مقابلتهم وخاصة أولئك الذين يتمتعون بقدر كبير من الاطلاع والمعرفة أفكاراً، ووجهات نظر مهمة عن هذه المســائل أو الأحداث. كما أنه أيضاً بإمكانهم تقديم نبذة قصيرة للفترة التاريخية السابقة لتلك الظروف، مما يساعد الباحث على تحديد مصادر الأدلة الأخرى ذات العلاقة.

في نفس الوقت، عندما تركز المقابلات على الأحداث نظراً لكونها عنصراً رئيسياً في دراسة الحالــة، ينبغي أن تعتبر تلــك المقابلات دائماً تقارير لفظية أو شــفهية فقط. وبالمثل، عند

إعــداد التقارير عن الأحداث أو تقديم تفســيرات توضح أســباب حدوثها، تتعرض إجابات الأشخاص أثناء المقابلة إلى المشكلات الشائعة المتمثلة في: التحيز، وضعف الذاكرة، والتعبير اللفظــي الركيك أو غير الدقيق. ومرة أخرى ، تكون الطريقة المنطقية في التعامل مع هذه الحالة هي دعم بيانات المقابلة بمعلومات من مصادر أخرى .

وفي مواقف أخرى، ســيهتم الباحث بوجهات النظر الشخصية الخاصة بالأشخاص الذين تتم مقابلتهم مثل (الآراء والاتجاهات والمعاني)، بعيداً عن تفســير الأحداث الســلوكية. كما أن تأكيد وجهات النظر هذه مقارنة بالمصادر الأخرى لن يكون ذا صلة كما لو كنت تتعامل مع الأحداث السلوكية. وقد تتطلع إلى الإحساس بتميز الآراء من خلال مقارنتها بآراء أخرى، ولكن كلما قمت بهذه المقارنة، اتجهت نحو دراســة مسحية تقليدية، وبالتالي يجب عليك اتباع إجراءات وتنبيهات الدراسة المسحية.

الملاحظات المباشرة:

نظراً لضرورة حدوث دراسة الحالة في البيئة الحقيقة للحالة، فأنت توفر فرصاً للملاحظات المباشرة. وإذا افترضنا أن الظاهرة ذات الاهتمام لم تكن تاريخية فقط، كلما كانت الظروف الاجتماعيــة أو البيئية ذات العلاقة متوفرة للملاحظة. وتعمل تلك الملاحظات كمصدر آخر للأدلة في القيام ببحوث دراسات الحالة.

تتنوع الملاحظات بين أنشــطة رسمية وغير رسمية لجمع البيانات. وبصورة أكثر رسمية، تتطور أدوات الملاحظة كجزء من بروتوكول دراســة الحالة، ويحاول الباحث الميداني تقييم حدوث أنواع معينة من الســلوكيات، أثناء فترات زمنية محددة في الميدان (انظر المثالين في مربع ٢٠). ويشــمل هذا : ملاحظات الاجتماعات، والأنشــطة الثانوية، والعمل في المصانع، والفصول الدراسية وغير ذلك. وبصورة أقل رسمية، قد تتم الملاحظات المباشرة أثناء البحث الميداني، بما في ذلك المناســبات التــي تتم أثناءها جمع أدلة أخرى ـــ مثل الأدلة التي يتم جمعها من المقابلات ــ وعلى ســبيل المثال، قد تشير ظروف البيئة الحالية أو أماكن العمل إلى أمــور تتعلق بثقافة المنظمة. وبالمثل، يعتبر المبنى (موقع العمل) أو الأثاث المكتبي في مكتب الشخص الذي تتم مقابلته كمؤشر على وضع هذا الشخص داخل المنظمة.

مربع (٢٠)

استخدام أدلة الملاحظة

٢٠-أ: إعداد تقرير الملاحظات الميدانية

تعد "معامل الأبحاث أو التصنيع - Clean rooms" جزءاً رئيسـياً من عملية التصنيع لإنتاج شرائح إلكترونية شـبه موصلة. وكان من بين المواصفات ارتداء الموظفين زياً مصنوعاً من القماش الخالي من الوبر، حيث يتعاملون مع مكونات متناهية الصغر في هذه المعامل. وفي دراسة الحالة عـن الحياة العملية في البيئة عاليـة التقنية التي أجراها كل من (Rogers and Larsen, 1984) حول بيئات تقنية ـ مثل وادي السيليكون ـ في كتابهم بعنوان (Silicon Valley Fever) حيث اسـتخدموا الأدلة القائمة على الملاحظة لتوضيح كيف تأقلم الموظفون مع ظروف العمل في مثل هذه المعامل، في الوقت نفسه أشاروا إلى أن معظم الموظفين كانوا من النساء، في حين كان معظم المشرفين من الرجال.

٢٠-ب: دمج الملاحظات الميدانية مع أنواع أخرى من أدلة دراسة الحالة

لا ينبغي أن تنحصر دراسـات الحالة في مصدر واحد مـن الأدلة. وفي الحقيقة، تعتمد معظم دراسـات الحالة المميزة على مجموعة متنوعة من مصادر الأدلة. على سبيل المثال، دراسة الحالة التي استخدمت مجموعة متنوعة من الأدلة، هو الكتاب الذي قام بتأليفه (Gross et al., 1971) ويغطي هذا الكتاب الأحداث في مدرسـة واحدة (انظر أيضاً: مربع ٨، الفصل الثاني). اشـتملت دراسة الحالة على بروتوكول الملاحظة من أجل قياس الوقت الذي قضاه الطلاب في مهام متنوعة، كما اعتمدت دراسـة الحالة أيضاً على دراسـة مسحية منظمة لعدد أكبر من المعلمين، ومقابلات مفتوحـة مع عدد محـدد من الموظفين الرئيسـيين، ومراجعة لوثائق المدرسـة. وأدت البيانات القائمة على الملاحظات، وبيانات الدراسة المسحية إلى معلومات كمية بشأن الاتجاهات والسلوك في المدرسـة، في حـين أدت المقابلات المفتوحة والأدلـة الوثائقية إلى المعلومـات الكيفية. وتمت مراجعـة جميع مصادر الأدلة وتحليلها مع بعضها البعض حتى تعتمد نتائج دراسـة الحالة على التقاء المعلومات من المصادر المختلفة، وليس البيانات الكمية أو الكيفية وحدها.

تتمثل فائــدة الأدلة القائمة على الملاحظة في توفير المعلومــات الإضافية حول الموضوع الذي تتم دراســته. وإذا كانت دراســة الحالة متعلقة بتقنية جديدة أو منهج مدرسي مثلاً، ســتكون ملاحظــات التقنيــة أو المنهج الدراسي في مــكان العمل أدوات مســاعدة في فهم الاســتخدامات الفعليــة لتلك التقنية أو المنهج الدراسي وفهم أي مشــكلات يتم مواجهتها. وبالمثل، تضيف ملاحظات الحي السكني أو وحدة تنظيمية أبعاداً جديدة لفهم السياق أو الظاهرة التي تتم دراستها. وقد تكون الملاحظات ذات قيمة كبيرة، لدرجة أنك قد تفكر في التقاط الصور الفوتوغرافية في موقع البحث الميداني. وعلى أقل تقدير، تســاعد تلك الصور في نقل الصفات الهامة للحالة إلى الملاحظين من خارج الموقع (انظر: Dabbs, ١٩٨٢)، ولكن يمكــن ملاحظة أنه في معظم المواقف ــ حتــى في البيئات الخارجية، مثل تصوير الطلاب في ملعب بمدرسة حكومية أو أفراد يمشون على الرصيف ــ يحتاج الباحث إلى إذن صريح قبل اتخاذ مثل هذه الإجراءات.

ويتمثل الإجراء الشــائع في زيادة مصداقية الأدلة القائمة على الملاحظات، في إيجاد أكثر من شخص مراقب (observer) يقوم بعملية الملاحظة سواء كانت الملاحظات رسمية أو غير رســمية. ولهذا ؛ عندما تتوفر الإمكانات البشرية أو المالية، فإن عملية جمع بيانات دراســة الحالة ينبغي أن تسمح باستخدام أكثر من شخص مراقب في عملية الملاحظة.

الملاحظة بالمشاركة:

تعتبر الملاحظة بالمشــاركة أسلوباً خاصاً من الملاحظات التي لا يكون فيها الباحث مجرد مراقب سلبي، وبدلاً من ذلك ، قد تفترض مجموعة من الأدوار داخل بيئة ومواقف البحث الميداني، وربما تشــارك في الأحداث التي يتم دراســتها (انظر: DeWalt, & DeWalt 2011, chap.2). ففــي أحياء في ضواحي المدن مثلاً، قد تتراوح تلك الأدوار من التفاعل الاجتماعي غير الرسمي مع فئات مختلفة من السكان، إلى القيام بأنشطة وظيفية محددة داخل الحي (Yin, 1982a)، وقد اشــتملت الأدوار لمختلف الدراســات التوضيحية في المناطق السكنية والمؤسسات على ما يلي:

- أن تكون من سكان الحي، فإن ذلك هو موضوع دراسة الحالة (انظر مربع ٢١).
- القيام بدور وظيفي في الحي، مثل القيام بوظيفة مساعد بائع في أحد المحلات التجارية.
- القيام بدور موظف في بيئة مؤسسية.
- القيام بدور صانع قرار رئيسي في بيئة المؤسسة.

وقد استخدمت طريقة الملاحظة بالمشاركة بصورة متكررة، في دراسات علم الأنثربولوجيا حول الجماعات الثقافية أو الاجتماعية المختلفة. ويمكن اســتخدام هذه الطريقة كذلك في مجموعة متنوعة من البيئات اليومية، مثل المنظمات الكبيرة (انظر مربع ٢٢) أو المجموعات الصغيرة غير الرسمية.

مربع (٢١)

الملاحظة بالمشاركة في حي سكني قريب من "مجتمع ركن الشارع"

أصبحت الملاحظة بالمشاركة أسلوباً مستخدماً بشكل متكرر لدراسة الأحياء السكنية في ضواحي المدن، وقد قام بمثل هذه الدراســات التي نالت شــهرة واســعة في وقت لاحق (Herbert Gans) مؤلف كتاب (The Urban Villagers, 1962)، وكانت هذه الدراسة خاصة بالجماعات والطبقات الاجتماعية في حياة الإيطاليين ــ الأمريكيين في أحد أحياء مدينة بوســطن الأمريكية. وقد تم توثيق منهجية (Gans) في فصل مســتقل من كتابه تحت عنوان "المناهج المستخدمة في هذه الدراسة". ويشــير إلى أن أدلته كانت قائمة على ســت طرق هي : استخدام مرافق الحي، حضور الاجتماعات؛ الزيارات غير الرسمية إلى الأصدقاء والجيران؛ المقابلات الرسمية وغير الرسمية؛ التعاون مع الأشخاص المزوديــن بالمعلومات والملاحظات المباشرة. ومن بين كل هذا المصادر اتضح أن دور المشــاركة أكثر إنتاجيــة وفائــدة (p.339-340)، واعتمد هذا الدور على كون (Herbert Gans) هو أحد ســكان الحــي الذي كان يقوم بدراســته برفقة زوجتــه. والنتيجة هي بيان تقليدي عــن حياة الحي التي تمر بتغيرات وتطويرات حضرية وتناقض قوي مع الاســتقرار الملاحظ في حي قريب والذي ناقشــه كتاب (Whyte,1943/1993) بعنوان مجتمع ركن الشــارع (Street Corner Society)، قبل ذلك بعشرين عاماً (انظر أيضاً : مربع ٢ أ ، الفصل الأول).

مربع (٢٢)

دراسة (المراقب) بالمشاركة في الحياة " اليومية "

يقـدم (Eric Redman, 1973) روايــة المطلـع عــلى تفاصيل الأمور، بخصـوص كيف يعمل الكونجرس في دراسة الحالة الشهيرة "the Dance of Legislation". تتبع الدراسة تقديم وإصدار التشريعات التي أدت إلى إنشـاء هيئـة الخدمات الصحية الوطنية أثناء فـترة الكونجرس الحادي والتسعين في عام ١٩٧٠م. وتعتبر هذه الدراسة جيدة التأليف وسهلة القراءة لأنها نبعت من وجهة نظر مؤلـف كان من ضمن الفريق المؤيد للقانون، مثل: السـيناتور (Warren G. Magnuson). وتمـد الدراسـة أيضاً القارئ برؤية عميقة بشـأن العمليات اليومية للكونجـرس، بدايةً من تقديم القانون حتى إصداره النهائي، بما في ذلك سياسـات الدورة الانتقالية للرئاسـة عندما كان ريتشـارد نيكسـون رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية. وتعتبر الدراسـة نموذجاً جيداً للملاحظة بالمشاركة في البيئة المعاصرة؛ فهي تحتوي على معلومات بخصوص أدوار الأشـخاص المطلعين، والتي كان القليل من الأفراد المتميزين مشـاركين فيها. و من خلال دراسـة الحالة، تم إعادة ابتكار الإسـتراتيجيات التشريعية الدقيقة والدور المهمل لكتّاب اللجنة، وأعضاء جماعات الضغط السـياسي والتفاعل بين الهيئة التنفيذيـة والتشريعية للحكومة، وأدى هذا كله إلى زيادة الفهم العام لدى القارئ للعملية التشريعية.

تتيح الملاحظة بالمشـاركة فرصاً غير عادية لجمع بيانات دراسـة الحالة، ولكنها تتضمن بعض التحديات الجوهرية. وتتمثل أفضل هذه الفرص في قدرتك على الوصول إلى الأحداث أو الجماعـات، التـي لا يمكن الوصول إليها من خلال دراسـة ما. أو بمعنى آخر قد لا يكون هناك طريقة لجمع الأدلة بالنسـبة إلى بعض الموضوعات إلا من خلال الملاحظة بالمشاركة. ومـن بين تلك الفـرص المميزة الأخرى، القـدرة على إدراك الواقع من وجهة نظر شـخص داخـل الحالة بدلاً من خارجها. ويشـير الكثير من الباحثـين إلى أن وجهة النظر هذه تفيد بدرجة كبيرة في خلق تصوير دقيق لظاهرة دراسـة الحالة. وأخيراً، تنشـأ فرص أخرى لأنك تسـتطيع التعامل (التحكم) مع الأحداث البسـيطة، مثل إجراء مقابلة أو اجتماع لمجموعة من الأشـخاص في الحالة. ويمكن من خلال الملاحظة بالمشـاركة حدوث هذا التعامل؛ لأن استخدام الوثائق وسجلات الأرشيف والمقابلات مثلاً تمثل الباحث السلبي. وتلك المعالجات

لــن تكون دقيقــة مثل التجارب، ولكنها تنتج مجموعة مــن المواقف المختلفة لغرض جمع البيانات.

مــن جانب آخــر، تتمثل التحديات الرئيســية المرتبطة بالملاحظة بالمشــاركة في ضرورة التعامل مع التحيزات المحتملة الناتجة عنها (انظر: Becker,8591). أولاً، لا يتمتع الباحث بقدرة أقل على العمل كملاحظ خارجي، وقد يضطر أحياناً إلى اتخاذ مواقف أو أدوار تأييد مناقضة لمصالح الممارســة العلمية الاجتماعيــة الجيدة. ثانياً، قد يتبع (الملاحظ المشــارك) ظاهرة معروفة بشــكلٍ عــام، ويصبح مؤيداً للجماعة أو المنظمة التي يتم دراســتها، إذا لم يوجــد هذا التأييد مــن قبل. ثالثاً، يتطلب دور (المشــارك) عناية كبيرة بالنســبة إلى دور (المراقب). ولذلك؛ قد لا يمتلك الملاحظ المشــارك الوقت الكافي لتدوين الملاحظات، أو طرح الأســئلة حول الأحداث من وجهات نظر مختلفة مثل المهام التي يقوم به (المراقب الجيد). رابعــاً، إذا اختفت الجماعة أو المنظمة المراد دراســتها عــن مكانها الفعلي، قد يصعب على الملاحظ التواجد في الوقت المناسب، والمكان المناسب أو المشاركة في مراقبة الأحداث المهمة.

وينبغــي أن تأخذ في الاعتبار هذه المفاضلات بين الفرص والتحديات بشــكل كبير، عند القيــام بأي عمل ميداني قائم على الملاحظة بالمشــاركة. ففي بعض الظروف، قد تبدو هذه الطريقة في أدلة دراسة الحالة هي الطريقة الصحيحة، وفي ظروف أخرى قد تكون مصداقية دراسة الحالة بأكملها قابلة للنقد أو الشك.

الأدوات والمقتنيات المادية:

يعــد الأثر المــادي أو الثقافي هو المصدر النهائي لأدلة دراســة الحالة،على ســبيل المثال، الأجهــزة التقنية، أو القطع الأثرية ، أو الوســائل، أو الأعمال الفنيــة أو بعض الأدلة المادية الأخــرى. ويمكن جمع هــذه الأدوات المادية أو ملاحظتها كجزء من دراســة الحالة، ويمكن استخدامها بشكل مكثف في بحوث الأنثربولوجيا.

إن الأدوات والمقتنيات المادية لها علاقة أقل بالنوع النمطي لدراســة الحالة، ومع ذلك، إذا كان لها علاقة بالنوع النمطي فقد تكون تلك الأدوات والمقتنيات المادية عنصراً أساسياً في الحالة كلها. فعلى سبيل المثال، يتطلب على إحدى دراسات الحالة المتعلقة باستخدام أجهزة الحاســب الآلي الشخصية في الفصول الدراســية، التأكد من طبيعة الاستخدام الفعلي لهذه

الأجهزة. وعلى الرغم من ملاحظة هذا الاستخدام بصورة مباشرة، كان يتوافر شيء مادي هو (نسـخ مطبوعة من أجهزة الحاسب الآلي). وقد عرض الطلاب هذه النسخ المطبوعة كمنتج نهائي لعملهم، واحتفظوا بمذكرات لتلك النسخ المطبوعة. وأظهرت كل نسخة مطبوعة نوع الواجب المدرسي الذي تم القيام به، بالإضافة إلى تاريخ ومقدار الوقت المســتخدم في إنجاز هذا العمل عبر الحاســب الآلي. ومن خلال فحص هذه النســخ المطبوعة، اســتطاع باحثو دراســة الحالة تقديم وجهة نظر واســعة بخصوص جميع تطبيقات الفصول الدراسية أثناء الترم الدراسي، وهو أبعد بكثير من ذلك الذي يمكن ملاحظته بصورة مباشرة من خلال زيارة قصيرة للفصول الدراسية.

ملخص:

اســتعرض هذا الفصل من الكتاب مصادر أدلة دراســات الحالة الشــائعة الاســتخدام. وينبغــي تطويــر وإتقان إجــراءات كل مصدر من مصادر الأدلة بشــكل مســتقل لضمان استخدامها بشكل صحيح. وليست كل المصادر مرتبطة بجميع دراسات الحالة. وعلى الرغم من ذلك، ينبغي على الباحث المبتدىء في مجال دراسة الحالة أن يكون على علم بإجراءات اســتخدام كل مصدر للأدلة، أو أن يكون له زملاء يمتلكون الخبرة اللازمة ويعملون كأعضاء في فريق دراسة الحالة.

تمرين ٤-٢ : تحديد أنواع معينة من الأدلة في دراسة الحالة

اذكر موضوعاً لدراســة حالة ترغب في دراســته ، ومن بعض جوانب هذا الموضوع، حدد نوع الأدلة التي ممكن أن تكون ذات صلة. على ســبيل المثال، إذا كان الدليل وثيقة رســمية ، ما هو نوع الوثيقة؟ . وإذا كانت الأدلة مقابلات، فمن هم الأشــخاص الذين ســتتم مقابلتهم ؟ وما هي تلك الأســئلة التي ســيتم طرحها؟ وإذا كانت الأدلة سجلات أرشــيفية، فما هي هذه السجلات ؟ وما هي تفاصيلها ؟ وإذا كنت ترغب في التنويه على وجهات نظر المشــاركين وآرائهم ، فمن هم هؤلاء المشاركون؟

أربعة مبادئ لجمع البيانات:

يمكن مضاعفة مزايا المصادر الستة للأدلة إذا اتبعنا المبادئ الأربعة لجمع البيانات، وهذه المبادئ ترتبط بجميع المصادر الستة للأدلة. وإذا استخدمت بطريقة صحيحة، فإنها تساعد على معالجة المشكلات الخاصة بتكوين الصدق البنائي والثبات للأدلة، وتأتي المبادئ الأربعة كما يلي:

المبدأ الأول - استخدام عدة مصادر من الأدلة:

قد يكون أي نوع من مصادر الأدلة السابق ذكرها هو القاعدة الوحيدة لدراسات بأكملها. فعلى سبيل المثال، اعتمدت بعض الدراسات على الملاحظات بالمشاركة، ولكن لم تفحص وثيقة واحدة. وبالمثل، اعتمدت دراسات متعددة على السجلات الأرشيفية ولكنها لم تتضمن مقابلة واحدة.

قد يكون هذا الاستخدام المنفصل للأدلة وظيفة من ضمن الطريقة المستقلة، التي تم تصورها بشكل نموذجي لتلك المصادر، كما لو كان الباحث قد اختار المصدر الأنسب أو الأكثر ملاءمة، أو المصدر الذي يكون لديه معرفه حوله بشكل أكثر. ولهذا؛ وفي مناسبات كثيرة، أعلن الباحثون عن تصميم دراسة جديدة من خلال تحديد المشكلة المراد دراستها، والانتقاء المسبق لمصدر الأدلة مثل المقابلات كنقطة ارتكاز لجهود جمع البيانات.

التقاء أو تقارب البيانات "Triangulation" مبررات استخدام عدة مصادر من الأدلة:
لا يوصى بالاعتماد على المصادر الفردية للأدلة كما سبق شرحه عند القيام ببحوث دراسة الحالة. وعلى العكس تماماً، تتمثل أهم ميزة لجمع بيانات دراسة الحالة في فرصة استخدام مصادر متنوعة من الأدلة (انظر مربع ٢٣، وقبل ذلك في هذا الفصل: مربع ٢٠ ب، كأمثلة لمثل هذه الدراسات). وعلاوة على ذلك، أظهر تحليل أساليب دراسة الحالة أن دراسات الحالة التي تستخدم مصادر متعددة للأدلة، كان تقييمها مرتفعاً من حيث جودة البحث بشكل عام، مقارنةً بدراسات الحالة التي اعتمدت على مصادر فردية للمعلومات (انظر: Cosmos Corporation, 1983).

مربع (٢٣)

دراسة حالة تجمع بين الخبرة الشخصية والبحث الميداني المكثف

معظم الناس في جميع أنحاء البلاد سـمعوا عـن برنامج الانطلاقة الفيدرالي. وقد تمت متابعة البرنامـج عن طريق كل مـن (Zigler & Muenchow,1992) منذ تطوره ونموه المبكر حتى أصبح من أنجح البرامج. فقد كان كتابهما ذا نظرة ثاقبة بصورةٍ متفردة واسـتثنائية؛ وهذا لأنه كان مبنياً على تجارب الباحث الشـخصية مع هذا البرنامج، بدايةً مـن دوره كمديره الأول. ومع ذلك، يدعو الكتاب إلى اسـتخدام مصادر أخرى مستقلة للأدلة؛ حيث يساهم المؤلف المساعد بأبحاث تاريخية وميدانيـة، بما في ذلك مقابلات تم إجراؤها مع أكثر من (٢٠٠) شـخصٍ مرتبطين ببرنامج الانطلاقة. وتكاملـت كل تلك المصادر المتعدد للأدلة في دراسـة متناسـقة ومُلِحةً لبرنامـج الانطلاقة. وكانت النتيجـة النهائيـة هي الدمج الناجح بـين مصادر الأدلة، وكتاب ممتع للقـراءة إلى حدٍ كبير وجيد التوثيق أيضاً.

تتعدى الحاجة إلى استخدام المصادر المتعددة للأدلة، الحاجة في أساليب البحوث الأخرى مثل التجارب والدراسـات المسـحية والتاريخية. فمثلاً، تنحصر التجارب في قياس وتسجيل السـلوك في المختبر أو المعمل، ولا تشـمل عموماً الاسـتخدام المنهجي للدراسة المسحية أو المعلومـات اللفظية. وعلى العكس، تتجه الدراسـات المسـحية إلى التأكيد على المعلومات اللفظية، ولكن ليس مقياساً أو تسجيلاً للسلوك الفردي. وأخيراً، تنحصر الدراسة التاريخية في الأحداث في الماضي البعيد، ولهذا؛ نادراً ما يكون لها مصادر معاصرة للأدلة، مثل الملاحظات المباشرة للظاهرة أو المقابلات مع الشخصيات الفاعلة.

وبالطبع، يمكن تعديل كل من هذه الإسـتراتيجيات، وهذا يخلق إسـتراتيجيات متنوعة يمكـن أن نسـتخدم فيها مصادر متعـددة للأدلة من المحتمل أن تكـون ذات صلة. ومثال على ذلك، هو تطور دراسـات التاريخ الشفهي في العقود القليلة الماضية؛ فقد تشتمل تلك الدراسات على مقابلات مكثفة مع قادة سياسيين تقاعدوا مؤخراً، بشرط ألا تنشر معلومات المقابلـة إلا بعد وفاة هؤلاء القـادة. وبعد ذلك، يدمج المؤرخ بيانات المقابلة مع المجموعة التقليديـة من الأدلـة التاريخية. وبالرغم من ذلك، لا يغير هـذا التعديل الذي يجري على أسـاليب البحوث التقليدية من طبيعة تعامل بحوث دراسـات الحالة مع مجموعة واسعة من الأدلة، في حين لا تتعامل أساليب البحوث الأخرى مع هذه الأدلة.

ويسمح استخدام المصادر المتعددة للأدلة في بحوث دراسة الحالة للباحث بمعالجة مجموعة كبيرة من القضايا التاريخية والسلوكية. ومع ذلك، تتمثل أهم ميزة لاستخدام المصادر المتعددة للأدلة في تطوير مسارات متجانسة من التساؤل. ومن ناحيةٍ أخرى، ينشأ إلتقاء أو تقارب البيانات المطلوب "Triangulation" من المبدأ المماثل لعملية تحديد المواقع عبر الخرائط والتي تعتمد على استخدام تقاطع النقاط المرجعية المختلفة لتحديد الموقع الفعلي للشيء (Yardley, 2009). ولهذا؛ قد تكون نتائج أو استنتجات أي دراسة حالة مقنعة ودقيقة، إذا كانت قائمة على مصادر متعددة ومتنوعة للمعلومات بعد التقارب المماثل (انظر مربع ٢٤).

مربع (٢٤)

التقاء أو تقارب البيانات "Triangulation" عبر المصادر المتعددة من الأدلة

قام كل من (Basu, Dirsmith, & Gupta, 1999) بدراسة حالة لوكالة تدقيق الحسابات التابعة للحكومة الفيدرالية (مكتب المحاسبة الأمريكي). كانت هذه الحالة نظرية التوجه، وقامت بفحص العلاقة بين العمل الفعلي للمنظمة والصورة التي تقدمها إلى الأطراف الخارجية (كانت النتيجة أن العمل والصورة متباعدان). واستخدمت دراسة الحالة مجموعة مثيرة من مصادر الأدلة مثل : الملاحظات الميدانية الممتدة لفترة زمنية مع دفاتر تدوين الملاحظات، والمقابلات التي أجريت مع (٥٥) شخصاً ؛ وعمليات مراجعة للحسابات التاريخية والسجلات العامة؛ والملفات الشخصية للإدرايين، ومقالات إخبارية. واعتمد تقارب الأدلة على نفس المجموعة من أسئلة البحث.

يتناول (Patton, 2002) أربعة أنواع من إلتقاء أو تقارب البيانات "Triangulation" في إجراء التقييمات، أي الالتقاء والتقارب :

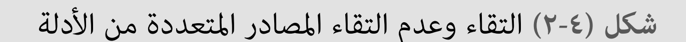
١. بين مصادر البيانات (التقاء أو تقارب البيانات).

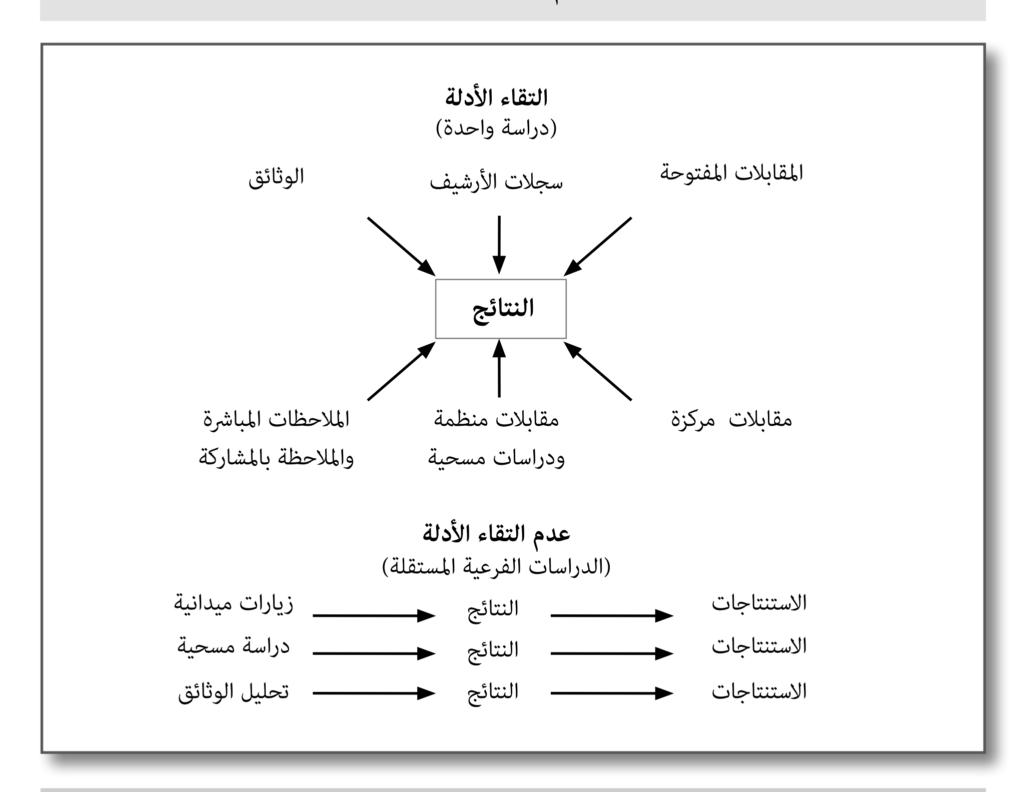
٢. بين مختلف المقيّمين (التقاء أو تقارب الشخص المقيّم).

٣. بين وجهات النظر المتعلقة بنفس مجموعة من البيانات (التقاء أو تقارب النظرية).

٤. بين أساليب البحث (الالتقاء أو التقارب المنهجي).

وتتعلــق المناقشــة الحالية فقط بأول نــوع من الأنواع الأربعة وهــو (التقاء أو تقارب البيانات-Triangulation)، مما يعمل على تحفيز الباحث على جمع المعلومات من مصادر متعددة، ولكنها موجهة نحو تأييد النتيجة نفســها. وعند اتباع الإســتراتيجيات المؤيدة يميز شــكل (٤-٢) بين حالتين: عندمــا تكون بالفعل قمت بتقارب البيانــات (الجزء العلوي من شــكل ٤-٢)، وعندما يكون لديك مصادر متعددة كجزء من نفس الدراسة، ولكنها مع ذلك تعالج نتائج مختلفة (الجزء الســفلي من الشــكل ٤-٢). وحينما تقوم بتقارب البيانات يتم دعم نتائج دراســة الحالة وذلك من خلال أكثر من مصدر للأدلة بشــكل مســتقل (الجزء العلوي من الشــكل ٤-٢). وبالعكس، عندما تســتخدم مصادر متعددة وتحلل كل مصدر على حدة يشبه هذا الإجراء مقارنة النتائج من مصادر مستقلة (تقوم كل نتيجة على مصدر مختلف)، ولكن لم يحدث تقارب أو التقاء للبيانات.


شكل (٤-٢) التقاء وعدم التقاء المصادر المتعددة من الأدلة



من خلال تطوير الأدلة المتقاربة، يساعد التقاء أو تقارب البيانات على تقوية الصدق البنائي لدراسة الحالة. كما توفر المصادر المتعددة للأدلة بشكل أساسي مقاييس متعددة لنفس الظاهرة. وقد تختلف الظاهرة موضع الاهتمام في أنواع مختلفة من دراسات الحالة[٤]: أولاً، قد تتعلق الظاهرة موضع الاهتمام في كثير من دراسات الحالة بالأحداث السلوكية أو الاجتماعية، ومع وجود النتائج المتقاربة والتي ضمنياً تشير إلى حقيقة واحدة. من جانب آخر، يزيد استخدام الأدلة من المصادر المتعددة الثقة التي صنعتها دراسة الحالة عن الحدث بطريقة دقيقة.

في الأنواع الأخرى من دراسات الحالة، قد تكون الظاهرة موضع الاهتمام هي المعنية أو وجهة النظر المميزة للمشارك لأنك كباحث قد اتخذت توجهاً نسبياً في تقدير احتمالية الأحداث المتعددة. وقد يكون التقاء أو تقارب البيانات مفيداً في ضمان أن تعبر دراسة الحالة عن وجهة نظر المشارك بصورة دقيقة وصحيحة. وإذا لم يوجد شيء آخر، فينبغي عليك على أقل تقدير أن تكون قد استجوبت المشارك نفسه عدة مرات أو في مناسبات عديدة، وهذا في النهاية بعد ذلك يشكل مجموعة من المصادر المتعددة.

المتطلبات المسبقة لاستخدام عدة مصادر من الأدلة: في الوقت نفسه، يشكل استخدام المصادر المتعددة للأدلة عبئاً كبيراً على الباحثين في دراسة الحالة من عدة جوانب. أولاً، يكون جمع البيانات من المصادر المتعددة أكثر تكلفة من جمع هذه البيانات من مصدر واحد (Denzin,1978, p.61). ثانياً، وهذا هو الأهم، يتعين على باحث دراسة الحالة معرفة تطبيق طرق جمع البيانات بشكل تام. فعلى سبيل المثال، قد تضطر إلى جمع وتحليل الأدلة الوثائقية كما في إجراء الدراسات التاريخية، أو فحص وتحليل السجلات الأرشيفية كما هو الحال في علم الاقتصاد، أو تصميم وإجراء الاستبانات كما في البحوث المسحية. وإذا تم استخدام أي من هذه الطرق بشكل غير صحيح، فلن يكون هناك فرصة لمعالجة مجموعة من المشكلات أو إيجاد مسارات متقاربة من التساؤل البحثي. ولهذا يثير متطلب إتقان طرق جمع البيانات المتعددة مسائل هامة، تتعلق بتدريب ومهارات باحث دراسة الحالة.

ولسوء الحظ، تفضل الكثير من برامج تدريب طلاب الدراسات العليا نوعاً واحداً من إجراءات جمع الأدلة على بقية الأنواع، ولا يملك الطالب المميز فرصة إتقان جميع الإجراءات. وللتغلب على مثل هذه الظروف، لا بد من ممارسة طرق أخرى للحصول على

التدريــب المطلوب والتطبيق. وأحد هذه الطرق تتمثل في التعاون مع فريق بحث متعدد المجــالات، وليس مقصوراً على مجــال أكاديمي واحد. وتتمثل الطريقــة الأخرى في تحليل المؤلفــات المنهجية لمجموعة من علماء الاجتماع (انظر: Hammond, 1968)، وتعلم نقاط القــوة والضعف لطرق جمــع البيانات المختلفة كما طبقها الباحثــون الأكثر خبرة. وتتمثل الطريقة الثالثة في تصميم الدراسات التجريبية التي تمنحك فرصة تطبيق الطرق المختلفة.

وبصرف النظر عن كيفية اكتســاب الخبرة، لا بد أن يكون باحث دراســة الحالة مطلعاً على مجموعة من طرق جمع البيانات، حتى يمكن لدراسة الحالة استخدام مصادر متعددة للأدلة. وبدون وجود المصادر المتعددة للأدلة، فلن يكون هناك ميزة كبيرة لبحوث دراســة الحالة، والأســوأ ، أن تتحول دراســة الحالة التي تم القيام بها إلى شيء آخر مختلف. فعلى ســبيل المثال، قد تعتمد بشــكل مفــرط على المقابــلات المفتوحة للحصول عــلى البيانات المطلوبــة، ولاتعطــي الاهتمام الكافي بالأدلة التوثيقية أو أدلة أخــرى لتأييد تلك المقابلات. وإذا أتممت التحليل والدراســة، فقد قمت بدراســة قائمة على المقابلة مشــابهة للدراسات المســحية التي تقوم بشــكل كامل على التقارير اللفظية التي تنشأ من المقابلات المفتوحة ولكنك لم تقم بإجراء بدراسة حالة. وفي تلك الدراسة المعتمدة على المقابلات، لا بد أن يشير النــص إلى الطبيعة المبلغ عنها ذاتياً للبيانات، باســتخدام عبارات مثل : "كما أفاد من تمت مقابلتهم" أو "كما ذُكر في المقابلات"، "كما أشــار هو أو هي (وتذكر اســم الشخص) وغير ذلك من العبارات.

تمرين ٤-٣ : الحصول على الأدلة المتقاربة

اذكــر حادثة معينة حدثت من عهد قريب في حياتك اليومية. كيف ســتبدأ في تحديد بعض جوانب هذه الحادثة، إذا أردت الآن (بأثر رجعي) لتوضيح ما حدث؟ هل ســتجري مقابلات مع أي أشخاص مهمين (وأنت أحدهم)؟ هل سيوجد أشياء مادية أو وثائق لتعتمد عليها؟ هل تتعلق وجهات النظر المتعددة في تذكر وتحديد هذا الجانب من الحادثة؟

المبدأ الثاني - بناء قاعدة بيانات دراسة الحالة:

يرتبط المبدأ الثاني بطريقة تنظيم وتوثيق البيانات المراد جمعها لدراسـات الحالة، وهنا تستعير بحوث دراسـات الحالة الكثير من الممارسات التي تتبعها أساليب البحوث الأخرى، كما تم توضيحها في (الفصل الأول). ويتكون توثيق تلك الممارسات من مجموعتين مستقلتين:

١. البيانات أو قاعدة الأدلة.

٢. تقرير الباحث سواء في شكل مقالة أو تقرير أو كتاب أو صورة شفهية.

يصنع استخدام ملفات الحاسب الآلي الفرق بين هاتين المجموعتين بشكل أوضح. فعلى سبيل المثال، يتبادل الباحثون الذين يقومون ببحوث نفسية أو دراسات مسحية أو اقتصادية، ملفات بيانات أو وثائق إلكترونية أخرى التي تحتوي فقط على قاعدة بيانات الفعلية مثل: الاستجابات السلوكية أو درجات الاختبارات في علم النفس، والاستجابات التفصيلية للأسئلة المسـحية المتنوعة، أو بيانات المـؤشرات الاقتصادية. وقد تكون قاعـدة البيانات موضوع التحليل المستقل والثانوي، وغير مرتبطة بالتقارير التي يعدها الباحث الأصلي.

وبالنسبة إلى بحوث دراسة الحالة، أصبح التمييز بين قاعدة البيانات المستقلة وتقرير دراسة الحالة ببطء ممارسة يومية، وليست شاملة حتى الآن. وفي أغلب الأحيان في الماضي، كانت بيانات دراسة الحالة ــ تأخذ في الغالب شكل الروايات ــ مضمنة في النص المقدم في تقرير دراسة الحالة، ولم يـترك هـذا فرصة للقارئ الناقد بفحص (البيانات الخام) التي أدت إلى اسـتنتاجات دراسـة الحالة؛ لأن الرواية في تقارير دراسة الحالة امتزجت بتفسيرات الباحث لتلك البيانات.

سـتكون قاعدة بيانات دراسـة الحالة المطلوبة عبارة عن تجميع منفصل ومنظم لجميع البيانات من دراسة الحالة. وتتجاوز تلك البيانات المعلومات الروائية أو الكمية، وتشتمل أيضاً على الوثائق ومواد أخرى تم جمعها من الميدان. وقد تستخدم برامج تحليل البيانات الكيفي بمسـاعدة الحاسـب الآلي مثـل (CAQDAS)، أو أدوات معالجة النصـوص المعروفة (مثل: ملفـات Word أو Excel) لغرض ترتيب البيانـات الروائية والكمية. ومع ذلك، وللإبقاء على المواد الأخرى كجزء من قاعدة البيانات، لا بد من التفكير في حفظ الوثائق في أدراج الملفات أو مجموعة من صناديق الأرشـفة، والاحتفاظ بمجموعة من المجلدات تحتوي على وثائق ومواد أخرى. وبالتالي ، يسـتطيع أشـخاص آخرون فحص جميع محتويات قاعدة البيانات (سـواءً

ملفات إلكترونية أو ورقية)، بشــكل منفصل عن قراءة تقرير دراسة الحالة. وبهذه الطريقة، يزيد إنشاء قاعدة بيانات الدراسة من مصداقية دراسة الحالة بأكملها وبصورة ملحوظة.

وفي نفس الوقــت، لا يعني وجود قاعدة البيانات عدم الحاجة إلى تقديم أدلة متكاملة داخل تقارير دراسة الحالة نفسها (سيتم مناقشتها في الفصل السادس). وينبغي أن يحتوي كل تقريــر على بيانات كافية حتى يســتطيع القارئ تخمين التفســيرات والاســتنتاجات في دراسة الحالة، كما هو الحال في قراءة أي تقارير بحثية أخرى. وقد يتخذ القراء المتحمسون خطــوات إضافية لفحص قاعــدة البيانات؛ لأنها تحتوي على مجموعــة كاملة من البيانات وليس فقط أدلة تم عرضها في التقارير.

وينبغي أن تكون قاعدة بيانات دراســة الحالة مرتبة بشكل جيد، ولكن ليس بالضرورة أن تكون إحترافية بدرجة عالية. وتتمثل وظيفة قاعدة البيانات في الإبقاء على البيانات التي تم جمعها بصورة يمكن اســترجاعها. وفي الوقت ذاته، ليســت قاعدة البيانات المرتبة ذات فائدة بالنسبة إلى القراء الخارجيين، ولكنها أيضاً تجعل عملية تحليل البيانات أكثر سهولة.

ولسوء الحظ، لا تعترف معظم الكتب المتعلقة بأساليب البحوث الميدانية بمشكلة إنشاء قاعدة بيانات لدراســة الحالة. ولهذا؛ تمثل الأقســام الفرعية أدناه من هذا الكتاب توســعاً للحالة الحالية لهذا الموضوع. وبشــكل عام ، يتم وصف تحدي تطوير قاعدة البيانات من خلال أربعة عناصر هي : الملاحظات الميدانية، والوثائق، والمواد المجدولة، والروايات.

الملاحظات الميدانية: بالنســبة إلى دراسات الحالة، قد تكون الملاحظات الميدانية العنصر الأكثر شــيوعاً في قاعــدة البيانات، وهذه الملاحظات تتخذ أشــكالاً متنوعــة، وقد تكون نتيجة للمقابلات والملاحظات الميدانية وتحليل الوثائق. ويمكن كتابة الملاحظات يدوياً أو إلكترونياً أو تســجيلها صوتياً، أو وضعهــا في ملفات معالجة النصوص أو ملفات إلكترونية أخــرى. وتظهر تلــك الملاحظات في البدايــة كملحوظات سريعة في مدونــة ميدانية، أو بطاقات مفهرسة أو يتم تدوينها بطريقة أقل تنظيماً.

دون الأخذ في الاعتبار شكل أو مضمون هذه الملاحظات الميدانية، يجب حفظها بطريقة يستطيع الفريق البحثي من خلالها استرجاع تلك الملاحظات بفاعلية في وقتٍ لاحق. وبوجهٍ عام، يمكن تنظيم الملاحظات طبقاً للموضوعات الرئيســية التي غطتها دراسة الحالة ــ كماً

تم توضيح ذلك في بروتوكول دراسة الحالة. ومع ذلك، يمكن لأي نظام تصنيفي القيام بذلك طالما لا يستخدم هذا النظام طرفاً خارجياً. وبهذه الطريقة، تتوافر تلك الملاحظات كجزء من قاعدة بيانات دراسة الحالة.

ولكن لا يعني تحديد الملاحظات الميدانية كجزء من قاعدة بيانات دراسة الحالة ضرورة قضاء الكثير من الوقت في إعادة كتابة المقابلات، أو القيام بتعديلات تحريرية مكثفة من أجل تحسين تلك الملاحظات وصقلها. وقد يكون إنشاء سجل حالة رسمي بواسطة تدقيق وإعادة كتابة الملاحظات أولوية خاطئة؛ وذلك لأن عملية التدقيق لا بد أن توجه إلى تقارير دراسة الحالة نفسها وليس إلى الملاحظات. وتتمثل الخصائص الأساسية للملاحظات في أن تكون مرتبة، ومصنفة، ومكتملة، ويسهل الرجوع لها (انظر مربع ٢٥).

مربع (٢٥)

مجموعات متنوعة من الملاحظات الميدانية

ينبغي تحويل الملاحظات الموجزة والمكتوبة التي تم إنشاؤها أثناء البحث الميداني، بسرعة إلى ملاحظات ميدانية رسمية بشكل يومي أو في نهاية المساء. ولذا ؛ تصبح الملاحظات الموجزة والملاحظات الرسمية جزءاً من قاعدة بيانات دراسة الحالة. وتأتي أربعة أمثلة للملاحظات كالتالي :

في المثال الأول ، تغطي الملاحظات مشاهدات يوم كامل في حي سكني في إحدى ضواحي المدن، مع موظف العلاقات المجتمعية من محطة الإطفاء المحلية. (Yin,2012, chap.2). وتركز الملاحظات على الظروف المادية للحي ووجهات نظر الشخصيات الهامة بخصوص تلك الظروف، بحيث تكون تلك الشخصيات منتمية إلى ثلاث مجموعات مجتمعية محلية، كما يتم تضمين تصورات وآراء موظف العلاقات المجتمعية حول الحي. ثم يتم جمع ملاحظات مماثلة خلال الأيام اللاحقة التي قضاها في نفس الحي. وتنشأ الأمثلة الثلاثة الأخرى من كتاب (DeWalt & DeWalt, 2011)، حيث يغطي كل مثال دراسة مختلفة هي : دراسة تتعلق بالصلاحيات الاجتماعية للمرأة والإستراتيجيات الاقتصادية في مدينة مانابي بالإكوادور؛ وتتناول الدراسة الثانية استراتيجيات التغذية لكبار السن في المدن الريفية في ولاية كنتاكي الأمريكية؛ وتناقش الدراسة الثالثة، تقييم مشروع زراعة الغابات بالمكسيك. وتوضح كل تلك الأمثلة مستوى عالياً من التفاصيل، وتعكس أيضاً الكثير من البحث الميداني الصعب.

وثائق دراسة الحالة: سيتم جمع العديد من الوثائق المرتبطة بدراسة الحالة أثناء إجراء الدراسة. وقد أوضح (الفصل الثالث) أن طبيعة تلك الوثائق يجب أن تتم تغطيتها في بروتوكول دراسة الحالة، واقترحت أن أحد الطرق المثلى هو إيجاد قائمة مراجع تفسيرية لتلك الوثائق. وبجانب تقديم نظرة دقيقة لتلك الوثائق، تعمل قائمة المراجع كفهرس يقوم بتيسير الاحتفاظ بالوثائق واسترجاعها حتى يتمكن الباحثون لاحقاً من فحص أو مشاركة محتويات قاعدة البيانات.

وتتمثل الميزة الفريدة والوحيدة لتلك الوثائق في أنها قد تتطلب مقداراً كبيراً من المساحة التخزينية، ما لم يكن هناك نسخ وثائقية على هيئة ملفات (PDF) يمكن تخزينها إلكترونياً. هذا وقد تمثل الوثائق أهمية متفاوتة لقاعدة البيانات، وقد تلجأ إلى إنشاء ملف رئيسي وملف ثانوي لمثل هذه الوثائق. ويتمثل الهدف مرة أخرى في جعل الوثائق قابلة للاسترجاع لأجل فحصها أو الاطلاع عليها لاحقاً. وفي تلك الأمثلة التي تكون الوثائق ذات صلة بمقابلات ميدانية محددة، سيكون هناك ملاحظة إضافية لملاحظات المقابلات للاستشهاد بالوثائق.

المواد المجدولة: تحتوي قاعدة البيانات على مواد مجدولة، إما أن يكون تم جمعها من موقع الدراسة أو من إنشاء فريق البحث. ولا بد من تنظيم وحفظ تلك المواد من أجل إمكانية استرجاعها في وقت لاحق.

تتضمن المواد دراسة مسحية وبيانات كمية أخرى. فعلى سبيل المثال، يمكن إجراء الدراسة المسحية في موقع البحث الميداني كجزء من دراسة حالة مضمنة. وفي تلك المواقف، يمكن حفظ المواد المجدولة في ملفات إلكترونية (حاسوبية). وكمثال آخر، عند التعامل مع الأدلة القائمة على السجلات الأرشيفية أو الملاحظة، قد تتطلب دراسة الحالة عدداً من الظواهر التي تم ملاحظتها، والتي تُعرف بشكل عام بـ (الدراسة المسحية المعتمدة على الملاحظات المقننة) (انظر: Miles & Huberman 1994,). وينبغي تنظيم وتوثيق تلك المواد التي قام بها فريق دراسة الحالة، وحفظها كجزء من قاعدة البيانات.

المصنفات الروائية الجديدة: وأخيراً، قد تقوم بجمع وتصنيف المواد الروائية كجزء من قاعدة البيانات. وقد تأخذ تلك المواد أشكالاً عدة: الشكل الأول والذي تمت الإشارة إليه

مسبقاً يتكون من قوائم المراجع والمصادر العلمية والملاحظات المرجعية والتصنيفات الأخرى التي تساعد في تنظيم المواد الأخرى في قاعدة البيانات حتى يمكنك استرجاعها بسهولة.

ويركــز النوع الثاني من المواد الروائية على جمع وتصنيــف الأدلة التي تتناول موضوعات معينة، أو أفكاراً تلفت الانتباه أثناء أو حتى بعد جمع البيانات. وتســاعد تلك التصنيفات على فرز الأدلة منهجياً بشكل أكبر لتحديد قوة الدعم التجريبي لتلك الموضوعات والأفكار. ويشــبه هذا الإجراء كتابة المذكرات التــي قدمها الباحثون الذين يطبقون النظرية المجذرة (Corbin & Strauss, 2007, chap.6). وعــلى الرغــم من أن الموضوعــات والأفكار التي توجد في الروايات والمذكرات تبدو في البداية منعزلة عن بعضها البعض إلى حد ما، وقد يوفر التصنيف خطوات مقترحة في تحليل البيانات لاحقاً بصورة متكاملة.

ويتجــة النوع الثالث مــن المواد الروائية نحــو التحليل، وهذا يتطلــب كتابة الإجابات المفتوحة لأســئلة بروتوكول دراســة الحالة. وتمثل كل إجابة محاولة الباحث لتصنيف الأدلة المتعلقة بنتائج محددة كاســتجابة لأحد أســئلة البروتوكول. وبالاعتماد على طبيعة أي سؤال محدد، قد يتلاقى التصنيف إما على حقائق الموضوع أو يســعى لتقدير الحقائق المتعددة لمن أجريت معهم المقابلات وتفسيراتهم المؤقتة. وتعتبر العملية فعلاً عملية تحليلية، كما أنها تعتبر انطلاقة لتحليل دراسة الحالة.

ويبدو شــكل وتصميم الإجابات مشــابهاً لشــكل الاختبارات الشــاملة المرنة (المنزلية) المستخدمة في المواد الأكاديمية. فأنت الباحث والمستجيب، ويتمثل هدفك في اقتباس الأدلة ذات الصلــة في صياغة الإجابات الكافية ســواء كانت من المقابــلات والوثائق والملاحظات، أو الأدلة الأرشــيفية. ويتمحور الغرض الأســاسي للإجابة المفتوحة في توثيق الترابط بين أدلة محددة، وموضوعات متعددة في دراســة الحالة باســتخدام الهوامش والاقتباســات بشكل واسع ومكثف.

ويمكن اعتبار الإجابات جزءاً من قاعدة بيانات دراســة الحالة، كما يمكن أن تصبح بداية تقارير دراســة الحالة الفعلية (بالنسبة إلى حالة واحدة)، أو تحليل حالات متعددة (بالنسبة إلى دراســة حالة متعددة). ولكن تظل الإجابات جزءاً من قاعدة بيانات دراســة الحالة حتى تصبح الإجابات نفســها جزءاً من تقارير دراســة الحالة، ولا ينبغي عليك كباحث قضاء الكثير

مــن الوقــت في مراجعة وصياغة الإجابــات. أو بمعنى آخر، لا ينبغي عليــك القيام بالتدقيق المعياري وأعمال تحرير النســخ.(رغم ذلك، كمثال لدراســة حالة تم كتابتها بشــكل كامل في صــورة إجابات روائية على أســئلة البروتوكول ، وتم عمل التحريــر والتدقيق اللغوي ، انظر (Yin,2012, chap.6). وتعتبر الســمة الأكثر أهمية للإجابات الجيدة هي أنها بالفعل تربط القضايا ذات الصلة ــ من خلال الاستشهادات الكافية ــ بأدلة محددة.

تمرين ٤-٤ : ممارسة تطوير قاعدة البيانات

فيــما يتعلق بالموضوع الذي قمت بتغطيتــه في تمرين ٤-٣ (الذي يغطي أحد جوانب حادثة يومية)، اكتب تقريراً موجزاً (لا يقل عن صفحتين ذات مســافات مزدوجة) بحيث يلتزم التقرير بمخطط المحتويات التالي : ابدأ التقرير بتناول أحد أســئلة البحث التي تحاول مناقشــتها (حول جانب ما). والآن اعرض إجابتك مستشــهداً بالأدلة التي اســتخدمتها (لا بد أن يشــتمل نموذج التقرير على اقتباســات وهوامش رســمية). كرر الإجراء مع ســؤال ثانٍ من أسئلة البحث. تخيل كيف يكون تسلســل الســؤال والإجابة واحداً من العديد من المحتويات في كامل قاعدة بيانات دراسة الحالة.

المبدأ الثالث - المحافظة على ترابط الأدلة:

المبدأ الثالث الذي ينبغي اتباعه لزيادة ثبات ومصداقية المعلومات في دراسة الحالة، هو المحافظة على ترابط وتسلسل الأدلة. يقوم هذا المبدأ على فكرة تشبه الفكرة المستخدمة في تحقيقات الطب الشرعي.

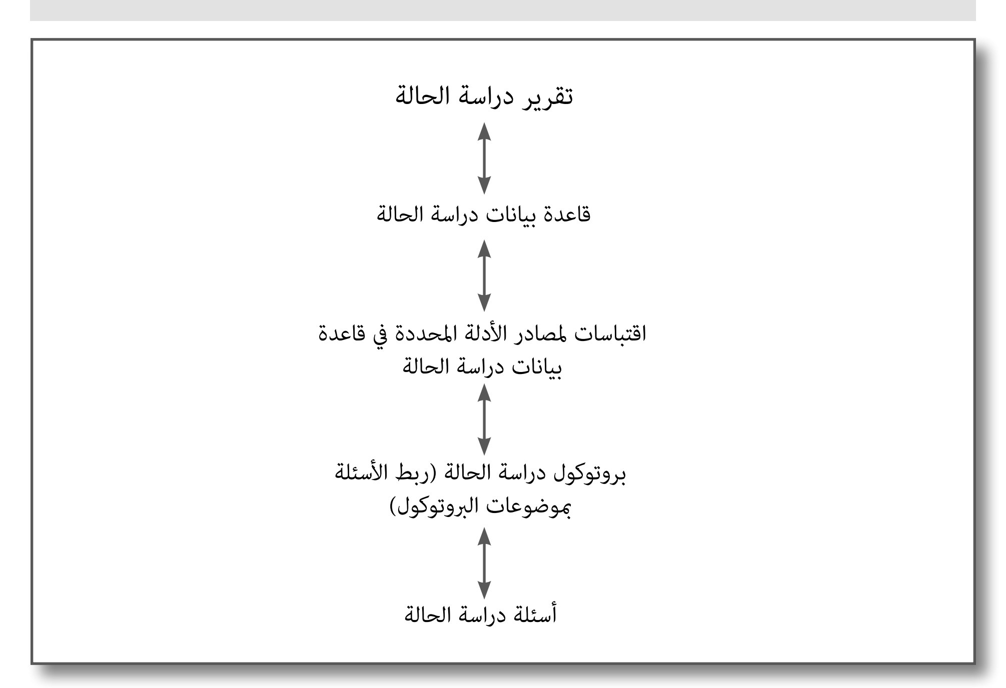
ويتضمن المبدأ السماح للمراقب الخارجي ــ الذي يعتبر في هذه الحالة هو قارئ دراسة الحالة ــ بمتابعة اشــتقاق أي دليل من أســئلة البحث الأوَّلية، إلى استنتاجات دراسة الحالة النهائية (انظر الشــكل ٤-٣). علاوة على ذلك، ينبغي أن يكون المراقب الخارجي قادراً على تتبع الخطوات في أي اتجاه (من الاســتنتاجات بالعودة إلى أســئلة البحــث الأوَّلية، أو من الأسئلة حتى الاستنتاجات). وكما هو الحال مع الأدلة المتعلقة بعلم الجريمة، لا بد أن تكون

العملية مترابطة بشكل كافٍ، حتى تكون الأدلة المقدمة في "المحكمة" ــ أي " تقرير دراسة الحالة" ــ بكل تأكيد هي نفس الأدلة التي تم جمعها في مسرح "الجريمة" أثناء عملية جمع البيانــات. وبالعكــس، لا ينبغي فَقْد أو ضياع الأدلة الأصليــة من خلال الإهمال أو التحيز، ومن ثم الفشــل في تلقي الاهتمام المناسب لمعالجة نتائج دراسة الحالة. وإذا تحققت تلك الأهداف، يجب أن تعرض أدلة دراسة الحالة درجة عالية من الصدق البنائي، وبالتالي تزداد الجودة الكلية لدراسة الحالة.

تخيل السيناريو التالي : لقد قمت قبل قليل بقراءة الاستنتاجات في تقرير دراسة الحالة، وتريد معرفة المزيد حول أســاس تلك الاســتنتاجات، ولهذا تريد أن تتبع عملية الاســتدلال بالعودة إلى أساسها.

أولاً، ينبغي أن يتضمن تقرير الدراســة بشكل كافٍ الاقتباسات أو الهوامش من المصادر ذات الصلة المستخدمة للوصول إلى نتائج محددة ــ على سبيل المثال، من خلال الإشارة إلى وثائــق معينة، أو مقابلات، أو ملاحظات. ثانياً، ينبغي أن تحتوي تلك المصادر المحددة عند الفحــص على الأدلة الفعلية، حيث يُبرز الباحث العبارات أو الكلمات الأساســية في الوثائق مــن خلال تظليلها بقلم أصفر مثلاً. كما ينبغي أن يشــير الجزء الخاص بمنهجية البحث إلى الظروف التي من خلالها تم جمع الأدلة مثل: وقت ومكان المقابلة.

شكل (٤-٣) المحافظة على ترابط الأدلة



ثالثــاً، ينبغــي أن تتجانس هذه الظروف مع الإجراءات والأســئلة المحددة في بروتوكول دراســة الحالة من أجل توضيح أن جمع البيانات كان متطابقاً مع الإجراءات التي يشترطها هذا البروتوكول. وأخيراً، ينبغي أن تشير المراجعة السريعة للبروتوكول إلى الترابط بين أسئلة البروتوكول وأسئلة الدراسة الأصلية.

بوجهٍ عام، ســتكون قادراً على الانتقال من جزء من عملية دراســة الحالة إلى آخر، من خــلال الملاحظات المرجعيــة إلى الإجراءات المنهجيــة والأدلة الناتجة. وهذه هي سلســلة وترابط الأدلة النهائية المرغوبة.

تمرين ٤-٥ : إنشاء سلسلة من الأدلة

اذكر نتيجة فرضية قد تنشأ من دراسة الحالة التي ستقوم بإجرائها. والآن عُد للوراء وحدد البيانات أو الأدلة التي دعمت هذه النتيجة. وبالمثل، عُد للوراء وحدد سؤال البروتوكول الذي أدى إلى جمع هذه الأدلة، ثم سؤال الدراسة الذي أدى إلى تصميم سؤال البروتوكول. هل تفهم كيف يتم إنشاء هذه السلسلة من الأدلة وكيف تتخذ خطوات للأمام أو الوراء في تتبع تلك السلسلة؟

المبدأ الرابع - الحذر عند استخدام البيانات من مصادر إلكترونية:

مجموعة واسعة من المصادر الإلكترونية: يمكن تمثيل معظم المصادر الستة للأدلة التي نوقشت في بداية هذا الفصل من خلال المصادر الإلكترونية بما في ذلك وسائل التواصل الاجتماعي. على سبيل المثال، يمكن للباحث إجراء المقابلات إلكترونياً من خلال ترتيبات رسمية مع بعض المواقع الإلكترونية مثل موقع (Survey Monkey)، أو من خلال إجراء دردشة عبر الإنترنت مع أحد الأشخاص. وبالمثل، قد يساعدك زميل متعاون في استخدام الهاتف الجوال أو الحاسب اللوحي (Tablet) لإجراء نقل مباشر لأحداث يومية بعيدة. كما توفر المشاركة في غرف الدردشة والحوارات الجماعية نوعاً من الملاحظة بالمشاركة، ويمكن عرض الأدوات والمقتنيات المادية في صيغة صور وتسجيلات فيديو عبر الإنترنت. لذلك؛ يمكن القول أن الوسائط الإلكترونية المعاصرة ومحتوياتها الأرشيفية تفتح مجالاً كبيراً من مصادر الأدلة، بما في ذلك الوصول إلى البحوث والدراسات السابقة.

بالنسبة إلى بعض دراسات الحالة، قد يكون أحد المصادر الإلكترونية هو موضوع الدراسة الفعلي (مثلاً: عندما تدرس محادثات وعلاقات تفاعلية بين أشخاص عبر برنامج (Skype). في ظل تلك الظروف، ستكون حذِراً للغاية عند إجراء البحث. ومع ذلك عندما يُستخدم مصدر إلكتروني ليس كموضوع دراسة في حد ذاته، ولكن فقط لجمع أي نوع من الأنواع الستة للأدلة التي تم تناولها في مطلع هذا الفصل ـ مثل استرجاع الوثائق، أو إجراء مقابلة عبر الإنترنت، أو مراقبة حدث عن بُعد ـ فإنه يجب على الباحث إتخاذ المزيد من الحذر.

تنبيهات: قد يدهشك ثراء المعلومات الإلكترونية، ولذلك فإن أول التنبيهات عند استخدام المصادر الإلكترونية هو وضع بعض الحدود أو القيود ، والتي يمكن أن تدعم مثلاً من خلال : تحديد الوقت الذي تقضيه في البحث الإلكتروني؛ وتحديد الأولويات للتنقل وتصفح صفحات الإنترنت المختلفة؛ والحصول على فكرة عن مركزية تلك المعلومات الإلكترونية بالنسبة إلى البحث الذي تقوم به. وبالطبع، قد تزيد التزاماتك أو تتقلص عندما تقوم بجمع معلومات جديدة، ولكن حاول جاهداً ألا تخرج الأمور عن سيطرتك كباحث.

ويتعلق التنبيه الثاني بمدى استعداد الباحث بالتأكد من صحة المصادر المستخدمة والمعلومات التي تم جمعها من هذه المصادر. فعلى سبيل المثال، يمكن أن يمثل موقع (ويكيبيديا - Wikipedia)نقطة انطلاق لفهمٍ مصطلح جديد أو موضوع حديث. ولكن، بالرغم من أن موقع ويكيبيديا يبذل جهداً كبيراً في التحقق من دقة المعلومات التي تنشر على الموقع، ومع ذلك قد يهيمن بعض المؤلفين للمحتوى في الموقع على المساهمات حول مفهوم أو موضوع معين. ونتيجة لهذا، قد يكون للمحتوى ميل تفسيري قد يتضح عندما يراجع الباحث مؤلفات أخرى لهؤلاء المؤلفين. وستكون مقارنة مادة عبر الإنترنت بمصادر أخرى وسيلة هامة لفهم قصور محتمل، أو نقص أو تحيز تفسيري.

ويرتبط التنبيه الثالث باستخدام الباحث لمواقع التواصل الاجتماعي، مثل الفيسبوك وتويتر ويوتيوب والمدونات الخاصة. مرة أخرى ، وخاصة إذا كانت دراسة الحالة تركز على التجارب المستمرة في هذه المواقع كموضوع للدراسة، ينبغي أن تستخدم المعلومات من تلك المواقع بدرجة عالية من الشك ــ على سبيل المثال، إدراك أن ادعاءات التأليف والأماكن والأوقات المنسوبة إلى تلك المادة (المحتوى) قد تكون خاطئة تماماً. ونذكّر أخيراً بضرورة الاستفسار حول الموافقة اللازمة لاستخدام المواد من تلك المواقع وخصوصاً استخدام الصور الفوتوغرافية في دراسة الحالة.

ملخص:

ناقش هذا الفصل ســتة مصادر لأدلة دراســة الحالة، وكيف يمكن جمع الأدلة من هذه المصادر، كما تناول الفصل أربعة مبادئ هامة بخصوص عملية جمع البيانات.

تعتبر عملية جمع البيانات بالنســبة إلى دراسات الحالة أكثر تعقيداً من أساليب البحث الأخــرى. فلا بد أن يمتلك باحث دراســات الحالــة تنوعاً منهجياً، وليــس بالضرورة اللازمة لاســتخدام أســاليب بحثية أخرى، كما يجب عليه أن يتبع إجراءات رســمية لضمان مراقبة الجودة أثناء عملية جمع البيانات. وتعمل المبادىء الأربعة التي تم وصفها في هذا الفصل كخطــوات في هذا الاتجاه. ولا تهدف تلــك المبادىء إلى تقييد الباحث الذي يتمتع بالإبداع والنظرة الثاقبة، بل تهدف إلى توضيح العملية بأقصى ما يمكن، حتى تعكس النتائج النهائية (البيانات التي تم جمعها) الصدق البنائي والثبات، وبذلك تصبح جديرة بالمزيد من التحليل. وستكون طريقة تنفيذ هذا التحليل هي موضوع الفصل القادم.

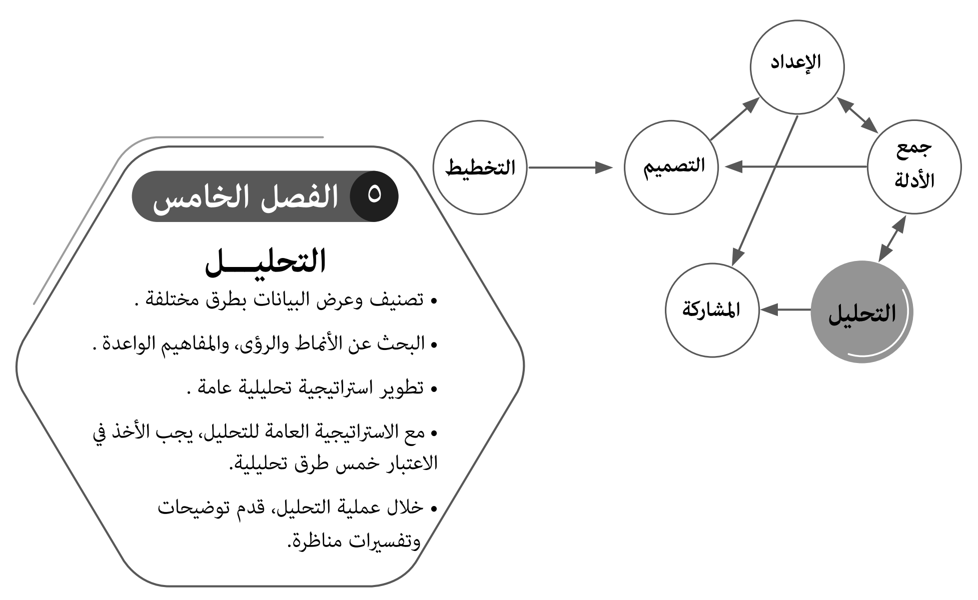
ملاحظات الفصل الرابع:

١. كان التوافــر المحدود للمــواد المطبوعة في المجتمعــات ذات الدخل المنخفــض في الولايات المتحدة الأمريكيــة ـــ حتى بما في ذلــك اللافتات في الأماكن العامــة والمواد في المــدارس والمكتبات العامة ــ موضوع دراســة كل من (Neuman & Celano, 2001). وبالنســبة إلى مدى هذا النقص الحاد، قد يجد الباحثون الذين يدرســون مثل هذه الأحياء والمؤسســات المجتمعية (أو المدارس) أن اســتخدام المصادر التوثيقية للأدلة محدود أيضاً.

٢. يعــرض كل مــن (Barzun and Graff,1985, p.109-133) مقترحات ممتازة بشــأن طرق التحقق من الأدلة التوثيقية، بما في ذلك مشــكلة تحديد هوية المؤلف الفعلي للوثيقة. وهناك دراســة كمية نموذجية لمشــكلة التأليــف ترتبط بالتقارير الفيدرالية يمكن الإطلاع عليهــا في كتاب (Mosteller & Wallace 1984).

٣. تحدث الاســتجابات المتجانســة عند إجراء مقابلات مع أفراد يعملون في مؤسسة منغلقة، مثل نزلاء البرنامج المجتمعي لعلاج المخدرات، أو المعلمين في مدرسة متماسكة بشكل وثيق . حيث تنشأ المؤامرة الواضحة عندما يتفق كل الذين تم إجراء مقابلات معهم على استجابات اجتماعية مرغوبة، ثم يبدو أنهم يقدمون أدلة داعمة، في حين أنهم في الحقيقة يكررون ويرددون وجهات نظر مؤسساتهم.

٤. يقدم المؤلف امتنانه إلى محكمي النسخة الرابعة من هذا الكتاب. فقد أشاروا إلى أن النسخة الأصلية من شــكل (٤-٢)، والذي يمثل التقاء الأدلة حول حقيقة واحــدة يمثل وجهة نظر واقعية؛ وذلك لأنه لم يكن هناك تمثيل مقصود، والشــكل المعدل الآن يشــير إلى التقاء بعض "النتائج". ويهدف استخدام مصطلح النتائج إلى تغطية الأحداث والأهداف ووجهات النظر، بحيث تكون دراسات الحالة والنتائج قادرة على التوافق مع التوجهات الواقعية أو النسبية.



نبذة مختصرة:

تتكون عملية تحليل البيانات من فحص الأدلة، أو تصنيفها، أو جدولتها، أو اختبارها، أو إعادة تجميعها بأي طريقة أخرى للحصول على نتائج تستند على أساس تجريبي. ويعد تحليل أدلة دراسة الحالة أمرًا صعبًا بشكل خاص لأن الطرق التحليلية ما زالت غير محددة جيدًا. ويمكن البدء في التحليل الخاص بك عن طريق "التوظيف المناسب" أو (اللعب) بالبيانات والبحث عن أنماط أو رؤى أو مفاهيم واعدة ــ والهدف هو تحديد أولوياتك لما يجب تحليله ولماذا. وعند غياب استراتيجية التحليل الخاصة بك، هناك أربع استراتيجيات عامة أخرى هي الاعتماد على الافتراضات النظرية، والعمل على البيانات من "الأساس" ، وتطوير وصف الحالة، وفحص التفسيرات المناظرة. ويمكن أن يساعد استخدام البرامج الحاسوبية المختلفة في معالجة كميات كبيرة من البيانات (التلاعب بالبيانات)، ولكن لا يزال عليك تحديد الرموز ذات الصلة وتفسير أي أنماط ملحوظة. وبهذا المعنى، لا يمكن للبرامج الحاسوبية المساعدة أن تُستبدل بدلاً من وجود استراتيجية تحليلية عامة.

من جانب آخر، يمكن استخدام أي من الاستراتيجيات العامة في تطبيق خمس طرق محددة من أجل تحليل دراسات الحالة وهي : الأنماط المتشابهة، وبناء التفسير، وتحليل السلسلة الزمنية، ونماذج المنطق، ودمج الحالات المتعددة. وعندما تشتمل دراسة الحالة على تصميم مضمن وبيانات دقيقة بالنسبة إلى وحدة التحليل المضمنة، قد تتضمن التحليلات نماذج إحصائية للوحدة المضمنة للتحليل وليس لدراسة الحالة كوحدة متكاملة. ويتمثل التحدي الدائم في تقديم تحليلات عالية الدقة، الأمر الذي يتطلب الاهتمام بكل الأدلة التي تم جمعها وعرضها منفصلة عن أي تفسيرات والأخذ في الاعتبار التفسيرات البديلة.

٥

تحليل أدلة دراسة الحالة

كيف تبدأ التحليل، الخيارات التحليلية، وكيف تعمل

الإستراتيجية التحليلية ـ أكثر من المعرفة بالأدوات التحليلية

الحاجة إلى إستراتيجية تحليلية:

التحدي الآخر: يعتبر تحليل أدلة دراســة الحالة أحد أوجه إجراء دراســات الحالة الأقل تطوراً. ففي أغلب الأحيان، يبدأ الباحثون دراســات الحالة دون أن يكون لديهم فكرة فيما يتعلــق بكيفية تحليل الأدلة (رغم أن الفصل الثالــث أوصى بضرورة أخذ طرق التحليل في الاعتبار، عند تطوير بروتوكول دراســة الحالة). فقد أصبحت دراســات الحالة تلك متوقفة عند مرحلة التحليل، وقد عرف المؤلف بعض الزملاء الذين تجاهلوا ببساطة بيانات دراسات الحالة التي كانوا يقومون بها شهراً بعد شهر دون المعرفة بما يجب فعله بخصوص الأدلة.

وبســبب هذه المشكلة، يمتاز باحث دراســة الحالة الأكثر خبرة عن الباحث المبتديء في مرحلة التحليل. وعلى العكس من عملية التحليل الإحصائي، هناك معادلات إحصائية قليلة وثابتــة أو خطوات استرشــادية للباحث المبتدئ. ولكن يتوقــف الكثير من تلك الأمور على أســلوب الباحث في التفكير التجريبي، بالإضافة إلى العرض الكافي للأدلة والدراســة المتأنية للتفسيرات البديلة.

ولايزال الباحثون وخصوصاً المبتدئين يبحثون عن معادلات إحصائية، أو أدلة استرشادية أو أدوات مســاعدة، آملــين في أن تكون معرفتهم بهذه الوســائل وحدها ســتحقق نتيجة التحليل اللازمة. نتفق جميعاً على أهمية هذه الأدوات ومدى فائدتها، ولكنها ستكون ذات فائدة أكبر إذا كنت تعرف ما يجب أن تبحث عنه، أو لديك إســتراتيجية شــاملة للتحليل، وهذا لسوء الحظ يعيدك إلى التحدي الأصلي إذا لم تلاحظ ذلك.

البرامج الحاسـوبية المساندة: على سـبيل المثال، الأعمال التي تتم بمساعدة الحاسب الآلي ــ والتـي تعتمد على برامج مجهزة مسـبقاً مثـل: NVivo, HyperRESEARCH, Atlas.ti أو The Ethnograph ــ تعتبر جميعاً أمثلة لبرامج حاسوبية لتحليل البيانات الكيفية مثل برنامج (CAQDAS,Fielding & Lee, 1998). فقـد أصبحت البرامـج الإلكترونية متنوعة ومتعددة الوظائف خلال السـنوات الماضية، ومشتملة على بيانات نصية ومرئية. كما أن مهارات الترميز والطرق المسـتخدمة تحسنت كثيراً وأصبح من السـهل اتباعها وتنفيذها ، انظر على سبيل المثال (Auerbach & Silverstein,2003 ; Saldana 2009). وبصورة أساسـية، تسـاعدك الأدوات والأدلـة الاسترشـادية على ترميز وتصنيف كميات ضخمة مـن البيانات، أو عندما تتخذ هذه البيانات شـكل النـص الروائي التي يمكن أن يكون قد تـم جمعها من المقابلات المفتوحة، أو من كميات ضخمة من المواد المكتوبة مثل الوثائق والمقالات الصحفية.

تعتـبر الكلمتان: assisted (مُسـاعدة) و tools (أدوات) كلـمات مفتاحية لفهم قيمة تلـك البرامج الإلكترونية. وهذه البرامج لن تقوم بالتحليل النهائي من تلقاء نفسـها، ولكنها وسيلة مساعدة وأدوات يمكن الاعتماد عليها. وعلى سبيل المثال، إذا أدخلت البيانات النصية وحددت مجموعة أوَّلية من الرموز، سـيقوم أحد هذه البرامج المتنوعة بسهولة في البيانات النصيـة بتحديـد مواضع كل الألفاظ والعبـارات التي تطابق تلك الرموز، ويحسـب عدد تكرارات أو حدوث الكلمات أو الرموز ، ويمكن أن يعمل عمليات بحث منطقية لتحدد متى وأين توجد التطابقات المتعددة. ويمكنك إجراء تلك العملية بصورة ترابطية، وإنشاء أصناف أكـثر تعقيداً ومجموعات من الرمـوز. وبخلاف التحليلات الإحصائية، لا يمكنك اسـتخدام مخرجات ونتائج البرامج كما لو كانت الغاية من التحليل.

بدلاً من ذلك، تحتاج إلى دراسـة المخرجات لتحديد ما إذا كانت هناك أنماط أخرى قد تظهـر. ومن المحتمـل جدًا أن تظل أي أنماط ــ مثل تكرار الرموز أو تركيبات الرموز ــ أكثر بدائية (أقل) من الناحية المفاهيمية من أسـئلة البحث الأوليـة "كيف" و "لماذا" التي ربما أدت إلى دراسـة الحالة التي تعمل عليها في المقام الأول. وبعبارة أخرى، فإن تطوير تفسـير ثـري ومتكامل أو حتى وصف جيد للحالة، اسـتجابةً للأسـئلة الأوليـة "كيف" أو "لماذا" ، سيتطلب الكثير من التفكير والتحليل من جانب الباحث بعد الانتهاء من استخدام البرنامج الحاسوبي. وعند الرجوع إلى نفس المسار، ينبغي عليك توضيح أسباب تحديد الرموز الأوَّلية

أو اللاحقة، بالإضافة إلى ربط هذه الرموز بتصميم البحث الأصلي (فأنت من أنشأتها وليس البرنامج الحاسوبي). وهناك تساؤل حول ماهية الطرق التي تعكس بها الرموز أو المفاهيم معاني الكلمات أو العبارات المسترجعة بصورة دقيقة، ولماذا؟ وتتطلب الإجابة عن هذه الأسئلة الأساس المنطقي التحليلي الخاص بك.

في ظل بعض الظروف، قد تكون الوظائف أو العمليات المحوسبة ذات فائدة كبيرة للغاية (انظر الدرس التعليمي ٥-١). حيث تشمل الحالات الأدنى عندما (أ) تمثل الكلمات والتقارير اللفظية السجلات الحرفية، وتشكل الجزء الرئيسي لأدلة دراسة الحالة، (ب) وعندما يكون لديك مجموعة كبيرة من البيانات. وتحدث تلك الحالات بصورة شائعة في البحوث التي تستخدم إستراتيجيات النظرية المجذرة (Corbin & Strauss, 2007)، حيث يكون إبراز مفهوم أو موضوع جديد أمراً قيماً للغاية. ولكن في أفضل الحالات يعبر جميع الباحثين عن محاذير تتعلق باستخدام الأدوات التي تعتمد على الحاسب الآلي عند التعامل مع بيانات دراسة الحالة (Patton, 2002,p.442)، ولكن عليك الاستعداد لأن تكون المحلل الرئيسي وتدير (أو تتحكم) في الأدوات وليس العكس، فهي تعتبر أدوات مساعدة فقط.

في الواقع، تشكل معظم دراسات الحالة تحدياً خطيراً للجهود المحفزة لاستخدام الأدوات المعتمدة على الحاسب الآلي. حيث تعتبر السجلات الحرفية مثل إجابات الأشخاص الذين أُجريت معهم مقابلات جزءاً فقط من المجموعة الكلية من أدلة دراسة الحالة. وعادة، تكون دراسة الحالة عن السلوك المعقد الذي يحدث داخل سياق معقد للعالم الحقيقي. وما لم يعمل الباحث على تحويل جميع الأدلة بما في ذلك الملاحظات والوثائق الميدانية التي تم جمعها إلى صورة نصية فلن تستطيع الأدوات المعتمدة على الحاسب الآلي بسهولة معالجة الأدلة المتنوعة. ورغم ذلك وكما أكدنا في (الفصل الرابع) ، ينبغي أن تمثل تلك المجموعة نقطة

> **نقطة تعلم : كيف أبدأ تحليل بيانات دراسة الحالة ؟**
>
> قد تبدأ بأسئلة (مثل الأسئلة التي توجد في بروتوكول دراسة الحالة) بدلاً من البدء بالبيانات. ابدأ بسؤال بسيط أولاً، ثم حدد الأدلة التي تتعامل مع هذا السؤال. بعد ذلك، اعمل استنتاجات مؤقتة قائمة على وزن الأدلة، وأيضاً تساءل كيف ينبغي عرض الأدلة حتى يتحقق القراء من تقييمك. انتقل إلى سؤال أكبر وكرر نفس الإجراء. استمر في عمل ذلك حتى تتأكد أنك عالجت كل الأسئلة الرئيسية المتعلقة بالبحث.
>
> **هل استطعت البدء بالبيانات بدلاً من الأسئلة؟**

قوة لدراسة الحالة. وبالنسبة إلى الأدلة المتنوعة، ينبغي على الباحث تطوير إستراتيجيات التحليل.

البدء في إستراتيجية التحليل: تتمثل نقطة الانطلاق في إمكانية (اللعب) بالبيانات، فأنت كباحث تبحث عن نماذج، وأفكار أو مفاهيم تبدو مرجوة. ويبرز هذا حينما تعالج أو (تتحكم) في البيانات مثلاً من خلال مزجها من شخصين مختلفين ممن تمت مقابلتهم. وتشمل معالجات البيانات الأخرى مايلي، (انظر: Miles & Huberman, 1994).

- وضع البيانات في مصفوفات مختلفة.
- وضع مصفوفة للتصنيفات ووضع الأدلة داخل كل صنف.
- إنشاء بعض العروض لفحص البيانات مثل الخرائط الذهنية والرسومات.
- جدولة التكرارات للأحداث المختلفة.
- وضع البيانات في ترتيب زمني أو استخدام برنامج زمني آخر.

كما أن هناك طريقة أخرى للبدء في إستراتيجية التحليل، هي كتابة مذكرات أو ملاحظات حول ماتم ملاحظته في البيانات (انظر: الفصل الرابع). في هذا الإطار، دعا الباحثون الذين يطبقون النظرية المجذرة إلى استخدام تلك الملاحظات (Corbin and Strauss, 2007). حيث تبدأ كتابة الملاحظات المطلوبة والرسم البياني (الرسم الذي يأتي من كتابة المذكرات) أثناء العمل الميداني وتستمر حتى مرحلة التحليل. وتحتوي تلك الملاحظات على تلميحات، أدلة سريعة، ومقترحات تدخل في كتابة أي تفسير تمهيدي لأي جزء من البيانات، وهذا يمكنك من وضع تصورات للبيانات (Lempert, 2011). وللبدء في تسجيل الملاحظات ، فكر في الأفكار والخواطر الذهبية التي تتبلور مثلاً خلال ممارسة هواياتك أو أي وقت آخر.

وتساعد الإنشاءات التمهيدية مثل المصفوفات، والعروض، والجداول، والملاحظات، أو الرسوم البيانية في توجيهك إلى إستراتيجية عامة للتحليل، وتتبع تلك الإستراتيجية دورة (أو دورات متكررة) تشتمل على أسئلة البحث الأصلية، والبيانات، وطريقة تعاملك وتفسيرك لها، وقدرتك على الوصول إلى بعض النتائج والاستنتاجات. وفي الواقع يمكن أن تحاول التقدم أو الرجوع إلى الوراء من خلال هذه الدورة، مما يدفع بظهور إستراتيجية للتحليل. وعلى سبيل

المثال، قد ترجع للوراء بسـؤال نفسـك : ما الذي تستطيع أن تستنجه من دراسة الحالة ؟ ثم اختبار البيانات بنزاهة لترى كيف يمكن (أو ليس ممكناً) أن تدعم الاستنتاجات التي وصلتَ إليها. وعندما تصل إلى علاقة مؤقتة، قد تفهم جيداً ماذا ينبغي عليك فعله لتحليل البيانات.

ينبغي أن ترشـدك الإسـتراتيجية المطلوبة خلال مرحلة التحليل، وعـلاوة على ما تبتكره من إسـتراتيجيات، عليك النظر في الإسـتراتيجيات الأربعة الموضحة أدنـاه، والتي بعدها تتم مراجعة خمسـة أسـاليب خاصة لتحليل بيانات دراسـة الحالة. وليست هذه الإستراتيجيات وتلك الأسـاليب حصرية، لذا يمكنك أن تستخدمها في أي اندماج للبيانات. ولكن ينبغي عليك أن تتنبه لهذه الخيارات قبل جمع البيانات لتساعدك في التأكد من أن البيانات قابلة للتحليل.

أربع إستراتيجيات عامة:

١- الاعتماد علـى الافتراضات النظرية: تتعلق إحدى الإسـتراتيجيات باتباع الافتراضات النظرية التي أدت إلى دراسة الحالة. ومن المحتمل أن الأهداف الأصلية وتصميم دراسة الحالة اعتمدت على تلك الافتراضات التي بالتالي عكسـت مجموعة من أسـئلة البحث، ومراجعة الأدبيات والفرضيات الجديدة (hypotheses) أو الافتراضات (propositions).

تشـكل الافتراضات خطة جمع البيانات، وبالتالي من الممكـن أن تقدم أولويات تحليلية. وكمثـال، بدأت دراسـة العلاقات الحكومية الدولية بافـتراض أن الصناديق الفيدرالية لها آثار في إعـادة توزيع الدعم المـالي، ولكنها تحدث تغيرات تنظيمية على المسـتوى الداخلي (Yin, 1980). الافتراض الأساسي هو ــ إنشاء بيروقراطية موازية في صورة منظمات محلية للتخطيط، وجماعـات العمل المدني ومكاتب أخـرى داخل الحكومة المحلية ذاتهـا، والتي تناغمت كلها مع برامج فيدرالية محددة ــ وقد تم تتبع مسـار هذا الافتراض من خلال دراسـات حالة في العديد من المدن. وكان الغرض من دراسـة الحالة لكل مدينة هو توضيح كيف حدث تكوين وتعديل في المنظمات المحلية، بعد التغيرات التي تتعلق بالبرامج الفيدرالية، وكيف عملت تلك المنظمات نيابة عن تلك البرامج، حتى وإن كانت هيئات داخل الحكومة المحلية.

يبين الافتراض السـابق كيف يؤدي التوجه النظري إلى تحليل دراسـة الحالة، وقد ساعد هذا الافتراض في تنظيم التحليل بأكمله، مشـيراً في الوقت ذاته إلى الظروف السـياقية ذات

الصلة والتي ستتم مناقشتها، والتفسيرات التي سيتم فحصها (يمكن الاطلاع على أمثلة إضافية في مربع ٢٦).

٢- العمل على البيانات من الأساس: تتعارض الإستراتيجية الثانية مع الأولى. فبدلاً من التفكير في أي افتراضات نظرية تتدفق من خلال البيانات. سواء كان نتيجة " اللعب بالبيانات" أو ملاحظة نمط للمرة الأولى، فقد تجد الآن أن جزءاً من بياناتك يقترح مفهوماً مفيداً أو مفهومين. وقد تصبح تلك النظرة نقطة انطلاق لمسار التحليل الذي يقودك إلى البيانات ومن المحتمل أن يقترح علاقات إضافية (انظر مربع ٢٧).

مربع (٢٦)

استخدام النظرية لتحليل دراسات الحالة في علم السياسة المقارن

تبين دراسات الحالة في علم السياسة المقارن، كيف يعمل تحليل دراسة الحالة على معالجة النظريات السابقة، حيث يصف (Rogowski, 2010) خمس دراسات حالة تقليدية، موضحاً كيف استفادت من النظريات السابقة بقوله: "إنها دقيقة بما يكفي لكي تقود إلى أهمية عملية أو تأثيرات على ملاحظة واحدة أو عدد قليل من الملاحظات. وقد قدمت كل دراسة حالة في البداية أدلة تجريبية تُظهر حالات شاذة مهمة في النظرية السابقة، ثم انتقلت للتخمين بذكاء حول نظرية عامة مرضية يمكنها تجنب مثل هذه الحالات الشاذة" (p. 95). وكان لثلاث دراسات حالة حالات فردية تتمثل في (هولاندا وانقساماتها الدينية والاجتماعية، وعالم التحالفات أو الاتحادات في أحد المدن الألمانية الصغيرة ــــ مثل النوادي، والجمعيات، والجماعات الدينية قبل الحرب العالمية الثانية ــ وتطور دولة بوسط أوربا إلى أقوى دولة في العالم الحديث). وبالنسبة إلى دراستَي الحالة الأُخريَين، فكان لهما حالات متعددة: الازدهار الاقتصادي للدول في أفريقيا ما بعد الاستقلال، والنجاح في الأسواق الدولية لعدد من الدول الأوروبية الصغيرة.

مربع (٢٧)

ظهور علم أنماط ورموز الحالة من خلال العمل على البيانات من الأساس

يتناول هذا المثال، دراسة الاستراتيجية الاستقرائية لفرق الحراسة الأمنية المكونة من المدنيين أنفسهم في الأحياء السكنية (Yin, 2012,chap.5). ومن خلال الفحص الدقيق للبيانات ظهرت مفاهيم جوهرية، ولكنها لم تظهر من افتراضات نظرية مسبقة. وكان هدف الدراسة متمثلاً في فهم الظروف التي من خلالها أصبحت فرق الحراسة الأمنية عرضة لسلوك غير مرغوب مثل انتحال صفة رجل الأمن. وتضمنت معايير اختيار الحالات : تنفيذ فريق الحراسة الأمنية من خلال مجموعة مدنية (وليس شركة خدمات أمنية خاصة)، والتعلم لحماية مناطق سكنية وليست تجارية. وبعد إجراء دراسات حالة لـ (٣٢) فريقاً أمنياً فقط ، اتضح أن ثلاثة أنواع من هذه الفرق كانت قاصرة على المباني أو المجمعات السكنية (فرق خاصة للمباني)، وفرق تراقب شوارع الحي (فرق الحي السكني)، وفرق أخرى تقوم بتقديم خدمات حراسة وخدمات مجتمعية أخرى (فرق خدمية). وقد اتضح أن فرق الحي السكني أكثر عرضة لسلوكيات الانتحال الأمني ؛ لأنها بعكس الفرق الأخرى ، لم يستطع أفراد هذه الفرق أن يميزوا بين السكان المقيمين في الحي وبين الغرباء من خارج الحي، وتصرفوا كرجال أمن عند مواجهة الأفراد الذين أظهروا سلوكيات مثيرة للشك (وأحياناً يكون من بين هؤلاء الأشخاص بعض سكان الحي).

تشتمل الإستراتيجية الاستقرائية على فوائد ملحوظة رغم وجود أحد الاعتراضات؛ إذ إنه من المحتمل أن الباحثين الأكثر خبرة يمتلكون مفاهيم ذات صلة بسبب فهمهم العميق لمجال دراستهم، وربما أيضاً يتبعون الاستراتيجية الاستقرائية في دراسات سابقة. وعلى العكس تماماً، قد يكون الباحثون المبتدئون أقل خبرة بالقضايا ذات الصلة في المقام الأول، وقد يواجهون صعوبة في إيجاد صلة ذات فائدة بهذه البيانات.

في البحوث الكيفية، قدم مؤسسو النظرية المجذرة منذ سنوات - Grounded theory - Corbin & Strauss, 2007; Glaser & Strauss, 1967 - إرشادات تتعلق لإتباع الطريقة الاستقرائية في تحليل البيانات. حيث تتضمن الإجراءات أنواعاً مختلفة من الرموز للبيانات، بحيث يمثل كل رمز مفهوماً أو مصطلحاً هاماً. وقد يكون لهذه الإرشادات علاقة بكل دراسات الحالة، بالإضافة إلى الدراسات القائمة على النظرية المجذرة.

وبالنسبة إلى دراسات الحالة، فهناك أهمية إضافية للإستراتيجية الاستقرائية إذا كانت دراسة الحالة تستدعي جمع البيانات الكمية، والتي يمكن أن يكون لها صلة لسببين، وهما : أولاً، قد تغطي البيانات السلوك والأحداث التي تحاول دراسة الحالة تفسيرها، وهي عادةً النتائج في دراسة الحالة التقييمية. ثانياً، قد تتعلق البيانات بوحدات مضمنة من التحليل داخل حدود دراسة الحالة. ففي كلتا الحالتين تمثل البيانات الكيفية أهمية في تفسير أو اختبار الافتراضات الجوهرية لدراسة الحالة. إذن، تخيل أن دراسة حالة عن مدرسة، أو حي سكني، أو مؤسسة، أو مجتمع، أو ممارسة طبية، أو موضوع دراسة حالة آخر. فبالنسبة إلى الموضوعات، قد تكون نتائج دراسة الحالة التقييمية التحصيل الدراسي للطلاب (بالنسبة إلى دراسة حالة متعلقة بالمدرسة)، وأسعار السكن (بالنسبة إلى الحي السكني)، ورواتب الموظفين (بالنسبة إلى المؤسسة)، ومعدلات الجريمة (بالنسبة إلى المجتمع)، أو حدوث أحد الأمراض (بالنسبة إلى الممارسة الطبية). وبناءً على ذلك، قد تكون وحدات التحليل المتعددة طلاباً أو(معلمين)، أو مجموعات العد السكاني أو (سكن الأسرة الواحدة)، أو الموظفين (بالنسبة إلى المؤسسة)، أوالأفراد الموقوفين في جرائم (بالنسبة إلى المجتمع)، أو المرضى (بالنسبة إلى الممارسة الطبية).

النتائج التوضيحية أو وحدات التحليل المضمنة من الممكن أن تكون فرصة لجمع بيانات كمية دقيقة. ومع ذلك، قد تكون الأسئلة العامة لدراسة الحالة على مستوى أعلى: مدرسة واحدة (وليس الطلاب)، أو الحي السكني (وليس الوحدات السكنية)، أو شركة تجارية (وليس موظفوها)، أو مجتمع محلي (وليس السكان) أو ممارسة طبية جديدة (وليس المرضى). ولكي نفحص أو نَصِف أو نفسر الأحداث على هذا المستوى الأعلى، لا بد أن يكون الباحث قد جمع واستَخدم البيانات الكيفية. وبالتالي، فإن دراسة الحالة استخدمت عمداً البيانات الكيفية والكمية.

تمرين ٥-١ : استخدام البيانات الكمية في دراسة الحالة

اختر إحدى الدراسات التجريبية الخاصة بك (وليست دراسة حالة)، بحيث تكون قد أنهيت تحليل بعض البيانات الكمية (أو اختر هذه الدراسة من الأدبيات والمراجع العلمية). قم بوصف طريقة تحليل البيانات في هذه الدراسة، وناقش هل يمكن العثور على نفس التحليل في نفس صورته كجزء من تحليل متكامل في دراسة حالة؟ وهل تعتقد أن البيانات الكمية أقل ارتباطاً بدراسات الحالة من البيانات الكيفية؟

٣- تطوير وصف الحالة: تتمثل إستراتيجية التحليل الثالثة العامة في تنظيم دراسة الحالة طبقاً للإطار الوصفي (انظر مربع ٢٨). ورغم أن هذه الإســتراتيجية عملية في حد ذاتها، إلا أنها قد تكون بديلاً إذا كان لديك صعوبة في اســتخدام أي من الإســتراتيجيات (الأولى أو الثانيــة) . وبمعنى آخر، ربما أنك قمت بجمع الكثير من البيانات دون الاســتقرار على مجموعة أوَّلية من أســئلة البحث أو الافتراضات النظرية (التي تمنعك من الاعتماد على الإســتراتيجية الأولى)، وربما أيضاً قد لا تستطيع استنتاج مفاهيم ذات دلالة من البيانات (وهذا يُصعِّب اللجوء إلى الإستراتيجية الثانية أو الإستراتيجية الاستقرائية).

مربع (٢٨)

تنظيم دراسة الحالة وفقاً للإطار الوصفي

تناولت دراســة حالة تجربــة مجلس إحدى القــرى في تنزانيا في تولي مســؤولية إدارة الموارد الطبيعية (Nathan, Lund, Gausset; Andersen, 2007). وكان هدف سياسة المجلس هو رفع مستوى الكفاءة والمســاواة والديموقراطية بالنسبة إلى تشريعات الغابات، وتم تنظيم نتائج دراسة الحالة طبقاً للموضوعات الأربعة التي تتعلق بتجربة المجلس وهي : علاقته بالمستويات الحكومية الأعلى، وعلاقاته كذلك بالقرى الأخرى، وســكان القرية نفســها، وقيود أو صلاحيات المجلس. ونظراً لكون الموضوعات الأربعة تعكس مجموعة منطقية لجوانب السياســة، فقد أضفى استخدام الإطار الوصفي مصداقية على الاســتنتاجات الرئيســية لدراســة الحالة، حيث لم يسهم تفويض صلاحيات الإدارة فقط في التغلب على القيود المتعلقة بإدارة الموارد الطبيعية.

في أغلب الأحيان ، يكون الهدف الأساسي والظاهر من دراسة الحالة، وصفياً، وكان هذا أيضاً هدف الدراســة الاجتماعية الشهيرة لمدينة ميدلتاون (Middletown) وهي دراسة حالة قام بإعدادها كل من (Lynd & Lynd, 1929). والمثير في هذه الدراســة، بالإضافة إلى قيمتها الكلاسيكية كحالة تاريخية وثرية، هو محتواها الذي يتمثل في الفصول التالية:

- الفصل الأول: الحصول على مصادر المعيشة.
- الفصل الثاني: بناء المنزل.

• الفصل الثالث: تدريب الشباب.
• الفصل الرابع: استخدام المرافق الترفيهية.
• الفصل الخامس: المشاركة في الممارسات الدينية.
• الفصل السادس: الانضمام في الأنشطة المجتمعية.

وتغطــي هذه الفصول موضوعــات ذات صلة بالحياة المجتمعية في القرن العشرين، أي حينما تم دراسة مدينة ميدلتاون (Middletown). مع ملاحظة كيف ينظم الإطار الوصفي تحليل دراســة الحالة، و لكن أيضاً يفترض أنه تــم جمع البيانات عن كل موضوع في المقام الأول. وبهــذا المعنى، يجــب أن تفكر (على الأقل) في الإطــار الوصفي قبل تصميم أدوات جمع البيانات. وكالمعتاد ، فإن الأفكار المتعلقة بالإطار ينبغي أن تنبثق من المراجعة الأولية لأدبيات البحث، والتي تُظهر ثغرات أو موضوعات ذات اهتمام بالنسبة لك كباحث، أو التي تثير اهتمامك بإجراء دراســة حالة. وهناك مقترح آخر، يتمثل في النظر في هيكلة دراســات الحالــة القائمة (من خلال الاطلاع على الحالات التي تمت الإشــارة إليهــا في المربعات بهذا الكتــاب بتفصيل أكثر)، وعلى الأقل ملاحظة جــداول محتويات هذه الحالات للتعرف على الطرق الوصفية المختلفة.

في مواقــف أخــرى قد لا يكون الهدف الأصلي من دراســة الحالة وصفيــاً، إلا أن المنهج الوصفــي قد يســاعد لاحقاً في تحديد التفســير المراد تحليله، حتــى وإن كان هذا التحليل كمياً. وقد اهتمت إحدى دراسات الحالة المميزة بصعوبة تنفيذ برنامج أشغال عامة محلي بمدينــة أوكلاند بولاية كاليفورنيا (Pressman & Wildavasky,1973). وأدرك الباحثون أن تلك الصعوبة يمكن وصفها فيما يتعلق بتعدد القرارات التي يتخذها مسئولو القطاع العام والتي لا بد من اتخاذها لنجاح تنفيذ البرنامج. وكانت هذه النظرة الوصفية قادت لاحقاً إلى تعداد وجدولة وتصنيف القرارات المتنوعة كمياً. وفي هذا المعنى، اســتُخدم المنهج الوصفي لتحديد النمط العام لتعقيدات البرنامج والتي اســتخدمها الباحثون لاحقاً لتفســير أسباب فشــل التنفيذ. وفي النهاية اعتبرت دراســة الحالة هذه إســهاماً متقدمــاً في البحوث الأولى المتعلقة بتنفيذ المشاريع (Yin,1982b).

٤- اختبار التفسيرات المناظرة المعقولة: تعد دراسة التفسيرات المناظرة هي الإستراتيجية الرابعة للتحليل، وتسعى هذه الإستراتيجية إلى تحديد واختبار التفسيرات المناظرة المنطقية، وتعمل بشكل عام بالاندماج مع الإستراتيجيات الثلاثة السابقة : الافتراضات النظرية الأولية (الإستراتيجية الأولى التي نوقشت مسبقاً) والتي ممكن أن تشمل فرضيات مناظرة؛ والعمل من الأســاس (الإســتراتيجية الثانية) التي قد تنتج عنها إطارات استقرائية مناظرة ؛ ووصف الحالة (الاستراتيجية الثالثة) التي قد تتضمن أوصافاً بديلة للحالة.

على سبيل المثال، الافتراض النمطي في التقييم الذي يفيد أن النتائج التي تم ملاحظتها هي نتيجة تدخل مخطط. وقد يكون التفســير المناظر البســيط أو المباشر هو أن النتائج التــي تمت ملاحظتهــا كانت في الواقع نتيجة لبعض التأثــيرات الأخرى إلى جانب التدخل المخطط له، وأن اســتثمار الموارد في التدخل قد لا يكون مطلوبًا بالفعل. وإدراكًا (مســبقًا) لهذا التفســير المناظر المباشر، ينبغي بعد ذلك أن يحتوي جمع بيانات دراسة الحالة على محــاولات لجمع أدلة بشــأن التأثيرات الأخرى الممكنة. علاوة عــلى ذلك، لا بد أن تبذل جهــوداً كبــيرة في جمع الأدلة بخصوص تلك التأثيرات، كما لو كنــت تحاول إثبات فعالية التأثيرات الأخرى بدلاً من إيجاد ســبب لرفضها. بعد ذلك، إذا كانت الأدلة غير كافية قد تتهــم بالتلاعــب بالأدلة من أجل تحقيق النتيجة التي تريدهــا لصالح الفرضيات الأصلية (Patton, 2002,p.553; Rosenbaum, 2002, pp. 8- 10).

التفســير المناظر المباشر ــ الذي يرى أن الاستثمار الأصلي ليس هو السبب وراء النتائج التي تم ملاحظتها ــ هو أحد أنواع التفسيرات المناظرة المنطقية. ومن ناحيةٍ أخرى، يصنف شــكل (٥-١) ويشير إلى أنواع عديدة من التفسيرات المناظرة (Yin,2000b). بالنسبة لكل نــوع من هذه الأنواع ، يوجد وصف غير رســمي وأكثر قابليــة للفهم كما هو موضح (بين قوســين وعلامات اقتباس في الشــكل ٥-١) إلى جانب تصنيف العلوم الاجتماعية الرسمي، على أمل أن يجعل جوهر التفكير المناظر أكثر وضوحًا.

شكل (٥-١) أوصاف موجزة للأنواع المختلفة من التفسيرات المناظرة

نوع التفسير المناظر	الوصف أو الأمثلة
التفسيرات المناظرة المبتكرة:	
١- فرضيات العدم	الملاحظة هي نتيجة فرصة الظروف العرضية فقط.
٢- تهديدات صدق البناء	أمثلـة : التاريخ، النضج، عدم الاسـتقرار، الاختبـار، أدوات القياس، الانحدار، الاختيار، الاستنزاف التجريبي، التفاعل بين الاختيار والنضج.
٣- تحيز الباحث	أمثلة : "تأثير الباحث"، التفاعلية في البحث الميداني.
التفسيرات المناظرة الواقعية:	
٤- التفسير المناظر المباشر	التدخل (المشتبه به الثاني) وليس التدخل المستهدف (التطبيق أو السياسـة)، (المشتبه به الأول) يفسر النتائج ("المساعد الشخصي هو من فعل هذا").
٥- التفسير المناظر المختلط	سـاهمت كل مـن التدخـلات الأخـرى والتدخل المسـتهدف (التطبيق أو السياسة) في النتائج ("لم أكن أنا وحدي").
٦- تفسير التنفيذ المناظر	عمليـة التنفيذ، وليـس التدخل الجوهري تفـسر النتائج ("هل فعلنا ذلك بشكل صحيح؟").
٧- النظرية المناظرة	نظرية مختلفة عن النظرية الأصلية تشرح النتائج بشكل أفضل ("إنه شيء أولي وبسيط").
٨- التفسير المناظر المتكامل	قـوة أكبر من التدخـل ولكن تتضمن تفسـير النتائج ("إنه أكثر قدرات منا جميعاً").
٩- التفسير المناظر الاجتماعي	الاتجاهات الاجتماعية وليسـت قـوة معينة أو تدخل هي التي تفسر النتائج ("الأوقات التي تكون فيها تغييرات").

المصدر: (Yin, 2000b).

تذكرنـا القائمة أعـلاه بثلاثة أنواع من التفسـيرات المناظرة المبتكـرة التي تكمن في بحـوث العلوم الاجتماعية، كما أن المراجع العلمية أولت عناية كبيرة لتلك التفسـيرات المبتكـرة. ومع ذلك، تحدد القائمة سـتة تفسـيرات مناظرة هامـة أو واقعية لم تتلقى اهتمامـاً من قِبـل المراجع العلمية الأخرى (ولسـوء الحظ، لم تتنـاول المراجع العلمية بشـكل مفصل تحديات ومزايا التفكير المناظر أو اسـتخدام التفسيرات المناظرة)؛ حيث ينبغـي على الباحث بدقة أن يحدد التفسـيرات المناظرة الواقعية قبـل جمع البيانات (ولكـن مع عدم تتجاهل التفسـيرات المناظرة المبتكرة). كـما ينبغي على الباحث أن لا يُظهر التفسـيرات المناظرة الواقعية حتى يكون متعمقاً في جمع البيانات، والاهتمامُ بها عنـد هذا الحد أمرٌ مقبـول ومرغوب. وبوجهٍ عام، كلما عالج أو رفض التحليل أكبر عدد من من التفسيرات المناظرة، كانت الثقة كبيرة في النتائج.

وتعتبر التفسـيرات المناظرة جـزءاً جوهرياً لعدة دراسـات حالة موجـودة بالمربعات المذكورة مسـبقاً (انظر : المربعات ١ و ١١ في الفصلين الأول والثاني). وقد اسـتخدم مؤلفو دراسـات الحالة هذه التفسـيرات المناظرة، لدفع عملية تحليل دراسة الحالة بأكملها. كما توجد أمثلة أخرى في (Yin, 2012,chap.10)، وتلك الأمثلة تغطي حالات التنمية الاقتصادية وكذلـك انهيـار شركة (Fortune 50) (انظر أيضاً: مربع ٥٠، الفصل السـادس)، لكنها تركز عمداً على جوهر الأدلة حول التفسيرات المناظرة.

ملخـص: إذا أردت الإعداد والتحضير الأمثل لإجراء تحليل دراسـة الحالة ينبغي أن يكون لديك إسـتراتيجية تحليلية عامة. ويتمثل الغرض من إسـتراتيجية التحليل في ربط بيانات دراسـة الحالة ببعض المفاهيم ذات الاهتمام، وجعل تلك المفاهيم ذات أهمية إرشادية في تحليل البيانات. وقد أوضحنا من قبل أنه بإمكانك تطوير إستراتيجية التحليل، ولكن عليك أيضاً النظر في الإسـتراتيجيات الأربعة التي ناقشناها سابقاً وهي: الاعتماد على الافتراضات النظريـة، والعمل على البيانات من الأسـاس، وتطوير وصف الحالة، واختبار التفسـيرات المناظرة.

كما ينبغي عليك التفكير في اسـتخدام أي من الاسـتراتيجيات العامـة والتي قد تتضمن اسـتراتيجية قمت بتطويرها من نفسـك ، وينبغي أن تأخذ في الاعتبار خمس طرق تحليلية

الآن والتـي سـتوضح في الجزء المتبقي مـن هذا الفصل. وكما سـيوضح لاحقاً، تهدف طرق التحليل أساسـاً إلى معالجة مشكلات تطوير الصدق الداخلي والخارجي (انظر الفصل الثاني) عند إجراء بحوث دراسة الحالة.

وتشـمل الطرق المحددة التالي: (١) الأنماط المتشـابهة، (٢) بناء التفسير، (٣) السلسلة الزمنية للتحليل، (٤) نماذج المنطق، (٥) دمج الحالات.

تمرين ٥-٢ : بناء إستراتيجية تحليلية عامة

افترض أنك بدأت تحليل بيانات دراسة الحالة بدون وجود إستراتيجية عامة للتحليل، وبدلاً من البقاء على تلك الخطوة من التحليل عليك الانتقال إلى الخطوة التالية، وفكر كيف يمكن أن تنظم (لاحقاً) تقرير دراسة الحالة في فصول أو أقسام منفصلة. ثم حاول ابتكار عناوين حقيقية داخل كل فصل أو قسـم بدلاً من المقدمة، واجعل العنوان موضحاً مضمون المقدمة حتى إذا تطلب الحاجة لكلمات محدودة. حاول كتابة سلسلة مختلفة من العناوين الرئيسية والفرعية، ملاحظاً كيف تؤدي هذه الاختلافات إلى إنشاء إستراتيجيات تحليلية مختلفة. والآن اعمل على اختيار سلسلة العناوين وابـدأ في فرز البيانات حسـب الفصـول أو الأجزاء المخصصة لها. وبذلك سـتكون في طريقك نحو تحليل بيانات دراسة الحالة.

خمس طرق تحليلية:

يجب عدم اعتبار جميع طرق التحليل سـهلة الاسـتخدام، بل تحتاج جميعها إلى المزيد من الممارسـة والتطبيق حتى يتم اسـتخدامها بشكل فعال وقوي. وينبغي أن يكون هدفك هو البدء بتواضع أو تدرج، والعمل بشـكل مكثف ومتكامل والتفكير بعمق، وبناء قدراتك التحليلية مع مرور الوقت. وستصل في النهاية إلى شكل تحليل دراسة حالة مقنعة، وبالتالي دراسة حالة مقبولة.

١. الأنماط المتشابهة:

بالنسـبة إلى تحليل دراسـة الحالة، يعتبر أحد أهم الطرق المفضلة هو اسـتخدام منطق الأنماط المتشـابهة أو (المتجانسـة). ويقوم هذا المنطـق (Trochim,1989) بمقارنة النمط

التجريبـي ـ القائم على نتائج دراسة الحالة ـ بنمط آخر تم إعـداده قبل جمع البيانات (أو مقارنتـه بعدد من التنبؤات البديلة). وفي مجال بحوث العلوم السياسـية، هناك طريقة مشـابهة للأنماط المتشـابهة يطلق عليها «طريقة التطابق» (انظـر: Goerge & Bennett, 2004, chap. 9). وفي حالة تشـابه الأنماط التجريبية والأنماط المُتنبَّأ بها تسـاعد النتائج في تعزيز الصدق الداخلي لدراسة الحالة.

إذا كانت دراسـة الحالة تفسـيرية فقط، فقد تتعلق الأنماط بالمتغيرات التابعة أو المسـتقلة للدراسـة كما ستتم مناقشته أدناه. أما إذا كانت دراسة الحالة وصفية، كانت الأنماط المتشابهة ذات صلة بشرط تحديد النمط المُتنبَّأ به للظروف الوصفية المهمة قبل جمع البيانات.

المتغيرات التابعة غير المتساوية كنمط: ينشأ نمط المتغيرات التابعة من أحد أقوى تصاميم البحوث شبه التجريبية التي يطلق عليها «تصميم المتغيرات التابعة غير المتساوية» (Cook & Campbell, 1979, p.118). وطبقاً لهذا التصميم قد تكون للتجربة العلمية أو شبه التجربة متغـيرات تابعة متعددة، أي مجموعة من النتائج ذات الصلة. وعلى سـبيل المثال، في مجال دراسـات الصحـة العامة يمكن التنبؤ ببعض النتائج التي قد تتأثـر بالعلاج، بينما يمكن التنبؤ بنتائـج لا تتأثر بذلـك (Rosenbaum, 2002, pp. 110- 211) . وتحدث الأنماط المتشـابهة بالطريقة التالية: إذا وجدت القيم الأولية التي تم التنبؤ بها بالنسبة إلى كل نتيجة، ولم توجد في الوقـت ذاتـه الأنماط البديلة للقيم المتنبـأ بها (بما في ذلك القيم المسـتنتجة من الأدوات المنهجية أو تهديدات صدق البناء)، يمكن عمل استنتاجات سببية قوية.

وكمثال محدد، فكر في حالة واحدة تدرس فيها آثار نظام حاسـب آلي مكتبي لا مركزي، واجعـل افتراضك الرئيسي هو ــ نظراً لأن كل جهاز طرفي قد يعمل مسـتقلاً عن أي خادم (حوسـبة) فإنه سـيحدث نمط معين من التغـيرات التنظيمية والضغـوط. ومن بين هذه التغـيرات والضغـوط تقوم بتحديد الأمور التالية، معتمداً عـلى الفرضيات التي جاءت من خلال معرفتك السابقة بنظرية اللامركزية:

- سـيقوم الموظفون بإنشـاء تطبيقات حاسـوبية جديدة للنظام المكتبي، وتلك التطبيقات ستكون خاصة لكل موظف.
- سـتتعرض روابط الإشراف الإداري التقليدي للتهديد؛ لأنه سيتم التقليل من سيطرة الإدارة

على مهام العمل واستخدام المصادر الأساسية للمعلومات.

- ســتزيد الصراعات التنظيمية ؛ بسبب الحاجة إلى تنســيق الموارد والخدمات في الوحدات اللامركزية.
- رغم ذلك كله، ستزيد الإنتاجية على جميع المستويات قبل تطبيق النظام الحاسوبي الجديد.

في هذا المثال، تقدم كل من النتائج الأربعة متغيرات تابعة ومختلفة، ويمكنك أن تعمل عــلى تقييــم كل متغير من خــلال مقاييس كميــة أو كيفية. إلى هذا المدى، لديك دراســة حددت المتغيرات التابعة غير المتساوية. كما تنبأت بنمط عام للنتائج التي تغطي كل هذه المتغيرات. إذا كانت النتائج كما تم التنبؤ بها، فإن بإمكانك استخلاص الاستنتاجات الخاصة بآثار اللامركزية. ولكن ، إذا لم تنجح تلك النتائج في توضيح النمط بالكامل كما تم التنبؤ به ــ أي حتى إذا م تأتِ نتيجة واحدة ل كما تم التنبؤ به ــ فإن افتراضك الأوَّلي سيكون محل التساؤل والشك (انظر مربع ٢٩ كمثال إضافي).

مربع (٢٩)

الأنماط المتشابهة لكل من النتائج المتعددة

يقر الباحثون والسياسيون على حد سواء، بأن القواعد العسكرية الأمريكية الموجودة في جميع أنحاء البلاد تســاهم بدرجة كبيرة في الإســكان والتوظيف والأســواق الأخرى للاقتصاد المحلي. وفي حالــة إغلاق تلك القواعد، فإن الاعتقاد المقابل هو أن المجتمع ســيعاني بصــورة كارثية (اقتصادياً واجتماعياً). ولاختبار الافتراض الأخير، أجرى (Bradshaw,1999) دراسة حالة إغلاق أحد القواعد في مجتمع محلي متوسط الحجم في ولاية كاليفورنيا. وقام الباحث أولاً بتحديد سلسلة من القطاعات (مثل : مبيعات الإســكان، الوظائف المدنية، البطالة، الهجرة الداخلية، والاستقرار السكاني، وأسواق التجزئة)، التي كان يخشى أن تطولها النتائج الكارثية، بعد ذلك، جمع البيانات المتعلقة بكل قطاع (قبل وبعد) إغلاق القاعدة. ومن خلال إجراء الأنماط المتشابهة واختبار أنماط النتائج (قبل وبعد) في كل قطــاع، وأيضاً مقارنة المجتمعات الأخرى والاتجاهات على مســتوى الولاية، حيث أوضحت الدراســة أن النتائج كانت أقل خطورة مما توقع. فبعض القطاعات لم يظهر فيها أي إنخفاض. كما قدم الباحث أدلة تفسر نمط النتائج، مقدماً بذلك مناقشة مقنعة للاستنتاجات التي توصل إليها.

واستكمالاً لنفس المثال، يمكن إضافة الحالة الأولى لنظم الحاسب الآلي المكتبي إلى الحالة الثانيــة، والتي تم فيها تطبيق نظام مكتبي جديد ولكنــه ذو طبيعة مركزية، أي أن جميع الأجهــزة في مكاتب الموظفين متصلة بشــبكة إلكترونية. والآن ســتتنبأ بنمط مختلف من النتائج باســتخدام نفس المتغيرات التابعة الأربعة، والتي تم ذكرها أعلاه. إذا أثبتت النتائج أن النظام اللامركزي (حالة أ) سببت النمط المتنبأ به، وأن النمط الأول كان مختلفاً عن هذا الذي تم التنبؤ به وسببه النظام المركزي (حالة ب)، سيكون بإمكانك استخلاص استنتاجات قوية بخصوص آثار اللامركزية. وفي هذه الحالة ســتقوم بالنسخ النظري في جميع الحالات. (في حالات أخرى قد تحاول النسخ المتماثل الحرفي، من خلال تحديد ودراسة حالتين أو أكثر من النظم اللامركزية).

في النهايــة، قــد تتنبه إلى وجــود تهديدات لمصداقيــة هذا المنطق (انظــر: Cook & Campbell, 1979 ـ من أجل الاطلاع على القائمة الكاملة لتلك التهديدات). فعلى ســبيل المثال، كحالة ســياقية تغطيها دراســة الحالة، تجد أن المدير التنفيــذي للشركة الجديد قد تولى المنصب (في الحالة أ) تاركاً المجال لمناقشــة مضــادة هي أن: الآثار الظاهرة للامركزية كانت بســبب تعيين المدير التنفيذي، وليس بسبب النظام المكتبي الذي تم تطبيقه حديثاً. وللتعامــل مع هذا التهديد، لا بد أن تحدد مجموعة فرعية مــن المتغيرات التابعة الأوَّلية، وتوضح أن النمط يكون مختلفاً (في الحالة ب) إذا كان المدير التنفيذي للشركة هو السبب الفعــلي لتلــك الآثار. وإذا كان لديك دراســة حالة واحدة، كان هــذا النوع من الإجراءات ضرورياً؛ حيث ستستخدم نفس البيانات لاستبعاد الأدلة القائمة على تهديد محتمل للصدق. وبالنظــر إلى وجود الحالــة الثانية كما في المثال الافتراضي، يمكنك أن تبين أن الادعاء المتعلق بمديــر الشركــة التنفيذي لن يفسر أجــزاءً من النمط الموجود في (الحالــة ب) " التي يكون فيهــا غياب هذا المدير مرتبطاً بنتائج أخرى متعارضة". ومن حيث المبدأ، يتمثل هدفك في تحديــد كل التهديدات الممكنة للصدق وإجراء مقارنات متكــررة، مبيناً في الوقت ذاته أن تلك التهديدات لا يمكن أن تفسر النماذج المزدوجة في كلتا الحالتين الافتراضيتين.

مربع (٣٠)

الأنماط المتشابهة للتفسيرات المناظرة والنسخ المتماثل في الحالات المتعددة

هناك مشــكلة شــائعة في السياســات العامة تتمثل في فهم الظروف التي في ظلها تكون نتائج البحوث الجديدة مفيدة للمجتمع. كانت هذه المشكلة هي موضوع دراسة حالة متعددة لمشاريع بحوث المخاطر الطبيعية (Yin, 2012,chap.3, pp 46 -48). حيث قدمت دراسة الحالة أولاً أدلة حاسمة، تفيد بأن نتائج البحث الهامة تم تطبيقها عملياً في كل المشاريع، بدءاً من تخفيض خسائر الأرواح بســبب الزلازل إلى الوســائل الجديدة للري. بعد ذلك تعامل التساؤل الرئيسي للبحث مع أســئلة (كيف) و (لماذا) حدثت هذه النتائج. ومن ناحية أخرى، قارن الباحثون بين ثلاث نظريات (تفســيرات مناظرة) من الأدبيــات المميزة، وهــي: (أ) يختار الباحثون موضوعاتهــم التي يودون دراستها، ثم ينشرون نتائجهم إلى العالم العملي أو ما يسمى (دفع الابتكار التكنولوجي إلى السوق technology "push")، (ب) يحدد العالم العملي المشــكلات التي تلفت اهتمام الباحثين، ثم يقود إلى حل ناجح لتلك المشكلات أو مايسمى (جذب الطلب demand "pull")، (ج) يعمل الباحثون والممارســون سوياً، ويخصصون عملية ممتدة لتحديد المشكلة واختبار الحل (التفاعل الاجتماعي). وتتنبأ كل نظرية بنمط مختلف من الأحداث المناظرة، التي تســبق النتائج المحددة مســبقاً. وعلى ســبيل المثال، تتطلب نظرية "جذب الطلب" الوجود المسبق للمشــكلة، كتمهيد للبدء في مشروع البحث، ولكن لا توجد نفس الحالة في النظريتين الأُخريين.

وبالنسبة إلى الحالات التسعة، تحولت الأحداث لتتناسب بشكل أفضل مع مزيج من النظريتين الثانية والثالثة. وبالتالي، فإن دراســة الحالة المتعددة تطابق نمط الأحداث في كل حالة مع تنبؤات نظرية مختلفة واستخدمت أيضًا منطق النسخ المتماثل عبر الحالات.

المتغيرات المســتقلة المناظرة كنمط: بالإضافة إلى كونها إستراتيجية تحليلية عامة، يمثل اســتخدام التفســيرات المناظرة مثالاً للأنماط المتشابهة بالنسبة إلى المتغيرات المستقلة. ففي مثــل هذه الحالات (انظــر مربع ٣٠ كمثال لذلك). هناك عدة حــالات لها نوع معين من النتائج، ويركز البحث فيها على (كيف) و(لماذا) حدثت تلك النتائج في كل حالة.

ويتطلــب التحليل تطوير الفرضيات النظرية المناظــرة التي تصاغ بمصطلحات إجرائية. والســمة المرجوة للتفســيرات المناظرة، هي أن كل تفســير منها يتضمن نمطاً من المتغيرات المســتقلة والذي يكون حصرياً بشــكل متبادل. وإذا ثبت صحة تفســير واحد، فلن تكون

التفســيرات الأخرى كذلك. وهذا يعني أن وجود متغيرات مستقلة (التي يتنبأ بها التفسير الأصــلي) يمنع وجود متغيرات أخرى مســتقلة (التي يتنبأ بها تفســير مناظر). وقد تتضمن المتغيرات المســتقلة عدة أنواع من الســمات أو الأحداث، ويتم تقييم كل متغير من خلال مقاييــس وأدوات مختلفــة. ومع ذلك، فإن صعوبة تحليل دراســة الحالــة تأتي مع النمط الكامل للنتائج، ودرجة تطابق النمط التجريبي مع النمط المتنبأ به.

وقد يتم تطابق هذا النوع من الأنماط المتشــابهة للمتغيرات المســتقلة مع دراسة حالة فردية أو دراسات متعددة. فبالنسبة إلى دراسة الحالة الفردية، يكون التطابق الناجح دليلاً على أن التفســير الأصلي والذي يعتبر هو التفســير الأمثل (وأن التفســيرات الأخرى مقبولة بدرجــة أقــل). وعلاوة على ذلك، إذا تــم الحصول أيضاً على النتائــج المتطابقة في الحالات المتعددة، ســيتم تحقيق النســخ المتماثل الحرفي للحالات الفردية، وربما تم التصريح بنتائج الحــالات بصورة أكثر جزمــاً. بعد ذلك، إذا لم توجد نفس النتيجــة في المجموعة الثانية من الحالات بســبب الظروف المختلفــة المتنبأ بها، يتم تحقيق النســخ المتماثل النظري وتظل النتيجــة الأوَّلية ثابتة بقوة. وســواء تم التعامل مع حــالات فردية أو حالات متعددة ، فإن هناك بعض التهديدات للصدق ـ بشــكل أســاسي تشــكل مجموعة أخرى من التفسيرات المناظرة ـ والتي ينبغي أيضاً تحديدها واستبعادها.

الدقة في الأنماط المتشابهة: في أحسن الأحوال، لا يتضمن إجراء تطابق الأنماط مقارنات دقيقة. وســواءً كنــت تتنبأ بنمط من المتغــيرات التابعة غير المتســاوية أو نمط المتغيرات المستقلة المناظرة فإنه قد لا تشتمل المقارنة الأساسية بين النمط المتنبأ به والنمط الحقيقي معايير كمية أو إحصائية (قد تكون الطرق الإحصائية المحتملة غير ذات صلة؛ لأن كل متغير في النمط من المحتمل أن يمثل نقطة بيانات واحدة، ولا يشتمل أي من هذه المتغيرات على التفــاوت الضروري للإيفاء بالحاجة الإحصائية). وقد تحدث النتيجة الأكثر رقمية إذا حُدد للدراسة مجموعة من المقارنات المعيارية مسبقاً (مثل : سيزيد الإنتاج بنسبة ١٠٪ أو أكثر)، ويتم بعد ذلك، مقارنة قيمة النتائج الحقيقية مع هذه المقارنة المعيارية.

ويمكن أن تسـمح المسـتويات المنخفضة مـن الدقة ببعض حرية التفسـير من جانب الباحـث، الـذي من الممكـن أن يكون مقيداً في الادعاء بشـكل مبالغ بمخالفـة النمط، أو التسـاهل بشـكل كبير في قرار تطابق النمط. ولذا؛ فإن بإمكانك أن تعزز دراسة الحالة من خـلال تطويـر مقاييس أكثر دقة، وفي حالة انعدام تلك الدقـة، هناك اقتراح مهم يتمثل في تجنب افتراض أنماط دقيقة للغاية حتى يتعامل تطابق الأنماط مع حالات واضحة للتطابق، أو حالات عدم التطابق التي يشكل تفسيرها تحدياً كبيراً أيضاً.

٢. بناء التفسير:

تعـد طريقة التحليل الثانية نوعاً خاصاً من الأنماط المتشـابهة، ولكن الإجراء أكثر صعوبة وبالتالي يستحق اهتماماً مستقلاً. هنا، يتمثل الهدف في تحليل بيانات دراسة الحالة من خلال بناء تفسير بشأن الحالة (مرة أخرى، يطلق على الطريقة التي تشبه بناء التفسيرات في أبحاث العلوم السياسية : تعقب العمليات). (انظر:Bennett, 2010; George & Bennett, 2004).

كما أُستخدم في هذا الفصل، يتعلق هذا الإجراء بصفة رئيسية بدراسات الحالة التفسيرية. وعادة، يتم الاستشهاد بالإجراء الموازي لدراسات الحالة الاستكشافية كجزء من عملية توليد الفرضيـات (انظـر: Glaser & Strauss, 1967)، ولكـن هدفها ليس إنهاء الدراسـة، وإنما تطوير أفكار للمزيد من الدراسات.

عناصر التفسيرات: "تفسـير" الظاهرة، هو أن تشترط مجموعة مفترضة من الروابط السببية حولها، أو التسـاؤل (كيف) و (لماذا) شيء ما حدث. وتلك الروابط ربما تكون معقدة ويصعب قياسها بأي طريقة دقيقة (انظر مربع ٣١).

ويحدث بناء التفسيرات في معظم دراسات الحالة في صورة قصصية أو (روائية)؛ لأن مثل هذه الروايات لا تتصف بالدقة الكافية. ولذا؛ تعتبر أفضل دراسات الحالة هي التي تعكس فيها التفسـيرات بعض الفرضيات النظرية الهامة والتي تكمـن أهميتها في تعويض انعدام الدقـة. وعلى سـبيل المثال، تعكس الروابط السـببية رؤى ووجهات نظر حاسـمة لعملية صنع السياسـات العامة أو نظرية العلوم الاجتماعية. فإذا كانت فرضيات السياسـة العامة صحيحة، أدى ذلك إلى توصيات بشـأن إجراءات السياسـة العامة المسـتقبلية (انظر مربع

٣٢أ كمثال).وإذا ثبتت صحة فرضيات العلوم الاجتماعية، أسـهم ذلك بدرجة كبيرة في بناء النظريـة، مثل تحول بعض الدول من مجتمعات زراعية إلى مجتمعات صناعية (انظر مربع ٣٢ب كمثال على ذلك).

مربع (٣١)

بناء التفسير في دراسة الحالة الفردية

لا يزال موضوع فشـل أو نجاح الشركات التجارية يمثل موضوعاً شـائعاً بالإضافة إلى الاهتمام البحثي. لذا تكون التفسيرات ضرورية عندما يحدث فشل لشركة ظلت تنمو بنجاح لمدة ٣٠ عاماً، وكانت هي الشركة الثانية في صناعة الحاسـب الآلي على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية وكافة القطاعـات الصناعيـة، وكانت من بين أفضل (٥٠) شركة عملاقة. وافترضت دراسـة الحالة الفردية التي قام بها (Edgar Schein,2003) بالضبط هذا التحدي، واحتوت على وثائق وبيانات مقابلات شخصية (انظر أيضاً : مربع ٥٠، الفصل السادس). ويعمل (Schein) أستاذاً في معهد ماساشوستس للتكنولوجيا (MIT)، ومستشـاراً لـلإدارة العليا للشركة على امتداد تاريخها كله. وتحاول دراسـة الحالـة التي قام بها تفسـير كيف ولماذا كانت الشركة تعاني من "جينات أو شـفرة" مفقود كانت جوهريـة لبقائها؛ إذ يرى الباحث أن هذه (الشـفرة) كان ضروريـاً للتغلب على اتجاهات الشركة الأخـرى؛ حيث أكد على الجودة الفائقة والمبدعة لعملياتهـا التقنية. ولذا؛ كان ينبغي على الشركة أن تولي المزيد من الاهتمام لنشـاطها التجاري وعمليات التسـويق. وربما اسـتطاعت الشركة ذاتها التغلب على عجزها في معالجة عملية تسريح الموظفين، التي من خلالها تخلصت من الموظفين غير المرغوبين في الوقت المناسـب، وحددت الأولويات التي كان من بينها المشـاريع الداخلية المنافسة (تطوير ثلاثة أنواع من الحاسب الآلي الشخصي، بدلاً من نوع واحد مثلاً).

مربع (٣٢)

بناء التفسير في دراسات الحالة المتعددة

٣٢-أ : دراسة عن المجتمعات المحلية المتعددة

يتمثل أحد أهداف دراسة الحالة المتعددة في بناء تفسير عام يناسب كل حالة فردية حتى وإن اختلفت تلك الحالات في تفاصيلها. ويشبه هذا الهدف بناء تفسير عام علمي من أجل استخلاص النتائج من التجارب المتعددة. في هذا الإطار، يتحدث كتاب (Martha Dirthick, 1972) عن سبب فشل برنامج الإسكان الفيدرالي" بعنوان (أبراج جديدة في المدينة - New Towers In-Town)، تحت إدارة الرئيس ليندون جونسون، وكان لزاماً على الحكومة الفيدرالية أن تمنح الأراضي الفائضة ـ التي تقع في مناطق داخل المدن ـ للحكومات المحلية، من أجل تنمية قطاع الإسكان. وبعد أربع سنوات، تم إنجاز القليل من التقدم في سبعة مواقع هي: (سان أنتونيو، تكساس)، (نيوبدفورد، ماساشوستس)، (سان فرانسيسكو، كاليفورنيا)، (واشنطن العاصمة)، (أتلانتا، جورجيا)، (لويزفيل، كنتاكي)، (بلدة كلينتون، ميتشجن). ورغم ذلك، اعتبر أن البرنامج قد فشل. لذا تحلل دراسة (Dirthick, 1972, p. 91- 93) الأحداث في كل واحد من المواقع السبعة. وظهر التفسير العام القائل بأن المشاريع فشلت في توليد الدعم المحلي الكافي وأن هذا الدعم غير مرض؛ لأن الظروف لم تكن سائدة في جميع المواقع. وعلى حد وصف الباحث، كان الدعم المحلي موجوداً ولكن المسؤولين الفيدراليين لم يصرحوا بالأهداف الطموحة، ومن ثم كان هناك درجة من الفشل المؤكد. ونتيجة لهذا، يبني الباحث تفسيراً معدلاً ويستخلص الاستنتاج القائل بأن مشروع الأراضي الفائضة فشل؛ لأن الحكومة الفيدرالية كان نفوذها محدوداً على المستوى المحلي، ولأنها أيضاً وضعت أهدافاً مستحيلة.

٣٢-ب: دراسة عن المجتمعات المتعددة

يستخدم كتاب (Barrington Moore,1966) منهجاً تحليلياً مشابهاً لمنهج (Dirthick, 1972) في تاريخه عن الأصول الاجتماعية للديكتاتورية والديموقراطية. ويقدم الكتاب مثالاً توضيحياً لبناء التفسير في دراسات الحالة المتعددة، على الرغم من أن الحالات كانت أمثلة تاريخية.

ويغطي الكتاب الانتقال من مجتمعات زراعية إلى مجتمعات صناعية في ستة دول مختلفة وهي: إنجلترا، فرنسا، الولايات المتحدة الأمريكية، الصين، اليابان، الهند، ويغطي أيضاً التفسير العام لدور الطبقات العليا وسكان الريف، والذي أصبح موضوعاً أساسياً وجزءاً جوهرياً في مجال التاريخ.

الطبيعة المتكررة لبناء التفسـير: لم يتم التوثيق الجيـد في المصطلحات الإجرائية لعملية بناء التفســير، فيما يتعلق بدراســات الحالة التفســيرية. ورغم ذلك، من المحتمل أن يكون التفسير النهائي نتيجة لسلسة من عملية التكرار:

- تقديم عبارة نظرية أوَّلية أو افتراض تفسيري أوَّلي.
- مقارنة نتائج الحالة الأوَّلية مع العبارة النظرية أو الافتراض.
- إعادة صياغة العبارة النظرية أو الافتراض.
- مقارنة تفاصيل الحالة الأوَّلية بعملية مع إعادة الصياغة في الخطوة السابقة.
- مقارنة إعادة الصياغة مع النتائج المستخلصة من حالة ثانية أو ثالثة أو أكثر.
- إعادة تكرار هذه العملية مرات عديدة عند الحاجة.

بهــذا المعنى، قد لا يكون التفســير النهائي قــد تم تحديده في بداية الدراســة، وبالتالي يختلــف عن طرق تطابق الأنماط التي تم وصفها من قبل. وبدلاً من ذلك، أثناء فحص أدلة دراســة الحالة، تتم إعادة صياغة الافتراضات التفســيرية ، ويتم فحص الأدلة مرة أخرى من منظور جديد بهذا الأسلوب المتكرر. فإذا كنت تقوم بدراسة حالة فردية، لن ينتهي الإجراء بصــورة نهائية، ولكنها قد تكون مقنعة بشــكل أكثر إذا طبقت التفســير الــذي تم إعادة صياغته على حالات إضافية، كجزء من دراسة الحالة المتعددة.

ويتشابه البناء التدريجي للتفسير مع عملية إعادة تشكيل الأفكار، حيث يكون الجانب المهــم مــرة أخرى الأخذ في الاعتبار التفســيرات المناظرة والمعقولة الأخــرى. وكما أوضحنا في الســابق، يتمثــل الهدف في توضيح كيــف لا يمكن دعم التفســيرات المناظرة بالنظر إلى المجموعة الفعلية لنتائج دراسة الحالة.

المشــكلات المحتملة لبناء التفســير: أشــار بعض الباحثين إلى تحديات ومشكلات لهذه العمليــة المتكــررة، كما هــو في التقديم المعمق والتفســير المفيد لــ (Vaughan, 1992) لمفهومها عن " النظرية التوســعية ـ Theory elaboration " . وبشكل عام، لا بد أن تتنبه إلى أن هذه الطريقة لتحليل دراســة الحالة محدودة بالمخاطر. فينبغي أن يكون لدى من يقوم ببناء التفســيرات عمق الرؤية في التحليل والحساسية. على سبيل المثال، عندما تقدم

عمليــة بناء التفســيرات المتكررة، قد ينحــرف الباحث قليلاً عــن الموضوع الأصلي محل الاهتمام. والأسوأ من ذلك، قد يتسرب التحيز الانتقائي غير المرغوب إلى العملية، مما يؤدي إلى تفسير يقلل من أهمية بعض البيانات الرئيسية أو يتجاهلها.

وللتقليل من تلك المخاطر، عليك التحقق من الغرض الأصلي بشــكل متكرر من تســاؤلك البحثي، والاستفادة من الزملاء من خارج الجامعة مثلاً كأصدقاء مميزين في النقد، وباستمرار اختــبر التفســيرات البديلة الممكنــة. وقد غطى (الفصــل الثالث والرابع) بعــض الإجراءات الاحترازية، مثل استخدام بروتوكول دراسة الحالة (موضحاً ما هي البيانات التي يتم جمعها)، وإنشــاء قاعدة بيانات دراسة الحالة لكل حالة (تنظيم وفرز البيانات التي تم جمعها بشكل رسمي، وجعلها متاحة لكي يختبرها طرف ثالث)، واتباع سلسلة من الأدلة.

تمرين ٥-٣ : بناء التفسير

حــدد بعــض التغيرات القابلة للملاحظة التي تحدث في الحي الســكني الذي تعيش فيه (أو أي حي قريب منك). اعمل على تطوير تفسير لهذه التغيرات، وحدد مجموعة الأدلة الهامة التي تريد جمعها لدعم أو رفض هذا التفســير. هل ســيكتمل تفســيرك إذا كانت الأدلة متاحة ؟ هل سيكون مقنعاً ؟ هل سيفيد في دراسة تغيرات مشابهة في حي سكني آخر ؟

٣. تحليل السلسلة الزمنية:

يعتبر إجراء تحليل السلسلة الزمنية هو الطريقة الثالثة للتحليل، وهي مماثلة لتحليل السلسلة الزمنية الذي يتم إجراؤه في التجارب العملية وشبه التجارب. وقد يتبع هذا التحليل أنماطاً عديدة معقدة، والتي كانت موضوع المراجع العلمية في مجال علم النفس التجريبي والإكلينيــكي ذات الموضوعات الفردية.(انظــر: Kratochwill,1978). ويمكن للقارىء الذي لديه اهتمام في هذه الموضوعات الاطلاع على تلك المراجع العلمية لمزيد من الارشادات التي تحتوي على بعض التفاصيل. وكلما كان النمط دقيقاً ومعقداً، قدم تحليل السلسلة الزمنية أساساً ثابتاً لاستنتاجات دراسة الحالة.

السلسلة الزمنية البسيطة: مقارنةً بتحليل الأنماط المتشابهة الأكثر عمومية، يمكن أن يكون تصميم السلسلة الزمنية أكثر بساطة بمعنى واحد حيث إنه في السلسلة الزمنية قد يكون هناك متغير واحد تابع أو مستقل. وفي هذه الظروف، عندما يتم تمثيل المتغير الواحد بعدد كبير من نقاط البيانات الزمنية، يمكن استخدام الاختبارات الإحصائية لتحليل البيانات (انظر Kratochwill, 1978).

ورغم ذلك، قد يكون النمط أكثر تعقيداً ، وبمعنى آخر لأن نقاط البداية أو النهاية المناسبة لهذا المتغير الواحد ربما لم تكن واضحة. وكنتيجة واحدة ممكنة، قد تكون نقاط البيانات المتاحة جزءاً مقتطعاً أو (مختصراً) من توجه واسع و(معارض). وبرغم هذه المشكلة، تعتبر القدرة على تعقب التغيرات عبر الوقت ضمن المزايا الرئيسية لدراسات الحالة، التي لا تقتصر على تقييمات متعددة أو ثابتة لموقف معين فإذا تم تعقب الأحداث على مرور الوقت بصورة مفصلة ودقيقة، فقد يكون تحليل السلسلة الزمنية دائماً ممكناً، حتى وإن تضمّن تحليل دراسة الحالة بعض الطرق التحليلية الأخرى أيضاً (انظر مربع ٣٣).

مربع (٣٣)

استخدام تحليل السلسلة الزمنية في دراسة الحالة الفردية

في مدينة نيويورك، وبعد حملة موازية لجعل أنفاق قطارات المترو أكثر أماناً بالمدينة، اتخذ مركز الشرطة إجراءات عديدة لخفض معدل الجرائم على نطاق واسع. وشملت تلك الإجراءات: تجريم الانتهاكات الطفيفة (استعادة النظام والمحافظة عليه)، وإنشاء نظم مراقبة الجريمة المعتمد على الحاسب الآلي، وإعادة تنظيم مركز الشرطة لمحاسبة الضباط على مراقبة وضبط الجريمة.

ويصف كل من (Kelling & Coles,1997) جميع هذه الإجراءات أولاً بالتفصيل لجعل أثرها المحتمل على خفض معدل الجريمة مفهوماً ومعقولاً. وتقدم دراسة الحالة بعد ذلك سلاسل زمنية للمعدلات السنوية لأنواع معينة من الجرائم لفترة زمنية امتدت لسبعة أعوام. وأثناء تلك الفترة ارتفع معدل الجريمة لعامين ثم انخفض في المدة الباقية. وتفسر دراسة الحالة كيف تزامن (تطابق) توقيت الإجراءات ذات الصلة التي اتخذتها الشرطة مع التغيرات التي طرأت على اتجاهات الجريمة. ولذا؛ يستشهد الباحثان بمعقولية آثار الإجراءات بالإضافة إلى توقيتها بالنسبة إلى التغيرات في اتجاهات الجريمة لدعم تفسيرهم في خفض معدلات الجريمة بمدينة نيويورك في ذلك الوقت.

المنطق الأســاسي الكامن في تصميم السلســلة الزمنية هو التطابق بين الاتجاه الملاحظ (التجريبــي) وبين أي من الأمور التاليــة : (أ) الاتجاه النظري الهام الــذي تم تحديده قبل البحــث، (ب) الاتجــاه المناظــر الذي تم تعيينه أيضــاً من قبل. وعلى ســبيل المثال، يمكن افتراض نمطين زمنيين متعارضين داخل نفس دراســة الحالة الواحدة، وهذا ما فعله بالضبط (Campbell, 1969) في دراســته المشهورة عن تغيير قانون حد السرعة في ولاية كونيتيكت الأمريكية، الذي ينص على تقليل السرعة القصوى إلى (٥٥) ميلاً في الســاعة في عام ١٩٥٥م. وقامت السلســلة الزمنية المتنبأ بهــا للتحليل على افتراض أن القانــون الجديد (انقطاع في السلســلة الزمنية)، خفَّض إلى حدٍ كبير عدد الوفيات، بينما قام نمط السلسلة الزمنية الآخر عــلى فرضية أن هذا التأثير لم يحدث منذ ســنوات قبل وبعــد تطبيق القانون الجديد. بعد ذلك، تم تحديد أي من السلاســل الزمنية البديلة يتناســب أو (يتطابق) بشــكل أفضل مع الأدلة التجريبية. ويمكن استخدام مثل هذه المقارنة للسلاسل الزمنية المنقطعة داخل دراسة الحالة في مواقف عديدة ومختلفة.

كما يمكن اســتخدام نفس المنطق في إجراء دراســة حالة متعددة مع ذات أنماط سلسلة زمنية متباينة مقترحة لحالات مختلفة. وعلى ســبيل المثال، اختبرت إحدى دراســات الحالة التي كانت حول التنمية الاقتصادية في المدن، الأسبابَ التي توضح كيف كان للمدينة القائمة على التصنيع اتجاهات سلبية في التوظيف، أكثر من اتجاهات المدينة القائمة على الخدمات. وتتكون بيانات النتائج الوثيقة الصلة من بيانات التوظيف الســنوية لفترة محددة مســبقاً، عشر ســنوات مثلاً. ففي المدينــة القائمة على التصنيع، قد يكون اتجــاه التوظيف المتنبأ به منخفضاً، بينما يكون مرتفعاً في المدينة القائمة على الخدمات. ويمكن تصور التحليلات المشابهة بالنســبة إلى تحليل العصابات الشــبابية عبر الوقت داخل المــدن ،والحالة الصحية (معدل وفيات الأطفال حديثي الــولادة)، وتحليل اتجاهات ترتيب الجامعات بالإضافة إلى مؤشرات أخرى. مرة أخرى، مع البيانات الزمنية المناسبة، يخضع تحليل الاتجاهات للتحليل الإحصائي. فمثلاً، قد تحسب المنحدرات لتغطي الاتجاهات الزمنية تحت ظروف مختلفة (مثل: مقارنة اتجاهــات التحصيل الدراسي في المدارس مع مناهج مختلفة)، ومقارنة المنحدرات لتحديد ما إذا كانت الفروق ذات دلالة إحصائية (انظر: Yin, Schmidt & Besag, 2006). وكطريقة أخرى، يمكن اســتخدام تحليل انقطــاع الانحدار لاختبار الفــروق في الاتجاهات، قبل وبعد حدث جوهري، مثل: إصدار قانون جديد للحد من السرعة (Campbell, 1969).

السلســلة الزمنية المعقدة: قد تكون تصميمات السلســلة الزمنية أكثر تعقيداً عندما يفترض أن الاتجاهــات داخل حالة معينة أكثر تعقيداً. فعلى ســبيل المثــال، يمكنك افتراض ليس فقط اتجاه متصاعد أو منحدر (أو مســتوي)، ولكن أيضاً ارتفاعاً يتبعه بعض الانحدار داخل نفس الحالــة. وقد يكون هــذا النوع من الأنماط المختلطــة، عبر الوقت، بداية سلســلة زمنية أكثر تعقيــداً. وتتطلب الطرق الإحصائية ذات الصلة اســتخدام نماذج غــير خطِّية. وكما هو الحال دائماً، لا تتمثل قوة بحوث دراســة الحالة فقط في تقييم هذا النوع من السلاســل الزمنية (مع الإحصائيات أو بدونها) ، ولكن في تطوير تفسير أكثر إثراءً للسلسلة الزمنية المعقدة.

وتنشــأ التعقيدات الكبرى أيضاً عندما ترتبط مجموعة من المتغيرات المتعددة بدراســة حالــة ـــ وليس فقط مجموعة واحدة من المتغيرات ـ وأيضــاً عندما يكون لكل متغير يتم التنبــؤ به نمط مختلف مع مرور الوقت. وقد توجد مثل هذه الظروف في دراســات الحالة المضمنة، ولكن البيانات الشاملة أيضاً تغطي وحدة مضمنة من التحليل وذلك عندما تتعلق دراسة الحالة بحالة فردية (انظر الفصل الثاني، شكل ٢-٣). ومن ناحية أخرى، يحتوي مربع (٣٤) على مثالين في هذا الجانب.

المثال الأول (انظر مربع ٣٤ أ) دراسة حالة واحدة عن نظام مدرسي واحد، إلا أن النماذج الهرمية الخطية استخدمت لتحليل بيانات التحصيل الدراسي لمجموعة من الطلاب. والمثال الثــاني (انظر مربع ٣٤ ب) كان حول إســتراتيجية إعادة تطوير وتأهيل حي ســكني واحد والتــي طبقــت في عدة أحياء، حيث اســتخدم الباحثون نماذج الانحــدار الإحصائي لتحليل الاتجاهات الزمنية لأســعار المبيعات لمنازل الأسرة الواحدة في الأحياء المســتهدفة والمقارنة، وبالتالي، تقييم نتائج إستراتيجية واحدة.

وبوجهٍ عام، على الرغم من أن السلســلة الزمنية الأكثر تعقيداً تســبب مشــكلات كثيرة بالنســبة إلى جمع البيانات، لكنها أيضاً تقــود إلى اتجاه أكثر دقة في التفاصيل (أو مجموعة مــن الاتجاهــات) وهذا يمكن أن يؤدي إلى تحليل أقوى. كما أن أي تطابق لسلســلة زمنية متنبَّأ بها مع سلسلة زمنية حقيقية سيؤدي إلى تقديم أدلة أفضل للافتراض النظري، خصوصاً إذا كانت كلتا السلسلتين معقدتين.

مربع (٣٤)

تحليل السلسلة الزمنية الأكثر تعقيداً: استخدام الأساليب الكمية

عندما تتضمن دراسات الحالة الفردية وحدة تحليل مضمنة

٣٤-أ: تقييم تأثير إصلاح منظومة التعليم

قـام (Sabovitz & Taylo, 2005) بدراســة حالة عن إحدى المـدارس بمقاطعة دوفال بولاية فلوريدا، حيــث كان طلاب المنطقة التعليمية يعملون كوحدة مضمنة للتحليل. واســتمر التحليل الكمي لدرجات التحصيل الدراسي للطلاب أربعة أعوام وذلك باســتخدام النماذج الهرمية الخطية التي تم ضبطها لعوامل خارجية، وأوضح هذا التحليل أدلة قليلة على تأثيرات المنظومة المســتديمة على تعليم الطلاب مقارنةً بالمناطق التعليمية الأخرى.

وتشمل دراسة الحالة مجموعة ثرية من الملاحظات الميدانية ودراسات مسحية لمدراء المدارس، لمتابعــة صعوبات تنفيــذ تغييرات المنظومــة قبل وأثناء فــترة الأربعة أعوام. ويناقــش الباحثون بالتفصيل وجهات نظرهم بشأن إصلاح منظومة التعليم والـتأثيرات على المقيّمين ـ وأن مثل هذا " التدخل" من الصعب احتواؤه ذاتيًا ، وأن تقييمه قد يحتاج إلى تبني البيئة المؤسسية بشكل واسع خارج عمل النظام المدرسي بحد ذاته.

٣٤-ب: تقييم إستراتيجية إعادة تطوير وتأهيل الحي السكني

لا يقــدم كل مــن (Galster, Tatian, & Accordino ,2006) عملهم كدراســة حالة، بل كان هدف دراســتهم تقييم إســتراتيجية واحدة لإعادة تطوير وتأهيل حي سكني (كما في دراسة حالة واحدة) في مدينة ريتشــموند بولاية فرجينيا. وتعرض الدراسة مبررات الإستراتيجية وتاريخ تطبيقها والاستنتاجات الرئيسية المتعلقة بإستراتيجية إعادة تطوير وتأهيل الحي. ومع ذلك، لا يزال التركيز الملحوظ للتحليل على ما يمكن اعتباره وحدة مضمنة للتحليل، وهي : أســعار المبيعات بالنسبة إلى مســاكن الأسرة الواحدة. أما بالنسبة إلى تصميم التقييم العام، فيمكن تطبيقه على مجموعة كبيرة من دراســات الحالة المضمنة. ومن أجل اختبار فعالية إســتراتيجية إعــادة تطوير وتأهيل الحي، اســتخدم الباحثون نماذج الانحدار لمقارنة اتجاهات السلسلة الزمنية قبل وبعد التدخل بين أسعار العقــارات في الأحياء المســتهدفة والمقارنة. وأظهرت النتائج أن إســتراتيجية إعادة تطوير وتأهيل الحي أحدثت فعلياً تقديراً أكبر بكثير في القيم السوقية لمنازل الأسرة الواحدة في المنطقة المستهدفة أكثر من المنازل (المقارنة) في الأحياء الفقيرة المماثلة.

التسلســل المرتب زمنيــاً: يعتبر إعداد الأحداث المرتبة زمنياً طريقة متكررة في دراســات الحالــة، كما تعتبر نوعــاً خاصاً من تحليل السلســلة الزمنية. مرة أخرى، يركز التسلســل الزمني مباشرة على الميزة الرئيسية لدراسات الحالة المشار إليها سابقاً ــ أي دراسات الحالة التي تسمح للباحث بتعقب الأحداث مع مرور الوقت.

لا ينبغي التفكير في تصنيف الأحداث في سلســلة زمنية مرتبة كوسيلة وصفية فقط، بل يشــمل الإجراء هدفاً تحليلياً آخر، أي البحث في الأحداث الســببية المفترضة لأن التسلسل الأساسي للسبب والنتيجة لا يمكن وضعه في ترتيب معاكس بصورة مؤقتة. علاوة على ذلك، من المحتمل أن يغطي التسلســل المرتب زمنياً أنواعاً مختلفة من المتغيرات، ولا يقتصر على متغير واحد سواء مستقل أو تابع. ويعني هذا أن التسلسل المرتب زمنياً قد يكون ثريًّا وذا نظرة ثاقبة مقارنةً بطرق السلســلة الزمنية العامة. والهدف التحليلي هو مقارنة التسلســل الزمني مع ذلك الذي تنبأت به بعض النظرية التفسيرية ــ حيث حددت النظرية واحدًا أو أكثر من أنواع الشروط التالية :

- بعض الأحداث يجب دائماً أن تحصل قبل أحداثٍ أخرى، حيث يستحيل عكس التسلسل الزمني.
- بعض الأحداث يجب دائماً أن يتبعها أحداث أخرى بصفة طارئة.
- بعض الأحداث يمكن أن تَتْبع أحداثاً أخرى بعد فترة زمنية محددة مسبقاً.
- قد تتميز فترات زمنية معينة في دراســة الحالة بفئات من الأحداث، التي تختلف بصورة جوهرية عن فئات تتعلق بفترات زمنية أخرى.

وفي حالة اتباع الأحداث الحقيقية لدراســة الحالة، كما وثَّقها وحددها الباحث لتسلسل الأحداث المتنبَّأ بها وليس تسلسلاً مقنعاً أو مناظراً، قد تصبح دراسة الحالة الفردية مرة أخرى هي الأساس الأولي للاستنتاجات السببية. ومن خلال المقارنة مع الحالات الأخرى، إضافة إلى الأخذ في الاعتبار بشكل صريح تهديدات الصدق الداخلي، يتم تعزيز هذا الاستنتاج.

ملخص شــروط تحليل السلســلة الزمنية: بصرف النظر عن الطبيعة المشروطة للسلاســل الزمنية، يظل الهدف المهم لدراســة الحالة هو اختبار بعض أسئلة (كيف) و (لماذا) المتعلقة

بعلاقــة الأحداث بمرور الوقت، وليس فقط ملاحظة الاتجاهات الزمنية وحدها. أما الانقطاع الذي يحدث في السلســلة الزمنية، فسيكون مناسباً لافتراض علاقات سببية محتملة. وبصورة مماثلة، ينبغي أن يحتوي التسلسل المرتب زمنياً على افتراضات سببية.

في تلــك المواقف التي يكون فيها اســتخدام تحليل السلســلة الزمنية مرتبطاً بدراســة الحالة، يكون هناك ميزة أساســية تتمثل في تحديد المؤشرات ليتم قياسها مع مرور الوقت، بالإضافــة إلى تحديد الفترات الزمنية التي يــراد تغطيتها، وكذلك العلاقات الزمنية المفترضة بين الأحداث، وذلك قبل جمع البيانات الحقيقية. وكنتيجة لهذا التحديد المسبق، يتم جمع البيانات ذات الصلة في المقام الأول، ولكن بدرجة أقل في دقة التحليل والتحيز الأقل أيضاً.

وبالعكس تماماً عما ســبق، إذا كانت دراســة ما مقتصرة على تحليل الاتجاهات الزمنية وحدهــا كما في الطريقة الوصفية التي تكون فيها الاســتنتاجات الســببية غير مهمة، فمن المحتمل أن لا تكون استراتيجية دراسة الحالة ذات صلة، مثل: التحليل الاقتصادي لاتجاهات ثقة المســتهلك بمرور الوقت. وعلينا أن نلاحظ أيضاً أنه بدون فرضيات أو افتراضات سببية، قد يصبح الترتيب الزمني معرضاً لخطر التحول إلى مجرد سرد تاريخي للأحداث، أي تفسيرات وصفية لأحداث تفتقد للقيمة التفسيرية.

تمرين ٥-٤ : تحليل اتجاهات السلسلة الزمنية

حدد سلســلة زمنية بسيطة. على سبيل المثال، عدد الطلاب الملتحقين في الجامعة التي تدرس بهــا في العشرين عاماً الماضية. كيف تقارن فترة زمنية واحــدة بأخرى خلال فترة العشرين عاماً؟ إذا تغيرت سياســة القبول في الجامعة أثناء هذه الفترة، فكيف تقارن آثار تلك السياسات؟ وكيف يعتبر هذا التحليل جزءاً من دراسة حالة واسعة حول الجامعة؟

٤. نماذج المنطق:

مثلــت الطريقة الرابعة أهمية كبيرة في الســنوات الأخيرة، خصوصــاً فيما يتعلق بعمل تقييمات دراســة الحالة (مثل: Mulroy & Lauber, 2004) ودراسة نظريات التغير (مثل: Funnel & Rogers، 2011). يشــترط نموذج المنطق ويطبق سلسلة معقدة من الوقائع أو

الأحـــداث عبر فترة طويلة من الزمن. حيث يتم تنظيم الأحداث في أنماط الســـبب والنتيجة المتكـــررة، والتي من خلالها يصبح المتغير التابع (الحدث) في المرحلة الأولى المتغير المســـتقل (الحدث الســـببي) للمرحلة التاليـــة (Peterson & Bickman, 1992; Rog & Huebner, 1992). أيضاً أوضح الباحثون مزايا تطوير نماذج المنطق بصورة تعاونية ــ أي عندما يتعاون الباحثـــون والمســـؤولون في تنفيذ برنامج قيد الدراســـة لتحديد نموذج منطـــق هذا البرنامج (انظـــر: Nesman, Batsche & Hernandez, 2007). وقد تســـاعد هذه العملية مجموعة العمـــل في تحديد رؤيته وأهدافه بشـــكل أكثر وضوحاً، بالإضافة إلى تحديد كيف ســـيحقق تسلسل الأحداث البرامجية الأهداف (نظريًّا).

وكطريقة تحليلية، يتكون استخدام نماذج المنطق من مطابقة الأحداث الملاحظة تجريبيًّا بالأحـــداث المتنبَّأ بها نظريًّا. ومن الناحية النظرية، قد تنظر إلى طريقة نموذج المنطق كنوع آخر مـــن تطابق الأنماط. ولكن، نظراً لطبيعة مراحلها التسلســـلية تســـتحق نماذج المنطق تميزها كطريقة تحليل مستقلة عن تطابق الأنماط.

ويعتـــبر (Joseph Wholey, 1979) أحد رواد مطوري نمـــاذج المنطق كطريقة للتحليل، حيـــث بدأ بترويج فكرة نموذج منطق البرنامج من خلال تعقب الأحداث، وذلك عندما يهدف تدخـــل برنامـــج حكومي عام لصنع نتيجة معينة أو سلســـلة من النتائـــج. وفي البداية، يصنع التدخـــل أنشـــطة ذات نتائج مباشرة، وهـــذه النتائج المباشرة بدورها تـــؤدي إلى بعض النتائج الوسيطة التي من المفترض أن تقود إلى نتائج نهائية أو ختامية.

ولتوضيـــح نمـــوذج (Joseph Wholey, 1979) بمثال افتراضي، خـــذ في الاعتبار التدخل المدرسي الهادف إلى تحســـين الأداء الأكاديمي للطلاب. ويتضمن التدخل الافتراضي أنشـــطة صفية جديدة في الساعة الإضافية من اليوم الدراسي (التدخل)؛ حيث إن تلك الأنشطة توفر الوقـــت للطلاب لكي يتعاونوا مـــع زملائهم في بعض التمارين المشـــتركة (النتيجة المباشرة). وتلك النتيجة المباشرة دليل على زيادة الفهم والرضا بالعملية التعليمية من جانب الطلاب المشـــاركين وزملائهم والمعلمين (النتيجة الوسيطة). وفي النهاية، تقود التمارين والرضا لدى الطلاب إلى زيادة تعلمهم لمفاهيم رئيسية محددة، ومن ثم يبرهنون على اكتسابهم المعرفة من خلال الحصول على درجات عالية في الاختبارات (النتيجة النهائية).

يبين هذا المثال كيف يســاعد نموذج المنطق في تفســير النتيجة النهائية، متجاوزاً بذلك إمكانية التصميم التجريبي الشــائع، الذي بشــكل أســاسي فقط يختــبر العلاقة بين وجود تدخل المدرســة وحدوث درجات الاختبار المرتفعة. وبســبب عدم القدرة على تفسير كيف أحدث التدخل النتيجة النهائية، أُعتبر مثل هذا التصميم التجريبي بشــكل شائع بما يسمى طريقة تقييم " black box" أو الصندوق الأسود (Rogers, 2000, p.213) ـ وتعتمد هذه الطريقــة على مدخلات البرنامج ومخرجات البرنامج دون النظر في ما يجري داخل البرنامج. وباستخدام نماذج المنطق، تستطيع بحوث دراسة الحالة فتح الصندوق الأسود.

وإذا تجاوزنــا منهج (Joseph Wholey, 1979)، واســتخدمنا إســتراتيجية التفســيرات المناظــرة المعقولة التي نتبناها في هذا الكتاب، فإن التحليل أيضاً يمكن أن يتضمن سلســلة من الأحداث المناظرة بالإضافة إلى الأهمية المحتملة للأحداث الخارجية العرضية. وإذا عدنا الآن إلى المثال السابق، إذا دعمت البيانات الدور المتوقع للساعات الدراسية الإضافية، وإذا لم يمكن إثبات بيانات مناظرة، فإنه يمكن أن يفترض التحليل علاقةً سببية بين تدخل المدرسة الأولي ونتائج الاختبارات الأخيرة. وبدلاً من ذلك، يمكن اســتخلاص النتيجة التي تشير إلى أن السلســلة المحددة للأحداث كانت غير منطقية ـ على ســبيل المثال، تضمن تدخل المدرسة طلاباً أثناء الفصل الدراسي، وقبل الفصل الذي تم فيه تقييم عملية التعلم. وفي هذا الموقف، يمكن أن يساعد نموذج المنطق على تفسير النتيجة العرضية.

وتنطبــق نمــاذج منطق البرامج على مواقف أو ظروف متنوعــة، مثل : الأبحاث المتعلقة بالتغيــير التنظيمــي (Burke, 2007) أو المجتمعــات المحليــة والتنميــة الاقتصادية (مثل: Phillips & Pittman, 2009)، وليس فقط المواقف التي يكون فيها التدخل موضوع دراسة الحالة. والعنصر الأســاسي لهذه النماذج هو الجدل حول تسلســل السبب والنتيجة المتكررة للأحداث المترابطة مع بعضها البعض. واســتناداً إلى عدد الحالات الموجودة في دراسة الحالة، يكون تحليل العلاقات أو الروابط بينها كيفيًّا أو كميًّا.

يقارن التحليل الكيفي أولاً التجانس بين التسلسل الملاحظ والتسلسل المشروط الأصلي لكل حالة، وعند ذلك يُثبت (أو يرفض أو يعدل) التسلسل الأصلي. أما التحليل الكامل، فإنه بعد ذلك يستمر ليقدم البيانات الكيفية، ويفسر بطريقة عادلة لماذا تم التأكيد (أو الرفض

أو التعديل). وبالنسبة للتحليل الكمي، فهو يتبع نفس إستراتيجية التحليل، ولكن يعتمد على عدد كبير من الحالات، ومع العدد الكبير من الحالات تكون المقارنة الأولية باستخدام نموذج المسار، مثل: نموذج المعادلة البنائية (Bryk, Bebring, Kerbow, Rollow, & Easton, 1998). وبعد التأكيد (أو رفض أو تعديل) التسلسل الأصلي، يضيف التحليل مرة أخرى بيانات جديدة، التي من المحتمل أن تفترض شكل المتغيرات المختلفة التي تضاف إلى نموذج المعادلة البنائية الأوَّلية لتفسير سبب التأكيد (أو الرفض أو التعديل).

وتنطبق إستراتيجيات التحليل الكيفية والكمية على الأنواع الثلاثة من نماذج المنطق التي ستتم مناقشتها لاحقاً، وتختلف تلك الأنواع الثلاثة وفقاً لنوع (الحالة) في دراسة الحالة، أي وحدة التحليل.

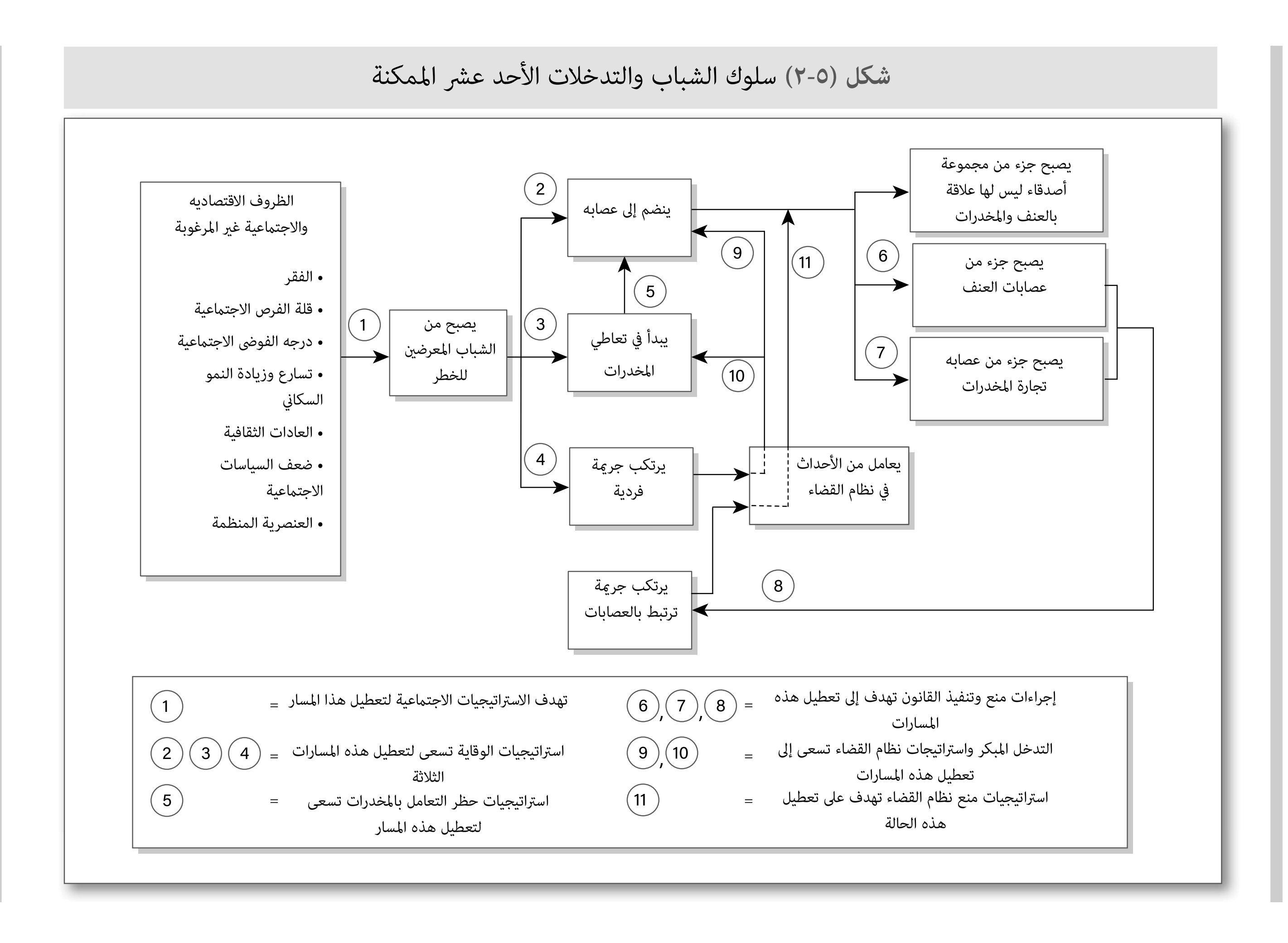
ولأغراضٍ توضيحية، تصف الرسوم البيانية تسلسلاً خطيًّا أو تقدم الأحداث مع مرور الوقت. ولذا؛ يمكن أن يخدم مثل هذا التفسير المباشر بصورة تخطيطية احتياجات معظم دراسات الحالة على الرغم من أن الأحداث الحقيقية بالتأكيد أكثر تعقيداً. ولكن، بالنسبة إلى الذين يرغبون التعمق في التعقيدات الرسومية، توضح الجلسة الدراسية (٥-٢) نموذجاً منطقيًّا أكثر تعقيداً وغير خطِّي. والأكثر أهمية من الرسوم البيانية في حد ذاتها هو التقدير المتزايد في أن تحليل دراسة الحالة يمكن أن يفحص الترابطات غير الخطية والعلاقات المتبادلة، كما تم وصفه في استخدام دراسات الحالة في مجال الرعاية الصحية (Anderson,Crabtree, Steele & McDaniel, 2005; Anaf, Drummon, Sheppard 2007) ومجال إدارة الأعمال مثل (Dubois & Gadde, 2002).

نموذج المنطق على مستوى الأفراد: يفترض النوع الأول من نماذج المنطق أن دراسة الحالة تتعلق بـ (فرد واحد)، حيث يصور الشكل (٥-٢) الدورة السلوكية للمواقف أو الأحداث لـ (شاب) افتراضي. وتتوالى الأحداث عبر مجموعة من المربعات والأسهم التي تُقرأ من اليسار إلى اليمين في الشكل (٥-٢). حيث يشير الشكل إلى أن الشاب مُعرض للخطر عندما يتحول إلى فرد في عصابة شبابية أو ينضم في نهاية المطاف إلى هذه العصابة، ويتورط في أعمال العنف والمخدرات، ولاحقاً، يمكن أن يشارك في ارتكاب الأعمال الإجرامية المرتبطة بالعصابة. ويتضمن نموذج المنطق أحد عشر رقماً مرتبطاً بالأسهم المختلفة في الشكل، وكل

رقــم يمثــل فرصة من خلال نوع مــن التدخل المخطط له من (المجتمــع المحلي أو برنامج حكومي عام)؛ لمنع الفرد (الشــاب) من الاستمرار في مسار الأحداث. فمثلاً، قد توفر برامج تنمية المجتمع المحلي (رقم ١) بعض الوظائف والإســكان الجيد في الأحياء السكنية، وتقلل احتمالات تعرض الشباب إلى الخطر في المقام الأول.

وإذا تم تجاهل هذه التدخلات لوقت قصير، قد تتبع دراسة الحالة بشكل بسيط مسار الشاب من خلال التسلسل المشروط للمربعات في شكل (٥-٢)، الذي ينتهي بارتكاب الشاب جريمــة مرتبطة بالعصابة (ربما تتبع كباحث التسلســل بالعودة الى الماضي وجمعت بيانات ماضية (بأثر رجعي) عن الشــاب الذين ارتكب بالفعل مثل هذه الجريمة)، وربما تكتشــف دراسة الحالة أن التسلسل لم يكن دقيقاً، وبعد تحليل المسارات التي تم اتخاذها لعدد من الشــباب (النسخ المتماثل)، قد تصل دراسة الحالة إلى تسلســل جديد. وإذا قدمت دراسة الحالــة رؤى ووجهات نظر جديدة خاصة بتنمية الشــباب، فإن النتائج قدمت مســاهمة للمعرفة الجديدة للبحث العلمي أو لأغراض تطبيقية.

وبدلاً من ذلك، قد تركز دراسة الحالة على أحد عشر تدخلاً في شكل (٥-٢)، ويقوم التحليل باختبــار كيف يواجه شــاب معين أو يتعامل مع هــذه التدخلات، ومن ثم يقــوم بالتأكيد أو الوصول إلى اســتنتاجات جديدة حول دور هذه التدخلات. وسواء تناول الباحث مسار الشاب من خلال تسلســل المربعات وحدها أو من خلال التدخلات سيمكنه أن يرى كيف يمثل نموذج المنطق النظرية الأوَّلية بشأن الحالة (أو الحالات)، وبعد ذلك يقدم إطاراً لتحليل البيانات.



شكل (٥-٢) سلوك الشباب والتدخلات الأحد عشر الممكنة

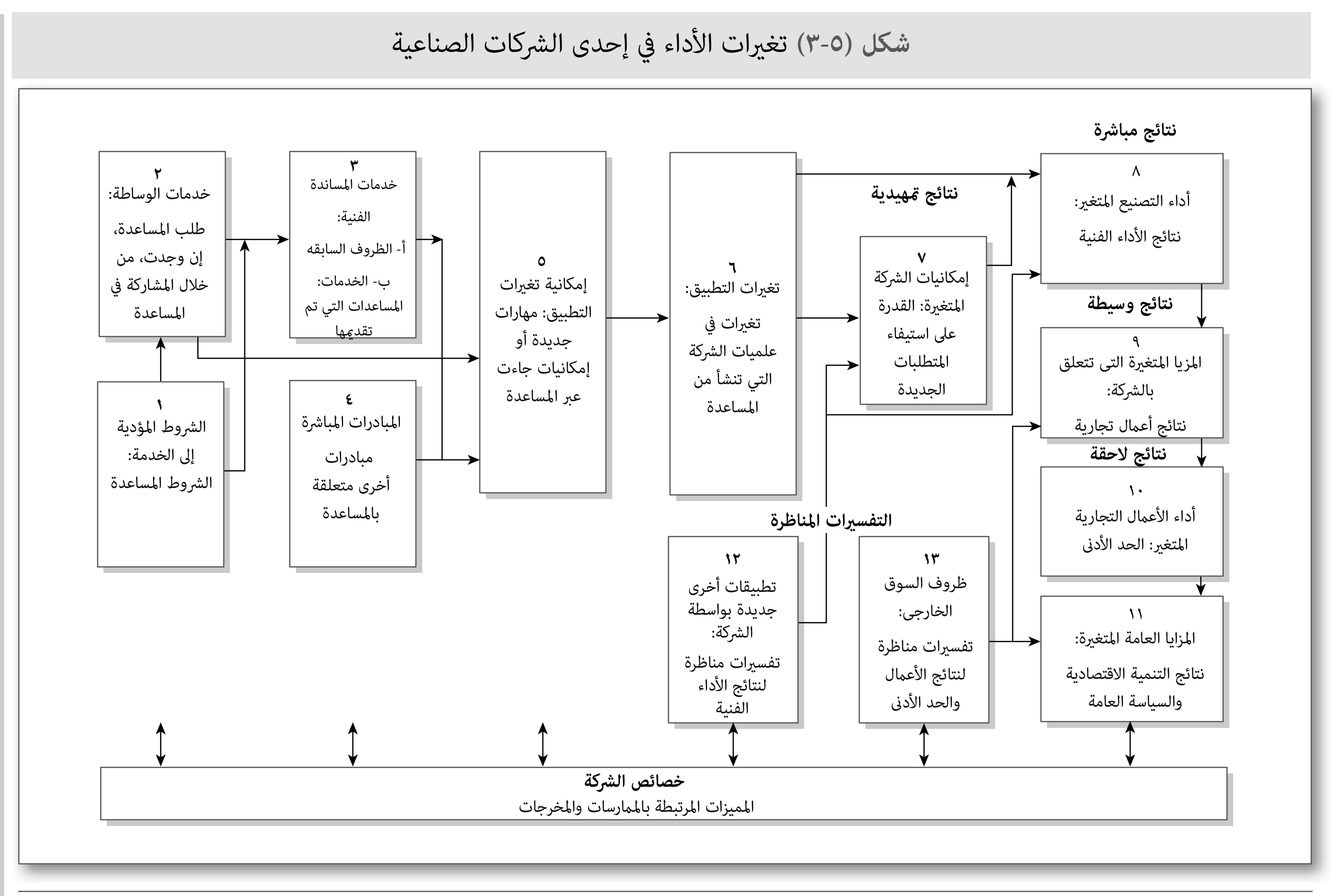
نموذج المنطق على المســتوى التنظيمي أو مســتوى الشــركات: النوع الثاني من نماذج المنطق يتتبع الأحداث في منظمةٍ ما، مثل : شركة صناعية على سبيل المثال. ويوضح الشكل (٥-٣) افتراض كيف تؤدي التغيراتً في الشركة (انظر المربع ٥ و٦ في شــكل ٥-٣) إلى تحسين التصنيع (المربع ٨ - في نفس الشــكل)، وفي النهاية تقود إلى تحســين أداء الأعمال التجارية (المربــع ١٠ و١١). ويعكس توالي المربعات فرضية معينــة، هي أن التغيرات الأوَّلية كانت نتيجة أعمال الوساطة المالية الخارجية وخدمات المساعدة التقنية (المربع ٢ و٣). وبالنظر إلى هــذه الفرضيــة، يحتوي نموذج المنطق علاوة على ذلك تفســيراتٍ مناظرة أو منافســة (المربــع ١٢ و١٣). بعد ذلك يتكون تحليل بيانات دراســة الحالة هذهً من تعقب الأحداث الحقيقية بمــرور الوقت، والاهتمام الوثيق للحد الأدنى للتسلســل الزمنــي لتلك البيانات. وكان ينبغي أيضاً أن تحاول عملية جمع البيانات تحديد الطرق التي تم بها ربط المربعات في الحياة الواقعية، وبالتالي دعم ترتيب الأسهم التي تربط بين هذه المربعات.

نموذج المنطق على مســتوى البرامج: يحتوي شــكل (٥-٤) نوعاً ثالثاً من نماذج المنطق، وهنــا يصف النموذج الأســاس المنطقي وراء برنامج حكومي عــام والذي يهدف إلى الحد مــن حدوث مرض الإيدز، أو فيروس نقص المناعة البشرية (HIV/AIDS) وذلك من خلال دعم مبادرات التخطيط المجتمعي والوقاية. حيث يمنح البرنامج الموضح في الشــكل الدعم المالي ومســاعدات فنية لـ (٦٥) إدارة صحية على المســتوى المحلي ومســتوى الولايات في جميــع أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية. وقد اســتخدم النموذج لتنظيم وتحليل البيانات من ثماني دراســات حالة، بما في ذلــك جمع البيانات حول التفســيرات المناظرة التي يتضح دورهــا في النموذج (Yin, 2012,chap.15). وعلى نفس المنوال، يمكن تطوير نموذج منطق على مستوى البرنامج لدراسة أي برنامج حكومي عام في أي دولة أخرى.

تحســين استخدام نماذج المنطق: تقدم لنا الأمثلة الســابقة حتى الآن المبادئ الأساسية لاســتخدام نماذج المنطق كأدوات تحليلية، متجاوزةً دورها العام في تصميم الدراســات الجديــدة (تؤكد المراجع العلمية المخصصة لنماذج المنطق على بداية دراســة جديدة، وتعطي اهتماماً مختصراً لمرحلة التحليل (Knowlton & Phillips, 2009). لذا؛ سيعمل الموضوعان اللذان يوضحهما الشكلان (٥-٥) و (٥-٦) على تحسين استخدام نماذج منطق حتى على مستوى درجة أكبر.

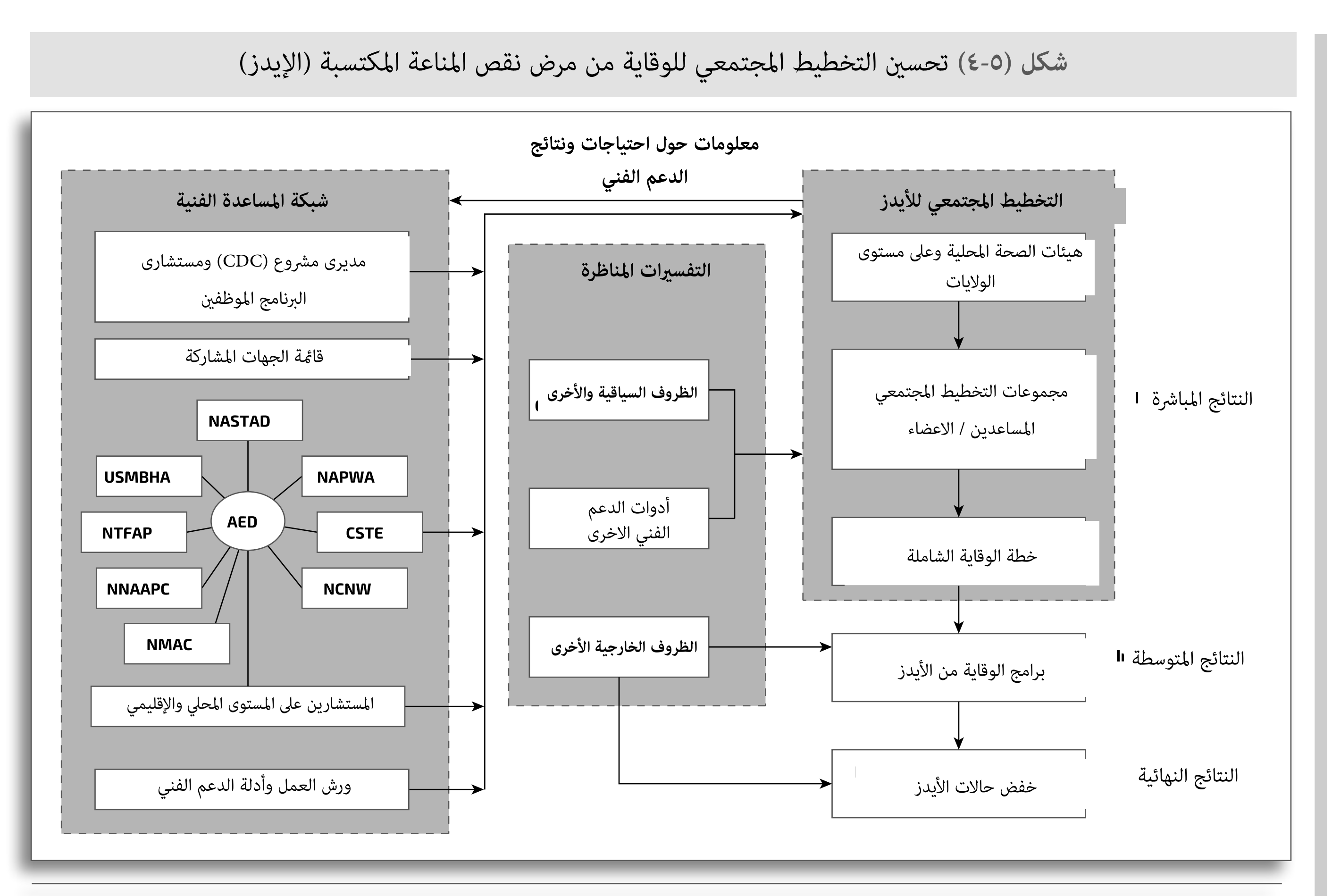
ويتكون الشــكل (٥-٥) من جزأين يعكســان الموضوع الأول وهــو : إبراز التحولات في نماذج المنطق وليس فقط الأنشــطة، ويكرر كلاهما نفس نموذج المنطق الذي يشترط كيف يدعم عمل الشراكة التعليمية الأنشــطة المناســبة التي في النهاية تقود إلى النتائج المرغوبة للطــلاب مــن مرحلة التمهيدي إلى نهايــة المرحلة الثانوية. ولكن، يُبرز الجزء الســفلي من الشكل (٥-٥) "الأسهم" بين المربعات، وهذا يلفت النظر إلى الحاجة لدراسات الحالة لتقديم تفســيرات واقعية توضح كيف تتحول الأحداث مــن مرحلة إلى أخرى، أو بمعنى آخر، تميل بيانات معظم دراسات الحالة إلى معالجة "المربعات" وتتعامل مع حصول الأحداث بطريقة ارتباطية، ولكنها تهمل التحولات.

شكل (٥-٣) تغيرات الأداء في إحدى الشركات الصناعية



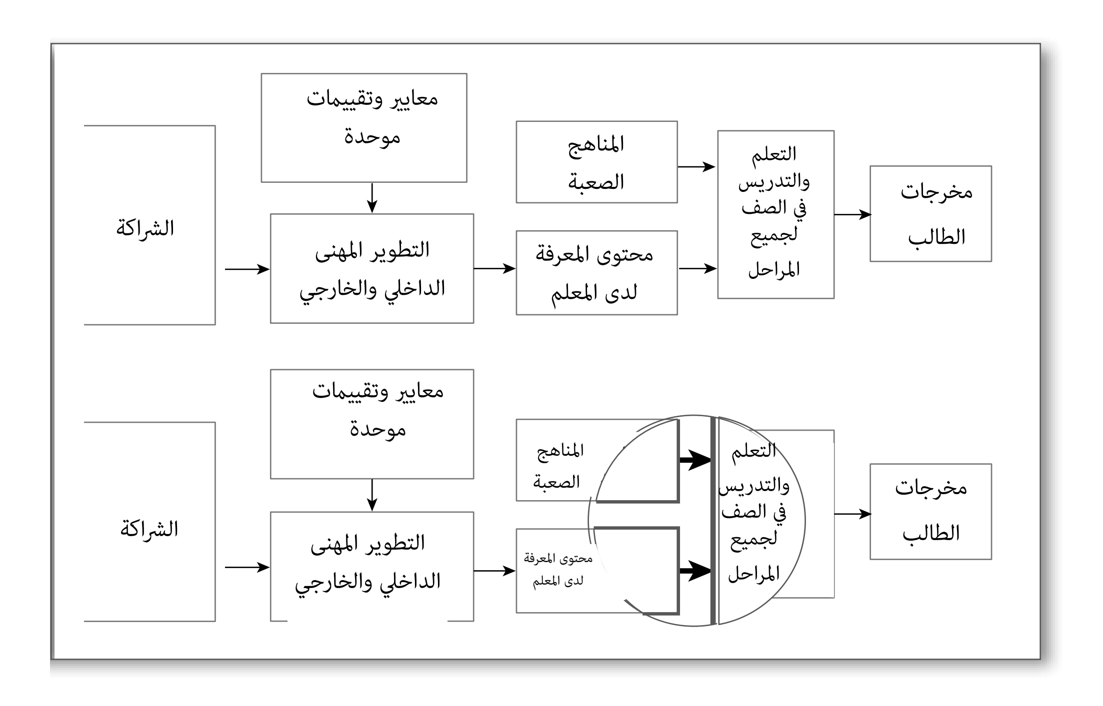
المصدر: (Yin and Oldsman, 1995)

شكل (٤-٥) تحسين التخطيط المجتمعي للوقاية من مرض نقص المناعة المكتسبة (الإيدز)



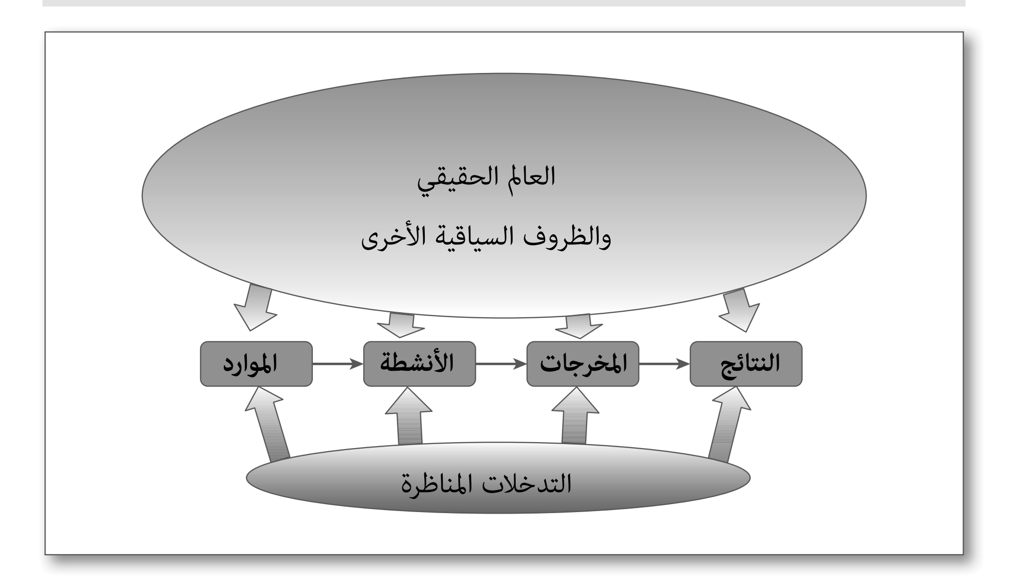
المصدر: (Yin and Oldsman, 1995)

شكل (٥-٥) إبراز التحولات وليس فقط الأنشطة



على سبيل المثال، تغطي البيانات الكيفية التسلسل الزمني للأحداث، , والتي يمكن بعد ذلك أن توجد لتتطابق (أو لا تتطابق) مع التسلسل في نموذج المنطق الأصلي. ومن الناحية الكميـة، بالمثل قد يقيّم نمـوذج المعادلة البنائية قوة وتسلسـل المربعات. ولكن لا تحاول المواقف الكيفية أو الكمية تفسـير التحولات ـ مثلاً ، كيف ولماذا جاء حدث معين (في أحد المربعات) لكي يقود إلى حدث لاحق (في المربع التالي). وتؤدي تلك التفسيرات اختباراً أقوى وأكـثر إقناعـاً لنموذج المنطق، ولذا نقطة التعلم هنا هي جمـع وتقديم البيانات الخاصة بالتحولات وليس فقط الأحداث[١].

شكل (٥-٦) الاهتمام بالظروف السياقية والمناظرة



يوضح شكل (٥-٦) الموضوع الثاني وهو: الاهتمام بالظروف السياقية كجزء لا يتجزأ من نماذج المنطق. حيث تهتم الكثير من نماذج المنطق بدرجة ضئيلة بالظروف السياقية ــ مثل تلــك التــي تم تقديمها أعلاه ــ وليس من المحتمل أن تكــون هذه الظروف جزءاً مهماً من كل دراســة حالة فقط ــ ولكن في بعض المواقف ــ قد تهيمن على "الحالة" المراد دراســتها. وبالتــالي، فإن إهمال تلك الظروف قد يقدم دراســة الحالة مــع فهم غير متكامل مالم يكن مضللاً للحالة.

على سبيل المثال، يصور نموذج المنطق في الشكل (٥-٦) التدخل العام بتقدم مفترض من استثمار "الموارد" إلى حدوث "النتائج". مثل هذا التدخل قد يعمل (كحالة) في دراسة حالة، ومن خلال استثناء واحد؛ يشترك نموذج المنطق في بناء مشابه مع نماذج المنطق التي عرضت مســبقاً في الشــكلين (٥-٢) و(٥-٣). وبعكس نماذج المنطق السابقة، يتمثل الاستثناء في أن نموذج المنطق في الشــكل (٥-٦) يوسع بشــكل مقصود النطاق المحتمل لدراسة الحالة من خلال لفت الانتباه إلى إمكانية مجموعة كاملة من الظروف السياقية الحقيقية وغيرها ذات الصلة، بما في ذلك التدخلات المناظرة. ورغم الاستقلال الخارجي للظروف السياقية والمناظرة

عن الحالة، فإنها في الواقع وجدت لكي تؤثر تأثيراً قويًّا على نتائج التدخل وربما بشــكل أكثر أهمية من تأثيرات الموارد والأنشطة التي يدعمها التدخل.

وتختلف الظروف السياقية المحددة التي تتطلب التحديد والمراقبة في دراسة الحالة من حالة إلى حالة أخرى. فعلى ســبيل المثال، ينبغي أن تكون دراســات الحالة المتعلقة بالأفراد حذرة من ظروف الأسرة ، والجماعات، والمجتمع، التي قد تعمل على إثراء فهم تقدم الشاب الافتراضي في شكل (٥-٢). وبالمثل، ينبغي أن تكون دراسات الحالة للمنظمات مثل الشركات التجارية أن تكون حذرة من دور الشركات المنافســة، وظروف المجال التجاري بشكل عام ، وظروف البيئة التشريعية التي تم الإشارة إليها بشكل محدود في شكل (٥-٣).

ملخص: يمثل اســتخدام نماذج المنطق طريقة رابعة لتحليل بيانات دراســة الحالة، ســواء لاختبار نظرية التغيير (التي تتناول تسلســل مفترض للأحداث كما تمت مناقشته في عملية إعادة وتطوير الأحياء السكنية) أو لتقييم عملية التدخل. وهذا التحليل يمكن أن يستخدم البيانات الكيفية والكمية (أو كليهما)، وقد تمت مناقشة ثلاثة أنواع من النماذج التوضيحية، كل نوع من الثلاثة يختلف بالنســبة إلى نوع الحالة التي يُراد دراســتها ســواء كانت هذه الحالة (فرد أو مؤسسة أو برنامج).

٥. دمج الحالات:

تطبق الطريقة الخامسة فقط على تحليل الحالات المتعددة (أما الطرق الأربعة السابقة، فيمكن اســتخدامها مع دراسات الحالات الفردية أو المتعددة)، والطريقة هذه تكون ذات صلــة إذا كانت دراســة الحالة تتكــون من حالتين على الأقل كما تمت مناقشــته في الفصل الثــاني (من أجل دمج ســت حالات، انظــر: Ericksen & Dyer, 2004). ومن المحتمل أن يكون التحليل أكثر سهولة، وتكون النتائج أكثر قوة وسلامة عما تكون دراسة الحالة فردية. ويعرض مربع (٣٥) نموذجاً متميزاً من البحوث الهامة، وموضوعات البحوث التي تعالج من خلال دراســة الحالة المدمجة. مرة أخرى، العمل على أكثر من دراستى حالة يمكن أن يعزز النتائج بشكل أكبر.

مربع (٣٥)

استخدام دراسة الحالة المدمجة لاختبار النظرية الموجهة للسياسة العامة

تميز السوق الدولي في السبعينات والثمانينات (1970s /1980s) بصعود اليابان، وكان هذا يرجع إلى دور التخطيط المركزي والدعم من وزارة حكومية خاصة، وهو ما اعتبره الكثيرون ميزة تنافسية غير عادلة مقارنةً بالدول الأخرى. فعلى سبيل المثال، لم يكن لدى الولايات المتحدة هياكل داعمة مُناظِرة. ومن جانب آخر، تشير دراسة الحالة المميزة التي قام بها (Gregory Hooks,1990) إلى الجانب المناظر الذي يتجاهله المؤيدون بشكل متكرر، وهو دور وزارة الدفاع الأمريكية في تطبيق سياسة التخطيط الصناعي ضمن المجالات الصناعية المتعلقة بالدفاع.

يقدم (Hooks,1990) بيانات كمية عن حالتين هما : صناعة الطائرات وصناعة الإلكترونيات الدقيقة (الرائدة في رقائق سوق الحاسب الآلي وتقنياتها، مثل الحاسبات الشخصية). فمن المعروف أن صناعة الطائرات تقليدياً تعتمد على دعم الحكومة الفيدرالية. أما صناعة الإلكترونيات الدقيقة، فلم تعتمد على ذلك. وفي كلتا الحالتين توضح أدلة دراسة الحالة كيف دعمت وزارة الدفاع الأمريكية في المرحلة المبكرة لتطوير تلك الصناعات من خلال الدعم المالي ودعم البحث والتطوير، وإيجاد قاعدة أوَّلية للعملاء لمنتجات هذه الصناعات، وبذلك يتبين أن الولايات المتحدة الأمريكية كان لها ميزة تنافسية مثل اليابان. ونظراً لوجود كلا الحالتين ، وليس فقط (حالة صناعة الطيران)، جعل مناقشات الباحث قوية ومقنعة.

ويمكن أن تستخدام دراسة الحالة المدمجة لاختبار النظرية التي تركز على السياسة التي أُجريت مسبقاً كدراسات بحثية مستقلة (قام بها باحثون مختلفون) أو كجزء تم تصميمه مسبقاً من نفس الدراسة. في كلا الحالتين، تعامل طريقة التحليل كل دراسة حالة فردية كدراسة منفصلة. وبهذا الشكل، لا تختلف طريقة التحليل عن عمليات دمج البحوث الأخرى وهي ـ تجميع النتائج عبر سلسلة من الدراسات الفردية (انظر مربع ٣٦). وإذا كان هناك أعداد كبيرة متوفرة من دراسات الحالة الفردية، فقد يشمل الدمج طرقاً كمية تشترك فيها عمليات دمج البحوث الأخرى (Cooper and Hedges, 1994)، أو دمج البيانات أو النتائج من مجموعة من الدراسات التي تتناول مسألة علمية مشتركة بطريقة منظمة وهو مايسمى ـ (Meta-analysis) التي أشار إليها مثلاً (Lipsey, 1992). وبالإضافة إلى ذلك، تناقش الجلسة الدراسية (٥-٣) طريقتين تم تطويرهما خصيصاً لدراسات الحالة ذات العدد الكبير من (الحالات). ولكن، إذا توفر فقط عدد متواضع من دراسات الحالة، كانت الطرق البديلة ضرورية.

مربع (٣٦)

تقييمات أحد عشر برنامجاً والتحليل المدمج

جمع (Dennis Rosenbaum,1986) أحد عشر تقييماً كفصولٍ مستقلة في كتاب قام بتحريره، وهذه التقييمات قام بها باحثون مختلفون، واســتخدمت أساليب بحثية متنوعة ولم تكن دراسات حالــة، وتنــاول كل تقييم عملية تدخل مختلفــة للوقاية من الجرائــم المجتمعية، وعرضت بعض التقييمات أدلة كمية كافية واستخدمت تحليلاتٍ إحصائية. تم انتقاء هذه التقييمات لأن جميعها أشــار إلى نتائــج إيجابية. وقد قام (Yin,1986) بتحليل مدمــج، وتَعامَل مع كل تقييم كما لو كان حالة مســتقلة، ومن خلال هذا التحليل تم تنسيق وتصنيف الأدلة المستقاة من الأحد عشر تقييماً في صورة جداول برنامج Word. وبعد ذلك ، تم عمل تعميمات عن الوقاية من الجرائم المجتمعية الناجحة، بشــكل مســتقل عن أي تدخل محدد، باستخدام منطق النسخ المتماثل باعتبار أن جميع التقييمات أشارت إلى نتائج إيجابية.

ينطلــق أحد الاحتمالات بإنشــاء جداول برنامــج Word التي تعــرض بيانات الحالات الفردية طبقاً لنوع أو أنواع موحدة. وفي هذا الجانب، يشتمل شكل (٥-٧) على مثال مبسط لجدول برنامج Word ومتضمناً لنتائج أربعة عشر مركزاً تنظيمياً (Cosmos Corporation, 1998). وقد تلقت ســبعة مراكز من أصل أربعة عشر مركزاً دعــماً برامجيًّا واعتُبرت مراكز تدخل. أما السبعة الباقية، فقد تم اختيارها كمراكز مقارنة.

بالنســبة لكل مركز، تناولت الفئة المهمة ترتيبات الموقع المشترك للمركز (أو المشاركة في أماكن العمل) مع المنظمة أو (المنظمات) المشــاركة، وكان مثل هذا الموقع المشــترك واحداً من عدة نتائج ذات اهتمام في الدراسة الأصلية: التي تفترض أن المراكز ذات الدعم البرامجي ســتتخذ موقعاً مشــتركاً، بينما لم يكن متوقعاً أن تشــير مراكز المقارنة إلى أي مشــاركة. وفي الشــكل (٥-٧) لم تبــين النتائج أي اختلافات جوهرية بــين المجموعتين، ولذلك؛ لم يثبت أن الدعــم البرامجي يرتبط بأي تأثير على هذه النتيجة. وقد تم بنفس الطريقة اختبار جداول برنامج Word الإضافية التي تتناول كيف ولماذا المراكز الأربعة عشر شكلت (أو لم تشكل) مواقع مشــتركة. ومن ثم، مكّن التحليل الكيفي لجميع جداول برنامج Word الدراسة من استخلاص نتائج مدمجة بشأن مجموعتَي المراكز، وخصوصاً أسباب فشل المراكز ذات الدعم البرامجي في تطوير موقع مشترك.

شكل (٥-٧) الموقع المشترك للشركاء بين المنظمات (١٤ مركزاً ومنظماتها المُناظِرة)

مراكز المنظمة (العينة = ١٤)	خصائص الموقع المشترك مع مركز الشراكات
مراكز التدخل (العينة = ٧)	
١	يتواجد الموظفون الشركاء في المبنى ذاتها كمركز (١) ويتبعون سياســاته التي وضعت قبل عملية الشراكة. يتلقى مركز (١) ٢٥،٠٠٠ دولار سنوياً من ميزانية الشراكة المخصصة للبرامج الإلكترونية والطرفيات والاتصالات والإمدادات.
٢	كوحدة عمل لمركز (٢)، يتم استضافة الموظفين الشركاء في مكاتب مركز (٢). وتساهم المنظمة الأم لمركز (٢) بــ ٢,٥٠٠ دولار للمقرات و ٢٣,٣٧٥ دولار للمصاريف غير المباشرة سنوياً لميزانية الشراكة.
٣	تشترك خمسة مكاتب للشراكة في نفس الموقع مع موظفي المركز (٣).
٤	يشترك المركز (٤) وشريكه في المساحات المكتبية.
٥	يتواجد موظفو المركز (٥) والموظفون الشركاء في نفس المبنى ولكن لا يشتركون في نفس المساحات المكتبية.
٦	لا تشترك المنظمتان في نفس الموقع.
٧	يتواجد الموظفون الشركاء في مكاتب المركز (٧).
مراكز المقارنة (العينة = ٧)	
٨	يشترك المركز (٨) وشريكه في المساحات المكتبية في (٨) مواقع على مستوى الولاية.
٩	يتم الاشتراك في نفس المواقع.
١٠	لا يشترك المركز (١٠) وشريكه في نفس الموقع.
١١	يشترك موظفو المركز وشركاؤهم في المساحات المكتبية.
١٢	يتواجد موظفو المركز (١٢) وشركاؤهم في نفس المبنى.
١٣	يتواجد موظفو المركز (١٣) وشركاؤهم في نفس المكاتب.
١٤	يشترك المركز (١٤) في المساحات المكتبية مع ثلاثة شركاء إقليميين.

المصدر: COSMOS Corporation (1998)

ربما لم تبدأ دراسة الحالة بأي تجميعات محددة مسبقاً مثل مجموعتي المراكز التنظيمية. وعلاوة على ذلك، يمكن إنشــأ المزيد من جداول برنامج Word لتكون أكثر تعقيداً، متجاوزاً الأصنــاف الفردية من خــلال تصنيف مجموعة كاملة من المصفوفـات أو المميزات، وتقديم الوصف الفعَّال لكل حالة ـ والذي لايزال على أســاس مســتقل بصورة فردية. والآن تســمح تلــك المجموعة من الأصناف للتحليل بالكشــف عما إذا كانت الحالات المختلفة تشــارك في نفس الأوصاف، وتســتحق أن يتم اعتبارها أمثلة (نســخاً متماثلة) لنفس "النوع" من الحالة العامة. وبدلاً من ذلك، قد تختلف تلك الأوصاف بشكل كافٍ بحيث تستحق الحالات أن يتم اعتبارهــا حالات متباينة. ويعتبر هذا التباين أو التشــابه المًتنبَّأ به جزءاً من التصميم الأصلي لدراسة الحالة. فإذا كان كذلك، فإن النتائج القائمة على الأوصاف الملاحظة سوف تثبت صحة أو عدم صحة التوقعات الأصلية، وارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالبحث الســابق الذي تم مراجعته عند تطوير التصميم الأصلي.

ويوضح المثال السابق إجراء عملية الدمج، عندما تحاول دراسة الحالة اكتشاف ما إذا كانت دراســات الحالة المراد دراستها تتشــابه أو تتباين مع بعضها البعض. وأهم إجراء احتياطي عند القيــام بهذا النوع من الدمــج هو اختبار جداول برنامج Word للأنمــاط المدمجة الذي يعتمد بقوة على التفسير الجدلي وليس التكرارات الرقمية. ومع ذلك، فقد أشار (الفصل الثاني) أن هذا الأســلوب يعتبر مماثلاً مباشرة لتفســيرات التجارب المتعددة التي ليس لها خواص رقمية عندما يتوفر عدد قليل من التجارب لغرض الدمج. ولهذا؛ لا بد أن يكون الباحث مستعداً لمواجهة أحد التحديات عند إجراء دراســة الحالة، وهو أن يعرف كيف يطور جدليات أو (مناقشــات) قوية، ومعقولة، ومنطقية، والتي تدعمها البيانات.

تشتمل عمليات الدمج على تباين واحد على الأقل: وبعكس ما ناقشناه سابقاً، قد تُصمم دراســة الحالــة لتمتد إلى مســتوى أعلى، أي أبعد مــن عملية الدمج. وفي هــذا الموقف، قد تكون دراســة الحالة الرئيسية حول حالة أو وحدة التحليل أشمل أو أكبر مع دراسات الحالة المتعددة (وعمليات دمج الحالات) التي تعمل كوحدات مضمنة. وبعد ذلك، تتطلب النتائج أو الاســتنتاجات بيانات منفصلة عن وحــدة التحليل الكبيرة أو الشــاملة التي تعمل كحالة رئيسية، وبالإضافة إلى بيانات الحالات المدمجة من دراسات الحالة المتعددة (التي لايزال يتم

تحليلها في نمط النســخ المتماثل كما ناقشنا سابقاً)، فإن البيانات من هذين المستويين (وحدة التحليل الكبيرة والحالات المضمنة) تغذي دراسة الحالة النهائية (انظر مربع ٣٧).

يقــدم الجزء الختامي لهــذا الفصل بعض الأفكار للنظر فيها، بصرف النظر عما إذا كنت تقــوم بدمج حالــة متعددة، أو تتبع أيًّا مــن طرق التحليل الأخرى التي نوقشــت في هذا الفصل. وتعمل هذه الأفكار على زيادة جودة تحليل دراسة الحالة بأكمله.

مربع (٣٧)

دراسات الحالة المدمجة في دراسة حالة واحدة

يُعتبر دمج الحالات جزءاً من الصورة في بعض دراســات الحالة المتعددة. ففي أحد التقييمات التي أجراها (برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ـ UNDP, 2010)، جاءت أربع دول كموضوعات دراسات حالة مســتقلة هي : بوتســوانا، وباراجواي، وتوغو، والمملكة العربية السعودية. وكان الهدف من ذلك هــو تقييم كيفية معالجة تلك الدول لأهداف التنمية الوطنية. ورغم ذلك، عملت دراســات الحالة الأربعة كوحدات مضمنة للتحليل وذلك لأن دراســة الحالة الشــاملة كانت عن الدور الذي تلعبه منظمة واحدة هي (برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ـ UNDP)، في تقديم مســاعدات تنموية إلى هذه الدول. ونظراً للتســاؤل الثنائي المستوى، يشــمل التحليل النهائي بيانات عن الدول بشكل مستقل، ولكن أيضاً يشــمل بيانات حالة واحدة منفصلة عن السياسات والممارسات والتوظيف في برنامج الأمم المتحدة الإنمائي كمؤسســة مســاعدة. والمنتج النهائي في الحقيقة دراسة حالة لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، قائم جزئياً (فقط) على دمج الحالات المتعددة للدول الأربعة معاً.

الاجتهاد من أجل تحليل عالي الجودة:

مهما تكون إســتراتيجية أو طرق التحليل التي تم اختيارها، يجب أن يقوم الباحث بكل شيء ليتأكد من أن عملية التحليل ذات جودة عالية. في هذا الجانب، على الأقل تكمن أربعة مبادئ في بحوث العلوم الاجتماعية الجيدة (Yin, 1994a, 1994b, 1997, 1999) والتي تستحق الاهتمام.

أولاً، ينبغــي أن يوضــح التحليــل اهتــمام الباحث بــكل الأدلة، كما يجــب أن تغطي إســتراتيجيات التحليل، بما في ذلك تطوير الفرضيات المناظرة، كلَ الأســئلة البحثية (يمكنك أن تقدر أهمية الأســئلة المحددة والواضحة مقارنةً بالأسئلة الغامضة). كما ينبغي أن يشير

التحليل إلى كيف حاول الباحث استخدام الكثير من الأدلة المتاحة، وينبغي كذلك أن توضح التفسـيرات كل هـذه الأدلة، وأن لا يترك الأشـياء التي لا يزال يتعين القيـام بها أو شرحها. فبدون تحقيق هذا المعيار، يصبح التحليل عرضةً للتفسيرات البديلة القائمة على الأدلة التي تجاهلها الباحث دون قصد.

ثانياً، لا بد أن يتناول التحليل ــ إذا كان ذلك ممكناً ــ كل التفسيرات المناظرة المعقولة. فإذا كان لدى شـخص آخر تفسـير بديل لنتيجة واحدة أو مجموعة من النتائج، جعل هذا التفسـير البديل يتحول إلى تفسـير مناظر. هل توجد أدلة للتعامل مع التفسير المناظر؟ إذا كانت هناك أدلة، فما هي النتائج؟ وإذا لم توجد، هل ينبغي إعادة صياغة التفسير المناظر باعتباره جزءاً لم يُغطى في التحليل لكي يتم بحثه في الدراسات المستقبلية؟

ثالثـاً، ينبغي أن يتناول التحليل الجانب الأكثر أهمية في دراسـة الحالة. وسـواء أكانت دراسـة الحالة فردية أم متعـددة، ينبغي على الباحث أن يُظهر مهـارات التحليل إذا كان التحليل يركز على الموضوع الأهم. (سـواء كان الموضوع محدداً من بداية دراسة الحالة، أو محدداً من خلال العمل على البيانات من الأسـاس). ومن خلال تجنب الانحرافات المفرطة نحـو الموضوعات الأقل، سـيكون التحليل أقـل عرضة للاتهام في أن الباحـث قام بتحويل الاهتمام عن القضية الرئيسية بسبب النتائج التي قد تكون متناقضة.

رابعاً، ينبغي أن يوظف الباحث معلوماته وخبراته السـابقة في دراسة الحالة. والأفضلية الأقـوى هنا هي إظهار الوعي بالتفكير الحالي والتحدث حول موضوع دراسـة الحالة. فإذا كان الباحث يعرف الموضوع كنتيجة لبحث أو نشر علمي، فهذا أفضل كثيراً.

أجرى فريق بحثي ذو مؤهلات أكاديمية وخبرات عملية كبيرة ومتقاربة دراسـة الحالة الموضحة في مربع (٣٨). وقد أظهر الباحثون في تلك الدراسة عنايةً كبيرة بالبحث التجريبي الـذي يجدر أخذه في الاعتبار في كل دراسـات الحالة. وتنعكـس هذه العناية في طريقة عرض الحالات نفسها، وليس في وجود منهجية البحث الصارمة التي قد لا تكون إجراءاتها أو أسسـها المنهجيـة قد اتبعت بشـكل كامل في دراسـة الحالة الفعلية. لـذا إذا تمكنت كباحث من محاكاة طريقة عمل هؤلاء الباحثين، فسـيحظى أيضاً تحليل دراسـة الحالة التي تدرسها بالاحترام والتقدير المناسبَين.

مربع (٣٨)

جودة التحليل في دراسة حالة متعددة عن التنافس التجاري الدولي

لا تعتمد جودة تحليل دراسة الحالة فقط على الطرق المستخدمة على الرغم من أهميتها. فمن بين الأمور المهمة هو أن يُثبت الباحث قدراته ومهاراته في تنفيذ عملية التحليل. وقد ظهرت هذه المهارات في كتاب كل من (Patinkin & Magaziner,1989) بعنوان "الحرب الصامتة : من داخل معارك الأعمال التجارية التي تشكِّل مستقبل أمريكا".

نظم الباحثان (٩) حالات بطريقة متميزة، وفي هذه الحالات تم تغطية موضوعات رئيسة عن مزايا (وعيوب) تنافسية أمريكا باستخدام تصميم النسخ المتماثل. قدم الباحثان في كل حالة مقابلات مكثفة وبعض الوثائق التي توضح مصادر النتائج التي تحصَّلا عليها. (ولجعل قراءة الرواية النصية سهلة؛ نُقلت الكثير من البيانات ــ في جداول برنامج Word، والهوامش السفلية، والجدولة الكمية ــ إلى الهوامش والملاحق). إضافة إلى ذلك، أوضح الباحثان اندماجهم الشخصي في الموضوعات المدروسة نتيجة للزيارات الداخلية والخارجية المتعددة.

من الناحية الفنية، كان القسم المنهجي الأكثر وضوحاً عاملاً مساعداً في جودة الدراسة. ولكن العناية والعمل التفصيلي ــ حتى في ظل غياب القسم المنهجي ــ ساعد في توضيح ما يسعى الباحثون إلى تحقيقه (انظر أيضاً مربع ٦ب ، الفصل الثاني).

تمرين ٥-٥ : تحليل العملية التحليلية

اختر واحدة من دراسات الحالة الموجودة في أحد المربعات بهذا الكتاب. اذهب إلى أحد فصول دراسة الحالة (عادة في منتصف هذه الدراسة) الذي تُعرض فيه الأدلة، ولكن ، يتم فيه أيضاً استخلاص الاستنتاجات. بعد ذلك، اعمل على وصف كيف يحدث هذا الترابط ــ بدايةً من الأدلة التي تم الاستشهاد بها أو اقتباسها وانتهاءً بالاستنتاجات ــ هل عُرضت البيانات في جداول أم في نماذج أخرى؟ وهل تم عقد المقارنات؟

ملخص:

قــدم هذا الفصــل عدةَ طرق لتحليل دراســات الحالة. أولاً، يمكــن الحد من صعوبات التحليل المحتملة إذا كان الباحث لديه إستراتيجية عامة لتحليل البيانات ــ سواء كانت تلك الإســتراتيجية قائمة على الافتراضات النظرية، أو من خلال العمل على البيانات من الأساس، أو تســتخدم إطارات وصفية أو تختبر التفسيرات المناظرة. أما عند غياب تلك الإستراتيجية، قــد يضطر الباحثٌ أن (يتلاعــب) في البيانات للفهم الأولي كمقدمة لتطوير اتجاه منظم لما يستحق أن يكون ضمن عملية التحليل وكيف ينبغي تحليله.

ثانياً، مع الأخذ في الاعتبار الإستراتيجية العامة، هناك عدة طرق محددة للتحليل ذات صلة، من بينها خمس طرق قد تكون ذات فعالية في وضع أسس دراسات الحالة العالية الجودة، هي (الأنماط المتشــابهة، وبناء التفســير، والتحليل الزمني، ونماذج المنطق، ودمج دراسات الحالة)، ولجميع هذه الطرق يجب تطبيق منطق النسخ المتماثل إذا تضمنت الدراسة حالات متعددة، ويجب الاهتمام بالافتراضات المناظرة وتهديدات الصدق الداخلي داخل كل حالة فردية.

ليس من الســهل اســتخدام أي من هذه الطرق، كما لا يمكن تطبيق أي منها بإجراء بسيط دون التفكير في طريقة عملها، فليس من المستغرب أن تحليل دراسة الحالة هو أصعب مرحلة في إجراء دراســات الحالــة، وقد يتعرض الباحثــون المبتدئون لبعض المواقــف الصعبة في هذا الجانب. مرة أخرى؛ من أهم التوجيهات هو أن يبدأ الباحث بدراسة حالة مباشرة وبسيطة (أو الأفضل اســتخدام تصميم «الحالة الثنائي»)، حتى وإن كانت أســئلة البحث لا تتصف بالعمق والابتكار كما هو مرغوب. لذا، فإن الخبرة التي يكتســبها الباحث من خلال إجراء دراســة حالة مباشرةً ستُمكِّنه من التعامل مع موضوعات أكثر صعوبة في دراسات الحالة اللاحقة.

ملاحظة في الفصل الخامس:

١- ينشأ عدم الاهتمام بالتحولات بسبب عدم التمييز البياني بين نموذج المنطق والرسم التخطيطي (flowchart). ففي الرســم التخطيطي، تشــير الخطوط فقط إلى أن المربع يتبعه مربع آخر. أما في نموذج المنطق، تفترض الخطوط مســبقاً علاقة تحفيزية أو (تأثير)، أي إن كل مربع يقود إلى حدوث المربع التالي. وتتطلب كيفية حدوث العلاقة التحفيزية (التي تمثل بعد ذلك التحول) تفسيراً عند استخدام نماذج المنطق.

جلسة دراسية ٥-١
المزيد حول برنامج (CAQDAS) لتحليل بيانات دراسة الحالة

قـدم الفصـل الخامـس الدعم الـكافي وبعض المحاذيـر المتعلقـة باسـتخدام أدوات برنامج CAQDAS. فـإذا كنت تخطط لاسـتخدام هذه الأدوات، فإن التمييز بـين ثلاث وظائف لبرنامج CAQDAS قـد يكون مفيداً (Yin, ٢٠١١)، وهذه الوظائف هي (١) تصنيف البيانات (اسـترجاع وفـرز تكرارات كلمات ومصطلحات معينة من ملاحظـات الباحث)، (٢) تجزئة البيانات (الانتقال منهجيًّـا إلى مسـتوى نظري أعلى من خلال تخصيـص الرموز للكلمات والمصطلحات المتشـابهة)، (٣) إعادة تجميع البيانات (تفسـير العلاقات بين الرموز، وعمليات الدمج والأنماط الأعلى نظريًّا). وبالنسـبة لهـذه الوظائف الثلاث، فإن الأدوات المختلفة لها عناصر قـوة مختلفة أيضاً. ولكن على الباحث الحذِر على الرغم أن معظم الأدوات تساعد في تصنيف وتجزئة البيانات (مثال: Saldaña, ٢٠٠٩) فمـَن المحتمـل أن يضطـر إلى توجيـه الأدوات في إعادة تجميع البيانـات. كما يجب على الباحث أن يعلم كذلك أن النتيجة النهائية قد لا تبرر الوقت والجهد الذي يبذله في جمع أو تجزئة وتحليل البيانات.

للنظر في المشـكلات الممكنـة، فقد يأخذ الباحث جـزءاً من البيانات لـكي يعمل على تطبيق الوظائف الثلاث يدويًّا قبل اسـتخدامٍ أي أدوات حاسوبية مساعدة. وإذا قررت بعد ذلك استخدام أدوات برنامـج CAQDAS (خصوصاً إذا كان لديك الكثير من البيانات)، فينبغي عليك الاسـتعانة بدليـلٍ شـامل لتتمكن من اختيـار أدوات البرنامج واسـتخدامها بفعالية. (مثـل: ;Hahn, 2008 Lewins & Silver, 2007) ثم اعمل على فحص الإرشادات التي تشمل الأدوات المستخدمة الأكثر شيوعاً (مثل: Friese, 2012).

تأتي التوقعات بخصوص أدوات برنامج CAQDAS كنتيجة لتجارب الجميع مع البرامج الحاسوبية المسـاعدة في التحليل الكمي. ففي هذه الحالات، تتبع إجراءات الحاسب الآلي خوارزميات إحصائية معقـدة ومحددة مسـبقاً، حيث يقدم المحلل مجموعة من بيانات المدخلات ويقوم الحاسـب الآلي بالوصول إلى المخرجات أو النتائج. وبالعكس، فيما يتعلق بأدوات CAQDAS لا بد أن يحدد الباحث الخوارزميات المعقدة بنفسـه، بما في ذلك مسـتوى التفاصيل الدقيقة (سواء ترميز كلمات معينة أو ألفاظ أو جمل أو فقرات)، وتتطلب عمليات الدمج الاهتمام والروتين التحليلي لغرض تصنيف النتائج النهائية (Fielding & Warnes, 2009, p.278). وبدون إرشادات واضحة، وعلى العكس من تجربة التحليل الكمي، لا يستطيع الحاسب الآلي وحده الوصول إلى مخرجات صالحة للاستخدام.

مراجع الجلسة الدراسية ٥-١ بإيجاز

-Fielding, N, & Warnes, R. (2009): Computer-based qualitative methods in case study research. In D. Byrne & C. C. Ragin (Eds.), The Sage handbook of case-based methods (pp. 270–288). London: Sage.

يقدم الكتاب لمحة عامة نظرية وليس خطوات محددة، كما هو الحال في المراجع الثلاثة التالية حول كيفية تطبيق أدوات ووظائف برنامج CAQDAS على بيانات دراسات الحالة.

-Friese., S. (2012). Qualitative data analysis with ATLAS.ti. London: Sage.

يغطي برنامج (ATLAS.ti.) المخصص لأغراض تحليل البيانات الكيفية .

- Hahn., C. (2008). Doing qualitative research using your computer: A practical guide. Thousand Oaks., CA: Sage.

يقدم هذا الكتاب إرشـادات خطوة بخطوة لاسـتخدام ثلاث برامج شائعة من مايكروسوفت هي : برنامج Word وبرنامج Excel وبرنامج Access.

-Lewins, A., & Silver, C. (2007). Using software in qualitative research: A step-by-step guide. London: Sage.

يناقش الكتاب ثلاث حزم رائدة لبرنامج CAQDAS، وهي : ATLAS.ti5,MAXqda2, and NVivo7.

-Saldaña, J. (2009). The coding manual for qualitative researchers. London: Sage.

يقدم هذا الكتاب مجموعة كبيرة من خيارات وتطبيقات الترميز.

-Yin., R. K. (2011). Qualitative research from start to finish. New York: Guilford.

يعرض هذا الكتاب إرشادات عملية لتصنيف وتحليل وإعادة تجميع البيانات الكيفية.

جلسة دراسية ٥-٢
تصور نموذج المنطق غير الخطي

تصف نماذج المنطق في (الفصل الخامس) التسلسل الخطي للأحداث. ومع ذلك، تتشابك وتتأرجح الأحداث الحقيقية بطريقة أكثر تعقيداً. وقد يتميز نموذج المنطق الخطي ببعض المزايا؛ لأن التسلسل قد يكون خطيًّا في المدى البعيد، مما يقلل من التأرجح القصير المدى. ولكن الشكل (٥-أ) قد يساعدك إذا أردت وصف التعقيد غير الخطي بشكلٍ صريح (Yin & Davis, 2006, 2007).

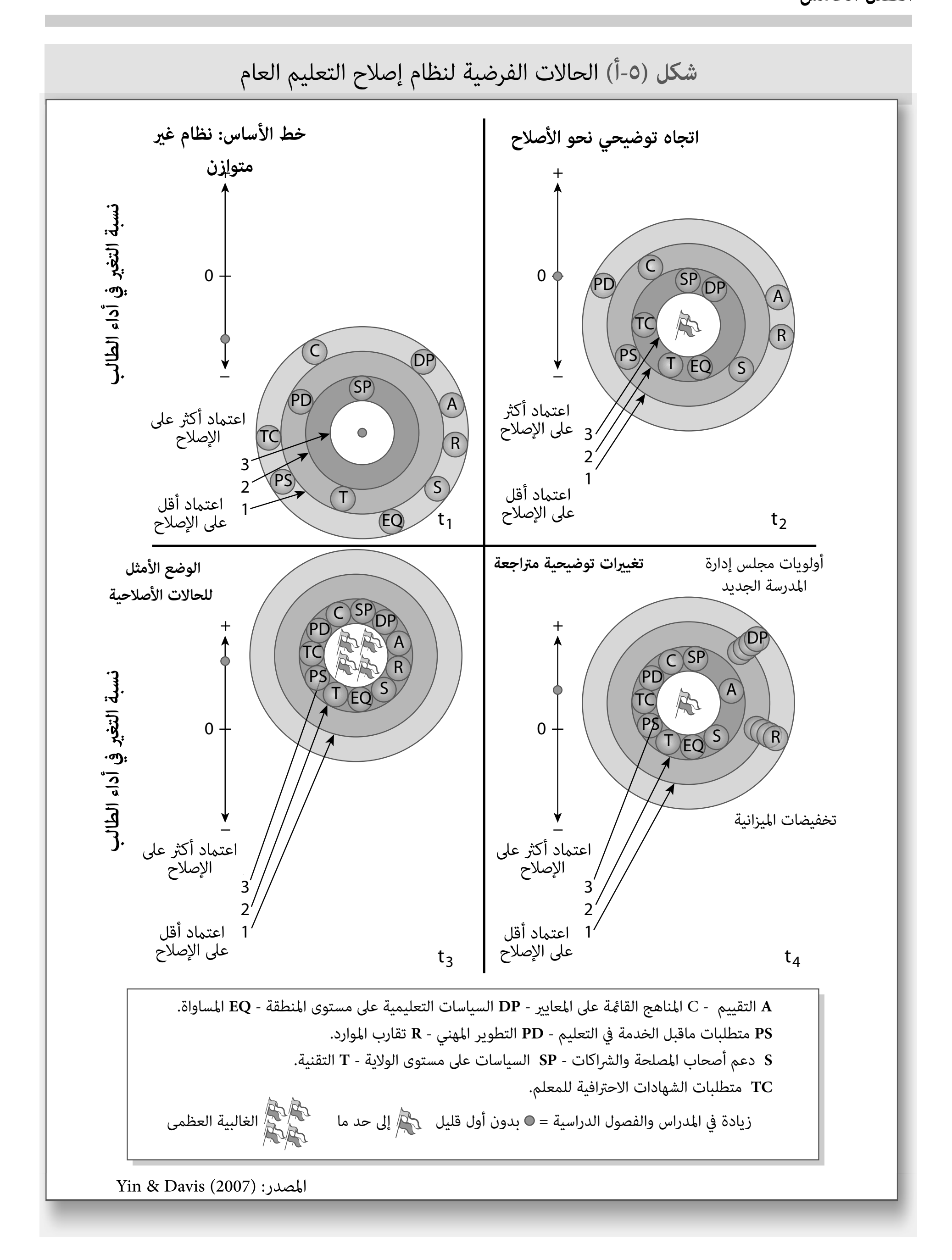
يحتوي الشكل على أربع لوحات، كل منها له عنوان في الجزء العلوي وفاصل زمني (t 1 إلى t 4) في الزاوية السفلى اليمنى منه. وفي كل لوحة نجد أن مجموعة الدوائر متحدة المركز تمثل المنظمة التي يتقلب فيها وضع الإصلاح عموديًّا من لوحة إلى أخرى. وهكذا، عند الفاصل الزمني الأول (t 1) تكون الدوائر في أدنى مستوياتها، وتشير إلى أن وضع الإصلاح للمنظمة في أدنى مستوياته، بينما يشير الفاصل الزمني الثالث (t 3) إلى المنظمة في أعلى وضع لها. وتسمح المرونة في البُعد العمودي بالتمثيل غير الخطي لوضع الإصلاح، وإذا كان ذلك لأغراض توضيحية توضح حالة الإصلاح الانحداري عند الفاصل الزمني الرابع (t 4)، وبهذه الطريقة يمكن تصوير التحولات التصاعدية والانحدارية عبر أي مقدار من الزمن ويمكن توضيح ذلك بالرسم البياني.

في هذا المثال، تمثل المنظمة (نظام مدرسي)، وتظهر عناصره المتباينة داخل هذا النظام كأشياء مرقمة بأحرف داخل كل مجموعة من الدوائر متحدة المركز (يتم فك رموز الأشياء المرقمة بأحرف في قاعدة شكل ٥-أ). وتفترض نظرية إصلاح التعليم أن إصلاح النظام التعليمي سيستمر عندما تتحد العناصر (يتم توضيح ذلك من خلال تحولها من الحد الخارجي إلى مراكز الدوائر متحدة المركز مع مرور الوقت).

ويمثل المقياس العمودي أداء الطلاب، حيث تعتقد النظرية أن المزيد من الإصلاحات يرتبط بتحسين أداء الطلاب. ونتيجة لهذا، تشترط النظرية أيضاً أن احتياجات الإصلاح المنشود تحتاج أن تؤثر على العدد المتزايد من الوحدات داخل المنظمة. وفي هذه الحالة، يتم تمثيل المدارس (بالأعلام) داخل النظام المدرسي كما هو موضح في أسفل الشكل (٥-أ).

ويمكن لنموذج منطق غير خطي مشابه أن يمثل شركة تجارية أو أي منظمة أخرى تواجه بتغيرات تشغيلية منسقة، تهدف إلى تغيير المنظمة وثقافتها وأعمالها التجارية وحتى تغيير اسم المنظمة (انظر: Yin, 2012,chap.9 &12ـ لدراسة حالة لشركة واحدة، ثم تحليل الحالات المتعددة لمجموعة من الشركات المتحولة).

شكل (٥-أ) الحالات الفرضية لنظام إصلاح التعليم العام



المصدر: Yin & Davis (2007)

مراجع الجلسة الدراسية ٥-٢ بإيجاز:

-Yin, R. K. (2012). Applications of case study research (3rd ed.). Thousand Oaks، CA: Sage.

يحتوي هذا الكتاب على دراسات حالة تتمركز حول التغيير الشامل داخل الشركات التجارية.

-Yin, R. K., & Davis, D. (2006). State-level education reform: Putting all the pieces together. In K. Wong & S. Rutledge (Eds.)، Systemwide efforts to improve student achievement (pp. 1–33). Greenwich، CT: Information Age Publishing.

يصف هذا الكتاب الإصلاح التعليمي الشامل.

-Yin, R. K., & Davis, D. (2007). Adding new dimensions to case study evaluations: The case of evaluating comprehensive reforms. In G. Julnes & D. J. Rog (Eds.), Informing federal policies for evaluation methodology (New Directions in Program Evaluation, No. 113, pp. 75–93). San Francisco: Jossey-Bass.

يناقش هذا الكتاب قضايا التعليم المتعلقة بنموذج المنطق غير الخطي التوضيحي.

جلسة دراسية ٥-٣
عندما تتكوّن دراسة الحالة من حالات كثيرة

تحتوي معظم دراســات الحالة على عدد قليل من الحالات أو حتى على حالة واحدة. ومع ذلك، قد تتضمن دراسة الحالة التي تشتمل على حالات كثيرة ـ مثلاً من (١٥) إلى (٢٠) حالة أو أكثر ـ استراتيجيات تحليلٍ إضافية محتملة أكثر عن تلك التي تم مناقشتها في (الفصل الخامس) مــن هذا الكتــاب. فإذا كان لديك كباحث عدد كبير من الحــالات، فينبغي أن تأخذ في الاعتبار استراتيجيتين للتحليل على الأقل.

الأولى هي تقســيم كل حالــة إلى مجموعة من المتغيرات المشــتركة. وبعكــس الانحدار أو التحليــل الإحصائي المتعدد المتغيرات والذي يتم فيه تصنيف البيانات حســب المتغير (ومن ثم عبر الحالات)، يحفظ النســق والترتيب المرغوب ســلامة وتمام كل حالــة واحتواءها المتميز من المتغيرات بما في ذلك المتغيرات المهمة التي لا تكون بالضرورة جزءاً من المتغيرات المشتركة. بعد ذلــك يمكن فقط تعقب مثل هــذه الأنماط داخل الحالة عبر الحــالات المتعددة كما في طريقة (Ragin, Charles. 1987) للتحليــل الكمي المقارن ((Ragin, 1987; Rihoux & Lobe,2009 QCA)). حيث يمكن حساب مجموعة المتغيرات لكل حالة، مما يعمل على إيجاد تحليل كمي متعدد الحالات. وفي الوقت نفسه، لا بد أن تواصل العمل بحذر: حيث يجب الأخذ في الاعتبار أيضــاً أن تؤخذ الجوانــب المميزة لكل حالة من خلال التحليل الكيفي (مثل النســخ المتماثل) الذي يتمم حسابات كمية قد تؤدي إلى المحاذير الخاصة بها. ومن خلال استخدام منطق النسخ المتماثل، تقدم كل حالة دعماً للفرضية النظرية المناسبة (Small, 2009).

تتضمــن الإســتراتيجية الثانية عــدداً كبيراً من الحــالات ـ عادةً أكثر من (١٠٠) دراســة حالة والتــي أجراها فيما ســبق بعــض الباحثــين مثــل (Wolf, 1997; Yin & Yates, 1975). وترتبط طريقة التحليل بشــكل صارم بالمنهج الكمي" المســح" لدراسات الحالة مثل (Yin, Bingham, & Heald,1976; Yin, & Heald,1975). وتتطلب مثل هذه الدراســة المســحية تطوير واســتخدام الاســتبانة الرســمية التي يمكن للباحث من خلالها الاستفســار عن كل دراسة حالة لتقدم إجابات (ردود) مرمــزة ومغلقة. ففي طريقة الدراســة المســحية للحالة، يمكن بعد ذلــك تحليل البيانات المرمزة كما تحلل قاعدة بيانات لأي دراسة مسحية أخرى.

مراجع الجلسة الدراسية ٥-٣ بإيجاز:

- Ragin, C. C. (1987). The comparative method: Moving beyond qualitative and quantitative strategies. Berkeley: University of California Press.

يصف هذا الكتاب التحليل الكيفي المقارن (QCA) كأسلوب بحثي جديد.

- Rihoux, B., & Lobe, B. (2009). The case for qualitative comparative analysis (QCA): Adding leverage for thick cross-case comparison. In D. Byrne & C. C. Ragin (Eds.), The Sage handbook of case-based methods (pp. 222–242). London: Sage.

يصف هذا الكتاب ويشرح إجراءات التحليل الكيفي المقارن (QCA).

- Small, M. L. (2009). "How many cases do I need?" On science and the logic of case selection in field-based research. Ethnography، 10, 5–38.

يطرح بعض القضايا المتعلقة بتصميم الأبحاث الميدانية بما في ذلك صعوبة التعميم من خلال مواقف ميدانية.

- Wolf, P. (1997). Why must we reinvent the federal government? Putting historical developmental claims to the test. Journal of Public Administration Research and Theory, 3, 358–388.

يتضمن هذا الكتاب (١٧٠) دراسة حالة لهيئات فيدرالية في الولايات المتحدة الأمريكية.

- Yin, R. K., Bingham, E., & Heald, K. (1976). The difference that quality makes. Sociological Methods and Research, 5,139–156.

يقــوم هذا الكتاب باختبار (١٤٠) دراســة حالة للابتكار التكنولوجــي في الخدمات المحلية، موضحاً الفروق بين دراسات الحالة العالية والمنخفضة الجودة.

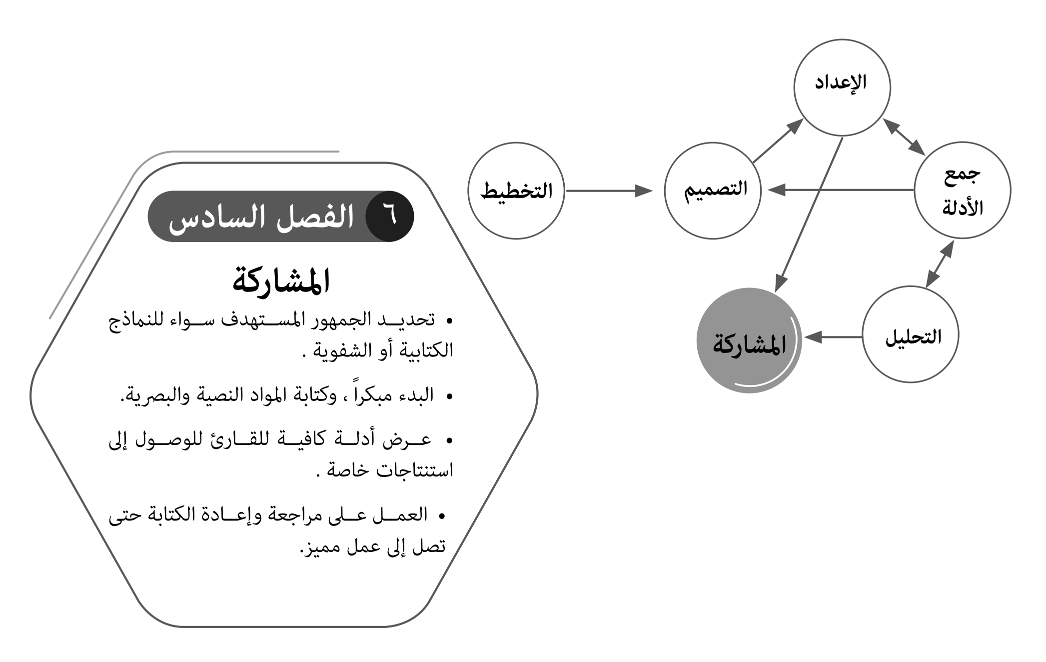
-Yin, R. K., & Heald,6- K. (1975). Using the case survey method to analyze policy studies. Administrative Science Quarterly, 20, 371–381.

يصف هذا الكتاب الطرق المستخدمة في أسلوب الدراسة المسحية للحالة.

-Yin, R. K., & Yates, D. T. (1975). Street-level governments: Assessing decentralization and urban services. Lexington, MA: Lexington Books.

يقدم هذا الكتاب تحليلاً لـ (٢٦٩) دراسة حالة لخدمات الأحياء السكنية.





نبذة مختصرة:

تشير مشاركة الاستنتاجات المستخلصة من دراسة الحالة، سواء كان ذلك كتابةً أم شفهيًّا، إلى قرب الانتهاء من نتائجها بصورة تامة. وبصرف النظر عن قالب التقرير، هناك خطوات مشابهة تقف خلف عملية المشاركة، ويشمل ذلك : تحديد الفئة المستهدفة من التقرير، وتحديد نموذج الكتابة، ومراجعة المسودات من قبل آخرين. ومع ذلك، إذا كان هناك تجاوز للإرشادات الإجرائية النموذجية المتعلقة بكتابة التقارير، فهذا الفصل يناقش كذلك خيارات محدودة قد تواجهها أثناء إعداد دراسة الحالة.

وعلى سبيل المثال، يتم اقتراح ستة هياكل محددة لكتابة دراسات الحالة، تتمثل في : الهياكل الخطية التحليلية، والهياكل المقارنة، والهياكل المرتبة زمنياً، والهياكل المعتمدة على بناء النظرية، والهياكل التشويقية، والهياكل غير المرتبة. كما يتم وصف أجزاء التقرير المخصصة حول المنهجية واستعراض أدبيات البحث.

قد تظهر دراسة الحالة النهائية مستقلة أو كجزء من دراسة أكبر تحتوي على أساليب بحثية متنوعة ومختلطة، وفي كلا الحالتين يُعتبر إعداد التقرير لدراسة الحالة من أفضل الجوانب المحفزة في إجراء دراسات الحالة. والنصيحة في هذه الحالة بشكل عام هي البدء مبكراً في عمل مسودة تمهيدية لأقسام دراسة الحالة (هناك أربعة احتمالات محددة) بدلاً من الانتظار حتى الانتهاء من عملية تحليل البيانات. ويقدم تقرير دراسة الحالة أيضاً خياراً بشأن الكشف أو إخفاء هويات الحالات. أما الاقتراحات الأخيرة فتحاول تحديد ما الذي يمكن أن يجعل من دراسة الحالة مثالية وليست دراسة عادية فقط.

٦

إعداد تقرير دراسات الحالة

كيف وماذا تكتب

امتلاك موهبة الكتابة:

كقاعــدة عامة، تمثل مرحلة إعداد التقرير عبئاً كبيراً على باحثي دراســات الحالة؛ لأنها لا تلتزم بشــكل نمطي محدد كمقالة علمية في علم النفس على ســبيل المثال. وبسبب هذه الطبيعــة غــير المحددة، قد يشــك الباحثون الذيــن لا يفضلون الكتابــة في رغبتهم بإجراء دراســات الحالة في المقام الأول، إلا أن معظم باحثي دراسات الحالة البارزين كانت لديهم الرغبــة في الكتابة، كما أنه فعلياً تتوفر لديهم موهبة الكتابة أو عرض النتائج شــفهيًّا، فهل لديك الموهبة أيضاً؟

وبالطبع، يســتطيع معظم الباحثين في النهاية تعلم الكتابة بسهولة وبشكل جيد. لذا؛ لا ينبغي أن تكون قلة الخبرة في الكتابة عائقاً دون القيام بدراسات الحالة. ولكن، هناك حاجة للمزيد من الممارسة. علاوة على ذلك، إذا كنت ترغب في إجراء دراسات حالة جيدة، فعليك السعي بأن تكون جيداً في الكتابة وليس فقط العمل عليها بدون رغبة. ومن أحد مؤشرات النجاح في مرحلة الممارســة على الكتابة، هو ما إذا كنت تجد أوراق البحوث الفصلية سهلةً أو صعبــة للقيام بها عندما كنت في المرحلة الثانوية أو الجامعة. فكلما كانت تلك البحوث صعبة، كان من الصعب كتابة تقرير دراســة الحالة. ويتمثل المؤشر الآخر في نظرة الباحث للكتابــة على أنها فرصة أو عبء وعمل شــاق. فالباحث الناجح عــادةً يرى مرحلة الكتابة فرصة ــ لتقديم مســاهمة علمية هامة في مجال المعرفة والتطبيق، ومن ثم مشــاركة تلك المساهمة العلمية مع الآخرين.

ماذا يتضمن التأليف؟

يناقش هذا الفصل "تأليف" دراسات الحالة وليس الكتابة فقط؛ لأن تقرير دراسة الحالة قد يشمل نماذج نصية وغير نصية. فالنماذج غير النصية الواضحة تشمل الجداول والأشكال والرسوم البيانية والرسومات التوضيحية والصور الأخرى. وعلى سبيل المثال، قد تُصمم شرائح عرض تقديمي لمشاركة دراسة حالة كاملة (مثل : Naumes &Naumes, 1999, chap.10). وقد تتضمن دراسات حالة أخرى مواد سمعية وبصرية، ولكن قد يُخاطر الباحث بدرجة كبيرة إذا قام بإعداد تقرير عن دراسة الحالة الأولى في نفس الموضوع بناءً على أول مادة سمعية أو بصرية.

وتأتي المرحلة المعرفية الذي تتمثل في عملية " التفكير" قبل البدء في مرحلة الكتابة. وقد تجد صعوبة في الكتابة إذا لم يكن لديك أفكار محدد في ذهنك. ومع ذلك، فقد تأتي مثل هذه الملاحظة العادية بأفكار ورؤى مفيدة : عندما تعلم أنه ليس لديك الكثير في الجانب المعرفي إذا حاولت في تلك اللحظة البدء في الكتابة (على سبيل المثال، استجابة موعد خارجي تم جدولته مسبقاً) وقتها قد تشعر بالإحباط. وفي الواقع، تحتاج إلى البدء في العمل الذهني والتفكير أولاً. ولتحقيق ذلك، ينبغي عليك أن تبدأ بقراءة دراسة بحثية ذات علاقة مباشرة بدراسة الحالة التي تقوم بها، أو الطريقة الأخرى وهي مراجعة ملاحظاتك. وكباحث مُمارس، قد تعرف طرقاً من شأنها أن تجعل أفكارك تنضج قبل أن تتوقع البدء في أي جزء من عملية الكتابة.

نقطة تعلم : ماهي أفضل طريقة لإنجاز دراسة الحالة بأقل قدر من المتاعب والوقت ؟

يختلف كل باحث عن الآخر، لذلك؛ لا بد أن تطور أسلوبك الخاص وكذلك الخيارات المتاحة أمامك. ويستمر التحسين مع كل دراسة حالة تقوم بها، لذا لا تتفاجأ إذا كانت أول دراسة حالة تقوم بها تبدو أكثر صعوبة. فإحدى الإستراتيجيات الممكنة هي التفكير في الكتابة بطرق "شمولية" و "عكسية". حيث تركز الطريقة " الشمولية" على البدء في إنشاء منتجك النهائي (مكتوباً أو شفهياً) في شكل جدول، أو عرض، أو مقالة قصيرة أو اقتباس تُدرجه في نص دراسة الحالة، (ولكن لا تحاول كتابة النص المصاحب حتى الآن)، وبنفس الطريقة، اعمل على جمع كل الجداول والعروض البيانية والمقالات القصيرة والاقتباسات المرتبطة بدراسة الحالة بأكملها، مرتباً كل ذلك بالتسلسل الذي تظهر به في النص النهائي. أما الطريقة "العكسية" فتنفذ من خلال البدء في كتابة الرواية الخاصة بالجزء الأخير من دراسة الحالة قبل الأجزاء المتبقية، ثم اكتب الرواية التحليلية التي أدت إلى الجزء النهائي وهكذا.

إذا اتبعت هذه المقترحات السابقة بنجاح، فهل ستنجز دراستك ؟ هل سيكون لديك فقط المسودة الأولى التي تحتاج الآن أن تُعاد كتابتها حتى تتكامل بشكل أفضل؟

وهناك تعليق آخر حول كتابة تقارير دراسات الحالة : يتمثل في أنه ــ على الرغم من أن هذا الفصل يشجع على الكتابة بطريقة إبداعية مع بعض الموهبة ــ لا ينبغي التفكير أو التحدث بخصوص كتابة دراسات الحالة كما لو كنت تؤلف رواية. فأي إشارة إلى "رواية القصــص" أو "الدراما" أو أي خصائــص أخرى متعلقة بالأدب القصصي الجيد ــ حتى وإن تــم التعبــير عنها بأيٍ طريقة ــ قد يجعل القُراء يشــككون في ســلامة ومصداقية البحث وتفســيراته. وبدلاً مــن ذلك، يجب توجيه التفكــير في الكتابة الواقعيــة (غير القصصية) باعتبارها الأســلوب أو المهارة المناظرة. فهناك دراســات حالة عديــدة تتناول الكتابة غير القصصيــة الإبداعية والفعالة (مثل: Caulley, 2008)، ويمكنك الاطلاع على الأدبيات التي ناقشت هذا الموضوع لمعرفة المزيد من الإرشادات المتعلقة بالكتابة.

وبالمثــل، يجب أن تشــعر بالارتياح عند الاطلاع على بعض المراجــع العلمية الأخرى التي تغطي كتابة تقارير البحوث في العلوم الاجتماعية بشكل عام مثل (Barzun & Graff,1985)، و (Becker, 1986; Wolcott, 2009)، حيــث تقــدم مثل هذه المراجع رســائل تذكير ثمينة حول تدوين الملاحظات، وإعداد الخطوط العريضة، واســتخدام كلمات ســهلة، وكتابة جُمل واضحــة، ووضع جدول زمني للتأليف، وتجاوز الرغبة الشــائعة في عدم التأليف. مع أمل أن يساعد كل ذلك على تحسين مستوى التأليف لديك وتجنب "انفعالات الكاتب".

وكتعليــق نهائي، لا يهدف هذا الفصل إلى إعــادة تلك النصائح العامة التي يمكن تطبيقها على جميع أنواع البحوث بما فيها دراســات الحالة. ولكن تميل جميع البحوث إلى التشــديد عــلى تحديد (متى) و (أين) تكتب بطريقة مريحة بشــكل أكثر. غير أن تلك البحوث لا تميل إلى تقديم أفكار محددة عن (ماذا) يمكن تأليفه، بالإضافة إلى المشكلات الأخرى التي قد تنشأ أثناء كتابة تلك التقارير. ولتغطية هذا الفراغ ، اشتمل هذا الفصل على الأقسام التالية :

- الجمهور المستهدف من تقارير دراسة الحالة.
- الأنواع المختلفة لكتابات دراسة الحالة.
- إجراءات كتابة تقرير دراسة الحالة.
- الإجابــات المحتملة حول خصائص دراســة الحالــة المثالية (التي تتجاوز التقرير نفســه وتشمل تصميم ومحتوى الحالة).

يُذكرنا (الفصل الرابع) بعدم ضرورة أن يكون تقرير دراسة الحالة هو الطريقة الرئيسية لتسجيل أو ترتيب قاعدة الأدلة لدراسة الحالة، بل أكد (الفصل الرابع) على استخدام قاعدة بيانات دراسة الحالة لهذا الغرض (انظر الفصل الرابع، المبدأ الثاني). ولذلك؛ تهدف جهود الكتابة التي يناقشها هذا الفصل إلى دعم أهداف إعداد التقرير وليس التوثيق.

تمرين ٦-١: التقليل من صعوبات الكتابة

يعاني الجميع من صعوبات في كتابة التقارير، سواء كان ذلك في دراسات الحالة أو غيرها. ولتحقيق النجاح في الكتابة، يجب على الباحثين اتخاذ خطوات محددة أثناء عملية إجراء الدراسة للحد من معوقات الكتابة. اذكر خمس خطوات قد تتبعها في الكتابة ـ على سبيل المثال، كأن تبدأ بكتابة جزء محدد في مرحلة مبكرة من مراحل الكتابة. هل اتبعت أي خطوة من تلك الخطوات الخمس سابقاً؟

الجمهور المستهدف من تقارير دراسة الحالة:

الفئات المستهدفة المحتملة:

يعمل التفكير الأوَّلي في الجمهور المحتمل أو المفضل وشكل كتابة التقرير كنقطة انطلاق جيدة لكتابة دراسة الحالة. فقد يتضمن نشر دراسة الحالة ونتائجها فئات محتملة من الجمهور أكثر تنوعاً من أشكال البحوث الأخرى. فقد تشمل الفئات المستهدفة من دراسات الحالة: (١) الأكاديميين، (٢) وصانعي السياسات، الممارسين، وقادة المجتمع والمهنيين الآخرين الذين لا يتخصصون في دراسات الحالة أو بحوث العلوم الاجتماعية الأخرى، (٣) والفئات الخاصة، مثل: اللجان المشرفة على الرسائل العلمية، (٤) والجهات الممولة للبحوث.

وعند نشر نتائج البحث القائمة على أساليب أخرى مثل التجارب العلمية، عادة لا تكون فيها الفئة المستهدفة الثانية ذات صلة؛ حيث يتوقع القليلون أن النتائج من التجربة المختبرية تكون موجهة إلى غير المتخصصين. ومع ذلك في دراسات الحالة، قد تكون هذه الفئة الثانية هدفاً متكرراً لتقرير دراسة الحالة. وبالمثل، الفئة الثالثة المستهدفة هي

المتلقي المتكرر لتقرير دراسة الحالة أيضاً، ويعود ذلك إلى العدد الكبير للرسائل العلمية والأطروحات في العلوم الاجتماعية التي تعتمد على دراسات الحالة.

ونظراً لكون دراسات الحالة تستهدف فئات محتملة أكثر من أنواع البحوث الأخرى، تتمثل إحدى المهام الأساسية لتصميم تقرير دراسة الحالة العام في تحديد (جمهور) أو فئة محددة للتقرير. فكل فئة لها احتياجات مختلفة ولا يوجد تقرير واحد يلبي متطلبات كل الفئات في الوقت نفسه.

فبالنسبة إلى الأكاديميين مثلاً، قد تُمثل العلاقات بين دراسة الحالة ونتائجها والنظريات والبحوث السابقة أهمية كبيرة لهم (انظر مربع ٣٩). أما بالنسبة إلى غير المتخصصين، قد تحمل العناصر الوصفية في تصوير العالم الحقيقي، والآثار المترتبة على السياسات والقرارات أهمية كبيرة لهم. وفيما يتعلق باللجان المشرفة على الرسائل العلمية، تمثل البراعة في استخدام منهجية البحث والقضايا النظرية بالإضافة إلى العناية التي يُجرَى بها البحث أهمية بالغة أيضاً. وأخيراً، بالنسبة إلى جهات تمويل البحوث، من المحتمل أن تكون أهمية نتائج دراسة الحالة ـ سواء قُدمت بلغة أكاديمية أو عملية ـ أكثر أهمية من وصف أساليب البحث. ومن ناحية أخرى، فإن التواصل الناجح مع أكثر من فئة مستفيدة يعني الحاجة إلى أكثر من نسخة واحدة من تقرير دراسة الحالة، لذا على الباحثين الأخذ في الاعتبار الإيفاء بتلك الحاجة (انظر مربع ٤٠).

مربع (٣٩)

إعادة طباعة دراسة حالة مشهورة

لسنوات عديدة (١٩٤٩/١٩٨٠) ظلت دراسة الحالة التي أجراها (Philip Selznick) "بعنوان: هيئة ولاية تينيسي وجذور العشب - TVA and the Grass Roots" عملاً كلاسيكياً حول المنظمات الحكومية. وقد استشهد بتلك الحالة في دراسات لاحقة كثيرة تتعلق بالهيئات الفيدرالية والسلوك السياسي واللامركزية التنظيمية. وبعد ثلاثين عاماً من نشرها، أُعيدت طباعة هذه الحالة في عام ١٩٨٠م كجزء من سلسلة إعادة مطبوعات المكتبة في (جامعة كاليفورنيا بريس) التي تعتبر الناشر الأصلي لها، وقد سمح الإصدار الثاني للكثير من الباحثين إمكانية الاستفادة من دراسة الحالة هذه المشهورة ، وعكس مساهمتها الكبيرة في هذا المجال.

مربع (٤٠)

نسختان من نفس دراسة الحالة

نفذ مكتب التخطيط المدني لمقاطعة بروارد بولاية فلوريدا، نظاماً إلكترونياً للمكتب بدأ في عام ١٩٨٢م وجاء ذلك في دراسة حالة بعنوان(The Politics of Automating a Planning Office ـ سياسة العمل الالكتروني لمكتب التخطيط) والتي أعدها (Standerfer & Rider,1983). كانت إستراتيجيات التنفيذ إبداعية وذات أهمية، خصوصاً بالنسبة إلى التوترات مع إدارة الحاسب الآلي التابع لحكومة المقاطعة. ونتيجة لذلك ؛ كانت دراسة الحالة مثيرة للاهتمام ومليئة بالمعلومات، كما أن النسخة المنشورة منها التي ظهرت في مجلة تطبيقية كانت مشوقة للغاية وسهلة القراءة. ولأن هذا النوع من التنفيذ يشمل بعض المشكلات التقنية المعقدة، قدم الباحثان معلومات تكميلية إلى القارئ المهتم. فقد شملت النسخة المنشورة من دراسة الحالة الأسماء، والعناوين، وأرقام الهواتف حتى يستطيع القارئ الحصول على تلك المعلومات الإضافية. وأخيراً، فإن توفر نسختين من تقارير دراسة الحالة يعتبر فقط مثالاً واحداً لتوضيح كيف أن التقارير المختلفة لنفس دراسة الحالة لها فائدة للتواصل مع فئات مختلفة من الجمهور والمهتمين.

تمرين ٦-٢ : تحديد الجمهور المستهدف

حدد الفئات البديلة من الجمهور المستهدف من دراسة الحالة التي تقوم بكتابتها. ولكل فئة من هذا الجمهور، حدد مميزات تقرير دراسة الحالة التي تسلط الضوء عليها أو تقلل من التركيز عليها. هل سيفيد نفس التقرير كل الفئات المستهدفة ؟ ولماذا ؟

توجيه تقرير دراسة الحالة لاحتياجات الجمهور المستهدف:

بوجه عام، ينبغي أن تحدد خيارات الجمهور المستهدف المحتمل شكل تقرير دراسة الحالة. وعلى الرغم من أن إجراءات ومنهجية البحث قائمة على الإرشادات العامة المقترحة في (الفصل الأول وحتى الفصل الخامس) من هذا الكتاب ، فلا بد أن تتضمن الكتابة النهائية لدراسة الحالة التأكيدات، والتفاصيل، وأشكال الكتابة، والمعلومات المطولة، التي تناسب احتياجات الجمهور المستهدف. وتكمن أهمية الجمهور المستهدف في أن الباحث يجمع المعلومات

الرســمية للبيانات التي يحتاجها الجمهور المســتهدف، والطرق المفضلــة لنشر تلك المعلومات (Morris, Fitz-Gibbon & Freeman, 1987, p.13). وعــلى هــذا المنوال يلفت هذا المؤلف بشكل متكرر انتباه الطلاب في مرحلة كتابة الرسائل والأطروحات العلمية إلى حقيقة أن اللجنة المشرفة على الرســالة أو الأطروحة العلمية، قد تكون هي الفئة الوحيدة المســتهدفة من كتابة الرسالة. وتحت هذه الظروف، ينبغي أن تحاول دراسة الحالة النهائية التواصل مباشرة مع هذه اللجنة، وهناك تكتيك مقترح وهو إدراج البحوث الســابقة لأعضاء اللجنة في أدبيات الرســالة العلمية أو الأطروحة، وهذا سيخلق حالة من تداخل المفاهيم و (المنهجيات)، وبذلك يزيد من قابلية الاتصال المحتمل للرسالة أو الأطروحة العلمية مع هذا الجمهور بالذات.

وأياً كان الجمهور المســتهدف، فالخطأ الكبير الذي قد يرتكبه الباحث هو كتابة دراســة الحالة من وجهة نظر ترتكز على الذات أو الأنا، وقد يحدث هذا الخطأ إذا أتممت دراســة الحالة دون تحديد الجمهور المســتهدف، أو عدم فهم احتياجاته. ولكي تتجنب هذا الخطأ، لا بد أن تحدد هذا الجمهور المســتهدف كما أشرنا إلى ذلك ســابقاً. والمقترح الثاني في هذا الجانب بمســتوى الأهمية نفســها هو اختبار دراســات الحالة الأخرى التي نُشرت نتائجها بنجاح إلى مثل هذا الجمهور المستهدف. حيث قد تساعدك دراسات الحالة الأخرى في كتابة دراســة حالة جديدة. فعلى ســبيل المثــال، الأخذ في الاعتبار مرة أخرى رســالة أو أطروحة علمية لأحد الطلاب. فهذا الطالب ينبغي عليه أن يسترشــد بالرسائل العلمية السابقة التي اجتازت المتطلبات الأكاديمية بنجاح أو وصفت من ضمن الأعمال المميزة. فمن خلال فحص ومراجعة مثل تلك الأعمال قد ينتج عنه أفكار بخصوص معايير الأقسام العلمية (وخيارات المراجعين أو المناقشين) لتصميم رسالة أو أطروحة علمية جديدة.

التواصل مع دراسات الحالة:

يتمثل أحد الفروق بين دراسة الحالة والأنواع الأخرى من البحوث في أن تقرير دراسة الحالة يكون في حد ذاته وســيلة اتصال هامة. فبالنسبة إلى الكثير من غير المتخصصين، يمكن أن يؤدي اطلاعهم على دراســة حالة مقنعة وقوية إلى زيادة الوعي، ويقدم رؤىء وأفكاراً واقتراح حلول لظروف معينة. ويمكن تحسين جودة دراسة الحالة من خلال مواد غير نصية بســيطة ولكن جذابة، مثل: المقالات الصغيرة، والصور، والرسوم البيانية. فكل

هذه المعلومات يمكن أن تساعد الآخرين في فهم الظاهرة، عندما لا تستطيع الإحصاءات المعقدة أو المجردة ــ مهما تكون مقنعة لجمهور البحث ــ القيام بذلك.

وتحــدث بعض المواقف ذات العلاقة ــ والتي غالباً يتم إغفالها ــ عند تقديم الشــهادة أمام لجنة تشريعية. فعلى ســبيل المثال، إذا أدلى رجل مســن بشــهادة بخصوص الخدمات الصحيــة التي يتلقاهــا أمام اللجنة، قد يظــن أعضاء تلك اللجنة أنهــم حصلوا على أفكار ووجهات نظر مبدئية عن الرعاية الصحية للمســنين بوجهٍ عام، بالاعتماد على حالة واحدة فقط. وحينئذ، قد يرغب أعضاء اللجنة في الاســتعداد لمراجعة الإحصاءات المتعلقة بانتشار الحالات المشــابهة. وفي وقتٍ لاحق، قد تستفسر اللجنة حول الطبيعة الرمزية للحالة الأولى قبــل اقتراح أي تشريع جديــد. ولكن من خلال هذه العملية بالكامــل، قد تكون "الحالة" الأولى التي مثلها الشــاهد (الرجل المسن) هي المحفز الأساسي الذي لفت الانتباه إلى قضايا الرعاية الصحية في المقام الأول.

ومــن خلال هــذا الطريقة والطرق الأخرى، يمكن أن تعمل دراســة الحالة على نقل معلومات البحوث التي ناقشــت ظاهرة معينــة إلى فئة من غير المتخصصين. ولذلك؛ قد تتجاوز فائدة دراسة الحالة دور تقرير البحث النموذجي، التي توجه عموماً إلى الباحثين الآخرين بدلاً من غير المتخصصين. ومن الواضح أن دراســات الحالة الوصفية والتفسيرية يمكــن أن تكون مهمة في هذا الدور. ولذلــك؛ لا ينبغي تجاهل التأثير الوصفي المحتمل لدراسة الحالة ذات العرض الجيد (انظر مربع ٤١).

مربع (٤١)

استخدام الاستعارة المجازية لتنظيم كلاً من النظرية والعرض في مجال علمي آخر

كان موضوع الدراسة التاريخية الشهيرة بعنوان The Anatomy of a Revolution "تشريح الثورة"، لمؤلفها (Crane Brinton, 1938) حول أربع دول، وهي: المستعمرات الأمريكية، روسيا، إنجلترا، فرنسا، والتي مرت بأحداث مشابهة أثناء الثورات السياسية التي حدثت بها. يقوم الباحث بتعقب وتحليل الأحداث بطريقة وصفية، حيث إن هدفه ليس فقط تفسير الثورات، وإنما تحديد اتباعها لمسارات مشابهة (انظر أيضاً مربع ٤٤ب، الذي يأتي لاحقاً في هذا الفصل). ويُظهر تحليل الحالات المتعددة أوجه التشابه الرئيسية. فقد كانت جميع هذه المجتمعات في طريق التقدم الاقتصادي، رغم وجود بعض الصراعات الطبقية، وتخلي المفكرين عن حكوماتهم، وعدم كفاءة الجهاز الحكومي، وممارسة الطبقة الحاكمة لسلوكيات غير أخلاقية متعددة. ومع ذلك، وبدلاً من الاعتماد فقط على منهجية "العوامل" للوصف، يطور الباحث استعارة مجازية لكائن بشري يعاني من الحُمَّى، كطريقة لوصف نمط الأحداث مع مرور الوقت. ويستخدم الباحث ببراعة كبيرة النمط الدوري للحُمَّى ونزلات البرد التي تصل إلى نقاط حرجة، ويتبعها شعور غير حقيقي بالطمأنينة والهدوء لوصف تقلبات الأحداث في الثورات الأربعة.

أنواع كتابة دراسة الحالة:

تشمل تقارير دراسات الحالة نماذج كثيرة من الكتابة، بعضها يشبه تلك التي تستخدم في التقارير القائمة على أساليب البحوث الأخرى. ولكن عندما تكتب دراسة حالة ستجد مجموعة من الخيارات المتعلقة بشكل خاص بدراسات الحالة، وتُعتبر ضمن الأنواع التي ستتم مناقشتها في هذا القسم، وهي: (١) نماذج التقارير، (٢) الهياكل التوضيحية العامة لكتابة دراسات الحالة، (٣) أقسام أساليب وأدبيات البحث لتقرير دراسة الحالة، (٤) ودراسات الحالة كجزء من دراسات الأساليب البحثية المختلطة.

نماذج التقارير:

تنقسم نماذج تقارير دراسة الحالة إلى أربعة أنواع على النحو التالي:

دراسة الحالة الفردية: النوع الأول هو دراسة الحالة الفردية التقليدية، وفي هذا النوع يتم استخدام نص فردي لوصف وتحليل الحالة، وقد يُدعم النص بجداول ورسوم بيانية وصور وخرائط وغير ذلك. وقد تكون دراسات الحالة الفردية التقليدية كبيرةً بحجم كتاب، وذلك على حسب عمق الدراسة، الأمر الذي قد يقيّد خيارات نشرها. وفي نفس الوقت، تنشر العديد من المجلات الأكاديمية ـ بما في ذلك أفضل المجلات المتخصصة ـ مقالات ذات طول معين يكفي لاستيعاب دراسات الحالة ذات الصياغة الجيدة. لذا؛ يجب على الباحث مراجعة إدارة المجلات الأكاديمية في مجال تخصصه، قبل افتراض أن دراسة الحالة الخاصة به يمكن نشرها فقط في شكل كتاب.

وينبغي أن نتذكر أيضاً أن دراسة الحالة الفردية قد تأتي وفقاً لتصميم دراسة الحالة المضمنة "Embedded" (انظر الفصل الثاني، شكل ٢-٤). وعند اتباع هذا التصميم، يقوم الباحث بجمع بيانات متعلقة بوحدة التحليل المضمنة، باستخدام أساليب بحثية أخرى، كالدراسات المسحية أو التحليلات الكمية للبيانات الأرشيفية، مثل: مؤشرات الوضع الصحي. وفي هذه الموقف، يشمل تقرير دراسة الحالة النهائي كتابة البيانات التي تأتي من خلال الأساليب البحثية الأخرى (انظر الفصل الرابع، مربع ١٩).

دراسة الحالة المتعددة: النوع الثاني من نماذج التقارير هو دراسة الحالة المتعددة التي تتكون من الحالات الفردية التقليدية. ويتكون تقرير الحالة المتعددة كاملاً من حالات فردية يتم تقديمها عادةً في فصول أو أقسام منفصلة. وبالإضافة إلى هذه الحالات الفردية، يحتوي التقرير الكامل على فصل أو قسم إضافي يناقش تحليل الحالات المتعددة ونتائجها. وبوصفه نوعاً آخر من التقارير، فإن المواد الواردة فيه تُشكل الجزء الأكبر من التقرير الرئيسي (بحيث يكون مناسباً للنشر كمقالة في المجلات الأكاديمية) مع الحالات الفردية التي تُعرض كمجموعة من الملاحق، (أو نشر هذه الملاحق بصورة فردية حسب ما يتوافق مع حجم المقالات الأكاديمية). ومن خلال تنسيق أكثر اتساعاً، يتطلب تقرير دراسة الحالة المتعددة فصولاً أو أقساماً للحالات المتعددة، بحيث يُشكل جزءاً كبيراً، يستحق بأن يكون على شكل مُجلد منفصل عن المجلد الآخر الذي يحتوي على الحالات الفردية (انظر مربع ٤٢).

مربع (٤٢)

تقرير الحالة المتعددة

تحتوي دراسات الحالة المتعددة غالباً على فصول تتناول دراسات الحالة الفردية وبعض الحالات المتعددة كذلك. فبالنسبة إلى كتابة دراسات الحالة المتعددة قد يشارك فيها ايضاً محموعة من الباحثين.

وقد استخدم هذا النوع من الإعداد في دراسة ثماني إبتكارات جديدة في تعليم الرياضيات والعلوم، والتي حررها كل من (Raizen & Britton,1997). بعنوان: "المغامرات الجريئة ـ Bold Ventures"، وتظهر الدراسة في ثلاثة مجلدات طويلة ومنفصلة (المجلد الأول ٢٥٠ صفحة، والمجلد الثاني ٣٥٠ صفحة، والمجلد الثالث ٦٥٠ على التوالي). وتظهر الدراسات الفردية في المجلدين الأخيرين، بينما تغطي الفصول السبعة في المجلد الأول موضوعات دراسات الحالة المتعددة. وقد أنجز العديد من الباحثين فصول دراسات الحالة الفردية والحالات المتعددة، على الرغم من أن الدراسة في شكلها الكامل تم تنسيقها وإعدادها كمهمة عمل فردية.

الخيار المناسب لأي من دراسة الحالة الفردية أو المتعددة: يناقش النوع الثالث من تقارير دراسات الحالة الفردية أو المتعددة، ولكن لا يستخدم النص التقليدي. فبدلاً من ذلك، تتم كتابة كل حالة من خلال اتباع سلسلة من الأسئلة والإجابات، بالاعتماد على الأسئلة والإجابات الواردة في قاعدة بيانات دراسة الحالة الخاصة بالباحث (انظر الفصل الرابع). ولأغراض كتابة التقرير؛ قد يوجز الباحث محتوى قاعدة البيانات الأصلية ويدققها لكي تكون سهلة القراءة، ومع التقرير النهائي يستمر افتراض نموذج التقرير بصورة مماثلة للاختبار الشامل. (وعلى العكس من ذلك، قد يعتبر نص دراسة الحالة التقليدي مشابهاً لنموذج البحث الفصلي). ولكن لا يُعبّر نموذج الأسئلة والإجابات عن الموهبة الإبداعية لدى الباحث، وإنما يساعده على التقليل من مشكلات انفعالات الباحث ؛ ويعود السبب في ذلك إلى امكانية الاستمرار مباشرة في الإجابة عن مجموعة الأسئلة المطلوبة (ومرة أخرى، للاختبار الشامل ميزة مشابهة للبحث الفصلي).

إذا استخدم الباحث نموذج الأسئلة والإجابات لكتابة تقرير دراسة الحالة المتعددة، مكرراً نفس مجموعة الأسئلة التي تغطي كل دراسة حالة فردية، كانت هناك مزايا كبيرة:

حيث يحتاج القارئ فقط إلى الاطلاع على إجابات السؤال أو الأسئلة في كل دراسة حالة لكي يتمكــن من إجراء مقارناته على الحالة المتعددة. ولأن كل قارئ قد يهتم بأســئلة مختلفة؛ يُســهِّل هذا النوع من الكتابة تطوير تحليل الحالات المتعددة، والذي يثير اهتمام القارئ (انظر مربع٤٣). كما يمكن الاطلاع على المرجع (Yin, 2012, chap.6)، إذ يتضمن دراســة حالة كاملة من هذا النوع.

مربع (٤٣)

نموذج الأسئلة والإجابة: دراسات حالة بدون أسلوب السرد القصصي التقليدي

لا يجب عرض أدلة دراســة الحالة في صورة السرد القصــصي التقليدي، بل إن النموذج البديل لعرض نفس الأدلة هي كتابة الرواية في شكل أسئلة وإجابة. حيث تُطرح سلسلة من الأسئلة وتأخذ الإجابات المســاحة المعقولة ــ على سبيل المثال ــ تُخصص ثلاث أو أربع فقرات لكل سؤال وإجابة، ويمكن أن تحتوي كل إجابة على الأدلة ذات الصلة وتُدعم بعروض مجدولة واقتباسات.

اتبع هذا النوع البديل في (٤٠) دراسة حالة لمؤسسات مجتمعية أجرتها اللجنة الوطنية الأمريكية للأحياء الســكنية بعنوان (الناس وبناء الأحياء السكنية ـ People, Building Neighborhoods) في العــام (١٩٧٩م). وقد تم اســتخدام نموذج الأســئلة والإجابات في كل حالــة؛ ولذا يمكن للقارئ المهتم تحليل الحالات المتعددة باتباع الســؤال ذاته في جميع الحالات. ومن ناحية أخرى، يســمح هذا النوع للقراء الآخرين الذين يستعرضون الحالات بشكل سريع بإيجاد الأجزاء ذات الصلة لكل حالة. وبالنســبة إلى الأشــخاص الذين يعترضون على غياب السرد القصــصي التقليدي، تتطلب كل حالة ملخصاً لا يتقيد بأي شــكل (ولكن لا يجب أن يتجاوز صفحات كثيرة)، وهذا يســمح للباحث بممارسة مواهبه الأدبية.

الخيار المناسب لدراسة الحالة المتعددة فقط: ينطبق النوع الرابع والأخير على دراسات الحالة المتعددة فقط. وفي هذا الموقف، قد لا يوجد فصول أخرى أو أقسام أخرى مستقلة ومخصصة للحالات الفردية، بل يتكون التقرير كله من تحليل الحالات المتعددة سواء أكان وصفياً بشكل كامل أو كان مشتملاً على موضوعات تفسيرية. ففي مثل هذا التقرير، قد يخصص كل فصل أو قسم لموضوع دراسة حالة متعددة، ويتم توزيع بيانات الحالات الفردية في كل فصل أو قسم. ومن خلال هذا النوع، يمكن عرض البيانات الموجزة عن الحالات الفردية في مقالات مختصرة، إن لم يتم تجاهلها تماماً (انظر مربع ٤٤، وكذلك الفصل الأول مربع ٣ ب) . وبالنسبة إلى النسخ الشفهية من دراسة الحالة المتعددة، فإن مثل المقالات ـ المضمنة في العرض الرئيسي الذي يغطي موضوعات دراسات الحالة ـ مفيدة جداً أيضاً.

وكملاحظة أخيرة، ينبغي تحديد نوع كتابة دراسة الحالة أثناء مرحلة التصميم، والذي يتضمن بديلاً من البدائل (الأنواع) الأربعة أعلاه، ولكن يمكن تعديل خيارك الأول إذا وجدت ظروفاً غير متوقعة، وقد يبدو نوع مختلف من نماذج الكتابة أكثر صلة من النوع الذي سبق اختياره في الأصل. ورغم ذلك، يعمل الاختيار المبكر على تسهيل كل من تصميم وإجراء دراسة الحالة، ولا بد أن يكون هذا الاختيار الأولي جزءاً من بروتوكول دراسة الحالة الذي ينبه الباحث بطبيعة النموذج النهائي لدراسة الحالة التي يقوم بها ومتطلباته.

مربع (٤٤)

كتابة تقرير دراسة الحالة المتعددة

لا ينبغـي عرض دراسـات الحالة الفردية دائماً في المسـودة النهائية عند كتابة دراسـة الحالة المتعددة. حيث تعمل الحالات الفردية فقط بشـكل عام كقاعدة أدلة للدراسة، ويمكن الاستشهاد بها بصورة متفرقة في تحليل الحالات المتعددة (انظر أيضاً مربع ٣ب، الفصل الأول).

٤٤-أ: مثال لا يستعرض حالات فردية

استخدم (Herbert Kaufman,1981) هذه الطريقة في كتاب قام بتأليفه عن ستة من رؤساء المكتب الفيدرالي بعنوان "السـلوك الإداري لرؤسـاء المكتب الفيدرالي". وقد أمضى الباحث فترات طويلة من الوقت مع كل رئيس لفهم طبيعة عمله اليومي الروتيني، حيث أجرى مقابلات شخصية مع هؤلاء الرؤساء واستمع إلى مكالماتهم الهاتفية، وحضر الاجتماعات ومناقشات الموظفين العاملين في مكاتب الرؤساء.

ومع ذلك، لم يكن غرض الكتاب دراسـة أحد الرؤسـاء، بل يهدف الكتاب إلى دمج كل الدروس المسـتفادة من الجميع، ويضعهـا في موضوعات تتمحور حول التالي : كيف يتخذ هؤلاء الرؤسـاء القرارات، وكيف يسـتقبلون ويراجعون المعلومات، وكيف يحفزون موظفيهم. ومن ثم ، تحت كل موضوع، يسـتخلص الباحث أمثلة مناسـبة من الحالات السـتة، ولكن لم يتم عرض أي من هذه الأمثلة كدراسة حالة فردية.

٤٤-ب: مثال آخر (في مجال مختلف) لا يحتوي على عرض الحالات الفردية

تم اسـتخدام تصميم مشابه لتصميم (Kaufman) ــ في مجال علم التاريخ ــ من خلال كتاب مشـهور مـن تأليـف (Crane Brinton,1938) بعنـوان "The Anatomy of a Revolution - تشريح الثورة". يدرس هذا الكتاب أربع ثورات هي: الإنجليزية والأمريكية والفرنسـية والروسـية (انظر أيضاً مربع ٤١ في بداية هذا الفصل). يمثل هذا الكتاب التحليل والنظرية للفترات الثورية، مع أمثلة ذات صلة وثيقة مسـتخلصة من كل حالة من الحالات الأربعة. ورغم ذلك، لا توجد محاولة لعرض هذه الثورات كدراسات فردية كما هو الحال في كتاب (H. Kaufman,1981).

الهياكل التوضيحية الشاملة لكتابة دراسة الحالة:

عنــد العمل على كتابــة تقرير دراســة حالة فردية، يجــب تنظيم الفصول والأقســام والموضوعات الفرعية والمكونات الأخرى بطريقة منظمة، وهذا يشــكل هيكل كتابة دراسة الحالــة. وقد أصبح التعامل مع هذا الهيكل أحد موضوعات الاهتمام في الأســاليب البحثية الأخــرى. عــلى ســبيل المثــال كتــاب (Kidder & Judd, 1986, p.430- 431) الذي يمثل تقريراً على شــكل الســاعة الرملية للدراســات الكمية. وفي علم الأنثربولوجيا، حدد (John Van Maanen,1988) مجموعــة متنوعــة من طرق كتابة نتائــج البحث الميداني، وهو ما يعرف بأنه يغطي وجهات نظر واقعية ومذهبية وانطباعية ورســمية وأدبية ومشتركة. وقد تستخدم هذه الأنواع المختلفة في تركيبات مختلفة في نفس التقرير.

وتوجــد أيضاً خيــارات بديلة لتصميم هياكل تقارير دراســة الحالة ، حيث يقترح هذا الفصل ســتة هياكل توضيحية (انظر الشــكل ٦-١). إن التوضيحات الواردة في هذا الجانب تناقش بصورة أساســية كتابة دراســة الحالة الفردية، على الرغم من أن هذه المبادئ يمكن العمل بها في كتابة تقارير دراسات الحالة المتعددة. وكملاحظة أخرى، وكما هو مشار إليه في شــكل (٦-١) يمكن تطبيق الأنواع الثلاثة الأولى على دراسات الحالة الوصفية والاستكشافية والتفسيرية. أما النوع الرابع، فيمكن تطبيقه بصفة أساسية على دراسات الحالة الاستكشافية والتفسيرية، بينما يُطبق النوع الخامس على الدراســات التفســيرية، والنوع السادس على الدراسات الوصفية.

شكل (٦-١) الهياكل الستة وتطبيقها على الأغراض المختلفة لدراسات الحالة

أنواع هياكل كتابة دراسة الحالة	غرض دراسة الحالة		
	تفسيرية	وصفية	استكشافية
١- الهياكل التحليلية الخطية	×	×	×
٢- الهياكل المقارنة	×	×	×
٣- الهياكل المرتبة زمنياً	×	×	×
٤- الهياكل المعتمدة على بناء النظرية	×		×
٥- الهياكل التشويقية	×		
٦- الهياكل غير المرتبة		×	

الهياكل التحليلية الخطية: يعتبر الهيكل التحليلي الخطي هو المنهج المعياري لكتابة التقارير البحثية. حيث يبدأ تسلسل الموضوعات الفرعية بالقضية أو المشكلة المراد دراستها ومراجعة الأدبيات السـابقة. وتسـتمر الموضوعات الفرعية لتغطي الأسـاليب البحثية المستخدمة، وجمع البيانات، وتحليل البيانات والنتائج، وتنتهي بالاسـتنتاجات وتأثيراتها على القضية أو المشكلة الأصلية التي تمت دراستها.

بالإضافـة إلى العديد من دراسـات الحالة، فـإن معظم المقالات الأكاديميـة في العلوم التجريبية تعكس الهيكل التحليلي الخطي. ويعتبر هذا الهيكل هو الأنسب أو الأكثر سهولة لمعظم الباحثين، ومن المحتمل، أن يكون الأكثر فائدة، خصوصاً عندما تكون الفئة الرئيسية المسـتهدفة من دراسة الحالة هم الباحثون في المجال نفسه أو اللجنة المشرفة على الرسائل العلميـة. وعلينا أن نلاحظ أن هذا الهيكل يمكن تطبيقه على دراسـات الحالة التفسـيرية والوصفية والاستكشافية. وعلى سبيل المثال، تغطي الحالة الاستكشافية القضية أو المشكلة المراد بحثها أو كشـفها، والأساليب المسـتخدمة في البحث الاستكشافي، والنتائج من عملية الاستكشاف، والاستنتاجات (والتي قد تحتاج مزيداً من البحث).

الهيـاكل المقارنة: يكرر الهيكل المقارن نفس مادة دراسـة الحالة مرتين أو أكثر من خلال مقارنة التوصيفات البديلة أو تفسـيرات الحالة نفسـها. وتتمثل إحدى مزايا هذا النوع في إمكانية تطبيقه على دراسات الحالة القائمة على أبحاث واقعية أو نسبية.

في هذا الجانب، تُعد دراسة الحالة الشهيرة التي أجراها (Graham Allison,1971) عـن أزمة الصواريخ الكوبية (انظر الفصل الأول، مربـع 1) تطبيقاً واقعياً لهذا الهيكل. ففي تلك الدراسـة، كرر الباحث مجموعة واحـدة من الحقائق عن الأزمة ثلاث مرات. ورغـم ذلك، كانت كل حقيقة مكررة ترتبط بنمـوذج نظري مختلف، وكان الهدف من تكـرار الحقيقـة هو توضيح مدى ملاءمة نفس الحقيقة مـع كل نموذج. وجاءت هذه الحقائق المكررة وتفسـيراتها في ثلاثة فصول مختلفة داخـل الكتاب، معبرةً عن طريقة تطابق الأنماط في العمل.

ينشـأ التطبيق النسبي عندما تكرر دراسـة الحالة مجموعة متشابهة من الأحداث ولكن من وجهة نظر مشـاركين مختلفـين، متضمناً للطرق النسـبية أو البنائية وعرض وقائـع متعددة. ومن جانب آخر، يوضح كتاب (Frederick Wertz) بمسـاعدة بعض

الباحثــين (Wertz et al., 2011) وضعاً مماثلاً، حيث اســتخدم فصولاً مســتقلة لعرض خمســة تفســيرات مختلفة لمقابلة واحدة مكثفة. وفي هذه المقابلة، تصف امرأة شابة مرضاً مؤســفاً للغاية وكيف تعايشــت معه، وبالتالي يوضح كل تفسير لاحقاً وعن قصد طريقة مختلفة لتحليل نفس بيانات المقابلة.

علينا أن نلاحظ أن دراســات الحالة الواقعية والنسبية يمكن استخدامها، سواء كانت دراسة الحالة وصفية أو تفســيرية. فعلى سبيل المثال، يمكن وصف الحالة بصورة متكررة من وجهات نظــر مختلفــة أو من خلال نماذج مختلفة ــ وذلك لكي تفهم كيف أن نفس الحالة (أي الواقع) تم تنظيمها بطرق متعددة ــ سواء كان الهدف الاتفاق على تفسير واحد أم لا، والميزة الرئيسية هي أن نفس الحالة أو (تفسيرها) يتكرر مرتين أو أكثر بأسلوب المقارنة الصريحة.

الهياكل المرتبة زمنياً: نظراً لأن دراســات الحالة تناقش في الغالب أحداثاً خلال فترة زمنية؛ يُســتخدم طريقة ثالثة لعرض أدلة دراســة الحالة وفقاً لترتيبها الزمني. وهنا يتبع تسلسل الفصول أو الأقســام المراحل الأولى والوســطى والأخيرة من الحالة. وهذه الطريقة يمكن أن تخدم غرضاً مهماً في إجراء دراســات الحالة التفســيرية؛ لأن التسلسلات السببية الافتراضية يجــب أن تحــدث خطياً مع مرور الوقت. فإذا حدث الســبب المفــترض لحدث معين بعد حصول الحدث،كان هناك مبرر للتساؤل في الافتراض السببي الأولى.

وهنــاك خلل واحد في الهيكل الزمني يجب تجنبه، ســواء اســتخدم في دراســات الحالة التفســيرية أو الوصفية أو الاستكشافية. ويتمثل هذا الخلل في عدم إعطاء الاهتمام المناسب للأحداث السابقة وعدم الاهتمام الكافي للأحداث اللاحقة. وبصورة أكثر شيوعاً، يبذل الباحث الكثــير من الجهد في كتابة مقدمة دراســة الحالة، بمــا في ذلك تاريخهــا والمعلومات الأولية (Background)، في حــين لا يخصــص الوقت الكافي للكتابة عن الوضــع الراهن للحالة. ومع ذلك، فإن الكثير من الاهتمام في دراســة الحالة يرتبــط بالأحداث التي حدثت مؤخراً؛ ولهذا، تتمثــل أحد التوصيات في أنه عند اســتخدام الهيكل المتسلســل زمنياً ينبغي كتابة مســودة المعلومات الأولية عن دراســة الحالة. أما تلك الفصول أو الأقسام التي تتناول الوضع الراهن للحالة ينبغي كتابة المســودة الخاصــة بها أولاً، وبعد (اكتمال) كتابة هذه المســودات فقط ينبغــي كتابة مســودة المعلومات الأولية عــن الحالة. وعند إنجاز جميع المســودات، يمكنك العودة إلى التسلسل الزمني الطبيعي في مراجعة وتحسين النسخة النهائية لدراسة الحالة.

الهيــاكل المعتمدة على بناء النظرية: في هذه الطريقة ســوف يتبع تسلســل الفصول أو الأقســام منطق بناء النظرية، ويعتمد هذا المنطق على الموضوع المحدد والنظرية، ولكن لا بد أن يكشــف كل فصل أو قســم عن جزء جديد من الجدلية النظرية التي يتم مناقشتها. وعندمــا يتم التنظيم الجيد لدراســة الحالة، ســيؤدي التسلســل الكامل وكشــف الأفكار الأساسية إلى دراسة حالة مقنعة ومؤثرة.

ترتبط هذه الطريقة بدراســات الحالة التفســيرية والاستكشافية، وكلا النوعين يمكن أن يهتــم ببنــاء النظرية. فالحالات التفســيرية تتناول اختبار الجوانب المختلفة من المناقشــة الجدلية الســببية، في حين تناقش الحالات الاستكشافية قيمة البحث المستمر للفرضيات أو الافتراضات المختلفة.

الهياكل التشــويقية: يُعد هذا الهيكل عكس الهيكل التحليلي الخطي الذي تمت مناقشــته مسبقاً، حيث يتم عرض النتيجة الرئيسية لدراسة الحالة وأهميتها بشكل متناقض في الفصل أو القســم الأول. في حين أن الجزء المتبقي من دراســة الحالة ــ والأجزاء الأكثر تشــويقاً ــ تعمل بعد ذلك لتطوير تفســير النتيجة مع تفسيرات بديلة تؤخذ في الاعتبار في الفصول أو الأقسام التي تلي ذلك.

وترتبط هذه الطريقة بصورة وثيقة بدراسات الحالة التفسيرية؛ لأن دراسة الحالة الوصفية لا تحتوي بشــكل خاص على نتيجة هامة. فإذا اســتخدم الهيكل التشــويقي بصورة جيدة، سيكون غالباً هيكلاً جذاباً لكتابة دراسة الحالة.

الهيــاكل غير المرتبة: الهيكل غير المرتب هو عبارة عن الهيكل الذي لا يُعتبر فيه تسلســل الأقســام أو الفصول ذا أهمية كبيرة. وغالباً ما يكفي هذا النوع لدراســات الحالة الوصفية كــما في مثال حالة مدينة (Middletown) التي كتبها (Lynd & Lynd, 1929). وبصورة أساســية، يســتطيع الباحث تغيير ترتيب الفصول الســتة لذلك الكتاب، كما ذكرنا ذلك في (الفصل الخامس) ولكن ليس بإمكانه تغيير قيمته الوصفية.

وتعرض دراسات الحالة الوصفية غالباً نفس الخصائص للمنظمات. ومثل دراسات الحالة هذه تســتخدم فصول مستقلة أو أقسام لتغطي نشأة وتاريخ المنظمة وملكيتها، وموظفيها

وخطـوط إنتاجها، وتنظيمها الرسـمي، ووضعها المالي. ولا يمثـل الترتيب الذي تعرض من خلاله الفصول أو الأقسام أهمية كبيرة، وبالتالي يمكن اعتبارة طريقة غير مرتبة (انظر مربع ٤٥ كمثال آخر).

وإذا تم اسـتخدام الهيكل غير المرتب ، فإن الباحث يحتاج إلى الاهتمام بمشـكلة أخرى تتمثل في اختبار مدى اكتمال دراسـة الحالة. وبالتـالي ، على الرغم من أن ترتيب الفصول أو الأقسـام قد لا يهم ، فإن جمعها بصورة شـاملة يعتبر أمراً مهماً . وإذا تم تجاهل بعض الموضوعات الرئيسـية دون الكشف عنها ، فقد يعتبر الوصف غير مكتمل. ويجب أن يكون لـدى الباحث معرفة كافية وجيـدة حول الموضوع لتجنب مثل هذا القصور ـ أو أن يكون لديه نماذج ذات صلة من دراسات حالة أخرى كمرجع. . فإذا فشلت دراسة الحالة في تقديم وصف كامل، فيمكن اتهام الباحث بتجميع نسـخة منحرفـة من الحالة على الرغم من أن دراسة الحالة كانت وصفية فقط.

مربع (٤٥)

الفصول غير المُرتَّبة، ولكن في الكتاب الأكثر مبيعاً

يعتبر كتاب (البحث عن التفوق ـ In Search of Excellence) من أفضل الكتب مبيعاً وأكثرها قبولاً لدى الفئات الأكاديمية والشعبية، والذي قام بتأليفه كل من (Peters & Waterman,1982). فبالرغـم مـن أن الكتاب يقوم على أكثر من (٦٠) دراسـة حالة أُجريت حـول الشركات الأمريكية الكـبرى الأكثر نجاحاً، فـإن الكتاب يحتوي فقط على تحليل الحـالات المتعددة، ويغطي كل فصل مجموعـة ثاقبة من الخصائص العامة المرتبطة بتفوق وتميز الشركة. ولكن تسلسـل فصول الكتاب قابلة للتغيير. وأخيراً، قدم هذا الكتاب مسـاهمة علمية كبـيرة حتى وإن كانت فصول الكتاب لها ترتيب آخر.

أقسام الأساليب البحثية وأدبيات البحث في تقرير دراسة الحالة:

كجـزء من هياكل كتابة تقرير دراسـة الحالة ـ التي تم مناقشـتها قبل قليل ـ يغطي تقرير دراسة الحالة على الأقل موضوعين آخرين هما : أساليب البحث المستخدمة وأدبيات البحـث ذات العلاقة. ويمكـن للباحث الاطلاع على البحوث العامـة الأخرى للحصول على

الإرشادات حول كيفية التعامل مع هذين الموضوعين؛ لأن تقارير دراسات الحالة لا تتطلب عادةً أســاليب أو نماذج غير تقليدية، لكنها قد تثير بعض الموضوعات الإضافية والتي ســيتم مناقشتها لاحقاً[٢].

وصف أســاليب البحث: لا يمتلك معظم القراء المعرفة الواسعة للأساليب المستخدمة في أي دراســة بحثية، ولكن، ليس من غير المألوف في بحوث دراســة الحالة أن يفتقر بعض القراء أيضاً إلى معرفة بأســاليب دراســة الحالة بشــكل عام. ولهذا الســبب؛ قد يتطلب وصف أســاليب البحث أكثر من وظيفة روتينية لإقناع القارئ بجودة هذه الأساليب. لذلك يجب على الباحث التأكد من استخدام لغة رصينة ومتزنة وشفافة: لكي يتعرف القراء على العمل البحثي المنجز، وأن دراسة الحالة تم إجراؤها بعناية كبيرة ووعي منهجي دون أخطاء، وأن الهدف هو تحقيق نتائج ذات جودة عالية.

قد يكــون الوصف طويلاً أو قصــيراً، وهذا يتوقف على خيارات الجمهور المســتهدف. فعلى سبيل المثال ـ وكما تمت مناقشته سابقاً ـ قد تكون بعض فئات الجمهور المستهدف مهتمة بالنتائج أكثر من الأســاليب البحثية التي استخدمت في دراسة الحالة. فإذا كان الأمر كذلك، فينبغي الأخذ في الاعتبار كتابة قسم شامل للأساليب البحثية ومن ثم يقدم بعد ذلك كوثيقة جانبية. فإذا تم إعداد هذه الوثيقة بصورة جيدة، ســتؤدي إلى مادة علمية إضافية قابلة للنشر (انظر الجلســة الدراســية ٦-١). وبغض النظر عن طول دراســة الحالة، لا بد أن تغطــي الكتابة عدة موضوعات فرعية (انظر شــكل ٦-٢)، ومن خلال هذه الموضوعات الفرعية، يجب أن يتأكد الباحث أن القضايا الرئيسية لدراسة الحالة تبرز بشكل واضح مثل:

أ- الصياغة الدقيقة لأســئلة البحث والتي توضح الســبب المنطقي من إجراء دراسة الحالة، بدلاً من استخدام أسلوب بحثي آخر (انظر النقطة رقم ٢ ، الشكل ٦-٢).

ب- تحديد واختيار الحالات (انظر النقطة رقم ٣).

ج- ملــف متكامــل حول جمــع البيانات يصف بشــكل مقنع البيانات كمصــدر يقود إلى معلومات تفصيلية ومتعمقة حول الحالة (انظر النقطة رقم ٥).

د- إستراتيجية تحليل واضحة وصريحة (انظر النقطة رقم ٦).

شكل (٦-٢) خطة عامة للجزء الخاص بمنهجية البحث في تقرير دراسة الحالة

الموضوعات المنهجية	المحتوى التوضيحي
١- الأسلوب العام للكتابة	• لغة رصينة، ومتزنة، وشفافة، مع أسلوب منهجي واضح ومكتوب بطريقة جذابة.
٢- أسئلة البحث	• ينبغي أن تتناسب مع بحوث دراسة الحالة من خلال تركيزها على أسئلة «كيف» و «لماذا».
٣- التصميم	• تحديد الحالات وكيف تم اختيارها. • العلاقة المنطقية بين أسئلة البحث والبيانات التي سيتم جمعها. • التفسيرات المناظرة التي تم أخذها في الاعتبار.
٤- نظرة عامة على بقية قسم منهجية البحث	• ملخص لجمع البيانات وطرق التحليل (فهذا يمكِّن القارئ من تجنب قراءة باقي الجزء الخاص بالمنهجية إذا رغب في ذلك).
٥- البيانات التي تم جمعها	• التأكيد على تغطية البيانات للحالة أو الحالات بصورة مفصلة ومتعمقة. • عرض بروتوكول دراسة الحالة وكيف تم استخدامه. • قائمة المصادر حسب ترتيب أهميتها، ومزيد من التفاصيل عن عناصر معينة داخل المصدر (لمحة موجزة رقمية عن الأشخاص الذين تمت مقابلتهم في شكل جدول أو قائمة ملحقة بالوثائق التي تم الاطلاع عليها). • كيف تم التحقق من البيانات (مثل أساليب التقاء أو تقارب البيانات triangulation). • صعوبات غير متوقعة تمت مواجهتها وكيف أثرت على جمع البيانات.
٦- طرق التحليل	• وصف الطريقة التحليلية (تشابه الأنماط، بناء التفسيرات، إلخ...). • تحديد برامج CAQDAS وكيفية استخدامها.
٧- تنبيهات حول الدراسة	• عيوب في التصميم والتحليل وكيف أثرت تلك العيوب على النتائج.

مــن جانب آخــر، لا بد أن تضع معايــير عالية في وصف أســاليب البحث كما لو كنت تصــف أهــم جــزء في التقرير أكثر من الأجــزاء الروتينيــة أو غير الضروريــة. فالذي يمثل أهميــة كبيرة في هذا الجانب هو ســهولة القــراءة، والمصداقية، والعنايــة بقابلية التأكيد. وحاول أن تدعم الوصف بســمات اســتثنائية. فمثــلاً، إذا كان تقرير دراســة الحالة التي تجريهــا يحتوي عــلى مقالات موجــزة وبعض القصــص القصيرة، لا تحدد معظم أقســام الأســاليب أو تصف المصــدر الذي اختيرت منه تلــك المواد (مثــل : Bachor, 2002). وفي ســياق مماثل، ســيقدر القــراء جهــود الباحث في إعــداد الدراســة بطريقة ســهلة مثل كتابــة الملخــص العام الذي يســمح للقراء بتجــاوز تفاصيل كثيرة في حالــة رغبتهم (انظر النقطــة رقم ٤، شــكل ٦-٢) أو إعداد قائمــة بالمختصرات والمصطلحــات المتخصصة (مثل الكلــمات المتداولــة في بيئــة عمل معينة) التــي تظهر في دراســة الحالة التــي تقوم بها.

محتــوى أدبيات البحــث: يتمثل وصف أدبيــات البحث ذات الصلــة في غرضين: هما إظهار مدى اســتيعابك لموضوع الدراســة، واســتخدام تلك الأدبيات لدعم أهمية أســئلة البحث ودراســة الحالة. ومن ناحية أخرى، يتباين طول الوصف، وقد لا يصل إلى الشــكل الرســمي لمراجعــة الأدبيات، وذلك وفقاً لظروف الجمهور المســتهدف من دراســة الحالة.

وهناك مقترحان ينبغي أن يُكملا الإرشادات التي تحصل عليها إذا كنت تفحص المصادر الأخــرى المتعلقة بكيفية وصف أدبيات البحث ذات الصلة. أولاً، لا تقيس مهاراتك كباحث من خلال المراجعة المطولة للأدبيات التي تدفعك للقراءة الموسعة، أو التي تشتمل على عدد كبير من الاقتباســات. وبدلاً من ذلك ، ابذل قصارى جهدك في تحديد الاقتباسات الرئيسية، وتعامل معها بطريقة مقبولة. ثانياً، عند اســتخدام الأدبيات لدعم دراسة الحالة التي تقوم بها، لا تتردد في مناقشــة الأبحاث الســابقة التي قد تكون استخدمت أساليب بحثية بديلة. ووضح تقديرك للأســاليب البحثية الأخرى، ولكن أيضاً ينبغي أن تشير إلى أن نتائجها تركت فراغاً لا يمكن التعامل معها إلا من خلال دراسة حالة جيدة.

دراسات الحالة كجزء من دراسات أساليب مختلطة وواسعة:

ينشــأ موقف جديد تماماً عندما تصمم دراســة الحالة بشــكل متعمد لتكون جزءاً من دراســة تعتمد على أســاليب بحثية مختلطــة وواســعة (Yin, 2006b). في هذا الموقف، تشــتمل الدراسة الموســعة على دراســة الحالة بعد اكتمالها ، ولكن يجب أن تشتمل على

نتائج البيانات بصورة منفصلة ومستقلة عن الأساليب البحثية الأخرى. وحينئذ، يعتمد التقرير الشامل للدراسة الموسعة على نمط الأدلة المستخلصة من دراسة الحالة والأساليب البحثية الأخرى.

يستحق هذا الموقف المختلط من الأساليب البحثية المزيد من الاهتمام إلى حد ما حتى تفهم كباحث تأثيراتها على دراسة الحالة التي تقوم بإجرائها على الرغم من أنك قد لا تقوم بكتابة تقرير دراسة الحالة بطريقة مختلفة كما لو كان تقريراً مستقلاً. وهناك ثلاثة أسباب منطقية على الأقل تحفز الدراسة الموسعة إلى استخدام الأساليب البحثية المختلطة والتي تتمثل في التالي:

أولاً، قد تتطلب الدراسة الموسعة الأساليب البحثية المختلطة؛ لتحديد ما إذا كان بالإمكان الحصول على الأدلة المتقاربة (triangulation) عند استخدام الأساليب المختلفة (Datta, 1997). ففي هذا السيناريو، تشترك دراسة الحالة التي تقوم بها في نفس الأسئلة البحثية الأولية كالتي استخدمت في الأساليب الأخرى، ولكن من المحتمل أنك أجريت وحللت وكتبت دراسة الحالة بشكل مستقل. وكجزء من تقييم الدراسة الموسعة، يمكنك بعد ذلك المقارنة بين نتائج دراسة الحالة وبين النتائج المعتمدة على الأساليب البحثية الأخرى.

ثانياً، قد تقوم الدراسة الموسعة على دراسة مسحية أو تحليل كمي للبيانات الأرشيفية، مثل: دراسة الأوضاع المالية للأُسَر تحت ظروف مختلفة من ضريبة الدخل. فالدراسة الموسعة قد تجعل دراسات الحالة توضح بصورة أكثر تعمقاً تجارب الأُسَر. ومن خلال هذا السيناريو، تظهر أسئلة دراسة الحالة التي تقوم بها بعد الدراسة المسحية، أو بعد تحليل البيانات الأرشيفية، وينشأ اختيارك للحالات من تلك الأسر التي شملتها الدراسة المسحية، أو التي تضمنتها السجلات الأرشيفية. وتتمثل التأثيرات الرئيسية لجهود دراسة الحالة في اعتماد توقيتها واتجاهها على تقدم ونتائج التساؤلات الأخرى.

ثالثاً، قد تتطلب الدراسة الموسعة بذكاء إجراء دراسات حالة من أجل توضيح بعض العمليات الضمنية، واستخدام أسلوب آخر (مثل: الدراسة المسحية)؛ لتحديد انتشار تكرار مثل تلك العمليات. في هذا السيناريو التكاملي (عكس التقارب)، من المحتمل أن يتم تنسيق أسئلة دراسة الحالة بصورة وثيقة مع أسئلة الأساليب البحثية الأخرى، ويمكن أن تحدث التساؤلات التكاملية في وقت واحد أو بالتتابع. ولكن، ينبغي إجراء التحليل الأوَّلي وكتابة

التقارير لكل تساؤل بصورة مستقلة (على الرغم من أن التحليل النهائي قد يدمج النتائج من جميع الأســاليب البحثية المختلفة). ويحتوي مربع (٤٦) على مثالين من الدراسات الموسعة التي أجريت في إطار هذا السيناريو الثالث.

تبين المواقف الثلاثة المختلفة المشــار إليها أعلاه، كيف يتم تنسيق دراسة الحالة التي تقوم بها وكتابتها داخل ســياق أكبر وأشمل، ولكن يجب التنبه؛ عندما لا تكون دراسة الحالة غير مســتقلة، حيث قد تضطر إلى التنســيق بين المواعيد النهائيــة والتوجيهات الفنية، وربما لا يستمر تقرير دراسة الحالة كما توقعت في البداية. أيضاً ، اعمل على تقييم مدى استعدادك وقدرتك لكي تكون جزءاً من فريق أكبر قبل أن تتفق على أي التزامات أخرى.

مربع (٤٦)

دمج دراسة الحالة وأدلة الدراسة المسحية: تكامل النتائج

تثير الدراســات التي تتميز بتعدد الأساليب البحثية بعض الأسئلة التكاملية التي يجب معالجتها من خلال أساليب مختلفة. وبصورة أكثر شيوعاً، تستخدم دراسات الحالة لتكوين فكرة عن العمليات التفســيرية، في حين تقدم الدراســات المســحية مؤشراً حول مدى انتشــار الظاهرة، ويتوفر دراستان توضحــان عملية الدمج هذه. الدراســة الأولى كانت حول مشروعات تعليميــة تمولها وزارة التعليم الأمريكية (Berman & McLaughlin,1974 - 1978) حيث دمجت الدراســة دراســات حالة لعدد (٢٩) مشروعاً، ودراسة مسحية شملت (٢٩٣) مشروعاً، وأظهرت الدراسة معلومات قيمة حول عملية تنفيذ المشروعات ومخرجاتها. أما الدراسة الثانية (Yin, 1981c)، فجمعت دراسات حالة لعدد (١٩) موقعاً، ودراسة مسحية لعدد (٩٠) موقعاً آخر. وقد ساهمت نتائج تلك الدراسة في فهم دورة الحياة للابتكارات التكنولوجية في مجال الخدمات العامة المحلية.

إجراءات كتابة تقرير دراسة الحالة:

لا بـد أن يكون لدى أي باحث مجموعة من الإجـراءات المتطورة اللازمة لكتابة تقرير بحـث تجريبي. فمثلاً، النصوص العديدة التي نستشـهد بها في هـذا الفصل تقدم نصائح جيدة حول كيفية تطوير إجراءات الكتابة الخاصة بدراستك، ولكن أحد التحذيرات الشائعة هو أن الكتابة تعني إعادة الكتابة ــ وهي الوظيفة التي لا يمارسـها الباحثون بشكل شائع، وعـلاوة على ذلك، يتم عدم التهاون بها في السـنوات الأولى من الحيـاة الأكاديمية البحثية (Becker, 1986, pp. 43- 47). فكلما كانت عملية إعادة الكتابة أكثر، خصوصاً عندما تأتي اسـتجابة لتعليقات المحكمين والمراجعين وغيرهم، كلما ظهر التقرير بشكل أفضل. وفي هذا الجانب، لا يختلف تقرير دراسة الحالة كثيراً عن تقارير البحوث الأخرى.

ولكن، هناك ثلاثة إجراءات هامة تتعلق بشـكل خاص بدراسات الحالة وتستحق الإشارة لها مع بعض التفاصيل. يتعامل الإجراء الأول مع طرق البدء في الكتابة، في حين يعالج الإجراء الثاني مشـكلة بقاء هوية الحالات مجهولة. أما الإجراء الثالث، فيصف إجراء المراجعة لزيادة صدق بناء دراسة الحالة.

متى وكيف تبدأ الكتابة؟

يتمثـل الإجراء الأول في البدء في الكتابة أثناء المراحل الأولى من دراسـة الحالة، حيث إن تطوير مثل هذا الإجراء يساعدك على كتابة أي بحث في العلوم الاجتماعية، وخصوصاً بحوث دراسـة الحالة. ولأن كتابة دراسـة الحالة لا تتبع أنماطاً مسبقة؛ فقد تؤدي الحرية التي تتوفر لك عند تعديل الكتابة ــ كما هو الحال عند تبني أي من الهياكل السـتة التي ناقشـناها في الجزء السـابق ــ إلى مخاطرة عالية تتعلق بالحالة التي يتعرض لها الكاتب عندما يصل إلى مرحلة فقدان القدرة على الإبداع الكتابي. وكتذكير عام "لا تستطيع الكتابة في وقـت مبكر للغايـة" (Wolcott, 2009, p. 20) وبالتالي، لهـا معنى إضافي عند إجراء دراسة الحالة.

فإذا اتبعت تلك النصيحة، فلا بد أن يكون هدفك هو البدء في كتابة مسودات لبعض الأجزاء من التقرير حتى قبل إكمال عملية جمع البيانات. وعلى الرغم من أنك قد تؤجل بعض الأجزاء لوقت لاحق، إلا أن كتابة المسـودات نفسـها يعتبر إنجازاً مهماً لأنك بالفعل بدأت كتابة دراسةً الحالة.

فلنأخذ بعض الأمثلة عن أين ومتى تكتب دراسة الحالة. مثلاً، تشمل أنشطة البحث الأولى مراجعة الأدبيات وتصميم دراسة الحالة، وبعد ذلك يمكنك البدء في تحديد بعض الأجزاء من تقرير دراسة الحالة، مثل: قائمة المراجع، والأساليب البحثية، ومناقشة الدراسات السابقة، والتوصيفات الأولى للحالة.

ويمكن دعم القائمة المبدئية للمراجع العلمية بمراجع جديدة إذا لزم الأمر، ولكن سيتم تغطية المراجع الرئيسية والموسعة من خلال مراجعة أدبيات الأبحاث ذات الصلة. ولهذا؛ ستضفي الصفة الرسمية على المراجع لتتأكد أنها كاملة ولكي تنشأ نسخة أولية من قائمة المراجع. فإذا لم تكتمل بعض المراجع، فقد تؤجلها وتستمر في بقية إجراءات دراسة الحالة. وفي الحقيقة، تساعد تلك المهام المتعددة في تفادي الممارسة المنتشرة بين الباحثين الذين يهتمون بقوائم المراجع في نهاية دراسة الحالة، ويقضون الوقت الكثير في الأعمال الكتابية في المرحلة النهائية، بدلاً من القيام بالمهام الأكثر أهمية وتشويقاً، مثل: كتابة ومراجعة وتحرير محتوى التقارير.

وبالمثل، تستطيع البدء في وصف الأساليب البحثية في هذه المرحلة المبكرة؛ لأن الإجراءات المتوقعة لجمع البيانات والتحليل يجب أن تكون جزءاً من تصميم دراسة الحالة. فلن تستطيع إتمام الوصف حتى بعد اقترابك من نهاية عملية التحليل، ولكن من خلال البدء في المسودة، ستتذكر بعض إجراءات جمع البيانات والتصميم بمزيد من الدقة. وبناءً على خبرتك في المراجعة وموافقة مجلس المراجعة المؤسسية (IRB) (انظر الفصل الثالث)، هناك احتمال أن تبدأ كتابة مسودة الجزء الخاص بالأساليب البحثية بعد الحصول على موافقة مجلس المراجعة المؤسسية مباشرة، وستندهش عندما تتذكر بعض التفاصيل المنهجية، على الأقل، عندما تنوي تنفيذها في هذه المرحلة.

يتناول الجزء الثالث أدبيات البحث وكيف أدى إلى (أو أكمل) أسئلة البحث والافتراضات التي تدرسها. ونظراً لاستقرار تصميم دراسة الحالة على تلك الأسئلة والفرضيات لكي تواصل تطوير البروتوكول وجمع البيانات؛ فإن عليك أن تفكر جدياً في مدى اتصال دراسة الحالة مع الأدبيات. وعلى الرغم من أنك قد تحتاج مرة أخرى إلى مراجعة النسخة الأولى بعد الانتهاء من جمع البيانات و عملية التحليل، حيث إن وجود مسودة أولية لن يؤثر أبداً.

ويمكنك البدء في الجزء الرابع بعد جمع البيانات، ولكن قبل بدء عملية التحليل وتغطية البيانات الوصفية المتعلقة بـ الحالة (أو الحالات) التي تدرسها. وحيث إن الأساليب

البحثية ينبغي أن تتضمن القضايا المرتبطة باختيار بـ الحالة (أو الحالات)، فلا بد أن تغطي البيانات الوصفية الآن وصف كل حالة أو مجلد معلومات الحالة، وربما لم تكن قد انتهيت من أفكارك بشأن نوع نموذج دراسة الحالة الذي تود استخدامه، أو نوع هيكل الكتابة الذي ستتبعه. ومع ذلك، قد تكون الملفات الوصفية ذات فائدة بصرف النظر عن نوع دراسة الحالة أو هيكل الكتابة. بالإضافة إلى ذلك، تحفز كتابة المسودات الأولية تفكيرك في النوع العام والهيكل لوصف الحالة حتى وإن كان بصورة أولية.

وإذا أنهيت كتابة مسودة الأجزاء الأربعة قبل إنجاز عملية التحليل، فقد أحرزت تقدماً كبيراً، وقد تتطلب تلك الأجزاء توثيقاً مثل (نسخ من بروتوكول دراسة الحالة النهائية كجزء من المنهجية)، ومن ثم يأتي الوقت المناسب لوضع هذا التوثيق في صورة يمكن عرضها في هذه المرحلة من البحث (جاهزة للتصوير والطباعة وغير ذلك)، وسيكون هناك ميزة كبيرة إذا سجلت بدقة كل التفاصيل، والاقتباسات، والمراجع، وأسماء المؤسسات، وأسماء الأشخاص وألقابهم أثناء جمع البيانات المتعلقة بالدراسة (Walcott, 2009, pp. 52-53).

وفي نفس المرحلة ، وقبل إتمام عملية التحليل يمكنك إضافة المزيد من المعلومات إلى المسودة الأولية من قسم الأساليب البحثية. وستعرف المزيد من التفاصيل الخاصة بإجراءات جمع البيانات كما حدثت بالفعل، بالإضافة إلى أنك ستعرف المزيد حول إستراتيجيات التحليل المخطط لها، وهذه المعلومات ستعمل على تعزيز مسودة المنهجية الأولية التي أعددتها.

وعند البدء في عملية كتابة المسودات مبكراً والاستمرار في إضافة معلومات إلى تلك المسودات مع تقدم الدراسة، سوف تجد أنك تركز أفكارك بشكل أكثر وضوحاً على التحليل نفسه والنتائج والاستنتاجات المؤقتة. وبعبارة أخرى، قد يساعدك الحصول على صورة مستمرة عن المكان الذي كنت فيه على رؤية وجهتك بوضوح أكبر. من جانب آخر، تؤدي الكتابة المبكرة وظيفة نفسية مهمة أخرى، وهي: أنك قد تتعود على عملية الكتابة كممارسة مستمرة (أو حتى يومية)، ويكون لديك فرصة لتكون أمراً روتينياً قبل أن تصبح المهمة رائعة. ولهذا؛ إذا إستطعت تحديد الأجزاء الأخرى التي تتطلب الكتابة في هذه المراحل المبكرة ، فينبغي عليك أيضاً كتابة مسودات لها.

هويات الحالة: واقعية أم مجهولة؟

تقدم كل دراسة حالة تقريبًا للباحث خيارًا بشأن (إخفاء) أو عدم الكشف عن هوية الحالة. هل ينبغي أن تحدد دراسة الحالة ومزودي المعلومات تحديداً دقيقاً؟ أم هل يجب إخفاء الأسماء كلها التي ترد في الحالة والمشاركين فيها؟ في الحقيقة أثيرت مسألة (إخفاء الهوية أو الأسماء المستعارة) على مستويين: مستوى الحالة (أو الحالات) بأكملها، ومستوى الأشخاص الذين تشتمل عليهم الحالة أو (الحالات).

الخيار المفضل هو الإفصاح عن هويات كل من الحالة والأفراد، ولكن يكون هذا لإفصاح بموجب القيود التي تحمي الموضوعات الإنسانية في البحث العلمي كما ناقشنا ذلك في (الفصل الثالث). ويقدم الإفصاح عن الهويات بنتيجتين هامتين، وهما: أولاً، يستطيع القارئ جمع البيانات السابقة التي حصل عليها أو تعلمها حول نفس الحالة ـ من البحوث السابقة أو أي مصادر أخرى ـ وذلك من خلال قراءة أو تفسير دراسة الحالة. إن القدرة على اكتساب المعرفة بدراسة حالة جديدة في ضوء معرفة سابقة يعتبر ذا فائدة كبيرة، ويشبه تماماً القدرة على تذكر النتائج التجريبية السابقة عند القراءة عن مجموعة من التجارب الجديدة. ثانياً، عند عدم إخفاء الأسماء يسهل مراجعة الحالة ويسهل أيضاً التحقق من الاقتباسات والهوامش، كما يمكن الحصول على بعض التعليقات بشأن الحالة بعد نشرها.

وعلى الرغم من ذلك، هناك بعض المواقف والظروف التي يكون فيها إخفاء الهوية أمراً ضرورياً. الموقف الأول، عندما تتعلق دراسة الحالة بموضوع مثير للجدل. ففي هذه الحالة، لا بد من إخفاء الهوية لحماية الحالة الحقيقية والمشاركين الحقيقيين. والموقف الثاني، يكون عندما يؤدي نشر تقرير الحالة النهائية إلى ردود أفعال لاحقة للذين أُجريت عليهم الدراسة. وقد كان هذا المبرر وراء إخفاء الهويات في دراسة الحالة الأصلية بعنوان "Street Corner Society" التي أجراها (Whyte, 1993 /1943)، فقد كانت تلك الدراسة عن حي مجهول الهوية: وهو " حي كورنرفيل - Cornerville " (الذي كشفت هويته بعد سنوات). والموقف التوضيحي الثالث، يتمثل في أنه أحياناً يكون غرض دراسة الحالة هو تصوير النموذج المثالي، وفي هذا الموقف، لا يكون هناك مبرر للكشف عن الهويات الحقيقية. وقد كان هذا هو السبب وراء دراسة حالة مدينة "Middletown" التي أجراها (Lynd & Lynd,1929) ، حيث أخفى اسم المدينة الصغيرة وسكانها والصناعات القائمة بها (على الرغم من أن كل ذلك تم الإفصاح عنه لاحقاً بعد عدة سنوات).

في هـذه المواقف، قد يكـون إخفاء الهويات مبرراً. ولكن لا بـد أيضاً البحث عن بعض الحلول الوسـط. أولاً، ينبغي أن يحدد الباحث هل يكفـي إخفاء هوية الأفراد وحدهم في دراسة الحالة، مع إبقاء الحالة نفسها ليتم توضيحها بدقة.

ثانياً، يمكنك ذكر أسـماء الأفراد كجزء من قائمة طويلة لمصادرك في دراسـة الحالة؛ لكي تتفادى الإشـارة إلى وجهات نظر معينة أو تعليقات إلى شـخص واحد. ومع ذلك، لا يمنحك عدم نسـب الأقوال والتصريحـات إلى أصحابها الحمايـة الكاملة. فقـد تضطر إلى إخفاء التعليقات حتى لا يستطيع المشاركون (أو القراء الآخرون) في دراسة الحالة أو القراء تخمين أو محاولة معرفة المصدر المحتمل.

وبالنسـبة إلى دراسـات الحالة المتعددة، يكمـن الحل الثالث في تجنـب كتابة تقارير الحالات الفردية، والعمل فقط على كتابة تحليل الحالات المتعددة. ويشبه هذا الحل الأخير الإجراء الذي يسـتخدم في الدراسـات المسـحية، التي لا يتم فيها الإفصاح عن الاستجابات الفردية، وإنما تنحصر تقارير الدراسات المسحية في الأدلة الكلية.

وإذا وجدت أن تلك الحلول الوسـط صعبة أو مستحيلة التطبيق، فينبغي على الباحث إخفـاء هوية دراسـة الحالة ومـزدوي المعلومات. ولكن لا يجب اعتبـار إخفاء الهوية هو الخيار الأمثل؛ لأنه لا يمنع فقط بعض المعلومات الأساسـية عن الحالة، وإنما يُصعِّب آليات كتابـة الحالة أيضـاً. في هذا الموقف، يجب تحويـل الحالة ومكوناتها بصـورة منظمة من هويات حقيقية إلى هويات وهمية. ويجب أيضاً أن تبذل جهوداً كبيرة في تعقب المحادثات، فلا يجب الاستهانة بتكلفة اتخاذ هذا الإجراء.

تمرين ٦-٣ : إخفاء الهوية في دراسات الحالة

حدد دراسة حالة ذات اسم مستعار (أو راجع المربعات الواردة في هذا الكتاب بحثاً عن مثال لدراسـة حالة ذات معلومـات مجهولة). ما هي مزايا وعيوب اسـتخدام هذه الطريقة ؟ ما هو النموذج الذي ستستخدمه في كتابة دراسة الحالة ؟ ولماذا ؟

مراجعة مسودة دراسة الحالة: إجراء التحقق:

الإجـراء الثالث الـذي يجب اتباعه عند إعداد تقرير بدراسـة الحالة سـوف يزيد من الجودة العامة للدراسة، ويتمثل هذا الإجراء في مراجعة مسودة التقرير، ليس فقط بواسطة المراجعـين والمحكمين (كما هو الحال في المؤلفات العلمية والبحثية)، ولكن أيضاً بواسـطة مزودي المعلومات والمشـاركين في الحالة. وفي حال كانت تعليقات المراجعين مفيدة بشكل استثنائي، يقوم الباحثون بإدراجها كجزء من دراسة الحالة (انظر مربع ٤٧).

مربع (٤٧)

مراجعة دراسات الحالة وطباعة التعليقات

تتمثل طريقة تعزيز جودة دراسـات الحالة وضمان صدق البناء في مراجعة مسـودة الحالات من قِبل الأشخاص الذين أجريت عليهم الدراسة أنفسهم أو يمثلون موضوع الدراسة. وقد اتبع هذا الإجراء بدرجة كبيرة في خمس دراسات حالة أجراها كل من (Alkin, Daillak, & White, 1979).

كانت كل دراسـة تتناول منطقة تعليمية، والطريقة التي اسـتخدمت بهـا المنطقة التعليمية المعلومات التقييمية بخصوص أداء الطلاب. وكجزء من إجراء التحليل وكتابة التقرير، تمت مراجعة مسودة كل حالة من قِبَل الأشخاص المزودين بالمعلومات من المنطقة ذات الصلة. وقد تم الحصول عـلى هذه التعليقات جزئياً كنتيجة من الاسـتبانات التي ابتكرها الباحثون لهذا الغرض. وفي بعض الحـالات، كانت الردود أو (الاجابات) ثاقبة ومفيدة، لدرجـة أن الباحثين عملوا على تعديل المادة الأصلية وطباعة الردود كجزء من الكتاب الذي نشرت فيه هذه الحالات.

ومن خلال عرض الأدلة التكميلية والتعليقات، يسـتطيع القارئ أن يصل إلى اسـتنتاجاته حول دقة وكفاية الحالات، وهذه الفرصة نادراً ما توجد في بحوث دراسة الحالة التقليدية.

إن مثـل هـذه المراجعة هـي أكثر من موضـوع المجاملة أو الملاطفـة المهنية، وقد تم تعريف هذا الإجراء بشـكل صحيح بأنه وسـيلة لتأييد النتائج الأساسية والأدلة المقدمة في تقريـر الحالة (Schatzman & Strauss, 1973, p. 134). ومن ناحية أخرى، قد يتمسـك مزودو المعلومات والمشـاركون بوجهات نظرهم ويعارضون استنتاجات وتفسيرات دراسة الحالة، ولكن يجب أن يمنح هؤلاء القراء فرصة مناقشة النتائج الأساسية للدراسة. فإذا ظهر

الاختلاف أثناء عملية المراجعة الرسـمية، فسـيعتبر أن تقرير دراسة الحالة لم يكتمل حتى يتـم الاتفاق حول نقاط الاختلاف من خلال البحث عن المزيد من الأدلة. وغالباً، ينتج عن مراجعة مسـودة دراسة الحالة أدلة إضافية؛ لأن مزودي المعلومات والمشاركين في الدراسة قد يتذكرون محتويات جديدة قد نسوها أثناء فترة عملية جمع البيانات الأولية.

لا بـد من اتباع هذا النـوع من المراجعة حتى وإن كانت دراسـة الحالة أو بعض من مكوناتها بقيت مجهولة الهوية. فيجب مشـاركة وتبادل بعض النسـخ الأولية من مسودة دراسـة الحالة مع مزودي المعلومات والمشـاركون. وبعد مراجعة هذه المسـودة الأولية وكذلك بعد تسـوية كل الخلافات المثارة حول الحقائق، يمكنك إخفاء الهويات حتى يبقى فقط مزودي المعلومات والمشـاركين في دراسة الحالة، هم وحدهم من يعلمون بالهويات الحقيقيـة. عندما أنهـى (Whyte, 1993 /1943) دراسـته "Street Corner Society"، اتبع هذا الإجراء من خلال تبادل مسـودات دراسـته مع السـيد "Doc"، المزود الرئيسي بالمعلومات. ولذلك؛ يشـير (Whyte) في مذكراته بقوله "عندما كتبت دراسـتي، عرضت أجزاء النسـخ الأولية على السـيد "Doc" وراجعتها معه بالتفصيل، فقد كانت تعليقاته وانتقاداته قيّمة في عملية التصحيح والمراجعة" (p.341).

مـن المنظور المنهجي، تعمل المراجعات وعمليات التصحيح على تحسـين دقة دراسـة الحالـة، وكذلك زيادة صدق بناء الدراسـة. فلا بد من التقليل مـن احتمالات كتابة تقارير خاطئة عن الأحداث أو تشـويه منظور نسـبي. وبالإضافة إلى ذلك، إذا استمرت الخلافات، فـلا بد أن تسـاعد المراجعة في تحديـد وجهات النظر المتباينة، وهـذا ما يمكن عرضه بعد ذلـك في تقرير دراسـة الحالة. وفي الوقت نفسـه، لا يجب أن تسـتجيب لـكل التعليقات والملاحظـات حول المسـودة الأولية. فعلى سـبيل المثال، لك الحق في تفسـيرك للأدلة، ولا يجب أن تدمج بصورة تلقائية إعادة تفسـيرات (أو تعليقات) مزودي المعلومات. وفي هذا الجانب، لا تختلف خياراتك التقديرية عن الطريقة التي ترد بها على التعليقات المقدمة في عملية مراجعة المحكمين التقليدية.

وبشـكل واضح، قد تزيد مراجعة مزودي المعلومات لمسـودة دراسـة الحالة من الفترة الزمنية اللازمة لإنجاز تقرير دراسـة الحالة. ولكن على العكـس من المراجعين الأكاديميين، يسـتخدم مزودو المعلومـات دورة المراجعة كفرصـة للبدء في حوار جديد بشـأن الأوجه

المختلفــة للحالة، وهذا يمدد الفترة الزمنية للمراجعــة. ولذا، يجب أن تتوقع هذا التمديد، وعدم اســتخدام ذلك كمبرر لتجنب عملية المراجعة كلياً. فإذا تم الاهتمام والعناية بهذه العملية، كانت النتيجة المحتملة هي إعداد دراسة حالة عالية الجودة (انظر مربع ٤٨).

مربع (٤٨)

المراجعات الرسمية لدراسات الحالة

كما هو الحال مع الأعمال البحثية الأخرى، تلعب عملية المراجعة دوراً هاماً في تحســين وضمان جودة النتائج النهائية. فبالنســبة إلى دراســات الحالة، ينبغي أن تتضمن عملية المراجعة مراجعة لمســودة دراسة الحالة كحد أدنى.

في هــذا الإطار، قــام مكتب التقييــم التكنولوجي الأمريــكي " U.S. Office of Technology Assessment " في العام (١٩٨٠ - ١٩٨١) بدراسات حالة اتبعت هذا الإجراء "المراجعة" إلى درجة كبــيرة. فقــد قام على الأقل (٢٠) مراجعاً خارجياً وفي بعض الأحيــان (٤٠) مراجعاً أو أكثر بمراجعة (١٧) دراسة حالة كانت متعلقة بالتقنيات الطبية. وبالإضافة إلى ذلك، أظهر المراجعون وجهات نظر مختلفة، والتي شملت وجهات النظر من ممثلي الهيئات الحكومية، والجمعيات المهنية، وجماعات المصالح العامة والمستهلكين، ومهنة الطب، والطب الأكاديمي، والاقتصاد، وعلوم القرارات.

وفي إحــدى هذه الدراســات تم إرفاق وجهــة نظر معارضة للحالة من أحــد المراجعين كجزء من النســخة النهائية المنشــورة من الحالة ، بالإضافة إلى رد مؤلفي دراســة الحالة على هذا الرأي. وتكمن فائدة هذا النوع من التبادل المفتوح الذي تمت طباعته في زيادة قدرة القارئ على تفســير استنتاجات دراسة الحالة، وكذلك دعم الجودة الشاملة لأدلة دراسة الحالة.

تمرين ٦-٤ : توقع صعوبات عملية المراجعة

من المحتمل أن يتم تحســين جودة تقارير دراســة الحالة من خلال المراجعة التي يقوم بها مزودو المعلومات، أي الأشــخاص الذين شاركوا بشكل وثيق في دراسة الحالة. ناقش مزايا وعيوب تلك المراجعات. ماهي الميزة المحددة التي ســاهمت في ضبط جودة الدراســة ؟ وما هي العيوب إن وجدت؟ ومع الأخذ في الاعتبار لكل الجوانب، هل هذه المراجعات جديرة بالاهتمام ؟

ما الذي يصنع دراسة حالة مثالية؟

يعد تعريف دراسة الحالة المثالية أحد المهام الصعبة في جميع بحوث دراسة الحالة. وعلى الرغم من عدم وجود أدلة مباشرة، تبدو بعض المقترحات كطريقة مناسبة لخاتمة هذا الكتاب[٣].

تتجاوز دراســة الحالة المثالية الإجراءات المنهجية التي تم الإشــارة لها في هذا الكتاب، وحتى لو التزم الباحث بمعظم الإجراءات الأساســية ـ كاســتخدام بروتوكول دراسة الحالة، والمحافظة على تسلســل الأدلة ، وإنشاء قاعدة بيانات دراسة الحالة وغيرها ـ فلا يزال غير قادر على تقديم دراســة الحالة مثالية. إن إتقــان تلك الإجراءات يجعلك باحثاً جيداً (فنيا) وليــس بالــضرورة عالماً اجتماعياً متميزاً. ولنأخذ مثالاً مشــابهاً، انظــر إلى الفرق بين مؤرخ الأحداث وعالم التاريخ. فمصطلح «مؤرخ الأحداث» صحيح فنياً، ولكنه لا يأتي برؤى تتعلق حول العمليات الإنسانية أو الاجتماعية بعكس التي يقدمها عالم التاريخ.

هناك خمس خصائص عامة لدراســة الحالة المثالية سيتم تناولها أدناه، والتي تهدف إلى دعم دراسة الحالة لتكون مساهمة ثابتة ومتميزة دائماً في البحوث القائمة.

تمرين ٦-٥ : تحديد دراسة الحالة الجيدة

اختر دراســة حالة تعتقد أنها من أفضل الدراســات التي تعرفها (مرة أخرى، يمكنك الاختيار من المربعات بهذا الكتاب). ما الذي يجعلها دراســة حالــة جيدة ؟ لماذا لا تتوفر تلك الخصائص بصورة متكررة في دراســات الحالة الأخرى ؟ ما هي الجهود المحددة التي ستبذلها لمحاكاة دراسة الحالة الجيدة؟

يجب أن تكون دراسة الحالة هامة:

قــد تكون هذه الخاصية خارجة عن إرادة الكثير مــن الباحثين. فإذا كان الباحث لديه القدرة على الوصول إلى عدد قليل من "الحالات" أو كانت الموارد محدودة للغاية، ســتكون دراسة الحالة الناتجة حول موضوع لا يحمل أهمية كبيرة أو قد يبدو هامشياً. فهذا الموقف مــن المحتمل أنه لا يقدم دراســة حالــة مثالية. ولكن في حالة وجود خيــار للباحث، فمن المحتمل أن تكون دراسة الحالة المثالية هي التي تحقق أحد هذه الشروط :

- أن تعكس دراســة حالة فردية أو دراسة حالات متعددة (استثنائية) وترتبط بالاهتمامات العامة (انظر مربع ٤٩).

- أن تتناول القضايا الأساسية التي تكون هامة على المستوى الوطني، وعلى المستوى النظري أو السياسي أو العملي.
- كلا الشرطين أعلاه.

مربع (٤٩)

دراسة أحداث عالمية هامة

اعتبرت ثورات أوروبا الشرقية لعام ١٩٨٩م التي انتهت بانهيار الاتحاد السوفيتي أحداثاً عالمية جوهريــة، حيث غــيرت تلك الأحداث العلاقات بــين القوى الكبرى. فلا يزال عــدم تدخل الاتحاد السوفيتي عسكرياً في ثورات ١٩٨٩م سؤالاً ملحاً يحتاج إلى تفسير. ولذا؛ يلخص ويتناول (Andrew Bennett, 2010) أبرز التفســيرات، بما فيها الخســائر العسكرية التي تعرض لها الاتحاد السوفيتي في أفغانســتان، وانخفاض معدلات النمو الاقتصادي للاتحاد الســوفيتي، والسياســة المحلية داخل التحالف الســوفيتي الحاكم. وعلى الرغم من أن تقرير الباحث لم يُكتب كدراسة حالة رسمية، فهو يوضح كيف تتناول الأساليب البحثية لدراسة الحالة هذه الأنواع من الأحداث العالمية الهامة.

على سبيل المثال، يتم اختيار دراسة الحالة الفردية لأنها حالة مُعبرة (أو كاشفة)، أي تعكس مواقف واقعية لم يستطع الباحثون الاجتماعيون دراستها في الماضي، بل تعتبر الحالة الكاشفة في حدِّ ذاتها اكتشافاً وتقدم فرصة لإجراء دراسة الحالة المثالية. وفي المقابل، يتم اختيار الدراسة النقدية بسبب الرغبة في مقارنة اثنين من الافتراضات المناظرة، فإذا كانت هذه الافتراضات تقع في صميم المناقشات التي توجد في الأدبيات ـ أو تعكس الاختلافات الرئيسية في الآراء العامة ـ من المحتمل أن تصبح دراسة الحالة هامة. وأخيراً، تخيل الموقف الذي يكون فيه كلا من الاكتشاف وتطوير النظرية موجودَين في نفس دراسة الحالة، كما هو في دراسة الحالة المتعددة، التي تُقدم فيها كل حالة فردية اكتشافاً ولكن بحيث يضيف أيضاً النسخ المتماثل عبر الحالات تقدماً نظرياً هاماً. هذا الموقف في الواقع يمكن أن يسهم فعلياً في إعداد دراسة حالة مثالية.

وبعكس تلك المواقف الواعدة، يختار العديد من طلاب الدراســات العليا حالات غير متميزة وقضايا نظرية قديمة، كموضوعات لدراسات الحالة التي يقومون بها. ويمكن تفادي هذا الموقف جزئيــاً من خلال بذل المزيــد من الجهد مع الأخذ في الاعتبار الاســتفادة مــن البحوث الحالية

في مجال الدراسـة. وقبل اختيار دراسـة الحالة، ينبغي أن يصف الباحث بالتفصيل المسـاهمة العلمية التي سـتقدمها دراسـة الحالة، واضعاً في الاعتبار أن دراسـة الحالة المقصودة لا بد من إنجازهـا بنجاح. فـإذا كانت الإجابة الضعيفـة هي المتاحة، فقد يضطـر الباحث إلى التخطيط لدراسة حالة بديلة.

يجب أن تكون دراسة الحالة مكتملة:

يصعب وصف هذه السـمة عمليـاً. ورغم ذلك، يمثل معنى الاكتـمال أهمية في إجراء دراسة الحالة، بقدر أهمية تحديد سلسلة كاملة من التجارب المعملية (أو بقدر أهمية إتمام لحن موسـيقي أو الانتهاء من رسـم لوحة فنية). ولكن في كل هذه الأعمال تتمثل المشكلة في تحديد (نقطة النهاية) للجهود حيث لا توجد إلا إرشادات عامة قليلة في هذا الجانب.

فبالنسـبة إلى دراسـات الحالة، يمكن وصف (الاكتمال) على الأقـل في ثلاث طرق: أولاً، الحالـة المكتملة هي الحالـة التي يعطي فيها الباحـث اهتماماً واضحـاً بحدودها (إطار الحالة) ـ أي الفرق بين الظاهرة موضوع الدراسة وسياقها ـ ومن المحتمل أن تشمل حدود العينة: تعيين الحدود الزمنية والمكانية (أو التنظيمية) للحالة، والأنشـطة التي ستتضمنها، والملاحظـات المتعلقة بالظروف السـياقية التي تقع خارج إطـار الحالة (Baxter & Jack, 2008). فـإذا تم تعيين حدود الحالة تلقائياً (بدون تفكير)، مثل أن يقتصر إطار الحالة على عدد قليل من المشاركين الذين أتاحوا أنفسهم، بالرغم من وجود أشخاص آخرين كان يجب دمجهم في الحالة كمشـاركين، في هذا الموقف سـتكون النتيجة دراسة حالة غير مثالية. لذا فـإن أفضل طريقة للدفاع عن الحدود التي تم تعيينها، هي أن توضح من خلال المناقشـة المنطقيـة أو عرض الأدلة، وعندما يتم الوصول إلى محيط (حدود) التحليل، فإن المعلومات ذات العلاقـة بالحالـة تتناقص، ويمكن لمثـل هذا الاختبار لحدود الحالـة أن يحدث أثناء خطوات تحليل وكتابة دراسة الحالة.

وتتمثـل الطريقـة الثانيـة في جمع الأدلة. فدراسـة الحالة المكتملـة لا بد أن تُبرهن بصورة مقنعة أن الباحث قام بجهود كبيرة ومرهقة في جمع كل الأدلة ذات الصلة. وليس بالضرورة إضافة مثل هذا التوثيق للأدلة ضمن تقرير دراسة الحالة، حيث يؤدي ذلك إلى جعـل محتوى التقرير مملاً، بل يجب أن يتضمن تقرير دراسـة الحالة هوامش وملاحق وغير ذلك. والغرض العام من ذلك، هو أن تقنع القارئ أن القليل من الأدلة ذات الصلة لم

تتغير باعتبار حدود دراسة الحالة. ولا يعني ذلك أن على الباحث جمع كل الأدلة المتاحة بشــكل دقيق أو حرفياً ــ لأن ذلك مهمة مســتحيلة ــ ، ولكن هذا يدل على أن الباحث أعطى عناية كاملة إلى الأدلة الهامة مثل تلك التي تستعرض الافتراضات المناظرة.

وتتعلــق الطريقة الثالثة بغيــاب ظروف فنية معينة. فليس مــن المحتمل أن تكتمل دراســة الحالة فقط مع نهاية الدراسة سواء بســبب انتهاء الموارد المخصصة لها، أو قرب انتهاء الوقت (إنتهاء الفصل الدراسي مثلاً)، أو بســبب بعض القيود غير البحثية. فإذا كان لدى الباحث العلم بقيود الوقت والموارد في بداية الدراسة، فيجب على الباحث أن يكون مســئولاً عن تصميم دراســة الحالة التي يمكن اكتمالها في ظل هــذه القيود، بدلاً من أن يكون مقيداً بهذه الظروف.ويتطلب هذا النوع من التصميم خبرة كبيرة وشيء من الحظ. ومع ذلك، قد تكون هذه الظروف هي التي تُنفذ من خلالها دراســة حالة مثالية. ولسوء الحظ، إذا حدث العكس، ونشــأت بشكل مفاجيء قيود صعبة تتعلق بالوقت والموراد في منتصف مراحل دراسة الحالة، فقد لا تكتمل في النهاية دراسة حالة مثالية.

يجب أن تأخذ دراسة الحالة في الاعتبار وجهات نظر بديلة:

بالنســبة إلى دراســات الحالة التفســيرية، هناك طريقة قيّمة تتمثل في الأخذ في الاعتبار الافتراضــات النظرية المناظــرة، وتحليل الأدلة بالنســبة إلى تلك الافتراضــات (انظر الفصل الخامس). ومن ناحية أخرى، يجب أن يكون الاستشهاد بالادعاءات المناظرة أو وجهات النظر البديلة جزءاً من الملخص الجيد لدراســة الحالــة (Kelly & Yin, 2007). وحتى عند إجراء دراســة حالة مسحية أو وصفية، سيزيد اختبار الأدلة لوجهات النظر المختلفة من احتمالات أن تكون دراسة الحالة مثالية.

وعلى ســبيل المثال، قد تثير دراســة الحالة الوصفية التي تفشل في تفسير وجهات النظر المختلفة شــكوك القارئ. فربما لم يجمع الباحث جميع الأدلة ذات الصلة، وإنما اهتم فقط بالأدلــة التي تدعم وجهة نظر واحدة. وحتــى إذا لم يكن الباحث متحيزاً عن عمد، فقد لا يتم الاهتمام بالتفسيرات الوصفية المختلفة، وهذا يؤدي إلى تقديم الحالة من جانب واحد. وحتــى اليوم، لا زالت تلك المشــكلة قائمة في دراســات المنظمات التــي تقدم وجهات نظر الإدارة وليــس العاملين في المنظمة، وكذلك كلما كانت دراســات الفئات الاجتماعية لا تُعير اهتماماً بقضايا النوع أو التعددية الثقافية، أو كلما كانت الدراسات المتعلقة ببرامج الشباب تركز على وجهات نظر الكبار وتتجاهل آراء الشباب.

ولكي يتم التمثيل الكافي والمتســاوي لوجهات النظر المختلفة، يجب على الباحث البحث عــن البدائل التي تؤكد صحة أو عدم صحة افتراضات دراســة الحالــة. وقد توجد وجهات النظر هذه في الأفكار الثقافية البديلة والنظريات المختلفة، والفروقات بين أصحاب المصلحة وصانعي القرارات الذين يشكلون جزءاً من دراسة الحالة، أو بعض التناقضات المماثلة. وإذا كانــت وجهات النظر البديلة ذات أهمية كافية، فقد تظهر كتفســيرات بديلة تغطي نفس الحالــة التي تســتخدم الهيكل المقارن للكتابة، والذي تمت مناقشــته في هذا الفصل كأحد الهيــاكل الســتة الممكنة لكتابة دراســة الحالة. وعلى أي حال، يعتبر عــرض وجهات النظر البديلة أقل ظهوراً ولكنها ذات قيمةً كبيرة، سواء تم عرضها في فصول مستقلة أو أقسام من دراسة الحالة الرئيسية (انظر مربع ٥٠).

مربع (٥٠)

إضافة وجهات النظر البديلة ــ التي كتبها المشاركون ــ كملحقات في دراسة الحالة

حاولت دراســة الحالة الفردية التي قام بإجرائها (Edgar Schein, 2003) تفسير انهيار إحدى شركات تصنيع الحواسب الآلية، والتي كانت ضمن أفضل (٥٠) شركة عملاقة على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية (انظر مربع ٣١، الفصل الخامس). وتشــير الطبيعة المعاصرة لدراســة الحالة أن المدراء التنفيذيين الســابقين للشركة، كانوا لا يزالون متاحين لتقديم تفسيراتهم الخاصة حول مصير الشركة. وقد قام الباحث بدعم تفسيره بالمزيد من عمليات التوثيق والبيانات القائمة على المقابلات الشخصية، ولكنه جعل دراسته مميزة بطريقة أخرى؛ فقد قام بإدراج فصول تكميلية وخصص كل فصل لكل مدير تنفيذي ليمنحة الفرصة لعرض تفسيره المناظر.

في كثير من الأحيان، إذا كان الباحث وصف دراســة الحالة إلى شخص ناقد، سيقدم هذا الشــخص مباشرة التفســير البديل لنتائج الحالة، ففي هذه الظروف، من المحتمل أن يصبح الباحث في موقف المدافع، ويجادل بأن التفســيرات الأصلية هي التفســيرات الوحيدة ذات الصلــة والصحيحة في نفس الوقت. وفي حقيقة الأمر، تتوقع دراســة الحالة المثالية البدائل " الواضحة"وتدعهما بقوة قدر الإمكان، وتوضح (تجريبياً) الأســاس الذي قد يتم من خلاله رفض مثل هذه البدائل.

يجب أن تقدم دراسة الحالة أدلة كافية:

على الرغم من أن (الفصل الرابع) يدفع بقوة نحو إنشـاء قاعدة بيانات دراسـة الحالة، فيجب أن توجد الأدلة الهامة في التقرير، ثم تقوم دراسة الحالة المثالية بشكل حذر وفعّال بعرض الأدلة الأكثر صلة بالحالة، بما في ذلك توضيح "كيف" تمت الدراسة وكيف تم معالجة وتفسـير الأدلة التي تـم جمعها (Bachor, 2002, p. 21)، وبعبـارة أخرى، ينبغي أن يُمكِّن العـرض المرغوب للأدلة القارىء لتقرير دراسـة الحالة (دون الإشـارة إلى قاعدة البيانات) من الوصول إلى حكم مسـتقل بشـأن الجوانب الإيجابية لدراسـة الحالة ونتائجها. وهذه الانتقائية لا تعني ضرورة الاستشـهاد بالأدلة بشكل متحيز، كأن يكون ذلك، مثلاً، من خلال عرض الأدلة التي تدعم اسـتنتاجات الباحث فقط، وعلى العكس من ذلك، لا بد من عرض الأدلة بصورة محايدة مع البيانات الداعمة أو المعاكسـة. وبالتالي سيكون القارئ قادراً على الوصول إلى استنتاجات مستقلة بشأن صحة تفسير معين.

قد تحصر الانتقائية المقبولة التقرير على الأدلة الهامة (بما في ذلك التفسيرات المناظرة)، وليس عرض الأدلة بشـكل مربك أو مزدحم بالمعلومات الداعمة ولكن الثانوية. من جانب آخـر، تتطلـب هذه الانتقائية الكثير مـن الانضباط بين الباحثين المبتدئـين الذين يرغبون عادةً في عرض قاعدة الأدلة بأكملها، آملين (بشكل خاطيء) أن يؤثر الحجم أو الوزن الكبير للتقرير على قناعات وآراء القارئ (وفي الواقع، أن الحجم أو الوزن الكبير للتقرير سـيجعل القارئ يشعر بالملل).

هناك هدف آخر يتمثل في عرض الأدلة الكافية لكسـب ثقة القاريء والذي قد يعكس بأن الباحث لديه إلمام كامل بموضوع دراسـته. فعند القيام بدراسـة ميدانية، مثلاً، لا بد أن تُقنـع الأدلة المقدمة القارئ أن الباحـث قضى بالفعل الوقت الكافي في ميدان البحث، وقام باستفسـارات عميقة أثناء وجوده في الميدان، وتعمق في القضايا المرتبطة بالحالة. وينطبق هـذا الهدف أيضاً على دراسـات الحالة المتعددة؛ حيث ينبغي أن يوضـح التقرير للقارئ أن جميـع الحالات الفردية تم التعامل معها بطريقة متسـاوية، وأن اسـتنتاجات الحالات المتعددة لم تكن متحيزة من خلال عدم إعطاء الاهتمام المناسب لحالة واحدة أو مجموعة من الحالات.

وأخيراً، لا بد أن يصاحب عرض الأدلة الكافية الإشارة إلى أن الباحث أولى عناية إلى صحة تلك الأدلة، مثلاً، من خلال المحافظة على ترابط سلسلة من الأدلة. وهذا لا يعني أن جميع دراسات الحالة تتطلب أن تكون مثقلة بالدراسات والبحوث المنهجية، بل تفي بهذا الغرض بعض الهوامش ذات الصلة. وبدلاً من ذلك، قد تغطي بعض العبارات في مقدمة دراسة الحالة خطوات التحقق من صحة الأدلة. كما أن الملاحظات حول الجداول والرسومات قد تساعد في ذلك. وكمثال سلبي، يدل الشكل التوضيحي أو الجدول الذي يعرض الأدلة دون الإشارة إلى مصدره على البحث غير المتقن وينبه القارئ إلى أن يكون أكثر انتقاداً للجوانب الأخرى من دراسة الحالة. وهذه ليست هي المواقف التي تقدم دراسات حالة مثالية.

يجب أن تُكتب دراسة الحالة بطريقة جذابة:

إحدى الخصائص العالمية الأخيرة تتعلق بكتابة تقرير دراسة الحالة. وبصرف النظر عن الوسيلة المستخدمة (التقرير المكتوب، أو العرض الشفهي أو أي نموذج آخر)، ينبغي أن يكون التقرير جذاباً.

وبالنسبة إلى التقارير المكتوبة، فيعني هذا أسلوب الكتابة الواضحة، التي تُغري القارئ بمواصلة القراءة. فالكتابة الجيدة هي التي تجذب العين، بحيث إذا قرأت مثل هذا التقرير، لن تترك عينك الصفحة وستستمر في القراءة صفحةً بعد صفحة وفقرةً بعد فقرة حتى تشعر بالإرهاق. فالشخص الذي يقرأ الروايات الجيدة يمر بهذه التجربة. فكما يطبق هذا النوع من الإغراء على الأدب غير القصصي، ينبغي أن يكون هو الهدف في كتابة أي تقرير لدراسة الحالة.

يتطلب إعداد الكتابة الجذابة الموهبة والخبرة، فينبغي أن يكون لديك التحدي بأن تفتح الكتابة بنص حيوي ومثير (Caulley, 2008, p.424)، واجعل النص مليئاً بالإثارة. وستزداد مسألة الوضوح مع إعادة الكتابة، التي يُنصح بها بشدة.

الجذب، والإغراء وإثارة الإعجاب هي خصائص استثنائية لدراسات الحالة. ولكي تُقدم دراسة حالة بهذا الشكل، فيتطلب ذلك من الباحث أن يكون متحمساً للبحث وأن يرغب في عرض النتائج على نطاق واسع. وفي الحقيقة، الباحث الجيد يعتقد أن دراسة الحالة تحتوي على نتائج جوهرية وهامة، وهذا النوع من الإلهام يجب أن يطغى على البحث كله، وفي النهاية سيؤدي ذلك إلى دراسة الحالة المثالية.

ملاحظات الفصل السادس:

١. هنا يتم تجاهل فئة من الجمهور المســتهدف المتكرر لدراســات الحالة : وهم طلاب الدراسات العليا الذين يلتحقون بدورات لاســتخدام دراسات الحالة كمادة تعليمية ضمن المناهج الدراسية، مثل هذا الاستخدام لدراسات الحالة، كما أشرنا في (الفصل الأول)، هو لأغراض التدريس وليس لأغراض البحث، ويمكن تحديد استراتيجية دراسة الحالة بأكملها ومتابعتها بشكل مختلف في ظل هذه الظروف.

٢. تأتي الكثير من المعلومات من خبرات (مؤلف هذا الكتاب) في مراجعة العديد من مسودات دراسات الحالة عبر الســنوات الماضية، وتقديم تعليقات مكتوبة للعــشرات من طلاب الدكتوراه منذ ٢٠١٠م ، حيــث كان كل واحــد منهم يكتب نشرة تمهيديــة للأطروحة العلمية التي تشــمل الأجزاء الخاصة بمنهجية البحث ومراجعة الأدبيات.

٣. تعتمد التخمينات (أو المقترحات) أيضاً على بعض النتائج التجريبية. وكجزء من بحث سابق، طُلب من (٢١) باحثاً اجتماعياً بارزاً تحديد الصفات المثالية لدراسات الحالة (انظر: COSMOS Corporation, 1983)، وقد ناقشنا بعض هذه الصفات في الجزء الخاص بخصائص دراسة الحالة المثالية.

جلسة دراسية ٦-١
منهجية إعداد تقرير دراسة الحالة كمادة بحثية مستقلة

كما ناقشنا في الفصل السادس، سوف يشمل تقرير دراسة الحالة الرسمي وصف أساليب البحث. حتى وإن كان الجمهور المستهدف فقط يرغب في النسخة المختصرة من هذا الوصف، فيمكن أن تفكر كباحث في كتابة نسخة مطولة قد تظهر بعد ذلك على شكل ملحق للتقرير، أو الأفضل أن تنشر كمقالة بحثية مستقلة، وينتج عن هذا الجهد فائدة مُرحب بها تتمثل في المساهمة العلمية لأعمال الباحثين الآخرين، والمحافظة على الإجراءات التفصيلية للرجوع إليها في المستقبل.

في هذا الجانب، قامت (Christine Benidisch Meyer) بكتابة رسالة علمية منهجية نشرت عام (2001) في مجلة «Field Methods». حيث تناولت هذه الرسالة مناقشة مضمنة حول أساليب البحث ــ التي استخدمت في دراسة حالة اثنين من عمليات اندماج شركات القطاع المالي في النرويج ــ ضمن النطاق الأوسع للخيارات المنهجية التي تنشأ عند إجراء دراسة الحالة. أو بمعنىً آخر، إستخدمت الباحثة الحالات التي درستها لتوضيح مباديء منهجية هامة، وهذا كان مبرراً لتظهر دراستها كمقالة بحثية مستقلة.

فعلى سبيل المثال، تناقش (Meyer, 2001) مزايا استخدام أسلوب دراسة الحالة؛ لأن ذلك ساعدها في بحثها عن القضايا، مثل: صراعات السلطة بين الشركات المندمجة، وتعقيد عملية الدمج بين الشركات الناشئة، والدمج الثقافي الذي يتحقق بعد مرور فترة طويلة من الزمن. ولم يكن من السهل تناول تلك الموضوعات باستخدام أساليب بحثية أخرى. من ناحية أخرى، ناقشت الباحثة كيف قامت بحصر الحالات بما في ذلك قرارها للتركيز على قطاعات الأعمال الرئيسية، واستبعادها من وحدات الأعمال التي لم تتأثر كثيراً بعملية الدمج، بالإضافة إلى المعايير التي تحدد الأشخاص الذين تُجرَى معهم المقابلات الشخصية داخل الشركات المندمجة. وبصورة تحليلية، أوضحت الباحثة كيف استخدمت التعميمات التحليلية لتفسير أهمية النتائج، وأشارت في الوقت نفسه بأن بعض النتائج "لا يمكن تفسيرها من خلال عملية الدمج والأدبيات أو الآراء النظرية الأربعة" (التي قدمت كجزء من الدراسة) (p.341). كما أن الباحثة لم تتغافل عن المشكلات التي واجهتها بما في ذلك عدم قدرتها للحصول على جميع الوثائق التي طلبتها. وبشكل عام، تسهم القضايا العامة التي أثارتها المقالة والتجارب التوضيحية في تقديم مقالة منهجية قيّمة وجديرة بالقراءة والاطلاع.

توضيحات مختصرة عن مراجع الجلسة الدراسية ٦-١:

Meyer, C. B. (2001). A case in case study methodology. Field Methods, 13, 329–352.

يوضح هذا البحث كيف تصبح الأساليب التي تستخدم في دراسة الحالة موضوع مادة بحثية مستقلة.



ملحق (أ)

مذكرة حول استخدامات بحوث دراسة الحالة في علم النفس

في علم النفس كما هو في المجالات العلمية الأخرى ، تبدأ جميع بحوث دراسات الحالة مــن الميزة القويــة لها، والتي تتمثل في الرغبة في اســتخلاص فهم دقيــق أو متعمق لحالة فرديــة أو عدد محــدود من الحــالات (Bromley, 1986, p.1). وبالإضافة إلى افتراض مثل هــذا المنظور القريب، تركز بحوث دراســة الحالة على التــمام أو التكامل للحالة، ووضعها أيضاً داخل سياقها الحقيقي. وذلك لأن الظروف السياقية تتفاعل بطرق دقيقة مع الحالة؛ لذا ينبغي أن تؤدي دراســة الحالة الجيدة إلى الفهم المتعمق للحالة، وتعقيداتها الداخلية والخارجية.

توضيح الموقع المناسب لبحوث دراسة الحالة ـ ثلاث مقارنات:

١- **بحوث دراســة الحالة مقارنةً بالاســتخدامات الأخرى لدراسات الحالة:** تختلف دراسة الحالة كأســلوب بحث عن الاستخدام الشــائع لدراسات الحالة كأدوات تعليمية. حيث تعتــبر الأدوات التعليمية قيّمة، ولكن بيانــات الحالة التعليمية يمكن معالجتها لأغراض تعليميــة، ولا تعتبر الحالات جزءاً من أدبيات البحث. وعلى العكس من ذلك، يجب أن تخضع بحوث دراســة الحالة للإجراءات المنهجية الرسمية، وربط جميع النتائج بالأدلة الواضحــة. وللحصول على أمثلة للحــالات التعليمية في علم النفــس؛ انظر (Golden, 2004) و (Dunbar, 2005)، ولمناقشــة واسعة حول الحالات التعليمية في مجال إدارة الأعمال والقانون والطب؛ انظر (Garvin, 2003).

كما تختلف دراســة الحالة كأسلوب بحث أيضاً عن ســجلات الحالة التي تُستخدم أحياناً، أو التي يشــار إليها كدراســات حالة ــ مثل تلك التي أيضاً تحتفظ بها الهيئات الخدمية. وقد لاحظ (Bromley, 1986) أن تلك الســجلات وإن كانت تبدو دراســات حالة، يمكن أن "تتأثر بتوقعات الجهات المقدمة للخدمات من حيث المســاءلة بدلاً من البيانات الواقعية" (p.69). ولذلك؛ كانت تلك السجلات "معرضة لعمليات الإهمال والتحريف غير المقصودة أو المتعمدة من منظور بحثي" (p.90).

٢- **بحوث دراسة الحالة مقارنةً مع غيرها من أساليب العلوم الاجتماعية:** من بين أساليب بحــوث العلوم الاجتماعية، عرّف (الفصل الأول) من هذا الكتاب بحوث دراســة الحالة كواحدة من مجموعة الأســاليب التي تشــمل الدراسات المسحية والتحليلات الأرشيفية والمنهج التاريخي والتجارب العلمية وشــبه التجارب (تُعرف أيضاً بالدراســات المعتمدة عــلى الملاحظة، انظــر (Rosenbaum, 2002). وعــلى الرغم مــن التداخل بين جميع هذه الأســاليب إلى حد معين، يرى (الفصل الأول) أن بحوث دراسة الحالة (كغيرها من الأســاليب الأخرى) هيٍ أســلوب مســتقل في التصميم وجمع البيانات وطرق التحليل. فعلى ســبيل المثال، وكما ناقشــنا في (الفصل الثاني)، ينبغي أن لا تعتبر دراسات الحالة، جزءاً من أساليب البحوث مثل شبه التجارب.

في علــم النفس، يمكن أيضاً أن تعتبر بحوث دراســة الحالة جــزءاً من البحوث الكيفية، والدليــل عــلى ذلك هــو في الواقع أن المراجــع العلمية في علم النفــس الخاصة بالبحوث الكيفيــة تجاهلت بحوث دراســة الحالة بوجهِ عام، وهناك نوعــان من تلك المراجع تُكرس غالبية محتوياتها إلى مجموعة من أساليب البحًث الكيفي في علم النفس، مثل: تحليل اللغة المكتوبة، والنظرية المجذرة، وتحليل الظواهر، والبحث السردي (انظر: Forester, 2010) و (Wertz et al, 2011). وعلى الرغم من التغطية الواسعة، يتجاهل أحد الكتب الدراسية بحوث دراســات الحالة عند تصنيف أســاليب البحث المعاصرة، حتى وإن كان يُقر بأهمية دراسة الحالة في تاريخها المطول لأساليب البحث في علم النفس. ويشير الكتاب الثاني بشكل سريع إلى حالات فردية، ولكن ليس إلى بحوث دراسة الحالة على الإطلاق.

ويتكون كتابان آخران من مجموعة تم تحريرها من المقالات العلمية في مجال إجراء البحوث الكيفيــة في علم النفــس (Camic, Rhodes, & Yardley, 2003; Smith, 2008). ففي الكتاب الأول، تشــير إحــدى المقــالات إلى العلاج النفسي كدراســة حالة، ولكن لا تناقــش أي من هذه المقالات بحوث دراسة الحالة. أما في الكتاب الثاني، تغطي كل مقالة مجموعة فرعية من البحوث الكيفية مثل (علم الظواهر، والنظرية المجذرة، وعلم النفس الروائي، وتحليل المحادثات، وتحليل اللغة المكتوبة، ومجموعات التركيز، والبحوث الإجرائية)، ولكن لا تظهر بحوث دراسة الحالة في فهرس محتويات الكتاب ولم يخصص لها فصل خاص بها.

وتماشــياً مع الكتب الدراسية الأربعة الســابقة، فإن كتاب (Bromley,1986) عن بحوث دراسة الحالة ــ والذي نستشهد به عدة مرات هنا في هذا الملحق ــ على العكس يقدم القليل

من المناقشــة حول البحوث الكيفية. وبشــكل عــام، إن غياب أو تجاهــل أي محاولة لدمج البحوث الكيفية وبحوث دراســة الحالة في علم النفس، يأتي ليؤكد اســتقلالية بحوث دراســة الحالة عن أساليب العلوم الاجتماعية الأخرى.

٣- **بحــوث دراســة الحالة مقارنةً بثلاثة أســاليب بحثية أخرى في علم النفــس:** هناك فرق كبير بين بحوث دراســة الحالة وثلاثة أســاليب بحثية أخرى في علم النفس. الأسلوب الأول والثاني يتشابهان في المصطلح:

أ- بحــوث الموضوع الواحد التي توجد في علم النفس العصبي، والبحوث الســلوكية بوجه عــام (مثــل: Barlow & Nock, 2009; Kazdin, 1982, 2003; Kratochwil, 1978; Morgan & Morgan, 2009) بالإضافة إلى التعليم الخاص (Tawney & Gast, 1984).

ب- دراســات مراقبــة الحالات التي اســتخدمت بشــكل متكــرر في البحــوث الوبائية (انظر: Schlesselman, 1982).

ج- التجارب العلمية التي تمثل فيها تصاميم المجموعة الأســاس للأسلوب المستخدم بشكل متكرر في بحوث علم النفس (انظر: Murray, 1998).

ويوضح الشكل (أ-١) العلاقات بين الأساليب الأربعة، على الرغم من ذلك ــ كما هو في جميع أســاليب البحوث ــ يمكن أن تتداخل الخيارات الأربعة أيضاً. لذا يمثل هذا الشــكل التصنيف المثالي. وتوضح هذه العلاقات من خلال الاهتمام ببعدين: (١) هل الدراسة قائمة عــلى بيانات مــن مجموعة موضوعات أو مــن موضوع فردي؟ (٢) هل الدراســة تتضمن تدخلاً، أي المعالجة السلوكية؟

شكل (أ-١) بحوث دراسة الحالة مقارنةً بالأنواع الثلاثة الأخرى للبحوث السلوكية

	التدخلات التي يعالجها الباحث	
	نعم	لا
البيانات المصنفة في مجموعات	التصاميم التجريبية التقليدية	دراسات مراقبة الحالات
بيانات فردية	بحوث الموضوع الواحد	دراسة حالة : فردية أو متعددة

من خلال الإطلاع على الشـــكل (أ-١) أفقياً وبين نوعين من الأســـاليب التي تؤكد على البيانات الفردية (الصف ٢)، تختلف بحوث الموضوع الواحد عن بحوث دراســـة الحالة من خلال توظيف التدخلات الرســـمية، مثل نوع نمط التجربة المتكررة الذي يستخدم مجموعة مـــن المنبهـــات أو المحفزات (بما في ذلك، انعدام أي من المنبهات أو المحفزات). ويســـتطيع الباحث تصميم هذا النمط لإيجاد أساس قوي لاستنتاج العلاقات السببية، وهذه الإمكانية لا تتوفر في دراسات الحالة. وفي الوقت ذاته، تشبه بحوث الموضوع الواحد إلى حد ما بحوث دراســـة الحالة من خلال إشراك الحالات الفردية أو المتعددة، أي أن دراسة بحوث الموضوع الواحد يمكن أن تتضمن موضوعات فردية متعددة (Chassan, 1960).

ومن خلال النظر في الشـــكل أعلاه عمودياً وبين نوعين من الأساليب التي لها القدرة على إيجـــاد التدخل (عمود ١)، يمكن أن تقدم التصميـــمات التجريبية التقليدية قاعدة أدلة أكثر ثباتـــاً مقارنة ببحـــوث الموضوع الواحد ــ في ظل وجود عـــدد كافٍ من الموضوعات لتكوين مجموعة ذات الحجم اللازم (Robertson, Knight, Rafal & Shimamura,1993). ولكن لسوء الحظ، بعض الظواهر النفسية الهامة نادر جداً أن تدعم حجم المجموعات المطلوبة.

ومـــا يمثل صلة قوية ببحوث دراســـة الحالة هو المقارنة بين نوعين من الأســـاليب التي ليـــس لديها القدرة عـــلى التدخل (العمود ٢). ومن ناحية أخرى، تختلف دراســـات مراقبة الحالة عن بحوث دراســـة الحالة من خلال تغطيـــة البيانات المصنفة في مجموعات، وعادة مـــا تتعلق بمجموعة من الأفراد الذين أظهروا بالفعل ظروف ســـلوكية مثيرة للاهتمام (مثل فئة المدخنين). حيث تســـتمر الدراســـات بعد ذلك في تقييم الفروق بين المتوسط الحسابي للمجموعة والمتوســـط الحســـابي لمجموعة التحكم (الضبط) التي تم اختيارها مع الأخذ في الاعتبـــار المواقـــف الماضية (غير المدخنين). ومن حيث المبدأ، يمكن أن تقوم بحوث دراســـة الحالـــة أيضـــاً بتلك المقارنة ــ أي أنه إذا تضمنت دراســـة الحالـــة الواحدة على مجموعتين كبيرتين بما فيه الكفاية من الحالات المتعددة. ولكن، وباســـتثناء المواقف غير العادية، والتي تتمثل في موقفين وهما : عندما تتنازل دراســـة الحالة عن البحث المتعمق لكل حالة فردية، أو عندما تتطلب دراســـة الحالة قدراً كبيراً من المـــوارد والوقت ــ فإنه من غير المحتمل أن يكون عدد الحالات كبيراً بما يكفي لدعم مقارنة ذات معنى بين المجموعتين،

وباختصار، وبالاطلاع على البعدين الموجودين في شـــكل (أ-١) تشـــغل بحوث دراســـات الحالة الخلية المميزة التي تركز من خلالها الدراسة على البيانات الفردية (وليست المصنفة)، والتي تعتبر مقيّدة بعدم القدرة على معالجة أي تدخل.

دراســات الحالة: الظــروف التي تؤدي إلى وجود المزيد مــن المتغيرات أكثر من نقاط البيانات:

إذا افترضنــا أن كل حالــة تمثل نقطة بيانــات واحدة، فقد قدم الفصــل الأول من هذا الكتاب جزءاً من تعريف بحوث دراســة الحالة التي تتضمن التســاؤلات، والتي يزيد فيها بشــكل كبير عدد المتغيرات ذات الاهتــمام عن عدد نقاط البيانــات المتاحة. وهناك ثلاث مواقــف تؤدي إلى عدد كبير من المتغيرات في أي دراســة حالة معينة، وهي: إجراء البحث المتعمق، ودراســة الظروف مع مرور الوقت، وتغطية الظروف الســياقية. وتوضح دراسات الحالة في علم النفس بشكل مناسب جميع هذه المواقف السابقة.

البحث المتعمق: أولاً، تشــتمل دراســة الحالة على بحثاً متعمقاً للحالة، وتترجم المميزات المتعددة للحالة إلى عدداً كبيراً من المتغيرات.

في علم النفس، قد تركز الحالة على بعض سلوكيات الفرد، وفي مراحل مبكرة من بحوث علم النفس، قد يقوم هذا الفرد بكل من دور الباحث وموضوع الدراسة في نفس الوقت، مما أدى إلى الدراسات الشهيرة حول موضوعات الذاكرة، والإدراك الحسي، والتعلم والتي أجراها على التوالي كل مــن (Ebbinghaus, Stratton, and Galton) (انظر: Garmezy,1982)، وهذا بالإضافة إلى الإرث العلمي الذي أحدثته تجارب مرحلة الأمان الأولى في مجال الطب، والتي التزم فيها علماء الطب باختبار الأدوية المكتشــفة حديثاً على أنفسهم أولاً. وقد مثّل هذا النوع من الدراسات التي قام فيها الأفراد بدور الباحثين أو زملائهم في البحوث الطبية (Jadad, 1998, p. 14) جــزءاً جوهريــاً مــن إجراء بحوث دراســة الحالة في علم اللغة التطبيقي (Duff, 2008, p. 37).

وفي البيئــات المعاصرة ينشــأ الأفــراد ذوو الاهتمام من مجموعة كبيرة مــن المواقف بما فيها الحالات السريرية ودراسات التنمية الفردية، أو التعلم كما في دراسة (Piagetian) للتطور المعرفي، والاستعدادات الحيوانية الفردية في علم النفس المقارن[١]. وشملت إحدى دراسات الحالة البارزة في علم الأعصاب والتي وصفها أحد المحللين بأنها أشهر حالة في هذا المجال في العالم (Rolls, 2005, p. 51)، والتــي تتضمن حالة "H.M" التــي تم نشر أكثر من (30) مقالة علمية حولها فقط بين عامي ١٩٥٧م و ١٩٦٨ م. (Sidman, Soddard & Mohr, 1968; Scoville & Milner,1957)، (انظر أيضاً مربع أ-١).

مربع (أ-١)

دراسات الحالة التقليدية في علم النفس

على مدى السـنوات الماضية درس علماء النفس العديد مـن الأفراد غير العاديين، بعض هؤلاء الأفراد تصرفوا بطريقة مميزة كنتيجة لإصابات المخ الفريدة مثل حالات (H.M. and of Phineas Gage). في حـين عانى أفـراد آخرون من اضطرابات نفسـية مثل اضطرابات الشـخصية المتعددة والذي يعكسها قصة فيلم درامي غامض بعنوان (The Three Faces of Eve). وايضاً أفراد آخرون يواجهـون ظروفـاً اجتماعية أو بيئية غريبة، مثل حالـة (Kitty Genovese) في حي كوينز بمدينة نيويورك أو الحالة المسماة "بالولد الجامح - wild boy of Aveyron " التي حدثت في فرنسا. وقد كانت جميع هذه الحالات موضوع الدراسـة النفسية الرسمية، وبعضها تلقى الاهتمام من وسائل الإعلام وأصبحت مشهورة للغاية خارج إطار علم النفس.

وفي كتـاب موجز قدمـه (Geoff Rolls,2005) بعنوان "دراسـات الحالـة التقليدية في علم النفس"، قام بتأليف (١٦) حالة في سلسـلة مكونة من دراسـات حالة فردية، وتتكون كل حالة من الحد الأدنى من المصطلحات الفنية مع الإشارة إلى المراجع الرئيسية للبحوث ذات العلاقة. فإذا أراد القارئ تعلم المزيد عن الحالة ساعدته هذه المراجع في الكشف عن أدبيات البحث.

وبـدلاً من ذلك، هناك مجالات فرعية في علم النفس مثل (علم النفس الاجتماعي، علم النفـس التعليمي، علم النفس الإداري، علم النفس المهني، علم النفس البيئي وعلم النفس المجتمعـي) بالإضافة إلى المجالات ذات العلاقة خارج علم النفس التي تركز على المنظمات أو الكيانات الأخرى بدلاً من الأفراد (انظر مربع أ-٢). حيث تُترجم الدراسـة المتعمقة لمثل هذه الكيانات إلى عدداً كبيراً من المتغيرات

مربع (أ-٢)

دراسات الحالة للكيانات التنظيمية في علم النفس

تركز دراسات الحالة داخل وخارج علم النفس على المنظمات، والأحداث مثل القرارات والكيانات الأخرى وليس فقط الأفراد. وقد تمثل تلك الكيانات البيئة السريرية، مثل المستشفى أو العيادة أو مكتب الطبيب النفسي (الحالة) في دراسة الحالة.

فعلى سبيل المثال، يتعامل نوع واحد من عيادة الرعاية التعاونية مع صعوبة دمج الصحة النفسية وخدمات الرعاية الأولية. وكانت مثل تلك العيادات موضوع لمجموعة تضم أكثر من (٣٠) مقالة بحثية تساهم في إعادة تصميم الرعاية الصحية، وتحاول خلق "رعاية صحية أكثر فعالية وكفاءة، تركز على مشاركة المريض، وتعتمد على قياس التكلفة" (Kessler & Stafford, 2008, p. 4). وتقدم بعض المقالات العلمية دراسات حالة لعيادات محددة، حيث تصف إحدى هذه المقالات برنامجاً مستديماً بدأ لأول مرة في عام ١٩٩٤م. وتستخدم دراسة الحالة البيانات الكيفية والكمية. والتي تُعرض لاحقاً، من خلال (مؤشرات) أو مقاييس حول صحة المريض ونتائج استطلاع قياس رضا المرضى (Kates, 2008).

الظروف مع مرور الوقت: تنشأ حالة ثانية شائعة من فكرة أن الاهتمام بالحالة يغطي عادة ظروف متعددة تمتد عبر الوقت. وقد يكون تحليل النمط الزمني الموضوع الصريح لدراسة الحالة، كما في كشف الأحداث الرئيسية الذي يفسر فيها الحدث الذي وصل مرحلة الذروة، أو كما في دراسة حالة في مجال التطوير التي تتعقب السلوك الإنساني أو الحيواني في فترة زمنية محددة (Denenberg, 1982).

حتى لو لم يكن النمط الزمني موضوعاً مباشراً للتساؤل البحثي أو كان قصيراً إلى حد ما (Bromley, 1986, p. 5)، فقد يصنع النمط تياراً متواصلاً من المتغيرات التي تكونً ذات صلة ولا يمكن تجاهلها. في هذا المعنى، وبصرف النظر عن قصر الفترة الزمنية، تعمل دراسات الحالة نادراً كصور سريعة متشابهه تماماً كما لو أن كل شيء حدث في نفس اللحظة بالضبط. أما بالنسبة إلى الأحداث الهامة، فهي تقع في فترات زمنية مختلفة بما في ذلك تكرار السلوكيات التي تبدو متشابهة إلى حد ما. وتؤدي هذه الأحداث إلى مجموعة كبيرة من المتغيرات التي قد تكون جزءاً جوهرياً من فهم الحالة.

الظروف السـياقية: تنشـأ مجموعة ثالثة من الظروف التي قد تأتي من خارج إطار الحالة. فبالإضافة إلى دراسة الحالة بتعمق ومع مرور الوقت، تشمل دراسة الحالة البيانات الخاصة بالظـروف السـياقية التي تحيط بالحالـة. في الواقع؛ تتمثل إحدى نقـاط القوة في بحوث دراسـة الحالة في قدرتها على دراسـة الظروف السياقية إلى أقصى حد يمكن أن يكون أنه ذا صلة. وعلى سـبيل المثال، إذا كانت الحالة حول (فـرد)، فقد تكون البيانات الخاصة بأسرة الفرد وعمله وبيئات الأصدقاء والأقارب عناصر مشـتركة لدراسـة حالة كاملة. وإذا كانت الحالة مجموعـة صغيرة من منظمة ما، كانت البيانات عن الظروف الثقافية، والاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، بينما يمكن أن تكون الاتجاهات عناصر نظيرة.

علاوة على ذلك، قد لا يكون الحد بين الدراسـة وسياقها دقيقاً؛ لأن الأمور الواقعية لا تقع بسـهولة في فئات واضحة. وتعتـبر القدرة على إدراك هذه الضبابية كجزء من دراسـة الحالة نقطة قوة لبحوث دراسـة الحالة. كما تؤدي الظروف السـياقية إلى فهـم جديد تماماً للحالة، وهذا الفهم ليس بالضرورة تقديره أو إدراكه في بداية دراسة الحالة.

وعلى سـبيل المقارنة، تتعامل الأسـاليب البحثية الأخرى مـع حالة الضبابية بين تركيز الدراسـة وسـياقها كأحد المشـكلات البسـيطة (أو مصدر إزعاج) في أفضـل الأحوال. وفي الحقيقة، لا تعالج الأسـاليب البحثية الأخرى الظروف السـياقية بسهولة كبيرة. فعلى سبيل المثال، باسـتثناء عدد قليل من المتغيرات العشـوائية، تحاول التجارب تقليص دور الظروف السياقية من خلال مراقبتها. وبالمثل، لا تستطيع الدراسات المسحية إدراج الكثير من الأسئلة الخاصة بالسـياق بسبب قيود مشـابهة على درجة الحرية. ولكن في ظل هذه الأساليب، لا بـد من وجود درجة كافية للحرية من أجل إجـراء التحليلات الإحصائية ــ أي وجود نقاط بيانات متعددة لأي متغير معين.

ملخص الظروف الثلاثة: باختصار، تعمل ثلاثة ظروف على تفسـير سـبب احتمالية زيادة عدد المتغيرات ذات الاهتمام في دراسة الحالة. وعلى العكس تماماً، من المحتمل أن يكون عدد نقـاط البيانـات كما تمثلها الحالات الفردية قليل. ومن الناحية العملية، لا يمكن لأي دراسـة حالة فردية ــ حتى لو كانت تتكون من حالات متعددة ــ أن تكون قادرة على أن يكون لديها عدد الحالات التي تتطابق مع عدد المتغيرات، وذلك أقل بكثير من أي تعدد واقعي.

ومن ناحية أخرى، هناك آثار بعيدة المدى على تصميم دراسة الحالة والتحليل. فالتصاميم تتعلق بنوع معين ولا يمكن اعتباره جزءاً من نوع آخر من التصاميم، مثل: التصاميم شـبه

التجريبية أو تصاميم البحوث الكيفية. وبالمثل، لا تستطيع أساليب التحليل توظيف معظم الأســاليب الإحصائية التي تســتخدم بشكل تقليدي مع أنواع الأســاليب الأخرى؛ لأن نقاط بيانات دراسة الحالة تظهر بدرجة قليلة من الاختلاف أو قد لايوجد اختلاف بينها.

محفزات استخدام بحوث دراسة الحالة في علم النفس:

بالنظر إلى الثوابت الســابقة، تبدو بحوث دراسة الحالة ذات قيمة محدودة في البداية. وفي الحقيقة، كانت دراسات الحالة جزءاً مشتركاً من البحوث في علم النفس والمجالات ذات العلاقة لفترة طويلة، ولكن لماذا ؟

الاســتقصاء: الإجابة السريعة والمحدودة للغاية، تعتبر أن بحوث دراسة الحالة تؤدي غرضاً استكشــافياً فقط ــ مثل جمع بعض البيانات لتحديد ما إذا كان الموضوع يســتحق المزيد من البحث والاســتقصاء. فإذا كان الأمر كذلك، فقد تكون أســئلة البحث أو إجراءات جمع البيانــات ذات صلــة أكثر في البحــوث اللاحقة. في هذا الطريقة الاستكشــافية، يتمثل دور بحــوث دراســات الحالة فقط في عملها كمقدمة لدراســات لاحقة ، وهذه الدراســات قد تستخدم أسلوباً بحثياً مختلفاً مثل الدراسات المسحية أو التجارب العلمية.

ويعتبر التسلســل الهرمي القديم لأســاليب البحث أمراً خاطئاً تماماً (Bromley, 1986, p. 15). ومن بين المشــكلات الأخرى المتعلقة بوجهة النظر التسلسلية، هي أن الدراسات المسحية والتجارب تحتوي على الطرق الاستكشــافية أيضاً. وعلى العكس تماماً؛ يمكن أن تستخدم بحوث دراسة الحالة بطرق وصفية وتفسيرية وتقييمية، بالإضافة إلى استخدامها للطريقة الاستكشافية. وعــلاوة على ذلك، يمكن لبحوث دراســة الحالــة أن تقدم نتائجها واســتنتاجاتها الخاصة دون الحاجة إلى مشاركة أي أساليب بحثية أخرى.

الوصف والتفسير: تفي دراســات الحالة (الوصفية) بأغراض عدة، مثل: عرض موقف نادر الحدوث ،أو موقف لا يســتطيع الباحثون الوصول إليه عادةً. وعلى ســبيل المثال، بالإشارة مرة أخرى إلى الدراســات السريريــة والعصبية، يظهر نــوع متكرر من دراســة الحالة الوصفية في في الأدبيــات، حيث تركز على فــرد واحد أبْدَى أعراضاً غير طبيعية أو ســلوكاً جديراً بالملاحظة والدراسة المتواصلة (انظر مربع أ-٣).

وبالنسبة إلى الطريقة (التفسيرية) في دراسة الحالة ، فالمثال الشائع هو علم النفس التعليمي، ويشير هذا المجال إلى علاقات تكميلية بين أساليب البحث المختلفة (انظر مربع أ-٤).

ويمكننا الاستشهاد بالمزيد من أمثلة دراسات الحالة الوصفية والتفسيرية، سواء كانت موضوعات تلك الدراسات حول الأفراد، أو المجموعات الصغيرة، أو المنظمات، أو كيانات مجردة مثل "القرارات".

مربع (أ-٣)

دراسات حالة وصفية للأشخاص الذين يعجزون عن التعرف على أوجه البشر

تمثل دراسات الحالة للأشخاص الذين يعانون من أعراض غير طبيعية أهميةً كبيرة في علم النفس (مثل: عَمى تمييز الوجوه، وتعرف باللغة الانجليزية بـ (Prosopagnosia) وهي حالة ترجع إلى إصابة غير عادية في المخ، فلا يستطيع الشخص التعرف أو التمييز بين أوجه الأفراد المختلفة) . فقد كان ما يقرب من عشرين شخصاً مصاباً بعَمى تمييز الوجوه يمثلون موضوع دراسات الحالة التي نشرت على مدى عدة عقود ماضية (Busigny, Graf, Mayer,& Rossion, 2010).

وكانت إحدى تحديات دراسات الحالة هذه متمثلة في إثبات هل الإصابة بعَمى تعرُّف الوجوه إعاقة خاصة، أم هي جزء من حالة عدم قدرة عامَّة في أداء مهام التعرُّف البصرية. وأظهرت النتائج المشتركة لدراسات الحالة أن الآباء والأمهات المصابين بعَمَه التعرف على الوجوه يمكنهم أداء مهام تعرُّف أخرى (Busigny & Rossion, 2011)، وبدأت دراسات الحالة هذه ــ بالمشاركة مع البحوث التي تستخدم الأسلوب التجريبي مع الأشخاص البالغين الذين لا يعانون من مشكلات صحية بالدماغ، والمرضى المصابين بإصابات حادة بالمخ (Yin ,1978) ودراسات تصوير الدماغ المعاصرة (McKone, Kanwisher,& Duchaine, 2007)، ومع الخاضعين للدراسة من غير البشر مثل القرود (Leopold, Bondar,& Giese, 2006) ــ في تأييد احتمالية أن ذلك يعود إلى قدرات عصبية خاصة بالوجه، وليست جزءاً من أعراض عامة. وفي الوقت نفسه، لم يتناول الباحثون حتى الآن كيف يعمل التعرف على الوجوه، ودراسة أسباب وجود هذه القدرة الخاصة.

مربع (أ-٤)

استخدام دراسات الحالة بطريقة التفسير

يمكن دراسة فعالية المناهج الدراسية في جميع مراحل التعليم العام باستخدام التصميم التجريبي أو شبه التجريبي الذي يقارن بين مجموعتين من الطلاب تحت ظروف المعالجة والمراقبة. وقد تناولت هذه الدراسة المنجزة بنجاح الدلالة الإحصائية للفروق بين المجموعتين. ومع ذلك، لا تفسر البيانات (كيف) و(لماذا) أحدثت المعالجة النتائج التي تمت ملاحظتها أو مراقبتها، لذا الوصول إلى مثل هذا التفسير يتطلب دراسة حالة (National Research Council, 2004, p. 168- 167). وقد بحثت دراسة الحالة المرغوبة بشكل دقيق كيف عملت المعالجة داخل بيئة الفصول الدراسية الفعلية. وقد غطت الدراسة الأحداث ذات الصلة، بما في ذلك تنفيذ المعالجة وكيف أحدث التغيير من التدريس الصفي وعملية التعلم. وتطلبت تغطية تلك الموضوعات الأدلة الميدانية، مثل: الملاحظات الصفية، والمقابلات التي تُجرَى مع المعلمين بشأن إستراتيجيات التدريس، والمقابلات التي تُجرَى مع الطلاب بخصوص إستراتيجيات التعلم، والبيانات المتعلقة بظروف المدرسة والمجتمع ذات الصلة. وتمثلت أهمية التفسير اللازم للدراسة في تكرار الدراسة التجريبية الأصلية ونقل تطبيق المناهج الدراسية إلى المدارس الأخرى.

التقييم: من الممكن أن يعتبر التقييم المحفز الرابع لإجراء بحوث دراسات الحالة في علم النفس (انظر أيضاً الملحق "ب" من هذا الكتاب). فقد قامت دراسة حالة بتقييم استراتيجيات التدريس المختلفة من خلال العمل مع طلاب من الأشخاص ذوي الإعاقة، وتكونت دراسة الحالة من حالات متعددة، ولذلك اعتبرت دراسة حالة متعددة (انظر مربع أ-٥).

مربع (أ-٥)

دراسة الحالة التقييمية القائمة على دراسة الحالة المتعددة

قيّمت إحدى دراسات الحالة المتعددة في علم النفس فعالية إستراتيجيات التدريس من خلال دراسة سبعة مجموعات من المعلمين والطلاب (Miyahara & Wafer, 2004). وتهدف إستراتيجيات التدريس إلى التعامل مع حالة سلوكية بين الطلاب، وهي: اضطراب التنسيق التنموي (DCD)، وقد تم تعريف كل (طالبين وإثنين من المعلمين) كدراسة حالة مستقلة ، واستخدمت الدراسة منطق النسخ المتماثل بين الثنائيات لتحديد العلاقة بين إستراتيجيات التدريس المتناوبة، وأداء الطلاب الذي تم تقييمه كمياً بواسطة بعض المقاييس النفسية بمرور الوقت.

وفيما يتعلق بموضوع تقييم آخر، يتم محاكاة أساليب دراسة الحالة بشكل متكرر في تقييم البيئات الأكاديمية، على الرغم من أن الجهود غير منظمة رسمياً أو مصنفة كبحوث دراسات حالة (Wilson, 1982). وتأخذ دراسات الحالة هذه شكل التقييمات التي أجرتها اللجان الزائرة مثل فرق الاعتماد الأكاديمي، ومجالس التنسيق الحكومية التي تقيّم دورياً الأقسام الأكاديمية. وتركز اللجنة الزائرة على الرفاه والتقدم الذي يحققه كل قسم وتجمع أدلة مختلفة مثل (الملاحظات، والمقابلات، ومراجعة الوثائق ذات الصلة والنشر العلمي للقسم)؛ وذلك للوصول إلى الأحكام التقويمية والنهائية.

وتوضح الأمثلة السابقة كيف أن استخدام دراسات الحالة في أي من الأوضاع الاستكشافية، والوصفية، والتفسيرية، والتقييمية يسلط الضوء على القيمة المحتملة لبحوث دراسة الحالة كجزء مهم من منهجية الباحث.

تحذيرات ومخاوف إجراء بحوث دراسة الحالة:

على الرغم من قابليتها الواضحة للتطبيق لدراسة المواقف الواقعية ذات الصلة، وتناول أسئلة البحث المهمة، لم تحقق بحوث دراسة الحالة اعترافاً وقبولاً واسعاً كأحد خيارات أساليب البحث في مجال علم النفس، ولكن في الواقع ينظر بعض الباحثين إلى هذا الأسلوب كآخر الحلول. لماذا يحدث هذا ؟

ينشأ جزء من سوء السمعة بسبب انعدام الثقة في مصداقية إجراءات الباحث في دراسة الحالــة التي يبدو أنها لا توفر الحماية الكافية ضد هذه التحيزات، مثل الباحث الذي يبدو أنه اكتشــف ماكان يريد الوصول إليه. فمثلاً، قد يبدأ الباحث دراســة الحالة على أســاس تصميم معين لكي يكتشف أنه غير عملي أو أقل مما كان يعتقد أصلاً من خلال متابعة جمع بعض البيانات الأولية. فبالنســبة إلى التجارب المعمليــة، يكمن الحل في التوقف عن جمع البيانات تحت التصميم الأصلي لمراجعة وتعديل التصميم ثم استئناف عملية جمع البيانات مرة أخرى. ولســوء الحظ، يتمثل النقد الشــائع الموجه لدراســات الحالــة في أن البيانات الأصلية لا يتم حذفها أو التخلص منها، ولكن ربما يتم إعادة اســتخدامها، مما يسبب بعض التحيزات غير المرغوبة وبعض العيوب.

ويأتي الســبب الآخر في انخفاض الاهتمام لبحوث دراســة الحالة من استخدام البيانات الكيفيــة، التي يفترض أنهــا تعتمد على مقاييس أقل قوة من تلك التي تســتخدم في جمع البيانات الكمية. وعادةً، تتكون البيانات الكيفية من معلومات (روائية) وليســت (رقمية). ولذا؛ لا يثق معظم الناس في مثل هذه البيانات بســبب عــدم فهم إجراءات جمع وتقييم البيانات الروائية، كما تم مناقشته في (الفصل الخامس) لهذا الكتاب.

كما ينشأ عدم الارتياح لبحوث دراسة الحالة من عدم القدرة الواضحة على تعميم نتائج دراســة الحالة على نطاق أوسع. وقد تمت مناقشة التحدي في تعميم نتائج دراسات الحالة في هــذا الكتاب حيث تمثلــت الرؤية النقدية في الحاجة إلى التمييــز بين التعميم التحليلي والتعميم الإحصائي (انظر الفصل الثاني من هذا الكتاب).

مــن جانب آخر، إذا تم إجراء دراســات الحالــة بصورة ضعيفة، يمكــن أن تجتمع كل التحذيرات الســابقة معاً بطريقة ســلبية، مــما يحتمل أن يؤدي إلى إعــادة خلق الأحكام المســبقة ضد بحوث دراسة الحالة. في المقابل؛ يمكن من خلال الاستخدام المنهجي والدقيق لبحوث دراســة الحالة التغلب على تلك المخاوف إن لم يكن إزالتها. على ســبيل المثال، وكما تم إقتراحه في (الفصل الرابع من هذا الكتاب) ينبغي أن تعتمد دراسات الحالة على المصادر المتعددة للأدلة بطريقة إلتقاء وتقارب البيانات (triangulating) التي تحاول التغلب على أوجــه القصور، والمقاييس المرتبطة بــأي مصدر معين، . ويناقش (الفصل الرابع) أيضاً بعض الطرق الأخرى، مثل: بناء قاعدة بيانات دراسة الحالة، وإنشاء سلسلة من الأدلة التي سوف تزيد من الاعتمادية على تلك البيانات.

وتعكس التوصيات الســابقة بعض الأمثلة للطرق التي تعالج بها ممارســات وتطبيقات بحوث دراســة الحالة المخاوف العامة المتعلقة بها كأسلوب بحثي. وتهدف الإجراءات التي تم تغطيتها في الفصول الستة لهذا الكتاب ـ والتي تشمل تصميم البحوث وجمع البيانات وتحليل البيانات ودور النظرية في إجراء دراسات الحالة ـ إلى دعم استخدام دراسات الحالة في علم النفس والحد من التهديدات التي تتركب من هذه التحذيرات.

ملاحظة الملحق (أ)

١. في علــم النفــس المقارن، يعتبر العدد الكبير للمتغيرات أيضاً ميزة لدراســات بحوث الموضوع الواحد. فمثــلاً، يمكن (التلاعــب) أو معالجة المتغيرات المســتقلة عمداً في الأعمار المختلفة مــن دورة حياة الحيوان (Denenberg, 1982). وغالباً، تكمن النتائج الهامة من خلال التفاعل بين المتغيرات المستقلة، مما يؤدي إلى المزيد من المتغيرات وصعوبة اســتقلالها، ولذلك يتطلب هذا نموذجاً أكثر تعقيداً من الســببية كإطار لتفسير النتائج (Denenberg, 1982, p.22).

ملحق (ب)

مذكرة حول استخدامات بحوث دراسة الحالة في التقييمات

أولــت المراجع العلميــة في بحوث التقييم اهتماماً متفاوتاً إلى تقييمات دراســة الحالة. فأحد هذه الكتب والذي تم نشره من فترة طويلة تجاهل هذا الموضوع باستمرار على مدار ســبعة إصدارات (Rossi, Lipsy, & Freeman, 2004). حيث لايشير الكتاب إلى تقييمات دراســة الحالة أو بحوث دراســة الحالة، بل أن مصطلح "دراسة حالة" لا يظهر في قاموس المصطلحات أو الفهرس. بينما الكتاب الآخر المشــهور (Mertens, 2010) يستبعد تقييمات دراســة الحالة من مراجعته الأولية للعدد الكبير من نماذج وعمليات التقييم (p.47 -87). ولا يعترف الكتاب بدراســة الحالة ولكن ينزلها إلى مرتبة أدنى بحيث تمثل نوعاً من الأنواع الســبعة في نموذج البحوث الكيفية (p.230)، وأحد الأنواع الســتة في طرق جمع البيانات (جدول ١٢-١/p.325).

وعلى العكس من المعالجتين الســابقتين، هناك كتاب ثالث ــ الذي يعتبر مؤلفه الأول أحد أبرز الباحثين في التقييمات ــ يعطي اهتماماً كبيراً إلى دور تقييمات دراسة الحالة (Stufflebeam & Shinkfield, 2007). أولاً، يعترف الكتاب بتقييمات دراســة الحالة بين (٢٦) أسلوباً للتقييم (p.181 -184). بعــد ذلك، ومن خلال تصنيف جميع الأســاليب رســميًا وفقًا لمعايير جمعية التقييم الأمريكية، يصنف الكتاب تقييمات دراســة الحالــة في الترتيب الخامس من بين أفضل ثمانية طرق لتصميم وإجراء التقييمات (p.242 -243).

وعلى الرغم من الاعتراف غير الرســمي من المراجع العلمية الحالية في مجال التقييمات، فإن بحوث دراســة الحالة تلعب دوراً وظيفياً ومشروعاً في إجراء التقييمات. فقد ظهرت مؤخراً ثلاثة تطبيقات رئيســية في التقييمات المنشــورة. أولاً، قد تعمل حالة واحدة أو أكثر كجزء من تقييم أوسع (Cronbach & Associates 1980, pp. 222 -223; Datta, 1997, pp. 348 -351).

ثانياً، تعمل بحوث دراســة الحالة كأســلوب تقييم أســاسي (Yin, 2006a). ثالثاً، قد تكون بحوث دراســة الحالة جزءاً من إعدادات التقييم الثنائي المستوى. ويعتبر التطبيق الأول هو الأكثر شــيوعاً وتم اســتخدامه لوقت طويل، في حين أن التطبيق الثاني والثالث هما الأكثر صعوبة.

يتمثــل هدف المذكرة التالية في إعادة التأكيد بشــكل مختصر على دور بحوث دراســة الحالة في إجراء التقييمات، ثم بعد ذلك، سيتم وصف التطبيقات الثلاثة بمزيد من التفاصيل.

بحوث دراسة الحالة كأسلوب للتقييم:

ينبثق استخدام بحوث دراسة الحالة في إجراء التقييمات من خلال السمة المميزة لبحوث دراســات الحالة التي تمت الإشــارة إليها في الفصل الأول من هذا الكتاب من أجل الحصول على بحث متعمق ودقيق "للحالة" داخل سياقها الحقيقي. ومقارنةً بأساليب التقييم الأخرى مثل الدراســات المســحية، والتجارب، وشبه التجارب، تســتطيع تقييمات دراسة الحالة (١) إحتــواء تعقيدات الحالة، بمــا في ذلك التغيرات ذات الصلة التي تحــدث عبر الوقت، و (٢) الاهتمام الكامل بالظروف السياقية بما فيها الظروف التي من المحتمل أن تتفاعل مع الحالة. وعلى الرغم من هذه المزايا، فإن الإشــارات الســابقة لبحوث دراسة الحالة كأسلوب للتقييم حظيــت باعترافاً مضللاً للغاية، بما في ذلك الخلــط الأولي مع تصميم "الاختبار النهائي فقط" (posttest-only) في شــبه التجارب ـ وكان هذا بمثابة علاقة غير مناســبة ببحوث دراســة الحالة، والتي تراجع عنها بعد ذلك المؤلف الأصلي (انظر الفصل الثاني من هذا الكتاب).

وعند تطبيقها على التقييمات، تشــارك بحوث دراســة الحالة في الســمات الأخرى ذات الصلة في إجراء أي شــكل من بحوث دراسة الحالة. وقد تم تغطية هذه السمات بالتفصيل في هذا الكتاب، ويمكن تلخيصها على النحو التالي:

أولاً، لتغطية تعقيدات الحالة وسياقها، ينبغي أن يعتمد تقييم دراسة الحالة على المصادر المتعددة للأدلة والتي تشمل المقابلات، والوثائق والملاحظات الميدانية والسجلات الأرشيفية والمقتنيات المادية والملاحظة بالمشاركة. كما أن تقييم دراسة الحالة ينبغي أن يتعمد العمل على إلتقاء وتقارب الأدلة من تلك المصادر المتعددة لإثبات صحة ودعم النتائج.

ثانياً، يشــمل تنوع الأدلة على البيانــات الكمية والكيفية (أو كلاهما)، ويمكن أن تغطي وجهات النظر الواقعية أو النســبية (أو التفســيرية). فعلى ســبيل المثال، قد يفترض الجزء الكمي من تقييم دراسة الحالة توجهاً واقعياً (مثل عرض أسئلة الباحث وتفسيراته بخصوص

الحالة التي يدرسـها)، بينما يفترض الجزء الكيفي توجهاً معاكسـاً نسبياً (أو تفسيرياً) مثل (عرض الحالة من وجهات نظر ومعاني المشاركين المتعددة وأهدافهم ـ بما في ذلك الاعتراض على فرضيات الباحث الأصلية).

ثالثاً، يستفيد تقييم دراسة الحالة من وجود نظرية أولية مؤقتة حول الحالة. وقد تكون هذه النظرية وصفية (تفترض الخصائص المتوقعة للحالة) أو تفسيرية (تعتمد على التخمين حول اسـئلة "كيف" و "لماذا" المتعلقة بالحالة). فإذا كانت النظرية تفسيرية، ينبغي لتقييم دراسة الحالة أن يأخذ في الاعتبار التفسيرات المناظرة كجزء متكامل من التصميم وإجراءات جمع البيانات (انظر التمهيد الذي كتبه "Donald Campbell" في الصفحات الأولى من هذا الكتاب، وكذلك يمكن الرجوع إلى الفصل الثاني).

جميع هذه السمات لبحوث دراسة الحالة ستكون ذات صلة في إجراء تقييمات دراسة الحالة التي سيتم عرضها من خلال التطبيقات الثلاثة التي ستناقش لاحقاً.

بحوث دراسة الحالة كجزء من تقييم أوسع:

في التطبيق الأول سـوف تكون دراسـة حالة واحدة أو أكثر جزءاً من التقييم الواسـع الـذي يركز عـلى المبادرة ـ أي التدخل المخطط أو العملية المسـتمرة ـــ التي تعمل على تقييم فاعلية المبادرة باستخدام التصميم التجريبي أو شبه التجريبي. وكجزء من التصميم، تخصص بعض التقييمات بصورة عشوائية الكيانات لظروف المعالجة والمراقبة.

وكجزء من التقييم الموسـع، تتناول دراسـات الحالة بشكل دقيق أحد الكيانات أو أكثر داخل ظروف المعالجة والمراقبة. وتكمل دراسـات الحالة أسلوب التقييم الموسع من خلال الطريقـة التالية : بينما يقيّم الجزء التجريبي أو شـبه التجريبي الفاعلية بواسـطة تحديد مدى قوة العلاقة بين المبادرة ونتائجها، ويقدم الجزء الخاص بدراسـة الحالة تفسيراً للعلاقة مـع الإشـارة إلى كيف عملـت (أو لم تعمل) المبادرة فعليـاً لتحقيق النتائـج ذات الصلة. وكملاحظـة في إحدى المراجعات الموثوقة لتقييـمات متعددة لمناهج الرياضيات في التعليم العام، ونتائجها حول تحصيل الطلاب (National Research Council, 2001, p.167) ـ

"تقدم دراسـات الحالة بعض الرؤى في آليات التقييم المخفية عـن مقارنة [النتائج]، مثل تحصيل الطلاب الدراسي، وذلك لأن المعالجة الفعلية في الدراسـة الواسعة النطاق [التجريبية] غالباً ما تكون غير محددة بدقة".

وعلى ســبيل المثال، يغطي التقييم الموســع المناهج الدراسية الإبداعية للعديد من الفصول الدراسية. ويخصص التصميم التجريبي للتقييم الموسع مجموعات من الفصول الدراسية تحت ظروف مختلفة من المعالجة والمراقبة، ويقارن التحليل نتائج هذه الظروف بمقياس مشــترك ــ مثل نتائج التحصيل الدراسي للطلاب. من جانب آخر، تركز مجموعة من دراسات الحالة عمدياً على عدد قليل من الفصول الدراســية التي تم اختيارها مــن الظروف التجريبية؛ وذلك لغرض اختبــار عمليات التدريس والتعلم الخاصة في هذا العدد القليل من الفصول الدراســية. وبهذه الطريقة تُلقي دراسات الحالة إضاءة مهمة على الطريقة التي عملت بها (أو لم تعمل) المناهج الدراسية الإبداعية.

ويمكن عرض نتائج الجزء الخاص لدراسة الحالة من التقييم الموسع بشكل منفصل لكل حالة، أو أن تتحد مع مزيج من الحالات المتعددة. ولكن، تعتمد كتابة تقرير نتائج دراســة الحالــة عــلى كتابة نتائج التقييم الموســع ــ كما في المثال الســابق، تحليل درجات تحصيل الطلاب الدراسي عبر مجموعات مختلفة من الفصول الدراسية.

كما يمكن تصور أمثلة أخرى شــبيهة بالمثال الســابق. فمثلاً، في مجــال الصحة العامة، يقــدم تقييم برنامج صحي جديد بيانات النتائج السريريــة حول نتائج الطرق العلاجية في عيادات طبية عديدة، ويتم بعد ذلك، اســتخدام بحوث دراســة الحالة لاكتســاب الخبرات والتجــارب في عدد قليل من العيادات الفردية. وفي مجال التنمية المجتمعية، يتضمن تقييم برنامج الإســكان دراســة اقتصادية تتناول العلاقة بين المبادرة الجديدة وأســعار الوحدات الســكنية، حيــث تغطي بحوث دراســة الحالة مجموعة صغيرة مــن العائلات التي تعيش في تلــك الوحدات. أما في مجال بحــوث إدارة الأعمال، فإن التقييــم يتعلق ببرنامج الإدارة التنفيذيــة الذي يهدف إلى تطوير القيادات الشــابة : ويقوم التقييم الموســع بالمقارنة بين مجموعات من المشــاركين وغير المشــاركين من خلال دراســة مســحية، بحيث تركز بحوث الدراسة على اختيار عدد قليل من الأفراد في كلا المجموعتين.

يوضح تنوع الأمثلة بســهولة ســبب شــيوع التطبيق الأول لبحوث دراســة الحالة في التقييمات ومن المحتمل أن يبقى كذلك. ومن ناحية أخرى، قد يعتبر دمج تصميم التقييم الموســع وعنصر دراسة الحالة أو دراســات الحالة أيضاً مثالاً لدراسة تعتمد على الأسلوب المختلط (Datta, 1997; Yin, 2006b).

وفي الوقت نفســه، هناك بعــض التحذيرات ترتبط بهذا التطبيــق، ويتمثل أحد تلك التحذيــرات المبكرة حول تقييمات دراســة الحالة والذي تم التعبير عنه في أن دراســات الحالة تتطلب تكلفة عالية بسبب كثافة العمل والأعمال الميدانية التي تتطلب الكثير من الوقت (U.S. GAO, 1990, p.10). ومع ذلك، أشــارت التقييمات المعاصرة التي تستخدم التصميمات التجريبية القوية إلى أن تكاليفها تتجاوز بسهولة تكاليف إجراء دراسة الحالة. وبالمثل، لا يتطلب حجم الجهد المخصص لدراسة الحالة أن يكون مبالغاً فيه.

ينشــأ التحذيــر الآخر من طبيعــة فريق التقييــم والعمل الجماعي. ونظــراً لأن بحوث دراســة الحالة تعتبر جزءاً فرعياً (وليس رئيســياً) من التقييم، وقد يتلقى البحث اهتمام غير كافي من حيث التصميم والتطبيق. وبالإضافة إلى ذلك، قد يفتقد الشــخص أو (الاشــخاص) القائمــين بإجراء دراســات الحالة إلى الخبرة في مجال بحوث دراســة الحالــة، مما يؤدي إلى إعداد دراســات حالة عادية (غير شــيقة) وبأفكار ورؤى محدودة. وعلى العكس من ذلك، قد يكون الشخص أو (الاشخاص) على درجة كبيرة من الخبرة، مما يؤدي إلى تقديم دراسات حالة تتخذ طابعاً فريداً لا تتناســب مع التقييم الموســع. وفي مواقف أخرى، قد لا يتواصل الشخص أو (الاشخاص) الذين يعملون على إعداد دراسات الحالة بشكل فعّال مع الأشخاص الذين يعملون على إجراء التقييم الموســع، وقد يتم التعامل مع دراسات الحالة (بشكل غير مرغوب) كما لو كانت جزءاً من تقييم مستقل.

بحوث دراسة الحالة كأسلوب للتقييم الأساسي:

في التطبيــق الثــاني، تصبح المبادرة التــي يتم تقييمها هي (الحالة) الرئيســية في تقييم دراســة الحالة. ويمكن إضافة بيانات من دراســات حالة ثانويــة لوحدات أقل من التحليل (مثل الأفراد أو المجموعات)، أو من خلال استخدام بعض الأساليب البحثية الأخرى الكمية أو الكيفية إلى البحوث المتعلقة بالحالة الأساســية. وبالنســبة إلى هــذا التطبيق الثاني، فهو يتناسب على الأقل مع ثلاثة مواقف مختلفة تركز على: (١) المبادرة التي تخضع إلى التقييم، (٢) نتائج المبادرة، (٣) كلاً من المبادرة ونتائجها.

١- **التركيز على المبادرة:** بســبب فعالية بحوث دراســة الحالة في إحتواء تعقيدات الحالة عــلاوة على التغــيرات التي تطرأ على الحالة مــع مرور الوقت، تصبــح تلك البحوث الطريقة التقليدية لإجراء أو تنفيذ عمليات التقييم. ويتبع تقييم دراســة الحالة مسار

من الأحداث في تطبيق المبادرة، حيث يكون ذلك ذا فائدة كبيرة عندما تشتمل المبادرة على مميزات تنسـيقية أو تنظيمية معقدة. وعلى العكس من ذلك، فإن مبادرات مثل اختبـار دواء جديد قد تتضمـن إعطاء الدواء لمرة واحـدة للمريض . ففي مثل هذه المواقف، يعتبر التطبيق بسيطاً، ولن تقدم دراسة الحالة للعملية معلومات مفيدة.

ويمكـن لتقييم دراسـة الحالة أن يتتبع عملية التنفيذ من خـلال العمل الميداني أثناء كامـل فترة التنفيـذ. وبديلاً لذلك، يمكن أن تنشـأ بيانات التقييم من الأسـئلة المفتوحة الموجهة للأشخاص الذين تمت معهم المقابلات، واسترجاع الوثائق التي تغطي بأثر رجعي فترات زمنية سـابقة، بحيث يمكن أن تغطي دراسـة الحالة فـترة تقويمية تتجاوز الوقت المخصص لأي عمل ميداني.

يبدأ تقييم دراسـة الحالة بالتغلب على تعقيدات المبادرة، مع الأخذ بالاعتبار بشـكل خاص الوحدات الرئيسية والفرعية للتحليل بالإضافة إلى الأفراد، أو المجموعات، أو المنظمات التي تعمل على المبادرة. بعد ذلك، تستمر دراسة الحالة في فحص وتفسير اسئلة "لماذا" و "كيف" المرتبطة بعملية التنفيذ ــ مع تتبع الأحداث التي تقع مع مرور الوقت، علاوة على تقديم بعض الرؤى حول الفاعلية والتوقيت والدقة المحتملة للمبادرة.

قـد يمثل تقييم دراسـة الحالة عملية التقييـم بأكملها عندما يتم تتبـع النتائج مبكراً. ففي مثل هذه الظروف، يلعب تقييم دراسـة الحالة دوراً معلوماتياً، حيث تسـاعد النتائج المسـتخلصة من التقييم على تحسـين أو إعادة توجيه المبادرة. فمثلاً، قد تسـتغرق مبادرة رئيسـية عاماً أو عـدة أعوام لكي يتم تنفيذهـا. يمكن أن يقدم تقييم دراسـة الحالة عند إكتماله أثناء العام الأول تغذية راجعة تقويمية مستمرة ومفيدة.

وبدلاً من ذلك، قد يمثل تقييم دراسة الحالة عملية التقييم بأكملها عندما يكون الغرض الأسـاسي من التقييم هو توضيح ما إذا كانت العديد من المبادرات التي تحمل نفس الاسم هي في الواقع أمثلة لنفس التدخلات، أو مجرد أنواع ذات علاقة (انظر مربع ب-١). ومثل هذا التقييم يمكن أن يضع الأسـاس للتقييمات اللاحقة من خلال الضغط عليها لكي توضح بشكل صريح نوع المبادرة التي يتم تقييمها.

مربع (ب-١)

استخدام تقييم دراسة الحالة كتمهيد لتقييمات لاحقة

تنشـأ المشـكلة العامة للتقييم في الواقع عندما تختلف التدخلات التي لها تسميات متشابهة أو تشـبه بعضها البعض، ولا ينبغي الخلط بينها دون معرفة في نفس التقييم. فعلى سـبيل المثال، قام بعض السكان في مجتمعات محلية كثيرة بتنظيم أنفسهم للعمل بشكل رسمي كفرق للحراسة المدنية المكونة من المدنيين أنفسـهم بهدف منع الجرائم. لذا أصبح فهم كيفية عمل فرق الحراسة الأمنية التطوعية، وما إذا كانت تخلق مشـكلاتها الخاصة التي تحدث مثل التحول إلى مجموعات ليس لها سلطة قانونية، هو موضوعَ تقييمٍ يغطي الكثير من تلك الفرق في بيئات مجتمعية متنوعة (انظر مربع ٢٧، الفصل الخامس).

وقد أظهرت دراسات حالة أجريت على (٣٢) من هذه الفرق الأمنية، وجودَ ثلاثة أنواع مميزة من تلك الفرق رغم تشـابه مسـمياتها، وهي: فـرق خاصة للمباني أو المجمعات السـكنية (فرق الحماية الخاصة بالمباني)، فرق شـوارع الحي السكني التي تعرف بشكل عام (فرق الأحياء)، وفرق أمنية أخرى تقدم خدمات حراسـة وبعض الخدمـات المجتمعية الأخرى (فرق خدمية). ومن بين الأنواع الثلاثة اتهمت فرق الحراسة بالأحياء بظاهرة استلام المواطنين لسلطة الأمن؛ لأن أعضاء هذه الفرق لا يسـتطيعون بسـهولة التمييز بين السكان المقيمين الذين يسـكنون في الحي وبين الغرباء أو الأشـخاص من خـارج الحي. انظـر (Yin, 2012, pp. 59 -66). وقد وضعت النتائج الأسـاس لتقييـمات لاحقة لفرق الحماية الأمينة في الأحياء، وهـذا ينبّه المقيّمين بضرورة توضيح نوع فريق الحراسة عند اختيار الفرق الخاضعة للتقييم.

٢- **التركيز على النتائج:** في موقف ثاني، يركز تقييم دراسة الحالة بشكل كامل على النتائج المفترضة للمبادرة، وقد يكلّف بالكشف عن مجموعة كاملة من النتائج، كما في تحديد مقاييس الأداء ذات الصلة ومؤشرات تقييم خدمات عامة تقدمها هيئة حكومية معينة (Wholey, 1997, pp. 131 -132).

يمكـن أن تكون تقييمات نتائج دراسـة الحالة أيضاً مفيدة عندمـا تكون النتائج ذات الاهتمام محددة مسبقاً. وحالياً تتمثل المهمة الأصعب في جمع بيانات النتائج واستخلاص الاسـتنتاجات بخصوص توجيه أو حجم اتجاهات النتائـج (Schwandt, 2009, p. 202). وعلى سـبيل المثال، تضمَّن تقييـم "اختيار المدارس الحكومية" ـ مبادرة تسـمح للطلاب

باختيار مدارسـهم بدلاً من تخصيصها لهم ـ مجموعتـين من النتائج : اتجاهات التحصيل الدراسي للطلاب، وهل وسعت المبادرة بالفعل من نطاق فرص التعليم لجميع أولياء الأمور والطلاب، وليس فقط اختيار مجموعة منهم (Teske, Schneider, Roch & Marschall, 2000)[١] - أنظر مربع (ب-٢).

مربع (ب-٢)

إجراء تحليل النتائج الكمي كجزء من تقييم دراسة الحالة

اعتمـد تقييم مبادرة اختيار المدارس الحكومية (الحالة) بشـكل كبير على التحليل الإحصائي الـذي تناول درجات التحصيل الدراسي السـنوي لطلاب الصف العـاشر في إدارة تعليمية واحدة عـلى مـدى (٢٢) عاماً (Teske et al, 2000). حيث قارن التحليل نتائج الإدارة التعليمية بنتائج (٣٢) إدارة تعليمية في نفس المدينة، وأظهر أن نتائج الإدارة التعليمية ارتفعت بشكل كبير مقارنةً بمتوسـط تلك النتائج على مسـتوى المدينة في مواد الرياضيات والقراءة، ولكن لم تنفذ الإدارات التعليمية الأخرى مبادرة اختيار المدرسة. ولذلك؛ تجاوز التقييم تحليل بيانات التحصيل الدراسي، إلى البيانات الهامة أيضاً التي تأتي من مقابلات المسـؤولين في الإدارة التعليمية واسـترجاع الأدلة الوثائقيـة. وقـد دعمت تلك البيانات وصفـاً دقيقاً للمبادرة، بما في ذلـك توقيت عملية التنفيذ بالكامل لتحديد السـنوات التي يتوقع أن تتحسـن فيها درجات طلاب الصف العاشر بسـهولة، مقارنةً بدرجات طلاب الإدارة التعليمية.

بالإضافة إلى كشف النتائج أو جمع وتفسير البيانات الخاصة باتجاهات النتائج المحددة مسبقاً، تستطيع تقييمات دراسة الحالة محاولة تفسير النتائج. وعلى سبيل المثال، في عملية تقييـم تعليمية أخرى كانت النتيجة الهامـة هي أن أولياء الأمور لا يتعاونون بما يكفي مع أولادهم في الواجبات المدرسـية التي كانوا يؤدونها في المنزل (Yin, 2011, pp.188 -192). وكان التفسـير المبدئي لهذه النتيجة هو أن أولياء الأمور كانوا مشـغولين أو مشـتتين ذهنياً للغاية؛ إما لأنهم كانوا يعملون في وظائف وعليهم الاهتمام بالأطفال الأشـقاء الآخرين، أو لأنهـم كانوا مثقلين بالأعمال المنزلية. ولكن، إقترح التحليل المكثف لبيانات دراسـة الحالة الميدانية تفسـيراً بديلاً نشأ من إدراك السياق الكامل الذي يحيط بالعائلات والذي تمثل في بيئـة ريفية تعاني من انخفاض المسـتوى الاقتصادي، وعدد السـكان، وفرص العمل: حيث يتخـوف أولياء الأمور من أن تفوق أطفالهم دراسـياً سـوف تزداد احتمالية أن يكتسـب

الأطفال الحراك الاجتماعي، وبالتالي مغادرة المجتمع بعد إكمال الدراسة، ولهذا السبب لا يرغب أولياء الأمور في مساعدة أطفالهم في الواجبات المدرسية.

٣- **التركيز على المبادرة والنتائج:** في الموقف الثالث يمكن أن تحاول تقييمات دراسة الحالة تفسير العلاقات بين المبادرة ونتائجها (Mark, 2008, p. 125; Shavelson & Towne, 2002, pp. 99–110).

في هذا الجانب، يتناقض دور دراسة الحالة مع دور التقييمات التي تستخدم التصميمات التجريبية ــ بما في ذلك التصميمات ذات التجارب العشوائية المُحكمة. وتتمثل نقطة القوة في التجربة العشوائية المُحكمة (RCTs) في استخلاص نتيجة سببية حول فاعلية مبادرة ما (Bickman & Reich, 2009). ولكن، لاتزال التجربة العشوائية المُحكمة تبقى كطريقة التقييم التي تسمى "black box" أو الصندوق الأسود (Labin, 2008, p. 101)؛ لأنه لا يكشف العمليات أو الآليات التي من خلالها يمكن للمبادرة أن تعمل وتحقق نتائجها (Julnes & Rog, 2009, pp. 102-103). لذا؛ فإن تقييم دراسة الحالة هو الذي سيعالج هذا الفراغ.

في مثل هذا الموقف، يمكن أن يؤدي استخدام نماذج المنطق (انظر الفصل الخامس) دوراً أساسيًّا في تصميم تقييم دراسة الحالة المطلوب، وفي بداية التقييم يتم تحديد نموذج المنطق بمصطلحات افتراضية ــ أي بواسطة تحديد العلاقات المرتبطة نظرياً، والتي من خلالها تفترض أن تسبق بعض المبادرة (المدخلات) نتيجة مباشرة ذات اهتمام (المخرجات)، والتي بالتالي يفترض أن تسبق نتيجة لاحقة مرغوبة (التأثير). وعلى الرغم من توضيح نماذج المنطق إلى حد كبير بطريقة خطية، فقد تتضمن المدخلات والمخرجات والتأثيرات علاقات أكثر تعقيداً وتفاعلاً مع مرور الوقت. لذا؛ يتطلب الموقف تقديم نموذج تكراري وأكثر ديناميكية من النموذج الخطي، ليصبح موضوعاً لجمع وتحليل البيانات. على سبيل المثال، انظر (Dyehouse, Bennett, Harbor, Childress, & Dark,2009). وانظر أيضاً: الجلسة الدراسية ٥-٢ من هذا الكتاب.

وينبغي أن تعمل نماذج المنطق ذات الصلة على تفعيل الروابط، أي توضح "كيف" تؤدي الأحداث إلى النتائج المباشرة ذات الاهتمام وهكذا، وليس فقط تسميتها بالروابط المتبادلة[٢]. وحتى نماذج المنطق القوية يمكن أن تحتوي على التفسيرات المناظرة لمقارنتها بالروابط الأولية المفترضة، وقد تمثل هذه التفسيرات المناظرة أهمية خاصة؛ "لأنه كلما كانت فترة التوقف كبيرة بين بداية التدخل والتغيرات في النتائج المقاسة، كان من الصعب استبعاد التفسيرات السببية البديلة"(Julnes & Rog, 2009, p. 110).

وعــلى الرغم مــن صعوبة تقييمات دراســة الحالة التي تحاول أن تفــسر كيف تُحقق المبادرات نتائجَها، إلا أنه يمكن إعطاء بعض الأمثلة الجيدة لهذه التقييمات كما يلي:

- تأثير إغلاق قاعدة عسكرية في مجتمع محلي صغير (Bradshaw, 1999).
- نتائج مبادرة إعادة تأهيل وتطوير أحد الأحياء السكنية (Glaster et al, 2006).
- نتائج تنفيذ نظام شامل للصحة النفسية للأطفال (Bickman & Mulvaney, 2005).
- اتجاهــات التحصيل الــدراسي للطلاب المرتبطة بمبادرة إصلاح التعليــم في إدارة تعليمية كبيرة في أحد ضواحي المدن (Supovitz & Taylor, 2005)[٣].

كما توجد أمثلة أخرى في الفصلين الثالث عشر والخامس عشر من كتاب (Yin, 2012)، وتغطي هــذه الأمثلة إجراءات مجتمعيــة لمنع تعاطي المخدرات، ومبــادرة إنفاذ القانون ومبادرة المساعدة الفنية لمرض الإيدز.

بحوث دراسة الحالة كجزء من ترتيبات التقييم الثنائي المستوى:

قــد يظهر أي من التطبيقين الأوَّلين لبحوث دراســة الحالة في إجــراءات التقييم الثنائي المستوى، والتي يتكون فيها التقييم الواحد من تقييم فرعي واحد أو عدة تقييمات فرعية. والأكــثر شــيوعاً هو أن المبادرة البرامجية واســعة النطاق ولكنها مبــادرة واحدة (في مجال سياسة معينة أو ممارسة تطبيقية، مثل: تعزيز الصحة، والتعليم، وخدمات الصحة النفسية، وإعادة تأهيل وتطوير الأحياء السكنية، والخدمات الاجتماعية المنسقة) تتكون من مجموعة من المشروعات ذات التمويل المستقل والتي تعمل كل منها في موقع مختلف. وبالإضافة إلى ذلــك، يمكن تنفيذ كل مــشروع من خلال الشراكة بين منظمتين متعاونتين أو عدة منظمات حيث تعمل على تشغيل العديد من مبادراتها، وبالتالي إنشاء مبادرة ذات جوانب متعددة.

ويمكــن أن تتطلب المبــادرة البرامجية الواســعة تقييم برنامج واحــد، في حين تتطلب المشروعات المحدودة ولكنها ذات علاقة تقييمات متعددة للمشروع. ويمثل البرنامج المركب وتقييمات المشروع عادةً الترتيب الثنائي المستوى أو المتعدد المستويات (Chaskin, 2003). في هذا الترتيب، من المحتمل أن يمثل تقييم البرنامج الواحد دراسة حالة. ففي إحدى صوره، قــد يراجع ويدمج تقييم دراســة الحالة عمل التقييمات المتعــددة للمشروع (انظر مربع ب-٣). وفي صور أخرى، يســتخلص تقييم دراسة الحالة نتائج البرنامج كوحدة متكاملة من

خلال جمع وتحليل عينة من البيانات من تقييمات المشروع، مع استمرار كل تقييم مشروع في الاهتمام بالبيانات الخاصة به وتحليلها من خلال اتباع الأسلوب البحثي الذي يناسبه ـ سواء دراسة الحالة أو غيرها وبدلاً من ذلك، قد يشترك تقييم البرنامج مع تقييمات المشروع في تحديد جمع البيانات والأدوات المستخدمة بواسطة تقييمات المشروع.

ويمكن أن تتبع النسخة المعقدة من الترتيب الثنائي المستوى أو المتعدد المستويات الطريقة التدريجية، بحيث تتكون المرحلة الأولى من مجموعة من تقييمات المشروع التي تعمل على التقييم المستمر لعمليات التنفيذ، وتتكون المرحلة الثانية من تقييم البرنامج الموجه إلى النتائج (Rog & Randolph, 2002). وفي هذا الترتيب فقط، يقوم تقييم البرنامج بجمع بيانات النتائج والتي تكون فقط حول تلك المشروعات التي نفذت مبادراتها بصورة مُرضية. وبالتالي، سيتحمل تقييم البرنامج الفردي الجزء الأكبر للتقييم المستمر للفاعلية والأثر طويل المدى للبرنامج بأكمله.

وقد ظهرت أمثلة لهذا الترتيب الأخير بشكل خاص تحت رعاية إدارة إساءة إستخدام المخدرات وخدمات الصحة النفسية التابعة لوزارة الصحة، والخدمات البشرية في الولايات المتحدة الأمريكية في فترة الثمانينيات والتسعينيات الماضية (1990s/ 1980s).

مربع (ب-٣)

التقييم الثنائي المستوى

أطلقت المملكة المتحدة مبادرة كبيرة وجديدة تحت عنوان "البداية الأكيدة -Sure Start" في عام ١٩٩٩م (انظر: Allen & black, 2006)، وتطلبت تلك المبادرة المجتمعية المعقدة التغيير المنظم في الخدمات المحلية ـ لتقديم أكبر قدر ممكن من التواصل الواسع ، والصحة، والدعم الاجتماعي مع الأسر التي لديها أطفال تبلغ أعمارهم أقل من أربعة أعوام؛ وذلك لتقديم المعونات إلى الأطفال والأسر والمجتمعات المحلية. فمن منظور التقييم، كانت السمة الهامة لهذه المبادرة احتواءها على ما يقرب من (٥٠٠) مشروع منتشر في جميع أنحاء إنجلترا. ونتيجة لذلك ؛ راجعت (تقييم دراسة حالة) على المستوى "الوطني" تصميم ونتائج (٥٦) من تلك التقييمات المحلية. وكان من نتائج هذه الدراسة أن التقييمات التي أُجريت على المستوى الوطني، أظهرت أنه على الرغم من أن التقييمات المحلية قدمت نتائج حول نجاح المبادرات المحلية، إلا أن حوالي نصف التقييمات المحلية فقط جمعت بعض بيانات النتائج ، وقليل منها جمع بعض بيانات المقارنة.

ملخص:

توضح التطبيقات السابقة كيف يمكن أن تنطبق تقييمات دراسة الحالة على مجموعة من المواقف. وفي الحقيقة، يشير تنوع المواقف إلى أن الأحكام حول فائدة وصلة وجودة تقييمات دراســات الحالة تحتاج إلى التمييز بين المواقف بدقة. فمثلاً، يُســاء تقدير تقييمات دراســة الحالة عندما يكون التطبيق فقط جزءاً ثانوياً من التقييم الموســع. وفي المقابل، عندما تمثل بحوث دراسة الحالة أسلوب التقييم الأساسي، من المحتمل أن تقدم معلومات مفيدة وقابلة للاســتخدام. وهكذا، رغــم تفاوت اعتراف المراجع العلمية المتخصصــة في التقييم بتقييمات دراسات الحالة، تبقى بحوث دراسة الحالة جزءاً لا يتجزأ من أساليب التقييم الواسعة.

ملاحظات الملحق (ب)

١. يظهــر مقتطف مطــول من المادة الأصلية في مقتطفات أدبية مختارة من دراســات الحالة في مجال التعليم (Yin, 2005, pp. 277 -304).

٢. غالباَ، يتم عرض نماذج المنطق بيانياً كسلســلة من المربعات مع أسهم تربط بين هذه المربعات. وعلى الرغــم من أن المقيّمين عادةً ما يحــددون محتويات تلك المربعات (عادة مجموعة من المتغيرات)، إلا أنهم نادراً ما يســتخدمون الأســهم التي تمثل الروابط التفســيرية (انظر: Yin, 2000a). ولهذا ؛ ترمز الأسهم إلى الآليات أو العمليات التي من خلالها تؤدي المدخلات المختلفة إلى المخرجات، ثم تؤدي تلك المخرجات إلى نتائج وهكذا. وتكمن صعوبة تقييمات دراسة الحالة في تحديد تلك الآليات أو العمليات (انظر الفصل الخامس، شكل ٥-٥ من هذا الكتاب).

٣. لم يحدد الباحثون الذين أجروا تقييمات مبادرة إعادة تأهيل وتطوير الأحياء الســكينة أو الباحثون في تقييمات الصحة النفســية للأطفال دراساتهم كتقييمات لدراســة الحالة. ولكن، في كلا الدراستين بالإضافة إلى المثالين الســابقين، جمعــت التقييمات بيانات ميدانية حول المبادرات الرئيســية (التي تُعتبر كحالة رئيســية ذات اهتمام)، حيث إن جميع هذه الدراسات الأربعة استخلصت نتائجها على هذا المســتوى. وذلك بســبب اشتراك الدراســات الأربعة في التحليلات الكمية المكثفة على المستوى الأدنى (المؤشرات الاقتصادية في دراســة القاعدة العســكرية، والوحدات الســكنية في دراسة تطوير الأحياء الســكينة، وســلوك المرضى في دراسة خدمات الصحة النفســية، وتحصيل الطلاب الدراسي في دراسة الإصلاح التعليمي)، فقد استغرقت الأساليب البحثية المستخدمة على المستويات الأدنى الجزء الأكبر من تقارير الباحثين.

ملحق (ج)

فهرس بدراسات الحالة الفردية التي تمت الإشارة إليها في الكتاب

يســاعد هذا الملحق في سهولة الوصول إلى دراسات الحالة المتعلقة بالموضوع الذي يثير اهتــمام القارئ والتي تم ترتيبها في قائمة كاملة من دراســات الحالة الواردة في (المربعات) موزعة حسب فصول الكتاب على النحو التالي :

الفصل الأول:

الفصل الثاني:

الفصل السادس:

قائمة الأشكال والرسومات:

قائمة التمارين العملية:

تعريف للمصطلحات المرتبطة مباشرةً ببحوث دراسة الحالة:

التعميـم التحليلي - Analytic generalization المنطـق الذي من خلاله تمتد نتائج دراسة الحالة إلى مواقف خارج دراسة الحالة الأصلية، ويعتمد على الصلة الوثيقة بالمفاهيم أو المبادئ النظرية المتشـابهة. انظر أيضاً تعريف الصدق الخارجي (External validity)، وهو عكس التعميم الإحصائي Statistical generalization.

الحالة - Case موضوع الدراسـة الرئيس في دراسـة الحالة - وهي عادةً عبارة عن كيان مادي (مثل: شخص، منظمة، مجتمع، برنامج، عملية، سياسة عامة، مهنة، مؤسسة أو حدث مثـل القرارات)، وقد تكون "حـالات" مجردة بالكامل (مثل: الجدليـات، أو الادعاءات، أو الافتراضات)، وقد تتصل بجميع أساليب البحوث في العلوم الاجتماعية، وقد تكون أقل تمييزاً كحالات في دراسات الحالة.

إطـار أو (حدود) الحالة - Case boundaries هو الفترة الزمنية، أو الفئة الاجتماعية، أو المنظمات، أو المواقع الجغرافية، أو الظروف الأخرى التي تقع ضمن (أو خارج) الحالة في دراسة حالة ما، مما يعني أن الإطار قد يكون غير واضح.

سجل الحالة - Case record ملف إداري، يُستخدم عادةً في المجالات الطبية والخدمة الاجتماعية والقانونية وغيرها. ولكن لا يعتبر دراسة حالة في حد ذاته.

دراسـة الحالة - Case study دراسـة تتناول ظاهرة معاصرة بعمق من خلال البحث والتحليل وفي سياقها الواقعي.

قاعدة بيانات دراسـة الحالة - Case study database انظر تعريف مصطلح قاعدة البيانات (Database).

تصاميم دراسة الحالة - Case study designs هناك أربعة أنواع من دراسات الحالة، تقع ضمن التصنيف ٢×٢ (سواء كانت دراسة حالة فردية أو متعددة، وسواء كانت شمولية أو تتكون من وحدات تحليل مضمنة).

المقابلة في دراسة الحالة - Case study interview انظر تعريف المقابلة (Interview).

بروتوكول دراسة الحالة - Case study protocol انظر تعريف بروتوكول (Protocol).

تسلسل أو (ترابط) الأدلة - Chain of evidence الروابط - التي توضح كيف تُستخلص النتائج من البيانات التي تم جمعها من القواعد الإسترشادية لبروتوكول دراسة الحالة، ومن أسئلة البحث الأصلية ـ والتي تعزز من مصداقية إجراءات بحوث دراسة الحالة.

أدوات تحليل البيانات الكيفية بمساعدة برامج الحاسب الآلي - Computer-Assisted Qualitative Data Analysis (CAQDAS) Tools برامــج حاســوبية مصممــة لترميز وتحليل البيانات الكيفية (النص الروائي) ومنها بيانات دراسة الحالة.

الصــدق البنائي - Construct validity الدقة التي تعكس من خلالها معايير دراســة الحالة المفاهيم التي تتناولها الدراسة.

دمج الحالات - Cross-case synthesis دمج البيانات في دراســة الحالة المتعددة من خــلال اختبــار النتائج لكل حالة فردية، ثــم ملاحظة نمط تلك النتائــج في جميع الحالات؛ وتتضمن عمليات الدمج الفعّالة البيانات الكافية للأخذ في الاعتبار أنماط الحالات المتعددة المناظرة المعقولة.

قاعــدة البيانات - Database هي التصنيف المنظم لجميع بيانات دراســة الحالة مثل (الملاحظات الميدانية، والوثائق، وســجلات الأرشــيف وغيرها)، والتي يتم جمعها وتصنيفها من أجل قابلية الاسترجاع لاحقاً لبعض أجزاء الأدلة عند الضرورة، وتنظيمها بطريقة تسمح للقارئ باســتعراض كامل أرشــيف الأدلة إذا رغب في ذلك. انظر أيضاً تعريف الملاحظات الميدانية (Field notes).

دراسة الحالة الوصفية - Descriptive case study دراسة حالة غرضها وصف ظاهرة (الحالة) في ســياقها الحقيقي. انظر أيضاً تعريف دراســة الحالة التفسيرية (Explanatory case study) ودراسة الحالة الاستكشافية (Exploratory case study).

وحــدة التحليــل المضمنــة - Embedded unit of analysis وحــدة تحليل أقل من الوحدة الرئيســة للتحليل، ومنها أيضاً يتم جمع بيانات دراســة الحالة (مثل: بيانات الأسرة ضمن دراســة حالة أحد الأحياء الســكنية، أو بيانات موظف واحد داخل دراسة حالة حول منظمــة، أو بيانات مشروع ضمن دراســة حالــة حول برنامج). انظر أيضــاً تعريف وحدة التحليل (Unit of analysis).

بناء التفسير - Explanation building تحليل بيانات دراسة الحالة باستخدام البيانات لإعداد وتفسير بعض الأحداث في الحالة. وتشتمل التحليلات القوية على بيانات كافية للأخذ في الاعتبار التفسيرات المناظرة المعقولة.

دراســة الحالة التفســيرية - Explanatory case study دراســة حالة غرضها تفسير "كيــف" أو "لماذا" حدثــت ظروف معينة (مثــل: كيف ولماذا حدثت وقائــع معينة، أو لم تحدث). انظر أيضاً تعريف دراســة الحالة الوصفية (Descriptive case study) ودراســة الحالة الاستكشافية (Exploratory case study).

دراسة الحالة الاستكشــافية - Exploratory case study دراسة حالة غرضها تحديد أســئلة البحث أو الإجراءات التي ستســتخدم في دراســة بحثية لاحقة، والتي قد تكون (أو لا تكــون) دراســة حالة. انظر أيضاً تعريف دراســة الحالة الوصفيــة (Descriptive case study)، ودراسة الحالة التفسيرية (Explanatory case study).

الصدق الخارجي - External validity مدى تعميم النتائج المســتخلصة من دراســة الحالــة تحليلياً على مواقف أخرى لم تكن جزءاً من الدراســة الأصليــة. انظر أيضاً تعريف التعميم التحليلي (Analytic generalization).

الملاحظــات الميدانيــة - Field notes ملاحظات الباحث الناتجة عــن العمل الميداني، وتختلــف تلك الملاحظات في الصفة الرســمية عن كتابة النص البحثي الرســمي، ويمكن أن تشمل رسومات ومواد غير لفظية أخرى يبتكرها الباحث. انظر أيضاً تعريف قاعدة البيانات (Database) والعمل الميداني (Fieldwork).

العمــل الميــداني - Fieldwork الأســلوب الشــائع لجمع بيانات دراســة الحالة، مثل (المقابــلات، والأدلة الوثائقية، والملاحظات المباشرة) والتي يتــم جمعها في البيئة الحقيقية للحالة موضوع الدراسة. انظر أيضاً تعريف الملاحظات الميدانية (Field notes).

الشخص المزود بالمعلومات - Informant الشخص المشارك في دراسة الحالة الذي يمثل أيضاً موضوع الدراســة، وهو كذلك يوفر معلومات أو تفســيرات مهمة حول الحالة، أو قد يقترح مصادر أخرى للأدلة ليتحقق منها الباحث. انظر أيضاً تعريف المشارك (Participant).

الصــدق الداخلي - Internal validity قوة الارتباط بين الســبب والأثر الذي تحدثه دراسة الحالة، ويحدد جزئياً من خلال غياب العلاقات الخاطئة ورفض الفرضيات المناظرة.

المقابلــة الشــخصية - Interview طريقة لجمع البيانات تتضمــن المعلومات اللفظية من المشــاركين في دراسة الحالة، وتعتبر المقابلة عادةً أسلوباً حوارياً في طبيعته وموجهاً من الباحــث؛ لأن أســئلة المقابلة لا تتبع نفــس طريقة التعبير اللفظية التي تســتخدم مع كل شــخص تتم مقابلته، ويطلق عليهــا أيضاً «المقابلات المتعمقــة» و«المقابلات غير المقننة». انظر أيضاً تعريف الترتيب الذهني للاستعلام (Mental line of inquiry) والترتيب اللفظي للاستعلام (Verbal line of inquiry).

التماثل الحرفي - Literal replication اختيار دراستين (أو أكثر) من بين دراسة متعددة الحالات نظراً للاعتقاد بأن الحالات ســينتج عنهما نتائج متماثلة. انظر أيضاً تعريف منطق النسخ المتماثل (Replication logic). قارن هذا المصطلح بالتماثل النظري (Theoretical replication).

نماذج المنطق - Logic models تحليل بيانات دراســة الحالة بمقارنة الخطة النظرية التجريبيــة (أي نموذج المنطــق) بمفهوم الخطة النظرية التي تــم وضعها قبل عملية جمع البيانات، وتحتوي التحليلات القوية على البيانات الكافية للأخذ في الاعتبار الخطط النظرية المناظرة المعقولة.

الترتيب الذهني للاستعلام - Mental line of inquiry أسئلة وموضوعات البروتوكول التي تحفز تفكير الباحث أو (جدول الأعمال الذهنية) عند إجراء دراســة الحالة. قارن هذا المصطلح مع الترتيب اللفظي للاستعلام (Verbal line of inquiry).

الدراسة ذات الأساليب البحثية المختلطة - Mixed methods of study دراسة فردية تشمل الأساليب البحثية (الكمية والكيفية)، بحيث من المحتمل أن تكون دراسة الحالة هي واحدة من بين هذه الأساليب.

دراســة الحالة المتعــددة - Multiple case study دراســة الحالة التي تصمم وتدور حول حالتين أو عدة حالات. انظر أيضاً دراسة الحالة الفردية (Single case study).

مصــادر الأدلة المتعــددة - Multiple sources of evidence البيانات التي تأتي من مصادر مختلفــة (مثل المقابلات، والوثائــق، والملاحظات مباشرة، والأرشــيف، وملاحظات المشاركين) بهدف دعم وتقوية النتائج من خلال التقاء أو تقارب البيانات.

المشــارك - Participant الشخص الذي يتم جمع بيانات دراسة الحالة منه، والتي تتم عادةً عن طريق المقابلات الشــخصية، ويمكن أن يًطلب من مشــارك واحد أو أكثر مراجعة مسودة تقرير دراسة الحالة. انظر أيضاً تعريف الشخص المزود بالمعلومات (Informant).

ملاحظــات المشــارك - Participant-observation طريقة جمــع بيانات يكون فيها الباحث مشتركاً في أنشطة الحالة الخاضعة للدراسة.

مطابقة الأنماط - Pattern matching تحليل بيانات دراســة الحالة من خلال مقارنة أو مطابقة النمط داخل البيانات التي جُمعت بنمط تم تحديده مســبقاً قبل عملية جمع البيانات. وتحتوي التحليلات القوية على بيانات كافية للأخذ في الاعتبار التطابقات المناظرة المعقولة.

دراسة الحالة التجريبية - Pilot case study دراسة حالة تمهيدية تهدف إلى تطوير أو اختبار أو مراجعة خطة أســئلة وإجراءات البحث، والتي ستستخدم لاحقاً في دراسة الحالة الرســمية. ولا يجوز إعادة استخدام البيانات الواردة في دراســة الحالة التجريبية في دراسة الحالة الرسمية.

البروتوكول - Protocol الدليل الإجرائي لجمع البيانات لدراسة الحالة، ويشمل مجموعة من الأســئلة الميدانية التي سيتناولها الباحث، والتي تمثل «جدول أعمال الباحث الذهنية». انظر أيضاً تعريف الترتيب الذهني للاستعلام (Mental line of inquiry).

الثبات - Reliability اتساق وقابلية تكرار إجراءات البحث التي استخدمت في دراسة حالةٍ ما.

منطــق النســخ المتماثــل - Replication logic منطق يعتمد عــلى اختيار حالتين أو أكثر في دراســة الحالة المتعددة. انظر أيضاً تعريف التماثل الحرفي (Literal replication) والتماثل النظري (Theoretical replication).

تصميم البحث - Research design الخطة التي تربط منطقياً أســئلة البحث بالأدلة المراد جمعها وتحليلها في دراســة الحالة، وتضع إطاراً أو قيوداً لأنواع النتائج التي يمكن أن تنشأ عن الدراسة.

أسـئلة البحـث - Research questions القوة الدافعة لمعظم الدراسـات التجريبية. ففي دراسة الحالة تعتبر الأسئلة الأكثر ملاءمة هي التي تبدأ بالتساؤلات: "كيف" و "لماذا".

التفسير المناظر - Rival explanation بديل معقول ـ يختلف عن الفرضيات الأساسية للدراسة ـ والغرض منه هو تفسير البيانات أو النتائج في دراسة الحالة.

دراسـة الحالة الفردية - Single-case study دراسـة حالة تتناول فقط حالة فردية، وقد يتم اختيار الحالة بناءً على أهميتها أو شـيوعها أو تفردها أو لكشـفها أو لطولها. انظر أيضاً تعريف دراسة الحالة المتعددة (Multiple case study).

التعميـم الإحصـائي - Statistical generalization المنطـق الـذي من خلاله يمكن أن تنطبـق نتائج عينة على جميع (مجتمع الدراسـة الكامل)، والـذي يتضمن عادةً بعض الاسـتنتاجات الإحصائية ولكن ليس له صلة وثيقة بالتعميم من دراسات الحالة. قارن هذا المصطلح بتعريف التعميم التحليلي (Analytic generalization).

هيـكل الجـدول - Table shell تصميم وترتيب الجدول الـذي يحتوي على صفوف وأعمدة معرّفة ببيانات (رقمية أو نصية)، لكن لم توضع بعد في خلايا الجدول، ومفيد كأداة لتحديد البيانات المراد جمعها في دراسة الحالة.

دراسـة الحالـة التعليمية - Teaching case study دراسـة حالة تسـتخدم لأغراض تعليمية وتختلف عن دراسة الحالة التي تعد لأغراض بحثية.

التماثـل النظري - Theoretical replication اختيار حالتين أو أكثر في دراسـة الحالة المتعددة، حيث يفترض أن تحتوي الحالات على نتائج متعارضة، لكن لأسباب يمكن توقعها. انظـر أيضاً تعريف منطق النسـخ المتماثـل (Replication logic). قـارن هذا المصطلح بتعريف التماثل الحرفي (Literal replication).

تحليل السلاسـل الزمنية - Time-series analysis تحليل بيانات دراسـة الحالة من خـلال توزيع البيانات وفقاً للعلامـات الزمنية ومقارنة الاتجاهـات ضد تلك التي حددت أساساً قبل عملية جمع البيانات. وتشتمل التحليلات القوية على البيانات الكافية للأخذ في الاعتبار الاتجاهات المناظرة المعقولة.

التدريب لإجراء دراســة الحالــة - Training to do a case study الإعداد والتحضير لاستيعاب المفاهيم والمنهجية لإجراء دراسة حالة مخطط لها - وتحقيق مستوى من الخبرة كاف للتعامــل مع الخيارات التقديرية التي قد تنشــأ أثناء عمليــة جمع البيانات ومراحل البحًث الأخرى.

إلتقاء أو تقارب البيانات - Triangulation التقاء البيانات التي تم جمعها من مصادر مختلفة لتحديد مدى اتساق وتجانس النتائج.

وحدة التحليل - Unit of analysis هي "الحالة" التي تتناولها دراسة الحالة. انظر أيضاً تعريف وحدة التحليل المضمنة (Embedded unit of analysis).

الترتيب اللفظي للاســتعلام- Verbal line of inquiry الألفاظ الفعلية المستخدمة في طرح الأســئلة على الأشخاص أثناء المقابلة الشــخصية في دراسة الحالة. قارن هذا المصطلح بتعريف الترتيب الذهني للاستعلام (Mental line of inquiry).

المراجع:

- Abercrombie, N., Hill, S., & Turner, B. S. (2006). The Penguin dictionary of sociology (5th ed.). London: Penguin.
- Agranoff, R., & Radin, B. A. (1991). The comparative case study approach in public administration. Research in Public Administration, 1, 203–231.
- Alkin, M., Daillak, R., & White, P. (1979). Using evaluations: Does evaluation make a difference? Beverly Hills, CA: Sage.
- Allen, M., & Black, M. (2006). Dual level evaluation and complex community initiatives: The local evaluation of Sure Start. Evaluation, 12, 237–249.
- Allison, G. T. (1971). Essence of decision: Explaining the Cuban missile crisis. Boston: Little, Brown.
- Allison, G. T., & Zelikow, P. (1999). Essence of decision: Explaining the Cuban missile crisis (2nd ed.). New York: Addison Wesley Longman.
- American Anthropological Association. (1998). Code of ethics of the American Anthropological Association. Washington, DC: Author.
- American Association of University Professors. (2006). Research on human subjects: Academic freedom and the institutional review board. Washington, DC: Author.
- American Educational Research Association. (2000). Ethical standards of the American Educational Research Association. Washington, DC: Author.
- American Evaluation Association. (2004). Guiding principles for evaluators. Washington, DC: Author.
- American Political Science Association Committee on Professional Ethics, Rights, and Freedom. (2008). A guide to professional ethics in political science (2nd ed.). Washington, DC: Author.
- American Psychological Association. (2010). Ethical principles of psychologists and code of conduct. Washington, DC: Author.
- American Sociological Association. (1999). Code of ethics and policies and procedures of the ASA committee on professional ethics. Washington, DC: Author.
- Anaf, S., Drummon, C., & Sheppard, L. A. (2007). Combining case study research and systems theory as a heuristic model. Qualitative Health Research, 17, 1309–1315.
- Anderson, R., Crabtree, B. F., Steele, D. J., & McDaniel, R. R., Jr. (2005). Case study research: The view from complexity science. Qualitative Health Research, 15, 669–685.

- Auerbach, C. F., & Silverstein, L. B. (2003). Qualitative data: An introduction to coding and analysis. New York: New York University Press.
- Bachor, D. G. (2002). Increasing the believability of case study reports. The Alberta Journal of Educational Research, XLVIII, 20–29.
- Barlow, D. H., & Nock, M. (2009). Why can't we be more idiographic in our research? Perspectives on Psychological Science, 4, 19–21.
- Barzun, J., & Graff, H. (1985). The modern researcher (4th ed.). New York: Harcourt Brace Jovanovich.
- Basu, O. N., Dirsmith, M. W., & Gupta, P. P. (1999). The coupling of the symbolic and the technical in an institutionalized context. American Sociological Review, 64, 506–526.
- Baxter, P., & Jack, S. (2008). Qualitative case study methodology: Study design and implementation for novice researchers. The Qualitative Report, 13, 544–559.
- Becker, H. S. (1958). Problems of inference and proof in participant observation. American Sociological Review, 23, 652–660.
- Becker, H. S. (1967). Whose side are we on? Social Problems, 14, 239–247.
- Becker, H. S. (1986). Writing for social scientists: How to start and finish your thesis, book, or article. Chicago: University of Chicago Press.
- Becker, H. S. (1998). Tricks of the trade: How to think about your research while you're doing it. Chicago: University of Chicago Press.
- Bennett, A. (2010). Process tracing and causal inference. In H. Brady & D. Collier (Eds.), Rethinking social inquiry: Diverse tools, shared standards (2nd ed., pp. 207–219). Lanham, MD: Rowman & Littlefield.
- Berends, M., & Garet, M. S. (2002). In (re)search of evidence-based school practices: Possibilities for integrating nationally representative surveys and randomized field trials to inform educational policy. Peabody Journal of Education, 77(4), 28–58.
- Berman, P., & McLaughlin, M. (1974–1978). Federal programs supporting educational change (8 vols.). Santa Monica, CA: RAND.
- Beverland, M., & Lindgreen, A. (2010). What makes a good case study? A positivist review of qualitative case research published in Industrial Marketing Management, 1971–2006. Industrial Marketing Management, 39(1), 59–63.
- Bickman, L. (1987). The functions of program theory. In L. Bickman (Ed.), Using program theory in evaluation (pp. 5–18). San Francisco: Jossey-Bass.

- Bickman, L., & Mulvaney, S. (2005). Large scale evaluation of children's mental health services: The Ft. Bragg and Stark County studies. In R. Steele & M. Roberts (Eds.), Handbook of mental health services for children, adolescents, and families (pp. 371–386). New York: Kluwer Academic/Plenum.
- Bickman, L., & Rog, D. J. (Eds.). (2009). The Sage handbook of applied research methods. (2nd ed.). Thousand Oaks, CA: Sage.
- Blau, P. M. (1955). The dynamics of bureaucracy. Chicago: University of Chicago Press.
- Boruch, R. (2007, October 12). The flight of error: Scientific questions, evidential answers, and STEM education research. Presentation at workshop on STEM Education Research Designs: Conceptual and Practical Considerations for Planning Experimental Studies, Arlington, VA, sponsored by the University of California, Irvine.
- Boruch, R., & Foley, E. (2000). The honestly experimental society. In L. Bickman (Ed.), Validity & social experimentation: Donald Campbell's legacy (pp. 193–238). Thousand Oaks, CA: Sage.
- Bouchard, T. J., Jr. (1976). Field research methods. In M. D. Dunnette (Ed.), Industrial and organizational psychology (pp. 363–413). Chicago: Rand McNally.
- Bourgois, P. (2003). In search of respect: Selling crack in El Barrio (2nd ed.). Cambridge, England: Cambridge University Press.
- Bradshaw, T. K. (1999). Communities not fazed: Why military base closures may not be catastrophic. Journal of the American Planning Association, 65, 193–206.
- Brinton, C. (1938). The anatomy of a revolution. Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall.
- Bromley, D. B. (1986). The case-study method in psychology and related disciplines. Chichester, England: Wiley.
- Bruns, W. J., Jr. (1989). A review of Robert K. Yin's 'Case Study Research: Design and Methods.' Journal of Management Accounting Research, 1, 157–163.
- Bryk, A. S., Bebring, P. B., Kerbow, D., Rollow, S., & Easton, J. Q. (1998). Charting Chicago school reform: Democratic localism as a lever for change. Boulder, CO: Westview.
- Burawoy, M. (1991). The extended case method. In M. Burawoy, A. Burton, A. A. Ferguson, K. J. Fox, J. Gamson, N. Gartrell, et al. (Eds.), Ethnography unbound: Power and resistance in the modern metropolis (pp. 271–287). Berkeley: University of California Press.
- Burke, W. W. (2007). Organizational change: Theory and practice (3rd ed.). Thousand Oaks, CA: Sage.
- Busigny, T., Graf, M., Mayer, E., & Rossion, B. (2010). Acquired prosopagnosia as a face-specific disorder: Ruling out the general visual similarity account. Neuropsychologia, 48, 2051–2067.

- Busigny, T., & Rossion, B. (2011). Holistic processing impairment can be restricted to faces in acquired prosopagnosia: Evidence from the global/local Navon effect. Journal of Neuropsychology, 5, 1–14.
- Camic, P., Rhodes, J. E., & Yardley, L. (Eds.). (2003). Qualitative research in psychology: Expanding perspectives in methodology and design. Washington, DC: American Psychological Association.
- Campbell, D. T. (1969). Reforms as experiments. American Psychologist, 24, 409–429.
- Campbell, D. T. (1975). Degrees of freedom and the case study. Comparative Political Studies, 8, 178–193.
- Campbell, D. T., & Stanley, J. (1966). Experimental and quasi-experimental designs for research. Chicago: Rand McNally.
- Campbell, J. P., Daft, R. L., & Hulin, C. L. (1982). What to study: Generating and developing research questions. Beverly Hills, CA: Sage.
- Carroll, J., & Johnson, E. (1992). Decision research: A field guide. Journal of the Operational Research Society, 43, 71–72.
- Caulley, D. N. (2008). Making qualitative research reports less boring: The techniques of writing creative nonfiction. Qualitative Inquiry, 14, 424–449.
- Caulley, D. N., & Dowdy, I. (1987). Evaluation case histories as a parallel to legal case histories. Evaluation and Program Planning, 10, 359–372.
- Chaskin, R. J. (2001). Building community capacity: A definitional framework and case studies from a comprehensive community initiative. Urban Affairs Review, 36, 291–323.
- Chaskin, R. J. (2003). The challenge of two-tiered evaluation in community initiatives. Journal of Community Practices, 11, 61–83.
- Chassan, J. B. (1960). Statistical inference and the single case in clinical design. Psychiatry, 23, 173–184.
- Cochran, W. G., & Cox, G. M. (1957). Experimental designs (2nd ed.). New York: John Wiley.
- Cook, T. D., & Campbell, D. T. (1979). Quasi-experimentation: Design and analysis issues for field settings. Chicago: Rand McNally.
- Cook, T. D., & Foray, D. (2007). Building the capacity to experiment in schools: A case study of the Institute of Educational Sciences in the US Department of Education. Economics of Innovation and New Technology, 16(5), 385–402.
- Cook, T. D., & Payne, M. R. (2002). Objecting to the objections to using random assignment in educational research. In F. Mosteller & R. Boruch (Eds.), Evidence matters: Randomized trials in education research (pp. 150–178). Washington, DC: Brookings Institution Press.

- Cooper, C. A., McCord, D. M., & Socha, A. (2011). Evaluating the college sophomore problem: The case of personality and politics. Journal of Psychology, 145, 23–37.
- Cooper, H. M. (1984). The integrative research review. Beverly Hills, CA: Sage.
- Cooper, H. M., & Hedges, L. V. (Eds.). (1994). The handbook of research synthesis. New York: Russell Sage Foundation.
- Corbin, J., & Strauss, A. (2007). Basics of qualitative research: Techniques and procedures for developing grounded theory (3rd ed.). Thousand Oaks, CA: Sage.
- COSMOS Corporation. (1983). Case studies and organizational innovation: Strengthening the connection. Bethesda, MD: Author.
- COSMOS Corporation. (1998). Evaluation of MEP-SBDC partnerships: Final report. Report prepared for the National Institute of Standards and Technology, U.S. Department of Commerce, Gaithersburg, MD.
- Crabtree, B. F., & Miller, W. L. (Eds.). (1999). Doing qualitative research (2nd ed.). Thousand Oaks, CA: Sage.
- Crane, J. (Ed.). (1998). Social programs that work. New York: Russell Sage Foundation.
- Creswell, J. W. (2007). Qualitative inquiry & research design: Choosing among five approaches (2nd ed.). Thousand Oaks, CA: Sage.
- Creswell, J. W. (2012). Qualitative inquiry & research design: Choosing among five approaches (3rd ed.). Thousand Oaks, CA: Sage.
- Crewe, K. (2001). The quality of participatory design: The effects of citizen input on the design of the Boston Southwest Corridor. APA Journal, 67, 437–455.
- Cronbach, L. J. (1975). Beyond the two disciplines of scientific psychology. American Psychologist, 30, 116–127.
- Cronbach, L. J., & Associates. (1980). Toward reform of program evaluation: Aims, methods, and institutional arrangements. San Francisco: Jossey-Bass.
- Dabbs, J. M., Jr. (1982). Making things visible. In J. Van Maanen, J. M. Dabbs Jr., & R. R. Faulkner (Eds.), Varieties of qualitative research (pp. 31–63). Beverly Hills, CA: Sage.
- Datta, L. (1997). Multimethod evaluations. In E. Chelimsky & W. R. Shadish (Eds.), Evaluation for the 21st century (pp. 344–359). Thousand Oaks, CA: Sage.
- David, M. (Ed.). (2006a). Case study research (4 vols.). London: Sage.
- David, M. (2006b). Editor's introduction. In M. David (Ed.), Case study research (pp. xxiii–xlii). London: Sage.

- Denenberg, V. H. (1982). Comparative psychology and single-subject research. In A. E. Kazdin & A. H. Tuma (Eds.), Single-case research designs (No. 13, pp. 19–31). San Francisco: Jossey-Bass.
- Denzin, N. K. (1978). The logic of naturalistic inquiry. In N. K. Denzin (Ed.), Sociological methods: A sourcebook. New York: McGraw-Hill.
- Derthick, M. (1972). New towns in-town: Why a federal program failed. Washington, DC: The Urban Institute.
- DeWalt, K. M., & DeWalt, B. (2011). Participant observation: A guide for fieldworkers (2nd ed.). Lanham, MD: Alamira Press.
- Dion, D. (1998). Evidence and inference in the comparative case study. Comparative Politics, 30, 127–145.
- Donmoyer, R. (1990). Generalizability and the single-case study. In E. W. Eisner & A. Peshkin (Eds.), Qualitative inquiry in education: The continuing debate (pp. 175–200). New York: Teachers College Press.
- Drucker, P. F. (1986). The changed world economy. In P. F. Drucker (Ed.), The frontiers of management (pp. 21–49). New York: Dutton.
- Dubois, A., & Gadde, L.-E. (2002). Systematic combining: An abductive approach to case research. Journal of Business Research, 55, 553–560.
- Duff, P. A. (2008). Case study research in applied linguistics. New York: Routledge.
- Dul, J., & Hak, T. (2008). Case study methodology in business research. Oxford, England: Butterworth- Heinemann.
- Dunbar, G. (2005). Evaluating research methods in psychology: A case study approach. Malden, MA: Blackwell.
- Duneier, M. (1999). Sidewalk. New York: Farrar, Straus, & Giroux.
- Dyehouse, M., Bennett, D., Harbor, J., Childress, A., & Dark, M. (2009). A comparison of linear and systems thinking approaches for program evaluation illustrated using the Indiana Interdisciplinary GK-12. Evaluation and Program Planning, 32, 187–196.
- Eckstein, H. (1975). Case study and theory in political science. In F. I. Greenstein & N. W. Polsby (Eds.), Strategies of inquiry (pp. 79–137). Reading, MA: Addison-Wesley.
- Eilbert, K. W., & Lafronza, V. (2005). Working together for community health—a model and case studies. Evaluation and Program Planning, 28, 185–199.
- Eisenhardt, K. M. (1989). Building theories from case study research. Academy of Management Review, 14, 532–550.

- Ellet, W. (2007). The case study handbook: How to read, discuss, and write persuasively about cases. Boston: Harvard Business School Press.
- Elmore, R. F., Abelmann, C. H., & Fuhrman, S. H. (1997). The new accountability in state education reform: From process to performance. In H. F. Ladd (Ed.), Holding schools accountable (pp. 65–98). Washington, DC: Brookings Institution.
- Ericksen, J., & Dyer, L. (2004). Right from the start: Exploring the effects of early team events on subsequent project team development and performance. Administrative Science Quarterly, 49, 438–471.
- Eriksson, P., & Kovalainen, A. (2008). Qualitative methods in business research. London: Sage.
- Feagin, J. R., Orum, A. M., & Sjoberg, G. (Eds.). (1991). A case for the case study. Chapel Hill: University of North Carolina Press.
- Fiedler, J. (1978). Field research: A manual for logistics and management of scientific studies in natural settings. San Francisco: Jossey-Bass.
- Fielding, N., & Warnes, R. (2009). Computer-based qualitative methods in case study research. In D. Byrne & C. C. Ragin (Eds.), The Sage handbook of case-based methods (pp. 270–288). London: Sage.
- Fielding, N. G., & Lee, R. M. (1998). Computer analysis and qualitative research. Thousand Oaks, CA: Sage.
- Flyvberg, B. (2006). Five misunderstandings about case-study research. Qualitative Inquiry, 12, 219–245.
- Forrester, M. (2010). Introduction. In M. Forrester (Ed.), Doing qualitative research in psychology: A practical guide. London: Sage.
- Fowler, F. J., Jr. (1988). Survey research methods (Rev. ed.). Newbury Park, CA: Sage.
- Friese, S. (2012). Qualitative data analysis with ATLAS.ti. London: Sage.
- Funnell, S. C., & Rogers, P. J. (2011). Purposeful program theory: Effective use of theories of change and logic models. San Francisco: Jossey-Bass.
- Galster, G., Tatian, P., & Accordino, J. (2006). Targeting investments for neighborhood revitalization Journal of the American Planning Association, 72, 457–474.
- Gans, H. J. (1962). The urban villagers: Group and class in the life of Italian-Americans. New York: Free Press.
- Garmezy, N. (1982). The case for the single case in research. In A. E. Kazdin & A. H. Tuma (Eds.), Single-case research designs (No. 13, pp. 5–17). San Francisco: Jossey-Bass.
- Garvin, D.A. (2003, September–October). Making the case: Professional education for the world of practice. Harvard Magazine, 106(1), 56–107.

- Geertz, C. (1973). The interpretation of cultures. New York: Basic Books.
- George, A. L., & Bennett, A. (2004). Case studies and theory development in the social sciences. Cambridge: MIT Press.
- Gerring, J. (2004). What is a case study and what is it good for? American Political Science Review, 98, 341–354.
- Gibbert, M., Ruigrok, W., & Wicki, B. (2008). What passes as a rigorous case study? Strategic Management Journal, 29, 1465–1474.
- Gilgun, J. F. (1994). A case for case studies in social work research. Social Work, 39, 371–380.
- Glaser, B., & Strauss, A. (1967). The discovery of grounded theory: Strategies for qualitative research. Chicago: Aldine.
- Golden, L. B. (2004). Case studies in marriage and family therapy (2nd ed.). Upper Saddle River, NJ: Pearson.
- Gomm, R., Hammersley, M., & Foster, P. (2000). Case study and generalization. In R. Gomm, M.Hammersley, & P. Foster (Eds.), Case study method (pp. 98–115). London: Sage.
- Gordon, M. E., Slade, L. A., & Schmitt, N. (1986). The 'science of the sophomore' revisited: From conjecture to empiricism. Academy of Management Review, 11, 191–207.
- Gottschalk, L. (1968). Understanding history: A primer of historical method. New York: Knopf.
- Grinnell, R. M., & Unrau, Y. A. (Eds.). (2008). Social work research and evaluation: Foundations of evidence-based practice. New York: Oxford University Press.
- Gross, N., Bernstein, M., & Giacquinta, J. B. (1971). Implementing organizational innovations: A sociological analysis of planned educational change. New York: Basic Books.
- Hahn, C. (2008). Doing qualitative research using your computer: A practical guide. Thousand Oaks, CA: Sage.
- Hamel, J. (Ed.). (1992). The case study method in sociology [Whole issue]. Current Sociology, 40.
- Hammond, P. E. (1968). Sociologists at work: Essays on the craft of social research. Garden City, NY: Doubleday.
- Hanna, K. S. (2000). The paradox of participation and the hidden role of information. Journal of the American Planning Association, 66, 398–410.
- Hanna, K. S. (2005). Planning for sustainability. Journal of the American Planning Association, 71, 27–40.
- Hedrick, T., Bickman, L., & Rog, D. J. (1993). Applied research design. Newbury Park, CA: Sage.

- Henrich, J., Heine, S. J., & Norenzayan, A. (2010). The weirdest people in the world? Behavioral and Brain Sciences, 33, 61–83.
- Herriott, R. E., & Firestone, W. A. (1983). Multisite qualitative policy research: Optimizing description and generalizability. Educational Researcher, 12, 14–19.
- Hersen, M., & Barlow, D. H. (1976). Single-case experimental designs: Strategies for studying behavior. New York: Pergamon.
- Hipp, J. R. (2007). Block, tract, and levels of aggregation: Neighborhood structure and crime and disorder as a case in point. American Sociological Review, 72, 659–680.
- Hoaglin, D. C., Light, R. J., McPeek, B., Mosteller, F., & Stoto, M. A. (1982). Data for decisions: Information strategies for policymakers. Cambridge, MA: Abt Books.
- Hooks, G. (1990). The rise of the Pentagon and U.S. state building: The defense program as industrial policy. American Journal of Sociology, 96, 358–404.
- Jacobs, J. (1961). The death and life of great American cities. New York: Random House.
- Jacobs, R. N. (1996). Civil society and crisis: Culture, discourse, and the Rodney King beating. American Journal of Sociology, 101, 1238–1272.
- Jadad, A. (1998). Randomised controlled trials. London: BMJ Books.
- Janesick, V. J. (2010). Oral history for the qualitative researcher: Choreographing the story. New York: Guilford.
- Johnson, R. B., & Onwuegbuzie, A. J. (2004). Mixed methods research: A research paradigm whose time has come. Educational Researcher, 33, 14–26.
- Johnston, W. J., Leach, M. P., & Liu, A. H. (2000). Using case studies for theory testing in businessto-business research: The development of a more rigorous case study methodology. Advance in Business Marketing and Purchasing, 9, 215–241.
- Joint Committee on Standards for Educational Evaluation. (1981). Standards for evaluations of educational programs, projects, and materials. New York: McGraw-Hill.
- Jorgensen, D. (1989). Participant observation: A methodology for human studies. Newbury Park, CA: Sage.
- Julnes, G., & Rog, D. (2009). Evaluation methods for producing actionable evidence: Contextual influences on adequacy and appropriateness of method choice. In S. I. Donaldson, C. A. Christie, & M. M. Mark (Eds.), What counts as credible evidence in applied research and evaluation practice? (pp. 96–131). Thousand Oaks, CA: Sage.

- Kates, N. (2008). Integrating mental health services into primary care: The Hamilton FHT mental health program. In R. Kessler & D. Stafford (Eds.), Collaborative medicine case studies: Evidence in practice (pp. 71–82). New York: Springer.
- Kaufman, H. (1981). The administrative behavior of federal bureau chiefs. Washington, DC: Brookings Institution.
- Kazdin, A. E. (1982). Single-case research designs: Methods for clinical and applied settings. New York: Oxford University Press.
- Kazdin, A. E. (2003). Drawing valid inferences from case studies. In A. E. Kazdin (Ed.), Methodological issues and strategies in clinical research (3rd ed., pp. 655–669). Washington, DC: American Psychological Association.
- Keating, W. D., & Krumholz, N. (Eds.). (1999). Rebuilding urban neighborhoods: Achievements, opportunities, and limits. Thousand Oaks, CA: Sage.
- Kelling, G. L., & Coles, C. M. (1997). Fixing broken windows: Restoring order and reducing crime in our communities. New York: Simon & Schuster.
- Kelly, A. E., & Yin, R. K. (2007). Strengthening structured abstracts for education research: The need for claim-based structured abstracts. Educational Researcher, 36, 133–138.
- Kennedy, M. M. (1976). Generalizing from single case studies. Evaluation Quarterly, 3, 661–678.
- Kessler, R., & Stafford, D. (Eds.). (2008). Collaborative medicine case studies: Evidence in practice. New York: Springer.
- Kidder, L., & Judd, C. M. (1986). Research methods in social relations (5th ed.). New York: Holt, Rinehart & Winston.
- Kidder, T. (1981). The soul of a new machine. Boston: Little, Brown.
- Knowlton, L. W., & Phillips, C. C. (2009). The logic model guidebook: Better strategies for great results. Thousand Oaks, CA: Sage.
- Kratochwill, T. R. (1978). Single subject research. New York: Academic Press.
- Krueger, R. A., & Casey, M. A. (2009). Focus groups: A practical guide for applied research (4th ed.). Thousand Oaks, CA: Sage.
- Labin, S. N. (2008). Research syntheses: Toward broad-based evidence. In N. L. Smith & P. R. Brandon (Eds.), Fundamental issues in evaluation (pp. 89–110). New York: Guilford.
- Lavrakas, P. J. (1987). Telephone survey methods. Newbury Park, CA: Sage.

- Lawrence-Lightfoot, S., & Davis, J. H. (1997). The art and science of portraiture. San Francisco: Jossey-Bass.
- Lee, E., Mishna, F., & Brennenstuhl, S. (2010). How to critically evaluate case studies in social work. Research on Social Work Practice, 20, 682–689.
- Lempert, L. B. (2011). Asking questions of the data: Memo writing in the grounded theory tradition. In A. Bryant & K. Charmaz (Eds.), The Sage handbook of grounded theory (pp. 245–264). Thousand Oaks, CA: Sage.
- Leopold, D. A., Bondar, I. V., & Giese, M. A. (2006). Norm-based face encoding by single neurons in the monkey inferotemporal cortex. Nature, 442, 572–575.
- Lewins, A., & Silver, C. (2007). Using software in qualitative research: A step-by-step guide. London: Sage.
- Liebow, E. (1967). Tally's corner. Boston: Little, Brown.
- Lijphart, A. (1975). The comparable-cases strategy in comparative research. Comparative Political Studies, 8, 158–177.
- Lincoln, Y. S., & Guba, E. G. (1985). But is it rigorous? Trustworthiness and authenticity in naturalistic evaluation. In D. D. Williams (Ed.), Naturalistic evaluation (pp. 73–84). San Francisco: Jossey-Bass.
- Lipset, S. M., Trow, M., & Coleman, J. (1956). Union democracy: The inside politics of the International Typographical Union. New York: Free Press.
- Lipsey, M. W. (1990). Design sensitivity: Statistical power for experimental research. Thousand Oaks, CA: Sage.
- Lipsey, M. W. (1992). Meta-analysis in evaluation research: Moving from description to explanation. In H. T. Chen & P. Rossi (Eds.), Using theory to improve program and policy evaluations (pp. 229–241). New York: Greenwood.
- Llewellyn, K. N. (1948). Case method. In E. Seligman & A. Johnson (Eds.), Encyclopedia of the social sciences. New York: Macmillan.
- Lynd, R. S., & Lynd, H. M. (1929). Middletown: A study in modern American culture. New York: Harcourt Brace Jovanovich.
- Lynd, R. S., & Lynd, H. M. (1937). Middletown in transition: A study in cultural conflicts. New York: Harcourt Brace Jovanovich.
- Magaziner, I. C., & Patinkin, M. (1989). The silent war: Inside the global business battles shaping America's future. New York: Random House.

- Mark, M. M. (2008). Building a better evidence base for evaluation theory. In N. L. Smith & P. R. Brandon (Eds.), Fundamental issues in evaluation (pp. 111–134). New York: Guilford.
- Markus, M. L. (1983). Power, politics, and MIS implementation. Communications of the ACM, 26, 430–444.
- Marshall, C., & Rossman, G. B. (2011). Designing qualitative research (5th ed.). Newbury Park, CA: Sage.
- Marwell, N. P. (2007). Bargaining for Brooklyn: Community organizations in the entrepreneurial city. Chicago: University of Chicago Press.
- McAdams, D. R. (2000). Fighting to save our urban schools . . . and winning! Lessons from Houston. New York: Teachers College Press.
- McClintock, C. (1985). Process sampling: A method for case study research on administrative behavior. Educational Administration Quarterly, 21, 205–222.
- McKone, E., Kanwisher, N., & Duchaine, B. C. (2007). Can generic expertise explain special processing for faces? Trends in Cognitive Science, 11, 8–15.
- McNemar, Q. (1946). Opinion-attitude methodology. Psychological Bulletin, 43, 289–374.
- Mertens, D. (2010). Research and evaluation in education and psychology (3rd ed.). Thousand Oaks, CA: Sage.
- Merton, R. K., Fiske, M., & Kendall, P. L. (1990). The focused interview: A manual of problems and procedures (2nd ed.). New York: Free Press.
- Meyer, C. B. (2001). A case in case study methodology. Field Methods, 13, 329–352.
- Michel, J.-B., Shen, Y. K., Aiden, A. P., Veres, A., Gray, M. K., The Google Books Team, et al. (2010). Quantitative analysis of culture using millions of digitized books. Science, 331, 176–182.
- Miles, M. B., & Huberman, A. M. (1994). Qualitative data analysis: An expanded sourcebook. Thousand Oaks, CA: Sage.
- Mills, A. J., Durepos, G., & Wiebe, E. (Eds.). (2010a). Encyclopedia of case study research (2 vols.). Los Angeles: Sage.
- Mills, A. J., Durepos, G., & Wiebe, E. (2010b). Introduction. In A. J. Mills, G. Durepos, & E. Wiebe (Eds.), Encyclopedia of case study research (pp. xxxi–xxxvi). Thousand Oaks, CA: Sage.
- Mitchell, J. C. (1983). Case and situation analysis. Sociological Review, 31, 187–211.
- Miyahara, M., & Wafer, A. (2004). Clinical intervention for children with developmental coordination disorder: A multiple case study. Adapted Physical Activity Quarterly, 21, 281–300.

- Moore, B., Jr. (1966). Social origins of dictatorship and democracy: Lord and peasant in the making of the modern world. Boston: Beacon.
- Morgan, D. L., & Morgan, R. K. (2009). Single-case research methods for the behavioral and health sciences. Thousand Oaks, CA: Sage.
- Morris, L. L., Fitz-Gibbon, C. T., & Freeman, M. E. (1987). How to communicate evaluation findings. Beverly Hills, CA: Sage.
- Mosteller, F., & Wallace, D. L. (1984). Applied Bayesian and classical inference: The case of "The Federalist" papers (2nd ed.). New York: Springer Verlag.
- Mulroy, E. A., & Lauber, H. (2004). A user-friendly approach to program evaluation and effective community interventions for families at risk of homelessness. Social Work, 49, 573–586.
- Murphy, J. T. (1980). Getting the facts: A fieldwork guide for evaluators and policy analysts. Santa Monica, CA: Goodyear.
- Murray, D. M. (1998). Design and analysis of group-randomized trials. New York: Oxford University Press.
- Nachmias, D., & Nachmias, C. (1992). Research methods in the social sciences. New York: St. Martin's.
- Nathan, I., Lund, J. F., Gausset, Q., & Andersen, S. K. (2007). On the promise of devolution: Overcoming the constraints of natural resource management in a village in Tanzania. Journal of Transdisciplinary Environmental Studies, 6, 1–20.
- National Research Council. (2003). Protecting participants and facilitating social and behavioral sciences research. Washington, DC: National Academies Press.
- National Research Council. (2004). On evaluating curricular effectiveness: Judging the quality of K–12 mathematics evaluations. Washington, DC: National Academies Press.
- Naumes, W., & Naumes, M. J. (1999). The art & craft of case writing. Thousand Oaks, CA: Sage.
- Nesman, T. M., Batsche, C., & Hernandez, M. (2007). Theory-based evaluation of a comprehensive Latino education initiative: An interactive evaluation approach. Evaluation and Program Planning, 30, 267–281.
- Neuman, S. B., & Celano, D. (2001). Access to print in low-income and middle-income communities: An ecological study of four neighborhoods. Reading Research Quarterly, 36, 8–26.
- Neustadt, R. E., & Fineberg, H. (1983). The epidemic that never was: Policy-making and the swine flu affair. New York: Vintage.

- O'Reilly, K. (2005). Ethnographic methods. London: Routledge. Patton, M. Q. (2002). Qualitative research and evaluation methods (3rd ed.). Thousand Oaks, CA: Sage.
- Peters, T. J., & Waterman, R. H., Jr. (1982). In search of excellence. New York: Harper & Row.
- Peterson, K. A., & Bickman, L. (1992). Using program theory in quality assessments of children's mental health services. In H. T. Chen & P. Rossi (Eds.), Using theory to improve program and policy evaluations (pp. 165–176). New York: Greenwood.
- Peterson, R. K. (2001). On the use of college students in social science research: Insights from a second-order meta-analysis. Journal of Consumer Research, 28, 450–461.
- Philliber, S. G., Schwab, M. R., & Samsloss, G. (1980). Social research: Guides to a decision-making process. Itasca, IL: Peacock.
- Phillips, R., & Pittman, R. H. (2009). A framework for community and economic development. In R.Phillips & R. H. Pittman (Eds.), An introduction to community development (pp. 3–19). Abingdon, England: Routledge.
- Piekkari, R., Welch, C., & Paavilainen, E. (2009). The case study as disciplinary convention: Evidence from international business journals. Organizational Research Methods, 12, 567–589.
- Platt, J. (1992). "Case study" in American methodological thought. Current Sociology, 40, 17–48.
- Prescott, H. M. (2002). Using the student body: College and university students as research subjects in the United States during the twentieth century. Journal of the History of Medicine, 57, 3–38.
- Pressman, J. L., & Wildavsky, A. (1973). Implementation: How great expectations in Washington are dashed in Oakland. Berkeley: University of California Press.
- Ragin, C. C. (1987). The comparative method: Moving beyond qualitative and quantitative strategies. Berkeley: University of California Press.
- Ragin, C. C., & Becker, H. S. (Eds.). (1992). What is a case? Exploring the foundations of social inquiry. New York: Cambridge University Press.
- Raizen, S. A., & Britton, E. D. (Eds.). (1997). Bold ventures (3 vols.). Dordrecht, The Netherlands: Kluwer Academic.
- Randolph, J. J., & Eronen, P. J. (2007). Developing the Learner Door: A case study in youth participatory program planning. Evaluation and Program Planning, 30, 55–65.
- Redman, E. (1973). The dance of legislation. New York: Simon & Schuster.
- Rihoux, B., & Lobe, B. (2009). The case for qualitative comparative analysis (QCA): Adding leverage for thick cross-case comparison. In D. Byrne & C. C. Ragin (Eds.), The Sage handbook of case-based methods (pp. 222–242). London: Sage.

- Rivera, L. A. (2008). Managing “spoiled” national identity: War, tourism, and memory in Croatia. American Sociological Review, 73, 613–634.
- Robben, A. C. G. M., & Sluka, J. A. (Eds.). (2007). Ethnographic fieldwork: An anthropological reader. Malden, MA: Blackwell.
- Robertson, L. C., Knight, R. T., Rafal, R., & Shimamura, A. P. (1993). Cognitive psychology is more than single-case studies. Journal of Experimental Psychology, 19, 710–717.
- Rog, D. J., & Huebner, R. B. (1992). Using research and theory in developing innovative programs for homeless individuals. In H. T. Chen & P. Rossi (Eds.), Using theory to improve program and policy evaluations (pp. 129–144). New York: Greenwood.
- Rog, D. J., & Randolph, F. I. (2002). A multisite evaluation of supported housing: Lessons from cross-site collaboration. New Directions for Evaluation, 94, 61–72.
- Rogers, E. M., & Larsen, J. K. (1984). Silicon Valley fever: Growth of high-technology culture. New York: Basic Books.
- Rogers, P. J. (2000). Program theory: Not whether programs work but how they work. In D. L. Stufflebeam, G. F. Madaus, & T. Kelleghan (Eds.), Evaluation models: Viewpoints on educational and human services evaluation (2nd ed., pp. 209–232). Boston: Kluwer.
- Rogowski, R. (2010). How inference in the social (but not the physical) sciences neglects theoretical anomaly. In H. Brady & D. Collier (Eds.), Rethinking social inquiry: Diverse tools, shared standards (2nd ed., pp. 89–97). Lanham, MD: Rowman & Littlefield.
- Rolls, G. (2005). Classic case studies in psychology. Abingdon, England: Hodder Education.
- Rosenbaum, D. P. (Ed.). (1986). Community crime prevention: Does it work? Thousand Oaks, CA: Sage.
- Rosenbaum, P. R. (2002). Observational studies (2nd ed.). New York: Springer.
- Rosenthal, R. (1966). Experimenter effects in behavioral research. New York: Appleton-Century-Crofts.
- Rossi, P., Lipsey, M. W., & Freeman, H. E. (2004). Evaluation: A systematic approach (7th ed.). Thousand Oaks, CA: Sage.
- Rubin, A., & Babbie, E. (1993). Research methods for social work. Pacific Grove, CA: Brooks/Cole.
- Rubin, H. J., & Rubin, I. S. (2011). Qualitative interviewing: The art of hearing data (3rd ed.). Thousand Oaks, CA: Sage.
- Ruddin, L. P. (2006). You can generalize stupid! Social scientists, Bent Flyvbjerg, and case study methodology. Qualitative Inquiry, 12, 797–812.
- Saldaa, J. (2009). The coding manual for qualitative researchers. London: Sage.

- Schatzman, L., & Strauss, A. (1973). Field research. Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall.
- Schein, E. (2003). DEC is dead, long live DEC: Lessons on innovation, technology, and the business gene. San Francisco: Berrett-Koehler.
- Schlesselman, J. J. (1982). Case-control studies: Design, conduct, analysis. New York: Oxford University Press.
- Schorr, L. B. (1997). Common purpose: Strengthening families and neighborhoods to rebuild America. New York: Anchor.
- Schramm, W. (1971, December). Notes on case studies of instructional media projects. Working paper for the Academy for Educational Development, Washington, DC.
- Schwandt, T. A. (2007). The Sage dictionary of qualitative inquiry (3rd ed.). Los Angeles: Sage.
- Schwandt, T. A. (2009). Toward a practical theory of evidence for evaluation. In S. I. Donaldson, C. A. Christie, & M. M. Mark (Eds.), What counts as credible evidence in applied research and evaluation practice? (pp. 197–212). Thousand Oaks, CA: Sage.
- Scoville, W. B., & Milner, B. (1957). Loss of recent memory in bilateral hippocampal lesions. Journal of Neurology, Neurosurgery, and Psychiatry, 20, 11–22.
- Scriven, M. (2009). Demythologizing causation and evidence. In S. I. Donaldson, C. A. Christie, & M. M. Mark (Eds.), What counts as credible evidence in applied research and evaluation practice? (pp. 134–152). Thousand Oaks, CA: Sage.
- Sears, D. O. (1986). College sophomores in the laboratory: Influences of a narrow database on social psychology's view of human nature. Journal of Personality and Social Psychology, 51, 515–530.
- Selznick, P. (1980). TVA and the grass roots: A study of politics and organization. Berkeley: University of California Press. (Original work published 1949)
- Shavelson, R., & Towne, L. (Eds.). (2002). Scientific research in education. Washington, DC: National Academies Press.
- Sidman, M., Soddard, L. T., & Mohr, J. P. (1968). Some additional quantitative observations of immediate memory in a patient with bilateral hippocampal lesions. Neuropsychologia, 6, 245–254.
- Sidowski, J. B. (Ed.). (1966). Experimental methods and instrumentation in psychology. New York: Holt, Rinehart & Winston.
- Silverman, D. (2010). Doing qualitative research: A practical handbook (3rd ed.). Thousand Oaks, CA: Sage.
- Small, M. L. (2004). Villa Victoria: The transformation of social capital in a Boston barrio. Chicago: University of Chicago Press.

- Small, M. L. (2009). "How many cases do I need?" On science and the logic of case selection in field-based research. Ethnography, 10, 5–38.
- Smith, J. (Ed.). (2008). Qualitative psychology: A practical guide to research methods (2nd ed.). London: Sage.
- Speiglman, R., & Spear, P. (2009). The role of institutional review boards: Ethics: Now you see them, now you don't. In D. M. Mertens & P. E. Ginsberg (Eds.), The handbook of social research ethics (pp. 121–134). Thousand Oaks, CA: Sage.
- Spilerman, S. (1971). The causes of racial disturbances: Tests of an explanation. American Sociological Review, 36, 427–442.
- Stake, R. E. (2005). Qualitative case studies. In N. K. Denzin & Y. S. Lincoln (Eds.), The Sage handbook of qualitative research (3rd ed., pp. 443–466). Thousand Oaks, CA: Sage.
- Stake, R. E. (2006). Multiple case study analysis. New York: Guilford.
- Standerfer, N. R., & Rider, J. (1983). The politics of automating a planning office. Planning, 49, 18–21.
- Stein, H. (1952). Case method and the analysis of public administration. In H. Stein (Ed.), Public administration and policy development (pp. xx–xxx). New York: Harcourt Brace Jovanovich.
- Stoecker, R. (1991). Evaluating and rethinking the case study. The Sociological Review, 39, 88–112.
- Stufflebeam, D. L., & Shinkfield, A. J. (2007). Evaluation theory, models, and applications. San Francisco: Jossey-Bass.
- Sudman, S., & Bradburn, N. M. (1982). Asking questions: A practical guide to questionnaire design. San Francisco: Jossey-Bass.
- Supovitz, J. A., & Taylor, B. S. (2005). Systemic education evaluation: Evaluating the impact of systemwide reform in education. American Journal of Evaluation, 26, 204–230.
- Sutton, R. I., & Staw, B. M. (1995). What theory is not. Administrative Science Quarterly, 40, 371–384.
- Szanton, P. (1981). Not well advised. New York: Russell Sage Foundation and The Ford Foundation.
- Tawney, J. W., & Gast, D. L. (1984). Single subject research in special education. Columbus, OH: Merrill.
- Teske, P., Schneider, M., Roch, C., & Marschall, M. (2000). Public school choice: A status report. In D. Ravitch & J. P. Viteritti (Eds.), Lessons from New York City schools (pp. 313–338). Baltimore: Johns Hopkins University Press.
- Thacher, D. (2006). The normative case study. American Journal of Sociology, 111, 1631–1676.

- Towl, A. R. (1969). To study administrations by cases. Boston: Harvard University Business School.
- Trochim, W. (1989). Outcome pattern matching and program theory. Evaluation and Program Planning, 12, 355–366.
- United Nations Development Programme. (2010). Evaluation of UNDP contribution to strengthening national capacities. New York: Evaluation Office.
- U.S. Government Accountability Office, Program Evaluation and Methodology Division. (1990). Case study evaluations. Washington, DC: Government Printing Office.
- U.S. National Commission on Neighborhoods. (1979). People, building neighborhoods. Washington, DC: Government Printing Office.
- U.S. Office of Technology Assessment. (1980–1981). The implications of cost effectiveness analysis of medical technology: Case studies of medical technologies. Washington, DC: Government Printing Office.
- Van Maanen, J. (1988). Tales of the field: On writing ethnography. Chicago: University of Chicago Press.
- Vaughan, D. (1992). Theory elaboration: The heuristics of case analysis. In C. C. Ragin & H. D. Becker (Eds.), What is a case? Exploring the foundations of social inquiry (pp. 173–202). Cambridge, England: Cambridge University Press.
- Vaughan, D. (1996). The Challenger launch decision: Risky technology, culture, and deviance at NASA. Chicago: University of Chicago Press.
- Veerman, J. W., & van Yperen, T. A. (2007). Degrees of freedom and degrees of certainty: A developmental model for the establishment of evidence-based youth care. Evaluation and Program Planning, 30, 212–221.
- Vertue, F. M. (2011). Applying case study methodology to child custody evaluations. Family Court Review, 49, 336–347.
- Vissak, T. (2010). Recommendations for using the case study method in international business research. The Qualitative Report, 15, 370–388.
- Warner, W. L., & Lunt, P. S. (1941). The social life of a modern community. New Haven, CT: Yale University Press.
- Wax, R. (1971). Doing field work. Chicago: University of Chicago Press.
- Weiss, R. S. (1994). Learning from strangers: The art and method of qualitative interview studies . New York: The Free Press.
- Wertz, F. J., Charmaz, K., McMullen, L. M., Josselson, R., Anderson, R., & McSpadden, E. (2011). Five ways of doing qualitative analysis: Phenomenological psychology, grounded theory, discourse

analysis, narrative research, and intuitive inquiry. New York: Guilford.

- Wholey, J. (1979). Evaluation: Performance and promise. Washington, DC: The Urban Institute.
- Whyte, W. F. (1993). Street corner society: The social structure of an Italian slum (4th ed.). Chicago: University of Chicago Press. (Original work published 1943).
- Wilford, J. N. (1992). The mysterious history of Columbus. New York: Vintage.
- Wilson, R. F. (Ed.). (1982). Designing academic program reviews (New Directions for Higher Education, No. 37). San Francisco: Jossey-Bass.
- Windsor, D., & Greanias, G. (1983). The public policy and management program for case/course development. Public Administration Review, 26, 370–378.
- Wolcott, H. F. (2009). Writing up qualitative research (3rd ed.). Thousand Oaks, CA: Sage.
- Wolf, P. (1997). Why must we reinvent the federal government? Putting historical developmental claims to the test. Journal of Public Administration Research and Theory, 3, 358–388.

- Yardley, L. (2009). Demonstrating validity in qualitative psychology. In J. A. Smith (Ed.), Qualitative psychology: A practical guide to research method (pp. 235–251). Los Angeles: Sage.
- Yin, R. K. (1978). Face perception: A review of experiments with infants, normal adults, and brain injured persons. In R. Held, H. Liebowitz, & H.-L. Teuber (Eds.), Handbook of sensory physiology: Vol. VIII. Perception (pp. 593–608). New York: Springer-Verlag.
- Yin, R. K. (1980). Creeping federalism: The federal impact on the structure and function of local government. In N. J. Glickman (Ed.), The urban impacts of federal policies (pp. 595–618). Baltimore: Johns Hopkins University Press.
- Yin, R. K. (1981a). The case study as a serious research strategy. Knowledge: Creation, Diffusion, Utilization, 3, 97–114.
- Yin, R. K. (1981b). The case study crisis: Some answers. Administrative Science Quarterly, 26, 58–65.
- Yin, R. K. (1981c). Life histories of innovations: How new practices become routinized. Public Administration Review, 41, 21–28.
- Yin, R. K. (1982a). Conserving America's neighborhoods. New York: Plenum.
- Yin, R. K. (1982b). Studying the implementation of public programs. In W. Williams, R. F. Elmore, J. S. Hall, R. Jung, M. Kirst, S. A. MacManus, et al. (Eds.), Studying implementation: Methodological and administrative issues (pp. 36–72). Chatham, NJ: Chatham House.
- Yin, R. K. (1986). Community crime prevention: A synthesis of eleven evaluations. In D. P. Rosenbaum (Ed.), Community crime prevention: Does it work? (pp. 294–308). Thousand Oaks, CA: Sage.
- Yin, R. K. (1994a). Discovering the future of the case study method in evaluation research. Evaluation Practice, 15, 283–290.
- Yin, R. K. (1994b). Evaluation: A singular craft. In C. Reichardt & S. Rallis (Eds.), New directions in program evaluation (pp. 71–84). San Francisco: Jossey-Bass.
- Yin, R. K. (1997). Case study evaluations: A decade of progress? New Directions for Evaluation, 76, 69–78.
- Yin, R. K. (1999). Enhancing the quality of case studies in health services research. Health Services Research, 34, 1209–1224.
- Yin, R. K. (2000a). Case study evaluations: A decade of progress? In D. L. Stufflebeam, G. F. Madaus, & T. Kelleghan (Eds.), Evaluation models: Viewpoints on educational and human services evaluation (2nd ed., pp. 185–193). Boston: Kluwer.

- Yin, R. K. (2000b). Rival explanations as an alternative to "reforms as experiments." In L. Bickman (Ed.), Validity & social experimentation: Donald Campbell's legacy (pp. 239–266). Thousand Oaks, CA: Sage.
- Yin, R. K. (2003). Applications of case study research (2nd ed.). Thousand Oaks, CA: Sage.
- Yin, R. K. (Ed.). (2004). The case study anthology. Thousand Oaks, CA: Sage.
- Yin, R. K. (Ed.). (2005). Introducing the world of education: A case study reader. Thousand Oaks, CA: Sage.
- Yin, R. K. (2006a). Case study methods. In J. Green, G. Camilli, & P. Elmore (Eds.), Handbook of complementary methods in education research (3rd ed., pp. 111–122). Washington, DC: American Educational Research Association.
- Yin, R. K. (2006b). Mixed methods research: Are the methods genuinely integrated or merely parallel? Research in the Schools, 13, 41–47.
- Yin, R. K. (2011). Qualitative research from start to finish. New York: Guilford.
- Yin, R. K. (2012). Applications of case study research (3rd ed.). Thousand Oaks, CA: Sage.
- Yin, R. K., Bingham, E., & Heald, K. (1976). The difference that quality makes. Sociological Methods and Research, 5, 139–156.
- Yin, R. K., & Davis, D. (2006). State-level education reform: Putting all the pieces together. In K. Wong & S. Rutledge (Eds.), Systemwide efforts to improve student achievement (pp. 1–33). Greenwich, CT: Information Age Publishing.
- Yin, R. K., & Davis, D. (2007). Adding new dimensions to case study evaluations: The case of evaluating comprehensive reforms. In G. Julnes & D. J. Rog (Eds.), Informing federal policies for evaluation methodology (New Directions in Program Evaluation, No. 113, pp. 75–93). San Francisco: Jossey-Bass.
- Yin, R. K., & Heald, K. (1975). Using the case survey method to analyze policy studies. Administrative Science Quarterly, 20, 371–381.
- Yin, R. K., & Oldsman, E. (1995). Logic model for evaluating changes in manufacturing firms. Unpublished paper prepared for the National Institute of Standards and Technology, U.S. Department of Commerce, Gaithersburg, MD.
- Yin, R. K., Schmidt, R. J., & Besag, F. (2006). Aggregating student achievement trends across states with different tests: Using standardized slopes as effect sizes. Peabody Journal of Education, 81(2), 47–61.
- Yin, R. K., & Yates, D. T. (1975). Street-level governments: Assessing decentralization and urban services. Lexington, MA: Lexington Books.
- Zigler, E., & Muenchow, S. (1992). Head Start: The inside story of America's most successful educational experiment. New York: Basic Books.

المترجم في سطور

د. بركات بن مازن العتيبي

المؤهل العلمي:

- درجة الدكتوراه في الإدارة العامة، جامعة مانشستر، المملكة المتحدة، ٢٠٠٩م.

الوظيفة الحالية:

- أستاذ الإدارة العامة في معهد الإدارة العامة، الرياض، المملكة العربية السعودية.

الخبرات والأنشطة العلمية

تتركز خبرات الدكتور/ العتيبي في مجالات التدريب والاستشـارات الإدارية، حيث يعمل مدرباً في القيادة الاسـتراتيجية وموضوعات الإدارة العامة بشكل عام، ولديه خبرات واسعة في مشروعات تنفيذ الإستراتيجيات وقياس الأداء الحكومي. كما تنوعت خبراته الإدارية من خلال عمله كمستشار إداري في مجال التنظيم الإداري وتطوير الأعمال مع عدد من الأجهزة الحكومية، ومؤسسات المجتمع المدني.

في الجانـب البحثي، تتجه اهتماماته البحثية نحو قضايا الإدارة العامة حيث قدم عدداً مـن الأوراق العلمية والترجـمات المتخصصة في موضوعات تطبيـق مشروعات الحكومة الإلكترونيـة، وإدارة التغيـير، وقياس الأداء الحكومي، وإدارة الأزمات، وتحديات مسـتقبل القطـاع العام، والقيادة الإدارية. بالإضافة إلى خبراته العلمية الأخرى من خلال عضويته في عدد من اللجان العلمية في بعض مراكز البحوث الحكومية.

مراجع الترجمة في سطور

د. عبيد بن عبدالله العمري

المؤهل العلمي

- درجة الدكتوراه في علم الاجتماع، جامعة أيوا الحكومية، الولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٩٤م.

الوظيفة الحالية

- أستاذ علم الاجتماع، قسم الدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة الملك سعود.

الخبرات والأنشطة العلمية

يمتلك البروفيسور/ العمري خبرات أكاديمية واسعة من خلال تخصصه في الدراسات الاجتماعية، وتقديم الاستشارات في مجال البحوث والقياس الاجتماعي. وعمل سابقاً عضواً لمجلس إدارة مركز البحوث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة، في جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن (٢٠١٦-٢٠١٧م). كما عمل مديراً عاماً للتعليم بمنطقة تبوك، عام (١٩٩٧م). له العديد من المساهمات العلمية من أبرزها تأليف كتاب "مضامين المواقع الإلكترونية القبلية وآثارها على الوحدة الوطنية: دراسة تحليلية"، كأحد إصدارات، كرسي الأمير نايف بن عبدالعزير لأبحاث الوحدة الوطنية، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في العام (١٤٣٤هـ) وكذلك، تأليف كتاب " المشروع الشامل لتوجهات الطلاب والطالبات نحو التدخين والمشاركة في برامج الوقاية منه : دراسة تطبيقية على طلاب وطالبات التعليم العام في المملكة العربية السعودية" (١٤٣٤هـ). وقبل ذلك ، شارك في تأليف فصل ضمن كتاب "الإسكان التنموي"، بعنوان إدارة المجمعات السكنية الخيرية، في عام (١٤٢٩هـ).

من جانب التدريس الجامعي، يقوم البروفيسور/ العمري بتدريس مجموعة من المواد لطلاب الدراسات العليا، مثل : مناهج البحث الاجتماعي، التنظيمات الحديثة، المقاييس الاجتماعية، والإحصاء التطبيقي.

تم التصميم والإخراج الفني والطباعة في الإدارة العامة للطباعة والنشر
معهد الإدارة العامة ، الرياض - ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م

هذا الكتاب:

يستعرض الكتاب موضوع دراسة الحالة كأحد أساليب البحث العلمي المستخدمة على نطاقٍ واسع في العلوم الإنسانية والتطبيقية، حيث تعمل دراسة الحالة على وصف وتحليل قضايا معينة يعيشها الأفراد والمنظمات.

ويركز الكتاب في رسالته على توضيح الاهتمام المتزايد بأهمية بحوث دراسة الحالة، والعمل على تحفيز الباحثين لتوظيف دراسة الحالة في أبحاث العلوم الإنسانية والتطبيقية.

كما يقدم الكتابُ تفاصيلَ دقيقة لفهم مصطلحات بحوث دراسة الحالة وتطبيقها كطريقة بحثية ذات مزايا متعددة في العلوم الاجتماعية؛ من خلال التركيز على تصاميم وبروتوكول دراسة الحالة، وتقنيات وأدوات جمع البيانات وتحليلها وصولاً إلى تفسير النتائج وتعميمها، إضافةً إلى تقديم مناقشةٍ مستفيضة حول إعداد تقارير دراسات الحالة، والجوانب والاعتبارات الأخلاقية في بحوث دراسة الحالة بشكلٍ عام.

يتميز محتوى هذا الكتاب بمجموعةٍ من التحسينات العلمية الناتجة من الطبعات السابقة التي أسهمتْ في تقديم المحتوى العلمي وترتيبِ أفكار الكتاب بشكلٍ مختلف ومُنظَّم.

يُعدُّ هذا الكتابُ في شكله البسيط دليلاً عمليًّا للباحثين وطلاب الدراسات العليا لإجراء بحوث دراسة الحالة بدقة، بما يدعم أبحاثَهم العلمية بشكلٍ يضمن تقديمَ مساهماتٍ بحثية مميزة.


9786038276211

تصميم وإخراج وطباعة الإدارة العامة للطباعة والنشر - معهد الإدارة العامة ١٤٤١هـ.